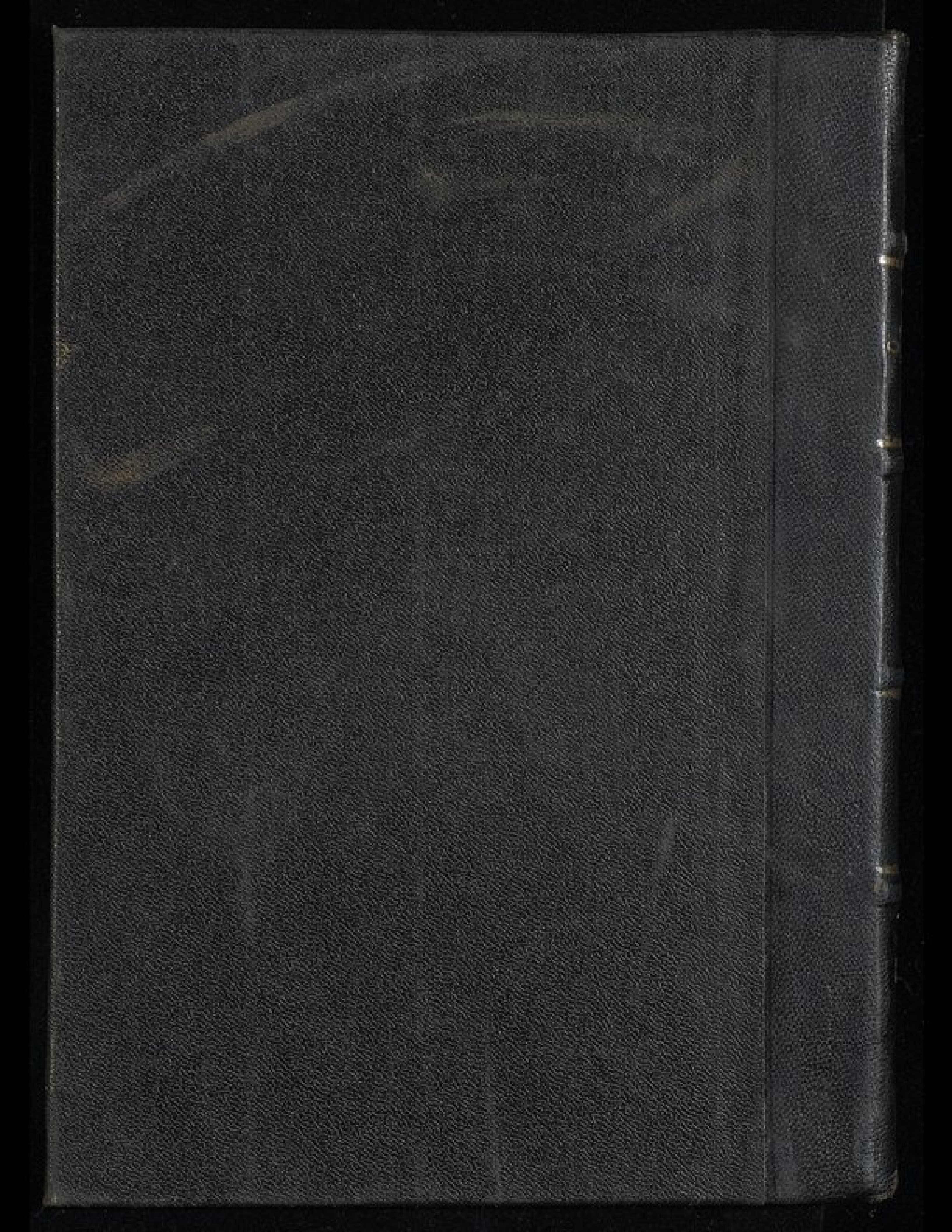
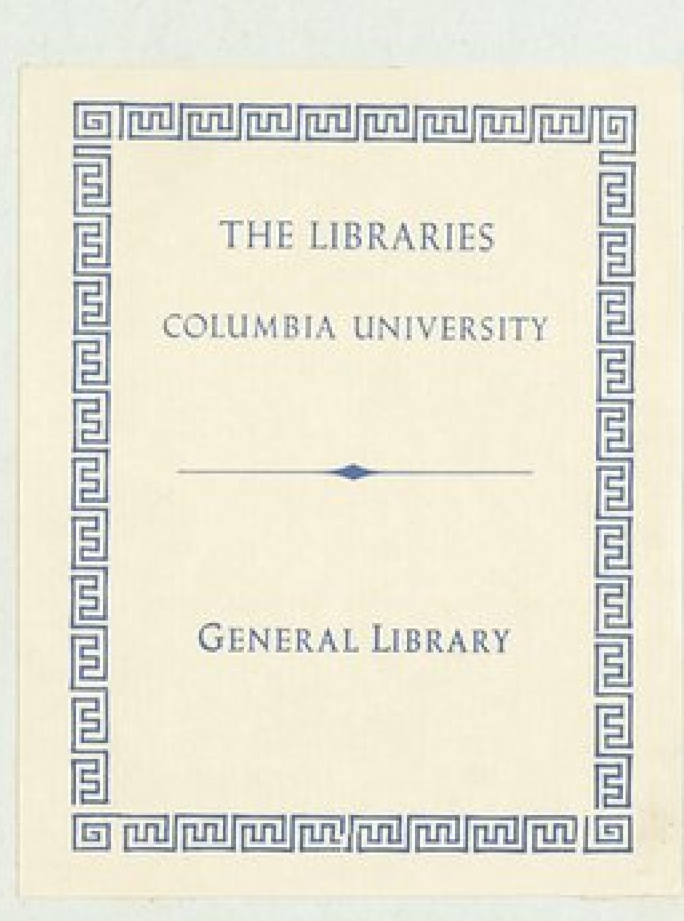
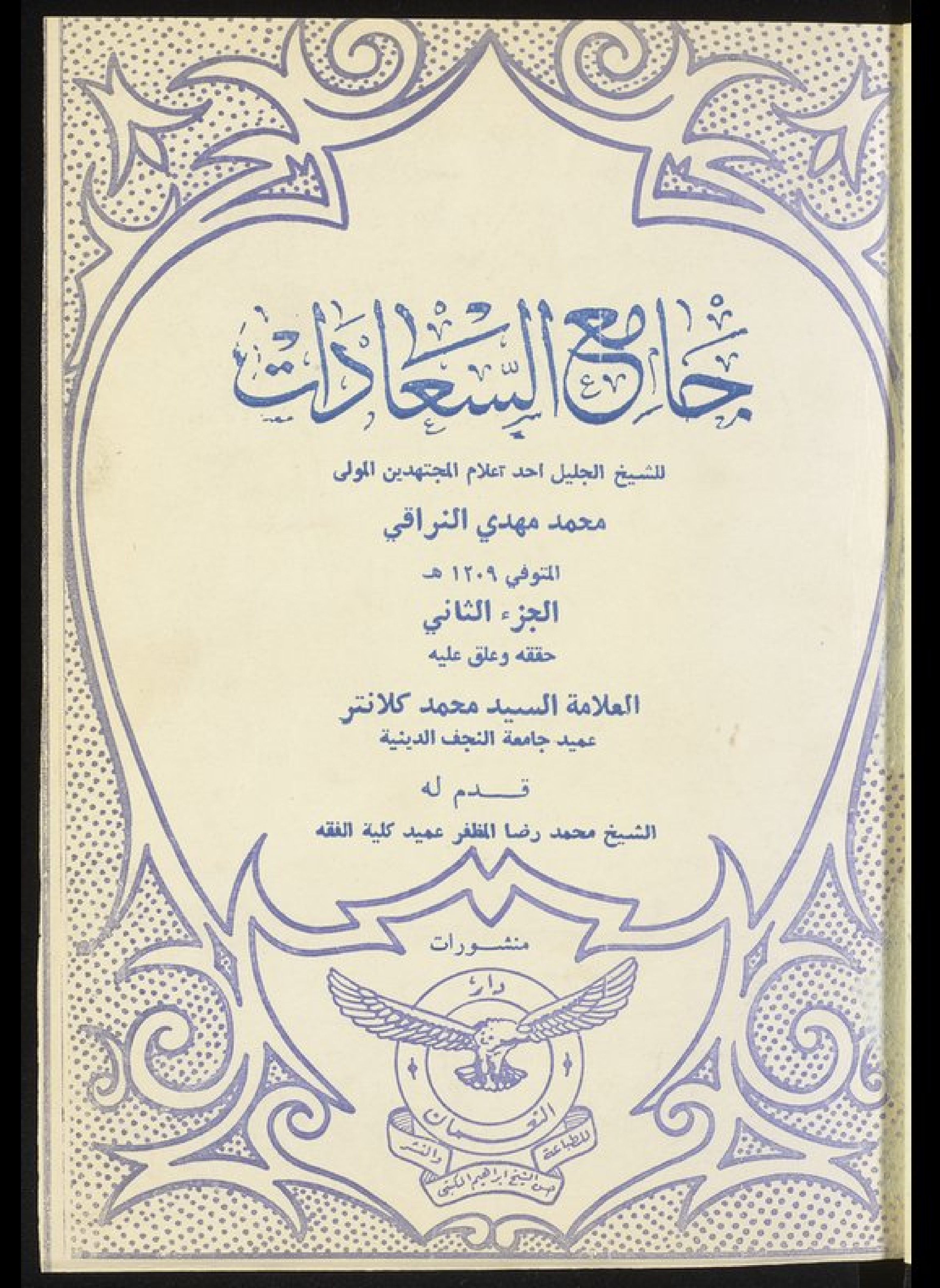



THE LIBRARIES
COLUMBIA UNIVERSITY
GENERAL LIBRARY



جامع السعادات

للشيخ الجليل احد اعلام المجتهدين المولى

محمد مهدي النراقي

المتوفي ١٢٠٩ هـ

الجزء الثاني

حققه وعلق عليه

العلامة السيد محمد كلانتر

عميد جامعة النجف الدينية

قدم له

الشيخ محمد رضا المظفر عميد كلية الفقه

منشورات

جامع السعادات

للشيخ الجليل أحد أعلام المجتهدين المولى

محمد مهدي النراقي

المتوفي ١٢٠٩ هـ

الجزء الثاني

حققه وعلق عليه

العلامة السيد محمد كلانتر

عميد جامعة النجف الدينية

قدم له

الشيخ محمد رضا المظفر عميد كلية الفقه

الطبعة الرابعة



المقام الثالث

فيما يتعلق بالقوة الشهوية من الرذائل والفضائل وكيفية العلاج

الشره ـ فوائد الجوع ـ الشهوة الجنسية ـ خمود الشهوة ـ العفة ـ الاعتدال في الشهوة ـ حب الدنيا ـ لابد للمؤمن من مكسب ـ الدنيا المذمومة هي الهوى ـ ذم الدنيا وانها عدوة الله والانسان ـ خسائس صفات الدنيا ـ تشبيهات الدنيا وأهلها ـ عاقبة حب الدنيا وبغضها ـ الجمع بين ذم المال ومدحه ـ حب المال ـ ذم المال ـ غوائل المال وفوائده ـ الامور المنجية من غوائل المال ـ الزهد ـ مدح الزهد ـ اعتبارات الزهد ودرجاته ـ الزهد الحقيقي ـ ذم الغنى ـ الفقر ـ اختلاف أحوال الفقراء ـ مراتب الفقر ومدحه ـ الموازنة بين الفقر والغنى ـ ما ينبغي للفقير ـ وظيفة الفقراء ـ موارد قبول العطاء وردها ـ لايجوز السؤال من غير حاجة ـ الحرص وذمه ـ القناعة ـ علاج الحرص ـ الطمع وذمه ـ الاستغناء عن الناس ـ البخل ـ ذم البخل ـ السخاء ـ معرفة مايجب أن يبذل ـ الايثار ـ علاج البخل ـ الزكاة ـ سر وجوب الزكاة وفضيلة سائر الانفاقات ـ الحث على التعجيل في الاعطاء ـ فضيلة اعلان الصدقة الواجبة ـ ذم المن والاذى في الصدقة ـ ماينبغي للمعطى ـ ما ينبغي للفقراء في أخذ الصدقة ـ زكاة الابدان ـ الخمس ـ الانفاق على الأهل والعيال ـ ماينبغي في الانفاق على العيال ـ صدقة التطوع ـ فضيلة الاسرار في الصدقة المندوبة ـ الهدية ـ الضيافة ـ ما ينبغي ان يقصد في الضيافة ـ آداب الضيافة ـ الحق المعلوم وحق الحصاد والجذاذ ـ القرض ـ انظار المعسر والتحليل ـ بذل الكسوة والسكنى ونحوهما ـ مايبذل لوقاية العرض والنفس ـ ماينفق في المنافع العامة ـ الفرق بين الاتفاق والبر والمعروف ـ طلب الحرام ـ عزة تحصيل الحلال ـ انواع الاموال • الفرق بين الرشوة والهدية ـ الورع عن الحرام ـ مدح الورع ـ مداخل الحلال ـ درجات الورع ـ الغدر ـ أنواع الفجور ـ الخوض في الباطل ـ التكلم بما لايعنى ـ حد التكلم بمالا يعنى ـ أسباب الخوض فيما لايعنى ـ الصمت •

فنقول : اما جنسا رذائلها (١) فاحدهما :

الشره

وهو اطاعة شهوة البطن والفرج ،وشدة الحرص على الاكل والجماع، وربما فسر باتباع القوة الشهوية في كل ما تدعو اليه : من شهوة البطن والفرج وحب المال، وغير ذلك ؛ ليكون أعم من سائر رذائل قوة الشهوة ، وتتحقق جنسيته ، وعلى الاول يكون بعض رذائلها كحب الدنيا المتعلق بها أعم منه، الا ان القوم لما فسروه بالاول فنحن اتبعناهم ، اذ الامر في مثله هين .

وبالجملة : رذيلة الشره من طرف الافراط ولا ريب في كونه أعظم المهلكات لابن آدم ،ولذا قال رسول الله (ص) : « من وقي شر قبقبه وذبذبه ولقلقه فقد وقى » ، والقبقب : البطن ، والذبذب : الفرج ؛ واللقلق : اللسان . وقال (ص) : « ويل للناس من القبقبين ! ، فقيل :وما هما يا رسول الله ؟! قال : الحلق والفرج » . وقال (ص) : « اكثر ما يلج به امتي النار الاجوفان : البطن والفرج » . وقال (ص) : « ثلاث اخافهن على امتي من بعدي : الضلالة بعد المعرفة ، ومضلات الفتن ،وشهوة البطن والفرج » .

ويدل على ذم (الاول) — اعني شهوة البطن والحرص على الاكل والشرب — قوله (ص) : « ما ملأ ابن آدم وعاءا شرا من بطنه ، حسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه ، وان كان لا بد فاعلا فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه » . وقال (ص) : « لا تميتوا القلوب بكثرة الطعام والشراب فان القلب كالزرع يموت اذا كثر عليه الماء » . وقال (ص) : « أفضلكم منزلة عند الله اطولكم جوعا وتفكرا، وابغضكم الى الله تعالى كل نؤوم اكول شروب » وقال (ص) : « المؤمن يأكل في معاء واحد والمنافق يأكل في سبعة امعاء » ، أي يأكل سبعة أضعاف ما يأكله المؤمن او تكون شهوته سبعة امثال شهوته ، فللمعاء كناية عن الشهوة . وقال (ص) : « ان ابغض الناس الى الله المتخمون الملاى ، وما ترك عبد أكلة يشتهيها الا كانت له درجة في الجنة » . وقال (ص) « بئس العون على الدين قلب نخيب وبطن رغيب

---

(١) اي القوة الشهوية .

ونعظ شديد »[٢] وقال (ص) : « أطول الناس جوعاً يوم القيامة اكثرهم شبعا في الدنيا » . وقال (ص) : « لا يدخل ملكوت السماوات من ملأ بطنه » . وفي التوراة : « ان الله ليبغض الحبر السمين » ، لان السمن يدل على الغفلة وكثرة الاكل . وفي بعض الآثار : « ان الله يبغض القاريء السمين » . وقال لقمان لابنه : « يا بني ! اذا امتلأت المعدة نامت الفكرة وخرست الحكمة ، وقعدت الاعضاء عن العبادة » . وقال الباقر (ع) : « اذا شبع البطن طغى » . وقال عليه السلام : « ما من شيء ابغض الى الله عز وجل من بطن مملوء » . وقال الصادق عليه السلام : « ان البطن ليطغي من أكلة ، وأقرب ما يكون العبد من الله اذا خف بطنه ، وابغض ما يكون العبد الى الله اذا امتلأ بطنه » . وقال (ص) : « ليس لابن آدم بد من أكلة يقيم بها صلبه ، فاذا أكل أحدكم طعاما ، فليجعل ثلث بطنه للطعام ، وثلث بطنه للشراب ، وثلثه للنفس ؛ ولا تسمنوا تسمن الخنازير للذبح » . وقال (ع) « ما من شيء أضر لقلب المؤمن من كثرة الاكل ، وهي مورثة شيئين : (قسوة) القلب ، و (هيجان) الشهوة . والجوع ادام للمؤمن ، وغذاء للروح ، وطعام للقلب ، وصحة للبدن » .

والاخبار الواردة بهذه المضامين كثيرة ، ولا ريب في أن اكثر الامراض والاسقام تترتب على كثرة الاكل . قال الصادق عليه السلام : « كل داء من التخمة الا الحمى فانها ترد ورودا » . وقال عليه السلام : « الاكل على الشبع يورث البرص » . وكفى لشهوة البطن ذما انها صارت منشأ لاخراج آدم وحواء من دار القرار الى دار الذل والافتقار ، اذ نهيا عن أكل الشجرة فغلبتهما شهوتهما حتى أكلا منها ، فبدت لهما سوآتهما .

والبطن منبت الادواء والافات وينبوع الشهوات ، اذ تتبعها شهوة الفرج وشدة السبق الى المنكوحات ، وتتبع شهوة المطعم والمنكح شدة الرغبة في الجاه والمال ، ليتوسل بهما الى التوسع في المطعومات والمنكوحات ، ويتبع ذلك انواع الرعونات ، وضروب المحاسدات والمنافسات ، وتتولد من ذلك

---

(٢) صححنا الحديث على نسخ الوسائل المصححة فى كتاب الاطعمة ، والوافى — ١١ : ٦٦ — . وكذا ذكره فى مجمع البحرين مادة (نخب) ، والنخيب : الجبان الذى لافؤاد له . والرغيب : الواسع .

آفة الرياء ، وغائلة التفاخر والتكاثر والعجب والكبر ، ويداعى ذلك الى الحقد والعداوة والبغضاء ، ويفضي ذلك بصاحبه الى اقتحام البغي والمنكر والفحشاء . وكل ذلك ثمرة اهمال المعدة وما يتولد من بطر الشبع والامتلاء ولو ذلل العبد نفسه بالجوع ، وضيق مجاري الشيطان ، لم يسلك سبيل البطر والطغيان ، ولم ينجر به الى الانهماك في الدنيا والانغمار فيما يفضيه الى الهلاك والردى ، ولذا ورد في فضيلة الجوع والصبر عليه ما ورد من الاخبار ، قال رسول الله (ص) : « جاهدوا أنفسكم بالجوع والعطش ، فان الاجر في ذلك كأجر المجاهد في سبيل الله ، وانه ليس من عمل أحب الى الله من جوع وعطش » . وقال(ص) : « أفضل الناس من قل مطعمه وضحكه ورضي بما يستر عورته » . وقال (ص) « سيد الاعمال الجوع ، وذل النفس لباس الصوف » وقال (ص) : « اشربوا وكلوا في انصاف البطون ، فانه جزء من النبوة » . وقال (ص) : « قلة الطعام هي العبادة » . وقال (ص) « ان الله يباهي الملائكة بمن قلّ مطعمه في الدنيا ، يقول : انظـروا الى عبدي ابتليته بالطعام والشراب في الدنيا فصبر وتركهما، اشهدوا يا ملائكتي: ما من أكلة يدعها الا ابدلته بها درجات في الجنة» . وقال (ص) : « اقرب الناس من الله عز وجل يوم القيامة من طال جوعه وعطشه وحزنه في الدنيا» . وقال عيسى عليه السلام :« اجيعوا أكبادكم واعروا اجسادكم ، لعل قلوبكم ترى الله عز وجل » . وقالت بعض زوجاته (ص) : « ان رسول الله لم يمتلىء قط شبعا ، وربما بكيت رحمة مما أرى به من الجوع فامسح بطنه بيدي، وأقول : نفسي لك الفداء ! لو تبلغت من الدنيا بقدر ما يقويك ويمنعك من الجوع ، فيقول : اخواني من اولي العزم من الرسل قد صبروا على ما هو اشد من هذا ، فمضوا على حالهم فقدموا على ربهم فاكرم مآبهم واجزل ثوابهم ، فاجدني استحيي ان ترفهت في معيشتي ان يقصر بي غدا دونهم ، فأصبر اياما يسيره احب الى من ان ينقص بى حظى غدا في الآخرة ، ومامن شيء أحب الي من اللحوق بأصحابي واخواني » . وروي : « انه جاءت فاطمة عليها السلام ومعها كسيرة من خبز ، فدفعتها الى النبي (ص) فقال : ما هذه الكسيرة؟ قالت : قرص خبزته للحسن والحسين عليهما السلام جئتك

منه بهذه الكسيرة ، فقال : أما انه اول طعام دخل فم ابيك منذ ثلاث »[٣].

فوائد الجوع

ثم للجوع فوائد : هي صفاء القلب ورقته ، واتقاد الذهن وحدته ، والالتذاذ بالمناجاة والطاعة ، والابتهاج بالذكر والعبادة ، وكسر شهوات المعاصي المستولية بالشبع ، ودفع النوم الذي يضيع العمر ويكل الطبع ويفوت القيام والتهجد ، والتمكن من الايثار والتصديق بالزائد ، وخفة المؤنة الموجبة للفراغ من الاهتمام بالتحصيل والاعداد ، وصحة البدن ودفع الامراض اذ المعدة بيت كل داء والحميــة رأس كل دواء ، وورد : « كلوا في بعض بطونكم تصحوا » ، وأضداد هذه الفوائد من المفاسد يترتب على الشبع.

ثم علاج الشره بالاكل والشرب : ان يتذكر الاخبار الواردة في ذمه ، وينبه نفسه على رذالة المأكولات وخساستها ، وعلى خسة الشركاء من الحيوانات ، ويتأمل في المفاسد المترتبة على الولوغ به : من الذلة ، والمهانة وسقوط الحشمة والمهابة ، وفتور الفطنة ، وظهور البلادة ، وحدوث العلل والامراض الكثيرة ، وبعد ذلك يحافظ نفسه عن الافراط في الاكل ولــو بالتكلف حتى يصير الاعتدال فيه عادة .

الشهوة الجنسية

(واما الثاني) ـ اعني طاعة شهوة الفرج والافراط في الوقاع ـ فــلا ريب في انه يقهر العقل حتى يجعل الانسان مقصور الهم على التمتع بالنسوان والجواري ، فيحرم من سلوك طريق الآخرة ، او يقهر الدين حتى يجر الى اقتحام الفواحش وربما انتهت هذه الشهوة بمن غلب وهمه على عقله الى العشق البهيمي الذي ينشأ من استيلاء الشهوة ، فيسخر الوهم العقل لخدمة الشهوة ، وقد خلق العقل ليكون مطاعا لا ليكون خادما للشهوة . وهذا مرض قلوب فارغة خلت عن محبة الله وعن الهمم العالية .

ويجب الاحتراز من أوائله بترك معاودة الفكر والنظر ، واذا استحكم عسر دفعه ، وكذلك حب باطل من الجاه والمال والعقار والاولاد . فمثل من يكسره في اول انبعاثه مثل من يصرف عنان الدابة عند توجهها الى باب

(٣) صححنا الحديث على ما في سفينة البحار ـ ١ : ١٩٥ ـ .

ليدخله ، وما أهون منعها بصرف عنانها ، ومثل من يعالجه بعد استحكامه مثل من يترك الدابة حتى تدخل وتتجاوز الباب ثم يأخذ بذنبها ويجرها الى ورائها، وما اعظم التفاوت بين الامرين في اليسر والعسر . فليكن الاحتراز والاحتياط في بدايات الامور، اذ في اواخرها لا تقبل العلاج الا بجهد شديد يكاد يوازي نزع الروح .

وربما انتهى افراط هذه الشهوة بطائفة الى ان يتناولوا ما يقويها ليستكثروا من الجماع ، ومثلهم كمثل من بلي بسباع ضارية تغفل عنه في بعض الاوقات فيحتال لاثارتها وتهييجها في هذا الوقت ثم يشتغل بعلاجها واصلاحها . والتجربة شاهدة بأن من ينقاد لهذه الشهوة ويسعى في تكثير ما يهيجها من النسوان وتجديدهن والتخيل والنظر وتناول الاغذية والادوية المحركة لها يكون ضعيف البدن سقيم الجسم قصير العمر ، وقد ينجر افراطها الى سقوط القوة واختلال القوى الدماغية وفساد العقل — كما برهن عليه في الكتب الطبية — . والوقاع أضر الاشياء بالدماغ ، اذ جل المواد المنوية يجلب منه ، ولذا شبه الغزالي هذه الشهوة بالعامل الظالم الذي لو اطلقه السلطان ولم يمنعه من ظلمه أخذ اموال الرعية على التدريج بأسرها. وابتلاهم بالفقر والفاقة ، فأهلكهم الجوع وعدم تمكنهم من تحصيل القوت، وكذا هذه القوة لو لم يقهرها سلطان العقل ولم يقمها على طريق الاعتدال صرفت جميع المواد الصالحة والاخلاط المحمودة التي اكتسبتها القوى الغاذية لبدل مايتخلل من الاعضاء في مصارف نفسها وجعلها بأسرها منيا ، وتبقى جميع الاعضاء بلا قوت ، فتضعف ويدركها الفناء بسرعة . ولو كانت مطيعة للعقل، بحيث تقدم على ما يأمرها به وتنزجر عما ينهاها عنه ، كانت كالعامل الذي يأخذ الخراج على طريق العدل والمروة ، ويصرفه في مصارف المملكة من سد الثغور واصلاح القناطر وخروج العساكر ،وتبقى سائر أموال الرعية لأنفسهم ، فيبقى لهم القوت وسائر ما يحتاجون اليه .

ولعظم آفة هذه الشهوة واقتضائها هلاك الدين والدنيا ان لم تضبط ولم ترد الى حد الاعتدال ، ورد في ذمها ما ورد من الاخبار ، وقال رسول الله (ص) في بعض دعواته : « اللهم اني اعوذ بك من شر سمعي وبصري

وقلبي وشر منيي » • وروي : « انه اذا قام ذكر الرجل ذهب ثلثا عقله ». وورد في تفسير قوله تعالى :

« ومن شر غاسق اذا وقب » (٤) •

أي : ومن شر الذكر اذا قام او دخل • وقال (ص) : « النساء حبائل الشيطان » وقال (ص) : « ما بعث الله نبيا فيما خلا الا لم ييأس ابليس ان يهلكه بالنساء ولا شيء اخوف عندي منهن »[٥] وقال (ص) « اتقوا فتنة الدنيا وفتنة النساء ، فان اول فتنة بني اسرائيل كانت من قبل النساء ». وروى : « أن الشيطان قال لموسى (ع) : لا تخل بامرأة لاتحل لك • فانه ما خلا رجل بامرأة لاتحل له الا كنت صاحبه دون اصحابي حتى افتنه بها». وروي ايضا : « أن الشيطان قال : المرأة نصف جندي ، وهي سهمي الذي أرمي فلا اخطيء ، وهي موضع سري ، وهي رسولي في حاجتي » • ولا ريب في انه لولا هذه الشهوة لما كان للنساء تسلط على الرجال.

وقد ظهر بالعقل والنقل : أن الافراط في هذه الشهوة وكثرة الطروقة والنزو على النسوان مذموم • ولا تغرنك كثرة نكاح رسول الله (ص) فانه كان لا يشغل قلبه جميع ما في الدنيا ، وكان استغراقه في حب الله بحيث يخشى احتراق قلبه والسراية منه الى قالبه ، فكان (ص) يكثر من النسوان ويشغل نفسه الشريفة بهن ، وليبقى له نوع التفات الى الدنيا ، ولا يؤدي به كثرة الاستغراق الى مفارقة الروح عن البدن ، ولذا اذا غشيته كثرة الاستغراق وخاض في غمرات الحب والانس ، يضرب يده على فخذ عائشة ويقول (ص) : « كلميني واشغليني يأحميراء ! » وهي تشغله بكلامها عن عظيم ما هو فيه ، لقصور طاقة قالبه عنه •

ثم لما كانت جبلته الانس بالله ، وكان أنسه بالخلق عارضا يتكلفه رفقا ببدنه ،فاذا طالت مجالسته معهم لم يطق الصبر معهم وضاق صدره،فيقول: « أرحنا يا بلال ! » ،حتى يعود الى ما هو قرة عينه • فالضعيف اذا لاحظ

---

(٤) الفلق ، الآية : ٣ .

(٥) في احياءالعلوم — ٣ : ٨٦ — ان هذا الكلا م من قول سعيد بن المسيب لا من كلام النبي — (ص) .

احواله فهو معذور ، لأن الافهام تقصر عن الوقوف على أسرار افعاله [٦] .

ثم علاج افراط هذه الشهوة ـ بعد تذكر مفاسدها المذكورة ـ كسرها بالجوع، وسد الطرق المؤدية اليها : من التخيل والنظر والتكلم والخلوة، فان أقوى الاسباب المهيجة لها هو النظر والخلوة ، ولذا قال الله تعالى :

« قل للمؤمنين يغضوا من ابصارهم » [٧] .

وقال النبي (ص) : « النظرة سهم مسموم من سهام ابليس ، فمن تركها خوفا من الله تعالى أعطاه الله ايمانا يجد حلاوته في قلبه » . وقال ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ : « لكل عضو من اعضاء ابن آدم حظ من الزنا ، فالعينان تزنيان وزناهما النظر » . وقال (ص) : « لا تدخلوا على المغيبات ـ أي التي غاب عنها زوجها ـ فان الشيطان يجري من احدكم مجرى الدم » . وقال عيسى بن مريم (ع) : « اياكم والنظرة ، فانها تزرع في القلب شهوة ، وكفى بها فتنة » . وقيل ليحيى بن زكريا : ما بدء الزنا؟ قال : « النظرة والتمني » . وقال داود (ع) لابنه : « يابني ! امش خلف الاسد (و) [٨] الاسود ولا تمش خلف المرأة » . وقال ابليس : «النظرة قوسي وسهمي الذي لا اخطيء به » .

ولكون النظر مهيجا للشهوة ، حرم في الشريعة نظر كل من الرجل والمرأة الى الآخر ، وكذا حرم استماع كل منهما لكلام الآخر ، الا مع الضرورة وعموم الحاجة ، وكذا حرم نظر الرجال الى المرد من الصبيان اذا كان مورثا للفتنة ، ولذا كان كبراء الاخيار وعظماء الابرار في الاعصار والامصار محترزين عن النظر الى وجوه الصبيان ، حتى قال بعضهم : «ما انا بأخوف على الشباب الناسك من سبع ضار كخوفي عليه من غلام أمرد يجلس اليه » .

ثم ان لم تنقمع الشهوة بالجوع والصوم وحفظ النظر ، فينبغي كسرها

---

(٦) هذا الكلام كله عن تعليل كثرة طروق النبي ـ صلى الله عليه وآله ـ ماخوذ من كلام الغزالي فى احياء العلوم ـ ٣ : ٨٧ ـ .

(٧) النور ، الآية : ٣٠ .

(٨) حرف (و) موجود فى نسختنا الخطية وفى احياء العلوم ـ ٣ : ٨٧ ـ، ولكنه قد شطب عليها فى النسخة المطبوعة .

بالنكاح ، بشرط الاستطاعة والامن من غوائله • وقال (ص) : « معاشر الشباب ! عليكم بالباءة، فمن لم يستطع فعليه بالصوم ، فان الصوم لـه رجاء » • وقال (ص) : « ان المرأة اذا أقبلت أقبلت بصورة شيطان ، فاذا رأى أحدكم امرأة فأعجبته فليأت أهله ، فان معها مثل الذي معها » •

(وثانيهما) — أي ثاني جنسي رذائل قوة الشهوة — :

الخمود

وهو التفريط في كسب ضروري القوت ، والفتور عما ينبغي من شهوة النكاح ، بحيث يؤدي الى سقوط القوة وتضييع العيـال وانقطاع النسل • ولا ريب في كون ذلك مذموما غير مستحسن في الشرع ، اذ تحصيل المعارف الآلهية واكتساب الفضائل الخلقية والعبادات البدنية موقـوف على قـوة البدن ، فالتفريط في ايصال بدل ما يتحلل الى البدن يوجب الحرمان عن تحصيل السعادات وهو غاية الخسران • وكذا اهمال قوة شهوة النكاح يوجب الحرمان عن الفوائد المترتبة عليها ، فان هذه القوة انما سلطت على الانسان لبقاء النسل ودوام الوجود ، ولأن يدرك لذته فيقيس بها لذات الآخرة ، فان لذة الوقاع لو دامت لكانت أقوى اللذات الجسمانية ، كما أن ألم النار أعظم الآلام الجسدانية ، فالترغيب والترهيب يسوقان الخلق الى سعاداتهم ، وليس ذلك الا بلذة مدركة وألم محسوس مشابهين للذات والآلام الاخروية •

ولبقاء النسل فوائد : موافقة محبة الله بالسعي في تحصيل الولد لبقاء نوع الانسان ، وعدم قطعه السلسلة التي وصلت اليه من مبدأ النوع ، وطلب محبة رسول الله (ص) في تكثير من به مباهاته ، وطلب التبرك بدعاء الولد الصالح بعـده ، وطلب الشفاعة بموت الولد الصغير اذا مات قبله ، كما استفاضت به الاخبار •

ومن فوائد النكاح : كسر التوقان والتحن من الشيطان ، بغض البصر وحفظ الفرج وقطع الوساوس وخطرات الشهوة من القلب ، واليه الاشارة بقوله (ص) : « من تزوج فقد أحرز نصف دينه » •

ومن فوائد النكاح : تفريغ القلب عن تدبير المنزل ، والتكفل بشغل الطبخ والفرش والكنس ، وتنظيف الاواني وتهيئة أسباب المعيشة ، فـان

الفراغ عن ذلك أعون شيء على تحصيل العلم والعمل ، ولذا قال النبي (ص): « ليتخذ احدكم لسانا ذاكرا وقلبا شاكرا وزوجة مؤمنة صالحة تعينه على آخرته » .

ومنها : مجاهدة النفس ورياضتها بالسعي في حوائج الأهل والعيال ، والاجتهاد في اصلاحهم وارشادهم الى طريق الدين ، وفي تحصيل المال الحلال لهم من المكاسب الطيبة ، والقيام بتربية الأولاد ، والصبر على اخلاق النساء وكل ذلك من الفضائل العظيمة ، ولذا قال رسول الله (ص) : « الكاد في نفقة عياله كالمجاهد في سبيل الله » . وقال (ص) : « من حسنت صلاته، وكثر عياله ، وقل ماله ، ولم يغتب المسلمين : كان معي في الجنة كهاتين » . وقال(ص) : « من الذنوب لا يكفرها الا الهم بطلب المعيشة » . وقال(ص): « من كانت له ثلاث بنات فانفق عليهن واحسن اليهن حتى يغنيهن الله عنه أوجب الله تعالى له الجنة » .

ولا ريب في أن الخمود عن الشهوة يلزمه الحرمان عن الفوائد المذكورة فهو مرجوح .

ثم لما كان للنكاح آفات أيضا ، كالاحتياج الى المال وصعوبة تحصل الحلال منه — لا سيما في أمثال زماننا — والعجز عن القيام بحقوق النسوان والصبر على أخلاقهن ، واحتمال الاذى منهن ، وتفرق الخاطر لأجل القيام بتدبير المعيشة وتهيئة ما يحتاجون اليه ، وتأدية ذلك غالبا الى مالا ينبغي من الانغمار في الدنيا والغفلة عن الله — سبحانه — وعما خلق لاجله ، فاللائق أن يلاحظ في كل شخص أن الراجح في حقه ماذا ؟ — بعد ملاحظة الفوائد والمفاسد — فيأخذ به .

وصل

العفة

قد عرفت أن ضد الجنسين (العفة) ، وهو انقياد قوة الشهوة للعقل في الاقدام على ما يأمرها به من المآكل والمنكح كما وكيفا ، والاجتناب عما ينهاها عنه ، وهو الاعتدال الممدوح عقلا وشرعا ، وطرفاه من الافراط والتفريط مذمومان ، فان المطلوب في جميع الاخلاق والاحوال هو الوسط

اذخير الامور اوسطها ، وكلا طرفيها ذميم ، فلا تظنن مما ورد في فضيلة الجوع أن الافراط فيه ممدوح ، فان الامر ليس كذلك ، بل من أسرار حكمة الشريعة أن كلما يطلب الطبع فيه طرف الافراط بالغ الشرع في المنع عنه على وجه يتوهم الجاهل منه أن المطلوب طرف التفريط ، والعالم يدرك أن المقصود هو الوسط ، فان الطبع اذا طلب غاية الشبع ، فالشرع ينبغي أن يطلب غاية الجوع ، حتى يكون الطبع باعثا والشرع مانعا ، فيتقاومان ويحصل الاعتدال . ولما بلغ النبي (ص) : في الثناء على قيام الليل وصيام النهار ، ثم علم من حال بعضهم أنه يقوم الليل كله ويصوم الدهر كله ،فنهى عنه . والاخبار الواردة في مدح العفة وفضيلتها كثيرة، قال أمير المؤمنين عليه السلام : « افضل العبادة العفاف » . وقال الباقر (ع) : « مامن عبادة أفضل من عفة بطن وفرج ». وقال (ع) : « ما عبد الله بشيء افضل من عفة بطن وفرج » . وقال (ع) :« أي الاجتهاد أفضل من عفة بطن وفرج». وفي معناها أخبار أخر .

واذا عرفت هذا ، فاعلم أن الاعتدال في الاكل أن يأكل بحيث لايحس بثقل المعدة ولا بألم الجوع ، بل ينسى بطنه فلا يؤثر فيه أصلا ، فان المقصود من الاكل بقاء الحياة وقوة العبادة ، وثقل الطعام يمنع العبادة ، وألم الجوع أيضا يشغل القلب ويمنع منها . فالمقصود أن يأكل أكلا معتدلا بحيث لايبقى للأكل فيه أثر ، ليكون متشبها بالملائكة المقدسين عن ثقل الطعام وألم الجوع ، واليه الاشارة بقوله تعالى .

« وكلوا واشربوا ولا تسرفوا » (٩) .

وهذا يختلف بالنسبة الى الاشخاص والاحوال والاغذية ، والمعيار فيه ألا يأكل طعاما حتى يشتهيه ، ويرفع يده عنه وهو يشتهيه ، وينبغي ألا يكون غرضه من الاكل التلذذ ، بل حفظ القوة على تحصيل ما خلق لأجله ، فيقتصر من أنواع الطعام على خبز البر في بعض الاوقات ، وعلى خبز الشعير في بعضها ، ولو ضم اليه الادام فيكتفي بأدام واحد في بعض الاحيان ، ولا يواظب على اللحم ، ولا يتركه بالمرة ، قال أمير المؤمنين (ع) : « من ترك

---

(٩) الاعراف ، الآية : ٣٠ .

اللحم أربعين يوما ساء خلقه ، ومن داوم عليه أربعين يوما قسى قلبه » .

الاعتدال فى الشهوة

والاعتدال أن يكتفي في اليوم بليلته بأكلة واحدة في وقت السحر ، بعد الفراغ عن التهجد أو بعد صلاة العشاء ، أو باكلتين : التغدى والتعشي — ان لم يقدر على الاكتفاء بمرة واحدة — وقد أستفاضت أخبار أئمتنا الراشدين — عليهم السلام — بالحث على التعشى .

ثم للعرفاء ترغيبات على الجوع وتصريحات على كثرة فوائده ، وعلى توقف كشف الاسرار الآلهية والوصول الى المراتب العظيمة عليه ، ولهم حكايات في امكان الصبر عليه ، وعلى عدم الاكل شهرا أو شهرين أو سنة ، ونقلوا حصوله عن بعضهم ، وهذا أمر وراء ما وردت به السنة وكلفت به عموم الامة ، فان كان ممدوحا فانما هو لقوم مخصوصين .

وأما الجماع ، فالاعتدال فيه أن يقتصر فيه على مالا ينقطع عنه النسل ، ويحصل له التحصن ، وتزول به خطرات الشهوة ، ولا يؤدي الى ضعف البدن والقوى .

وأما غير الجنسين من الانواع والنتائج والآثار المتعلقة بالقوة الشهوية — وان كان بعضها أعم من الجنسين او مساويا لهما — :

فمنها :

حب الدنيا

اعلم أن للدنيا ماهية في نفسها وملهية في حق العبد ، أما ماهية الدنيا وحقيقتها في نفسها ، فعبارة عن أعيان موجودة : هي الارض وما عليها ، والارض هي العقار والضياع وأمثالهما ، وما عليها تجمعه المعادن والنبات والحيوان ، والمعادن تطلب لكونها اما من الآلات والزينة كالنحاس والرصاص والجواهر وأمثالها ، او من النقود كالذهب والفضة ، والنبات يطلب لكونه من الاقوات او الادوية ، والحيوانات تطلب اما لملكية أبدانها واستخدامها كالعبيد والغلمان أو لملكية قلوبها وتسخيرها ليترتب عليه التعظيم والاكرام وهو الجاه ،او للتمتع والتلذذ بها كالجواري والنسوان ، أو للقوة والاعتضاد كالأولاد . هذه هي الاعيان المعبر عنها بالدنيا ،وقد جمعها الله سبحانه في قوله:

« زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والانعام والحرث ذلك متاع الحياة الدنيا »(١٠).

وحب جميع ذلك من رذائل قوة الشهوة ، الا حب تسخير القلوب لقصد الغلبة والاستيلاء ، فانه من رذائل قوة الغضب — كما تقدم — وبذلك يظهر ان حب الدنيــا المتعلق بقوة الشهوة أعم من الشره بأول تفسيريه — كما أشير اليه — .

وأما ماهيتها في حق العبد ، فعبارة عن جميع ماله قبل الموت ، كما أن بعد الموت عبارة عن الآخرة ، فكل ما للعبد فيه نصيب وشهوة وحظ وغرض ولذة في عاجل الحال قبل الوفاة فهي الدنيا في حقه ، وللعبد فيه علاقتان، علاقة بالقلب : وهو حبه له ،وعلاقة بالبدن : وهو اشغاله باصلاحه ، ليستوفي منه حظوظه . الا أن جميع ماله اليه ميل ورغبة ليس بمذموم ، وذلك لأن مايصحبه في الدنيا وتبقى ثمرته معه بعد الموت — أعني العلم النافع والعمل الصالح — فهو من الآخرة في الحقيقة ، وانما سمي بالدنيا بلعتبار دنوه ، فان كلا من العالم والعابد قد يلتذ بالعلم والعبادة بحيث يكون ذلك ألذ الاشياء عنده ، فهو وان كان حظا عاجلا له في الدنيا ، الا أنه ليس من الدنيا المذمومة ، بل هو من الآخرة في الحقيقة ، وان عد من الدنيا من حيث دخوله في الحس والشهادة ، فان كل ما يدخل فيهما فهو من عالم الشهادة — أعنى الدنيا — ولذا جعل نبينا — (ص) الصلاة من الدنيا ، حيث قال : « حبب الى من دنياكم ثلاث : الطيب ، والنساء ، وقرة عيني في الصلاة » ، مع أنها من أعمال الآخرة .

فالدنيا المذمومة عبارة عن حظ عاجل ، لايكون من اعمال الآخرة ولا وسيلة اليها ، وما هو الا التلذذ بالمعاصي والتنعم بالمباحات الزائدة على قدر الضرورة في تحصيل العلم والعمل .

وأما قدر الضرورة من الرزق ، فتحصيله من الاعمال الصالحة — كما نطقت به الاخبار — قال رسول الله (ص) : « العبادة سبعون جزءاً ، أفضلها طلب الحلال » . وقال (ص) : « ملعون من القى كله على الناس».

---

(١٠) آل عمران ، الآية : ١٤ .

وقال السجاد (ع) : « الدنيا دنياآن : دنيا بلاغ ، ودنيا ملعونة » .
وقال الباقر (ع) : « من طلب الدنيا استعفافا عن الناس ، وسعيا على أهله ، وتعطفا على جاره ؛ لقى الله — عز وجل — يوم القيامة ووجهه مثل القمر ليلة البدر » . وقال الصادق (ع) : « الكاد على عياله كالمجاهد في سبيل الله » . وقال (ع) : « ان الله تبارك وتعالى ليحب الاغتراب في طلب الرزق » . (ع) وقال : « ليس منا من ترك دنياه لآخرته ولاآخرته لدنياه » . وقال (ع) : «لاتكسلوا في طلب معايشكم ، فان آباءنا كانوا يركضون فيها ويطلبونها » . وقال له (ع) رجل : « انا لنطلب الدنيا ونحب أن نؤتاها ، فقال : تحب ان تصنع بها ماذا ؟ قال : أعود بها على نفسي وعيالي ، وأصل بها وأتصدق ، واحج واعتمر ؛ فقال أبو عبدالله (ع) : ليس هذا طلب الدنيا ، هذا طلب الآخرة » . وكان أبو الحسن (ع) يعمل في أرض قد استنقعت قدماه في العرق ، فقيل له. « جعلت فداك ! اين الرجال ؟ فقال : وقد عمل باليد من هو خير مني في ارضه ومن أبي ، فقيل : ومن هو ؟ فقال : رسول الله (ص) وأمير المؤمنين وآبائي كلهم كانوا قد عملوا بأيديهم ، وهو من عمل النبيين والمرسلين والاوصياء والصالحين » . وقد ورد بهذه المضامين أخبار كثيرة أخرمشهورة.

تذنيب

لابد للمؤمن من مكسب

وقد ظهر من هذه الاخبار ان الراجح — بل اللازم — لكل مؤمن أن يكون له مكسب طيب يحصل منه مايحتاج اليه من الرزق وغيره من المخارج المحمودة ، وقد صرح بذلك في أخبار كثيرة أخر ، قال امير المؤمنين (ع) : « أوحى الله — عز وجل — الى داود (ع) : انك نعم العبد لولا أنك تأكل من بيت المال ولا تعمل بيدك شيئا ، قال : فبكى داود أربعين صباحا ، فأوحى الله — عز وجل — الى الحديد أن لن لعبدي داود ، فألان الله له الحديد ، وكان يعمل كل يوم درعا فيبيعها بألف درهم ، فعمل ثلثمائة وستين درعا فباعها بثلثمائة وستين الفا ، واستغنى عن بيت المال » . وقال الصادق عليه السلام « من أحبنا أهل البيت فليأخذ من الفقر جلبابا او تجفافا » ،

والجلباب : كناية عن الستر على فقره ، والتجفاف [١١] : كناية عن كسب طيب يدفع فقره • وقيل له في رجل قال : لأقعدن في بيتي ، ولأصلين ، ولأصومن ، ولأعبدن ربي ، فأما رزقي فسيأتيني : قال أبو عبدالله : « هذا أحد الثلاثة الذين لايستجاب لهم » •

وهذا ـ أي ملكة تحصيل المال الحلال من المكاسب الطيبة وصرفها في المخارج المحمودة ـ هو الحرية بأخذ المعنيين، اذ للحرية اطلاقان :(أحدهما) ذلك ، وهو الحريــة بالمعنى الاخص ، (وثانيهما) التخلص عن أسر الهوى وعبودية القوة الشهوية ، وهو الحرية بالمعنى الاعم المرادفة ، وضده الرقية بالمعنى الاعم الذى هو طاعة الشهوة ومتابعة الهوى •

وضد الاول ـ أعنى الرقية بالمعنى الاخص ـ هو افتقاره الى الناس فيما يحتاج اليه من الرزق ، والقاء نظره الى ايديهم ، وحوالة رزقه على اموالهم اما على وجه محرم ، كالغصب والنهب والسرقة وانواع الخيانات ، أو غير محرم ، كأخذ وجوه الصدقات واوساخ الناس ، بل مطلق الاخذ منهم اذا جعل يده يدا سفلى ويدهم يدا عليا • ولاريب في كون الرقية بهـذا المعنى مذمومة ، اذ الوجه (الاول) محرم في الشريعة وموجب للهلاك الابدي ، والوجه (الثانى) وان لم يكن محرما اذا كان فقيرا مستحقا ، الا انه لايجابه التوقع من الناس وكون نظره اليهم يقتضي المذلة والانكسار والتخضع للناس والرقية والعبودية لهم ، وهذا يرفع الوثوق بالله والاعتماد والتوكل عليه ، ينجز ذلك الى سلب التوكل على الله بالكلية ، وترجيح المخلوق على الخالق، وهذا ينافي مقتضى الايمان والمعرفة الواقعية بالله سبحانه •

فصــل

الدنيا المذمومة هي الهوى

قد ظهر مماذكر : ان الدنيا المذمومة حظ نفسك الذى لاحاجة اليه لامر الآخرة ، ويعبر عنه بالهوى ، واليه أشار قوله تعالى :

---

(١١) التجفاف : آلة للحرب يتقى بها كالدرع . وعن تفسير امثال هذا الحديث راجع الجزء الاول من المجلد الخامس عشر من البحار ص ٦٥ ، ففيه تفصيل معناه . وقد نقل عن ابن الاثير فى النهاية ، وابن ابي الحديد فى شرحه: كلاما فى هذا الباب .

« ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هي المأوى » (١٢) .

ومجامع الهوى هي المذكورة في قوله تعالى :

« انما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر فى الاموال والاولاد » (١٣) .

والاعيان التى تحصل منها هذه الامور هى المذكورة في قوله سبحانه :

« زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والانعام والحرث ذلك متاع الحياة الدنيا والله عنده حسن المآب » (١٤) .

فهذه اعيان الدنيا ، وللعبد معها علاقتان :

(علاقة مع القلب) : وهي حبه لها وحظه منها وانصرافهمه اليها ، حتى يصيرقلبه كالعبد او المحب المستهتر بها ؛ ويدخل في هذه العلاقة جميعصفات القلب المتعلقة بالدنيا : كالرياء والسمعة وسوء الظن والمداهنة والحسد والحقد والغل والكبر وحب المدح والتفاخر والتكاثر . فهذه هي الدنيا الباطنة ؛ والظاهرة هي الاعيان المذكورة .

و (علاقة مع البدن) : وهو اشتغاله باصلاح هذه الاعيان لتصلح لحظوظه وحظوظ غيره ؛ وهذا الاشتغال عبارة عن الصناعات والحرف التي اشتغلالناس بها ؛ بحيث انستهم انفسهم وخالقهمواغفلتهم عما خلقوا لأجله ولو عرفوا سبب الحاجة اليها واقتصروا على قدر الضرورة ، لم يستغرقهم اشتغال الدنيا والانهماك فيها ، ولما جهلوا بالدنيا وحكمتها وحظهم منها لم يقتصروا على قدر الاحتياج ، فأوقعوا انفسهم في اشغالها ، وتتابعت هذه الاشغال واتصلت بعضها ببعض ، وتداعت الى غير نهاية محدودة ، فغفلوا عن مقصودها ، وتاهوا في كثرة الاشغال . فان امور الدنيا لا يفتح منها باب الا وتنفتح لاجله عشرة ابواب أخر ؛وهكذا يتداعى الىغير حدمحصور وكأنهاهاويةلا نهاية لعمقها ، ومن وقع في مهواة منها سقط منها الى اخرى

(١٢) النازعات ، الآية : ٤٠ .
(١٣) الحديد ، الآية : ٢٠ .
(١٤) آل عمران ، الآية : ١٤ .

...وهكذا على التوالي ، الا ترى ان ما يضطر اليه الانسان بالذات منحصر بالمأكل والملبس والمسكن ؟ ولذلك حدثت الحاجة الى خمس صناعات هي أصول الصناعات : الفلاحة ، والرعاية للمواشي ، والحياكة ، والبناء ، والاقتناص — أي تحصيل ما خلق الله من الصيد والمعادن والحشائش والاحطاب — وتترتب على كل من هذه الصناعات صناعات اخر ، وهكذا الى ان حدثت جميع الصناعات التي تراها في العالم ، وما من أحد الا وهو مشتغل بواحدة منها أو اكثر الا أهل البطالة والكسالة ، حيث غفلوا عن الاشتغال في أول الصبا، أو منعهم مانع واستمروا على غفلتهم وبطالتهم ، حتى نشأوا بلا شغل واكتساب ، فاضطروا الى الاخذ مما يسعى فيه غيرهم ولذلك حدثت حرفتان خبيثتان هي(اللصوصية) و (الكديه)[١٥] ، ولكل واحد منهما انواع غير محصورة لا تخفى على المتأمل .

فصل

ذم الدنيا وانها عدوة الله والانسان

أعلم أن الدنيا عدوة لله ولاوليائه ولاعدائه : أما عداوتها لله ، فانها قطعت الطريق على العبادة ، ولذلك لم ينظر اليها مذ خلقها ، كما ورد في الاخبار [١٦] . وأما عداوتها لاوليائه واحبائه ، فانها تزينت لهم بزينتها وعمتهم بزهرتها ونضارتها ، حتى تجرعوا مرارة الصبر في مقاطعتها . وأما عداوتها لاعدائه ، فانها أستدرجتهم بمكرها ومكيدتها واقتنصتهم بشباكها وحبائلها حتى وثقوا بها وعولوا عليها ، فاجتبوا منها حيرة وندامة تنقطع دونها الاكباد ، ثم حرمتهم عن السعادة أبدالآباد ،فهم على فراقها يتحسرون، ومن مكائدها يستغيثون ولا يغاثون ، بل يقال لهم :

« اخسؤا فيها ولا تكلمون » (١٧) . « أولئك الذين اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة فلا يخفف عنهم العذاب ولاهم ينصرون » (١٨) .

والآيات الواردة في ذم الدنيا وحبها كثيرة ، وأكثر القرآن مشتمل

---

(١٥) قال فى المنجد : الكدية : الاستعطاء وحرفة السائل الملح .
(١٦) سيأتي الخبر بهذا المعنى — ص ٢٥ — وهو عامي .
(١٧) المؤمنون ، الآية : ١٠٩ .
(١٨) البقرة ، الآية : ٨٦ .

على ذلك وصرف الخلق عنها ودعوتهم الى الآخرة ، بل هو المقصود من بعثة الانبياء ، فلاحاجة الى الاستشهاد بآيات القرآن لظهورها . فلنشر الى نبذة من الاخبار الواردة في ذم الدنيا وحبها وفي سرعة زوالها ، قال رسول الله (ص) : « لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى كافرا منها شربة ماء » . وقال رسول الله (ص) : « الدنيا ملعونة ، ملعون ما فيها الا ماكان لله منها » . وقال (ص) : « الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر » . وقال (ص) : « من أصبح والدنيا أكبر همه فليس من الله في شيء ، وألزم الله قلبه أربع خصال : هما لاينقطع عنه أبدا ، وشغلا لايتفرغ منه أبدا ، وفقرا لاينال غناه أبدا ، وأملا لايبلغ منتهاه أبدا » . وقال — صلى الله عليه وآله — : « ياعجبا كل العجب للمصدق بدار الخلود وهو يسعى لدار الغرور ! » . وقال (ص) : « لتأتينكم بعدي دنيا تأكل ايمانكم كما تأكل النار الحطب » . وقال : « ألهاكم التكاثر ، يقول ابن آدم : مالي مالي ، وهل لك من مالك الا ما تصدقت فأبقيت ، او أكلت فأفنيت ، او لبست فأبليت ؟ » . وقال : « أوحى الله — تعالى — الى موسى : لاتركنن الى حب الدنيا ، فلن تأتين بكبيرة هي أشد عليك منها » . وقال (ص) : « حب الدنيا رأس كل خطيئة » . وقال (ص) : « من أحب دنياه أضر بآخرته ومن أحب آخرته أضر بدنياه . فآثروا ما يبقى على ما يفنى » . ومرّ (ص) على مزبلة ، فوقف عليها وقال : « هلموا الى الدنيا ! » وأخذ خرقا قد بليت على تلك المزبلة وعظاما قد نخرت ، فقال : « هذه الدنيا ! » . وقال (ص) : « ان الله لم يخلق خلقا أبغض اليه من الدنيا ، وانه لم ينظر اليها منذ خلقها » . (ص) : « الدنيا دار من لا دار له ومال من لامال له ، ولها يجمع من لاعقل له ، وعليها يعادي من لاعلم عنده ، وعليها يحسد من لافقه له ، ولها يسعى من لايقين له » . وقال (ص) : « لما هبط آدم من الجنة الى الارض قال له : ابن للخراب ولد للفناء » . وقال (ص) : « لتجيئن أقوام يوم القيامة وأعمالهم كجبال تهامة ، فيؤمر بهم الى النار » ، فقيل : يارسول الله ! أمصلين ؟ قال : « نعم ، ! كانوا يصومون ويصلون ويأخذون هنيئة من الليل ، فاذا عرض

لهم من الدنيا شيء وثبوا عليه » . وقال (ص) : « هل منكم من يريد أن يذهب الله عنه العمى ويجعله بصيرا ؟ ألا انه من رغب في الدنيا وطال فيها أمله أعمى الله قلبه على قدر ذلك ، ومن زهد في الدنيا وقصر أمله فيها أعطاه الله علما بغير تعلم وهدى بغير هداية » . وقال (ص) :«فوالله ما الفقر أخشى عليكم ، ولكني أخشى عليكم ان تبسط عليكم الدنيا كما بسطت على من كان قبلكم ، فتنافسوها كما تنافسوها ، وتهلككم كما أهلكتهم » . وقال : « أكثر ما أخاف عليكم ما يخرج الله لكم من بركات الارض » ،فقيل : ما بركات الارض ؟ قال: « زهرة الدنيا » . وقال(ص): « دعوا الدنيا لأهلها ، من أخذ من الدنيا فوق ما يكفيه فقد أخذ حتفه وهو لايشعر».وقال(ص): «سيأتي قوم بعدي يأكلون أطايب الطعام وانواعها، وينكحون أجمل النساء وألوانها ،ويلبسون ألين الثياب والوانها ، ويركبون أقوى الخيل والوانها ، لهم بطون من القليل لاتشبع ، وأنفس بالكثير لاتقنع، عاكفين على الدنيا ، يغدون ويروحون اليها ، اتخذوها آلهة دون إلههم وربا دون ربهم الى أمرهم ينتهون وهواهم يلعبون ، فعزيمة من محمد بن عبدالله لمن أدرك ذلك الزمان من عقب عقبكم وخلف خلفكم أبدا لايسلم عليهم ولا يعود مرضاهم ولا يتبع جنائزهم ولا يوقر كبيرهم ، ومن فعل ذلك فقد أعان على هدم الاسلام » . وقال (ص) : « مالي وللدنيا وما أنا والدنيا؟! انما مثلي ومثلها كمثل راكب سار في يوم صائف ، فرفعت له شجرة ، فقال تحت ظلها ساعة ، ثم راح وتركها ». وقال (ص) : « أحذروا الدنيا ، فانها أسحر من هاروت وماروت » . وقال (ص) : « حق على الله الا يرفع شيئا من الدنيا الا وضعه » . وقال عيسى بن مريم (ع) : « ويل لصاحب الدنيا ! كيف يموت ويتركها ، ويأمنها وتغره ، ويثق بها وتخذله ، ويل للمغترين ! كيف ألزمهم مايكرهون ، وفارقهم ما يحبون ، وجاءهم مايوعدون ويل لمن اصبحت الدنيا همه والخطايا عمله ! كيف يفتضح غدا بذنبه » . وقال (ع) : « من ذا الذي يبنى على أمواج البحر دارا تلكم الدنيا ، فلا تتخذوها قرارا » . وقال (ع) : « لايستقيم حب الدنيا والآخرة في قلب مؤمن ، كما لايستقيم الماء والنار في اناء واحد » . وأوحى الله — تعالى —

الى موسى : « ياموسى ! مالك ولدار الظالمين ! انها ليست لك بدار ، أخرج منها همك وفارقها بعقلك فبئست الدار هي ، الا لعامل يعمل فيها فنعمت الدار هي ، يا موسى ! اني مرصد للظالم حتى آخذ منه للمظلوم » .واوحى اليه : « ياموسى ! لاتركنن الى حب الدنيا ، فلن تأتين بكبيرة هي اشد منها » . ومر موسى (ع) برجل وهو يبكي ، ورجع وهو يبكي ، فقال موسى : « يارب ! عبدك يبكي من مخافتك » ، فقال تعالى : « يابن عمران! لو نزل دماغه مع عينيه ورفع يديه حتى يسقطا لم أغفر له وهو يحب الدنيا!» .

وقال امير المؤمنين (ع) — بعد ما قيل له صف لنا الدنيا — : « وما أصف لك من دار من صح فيها سقم ، ومن أمن فيها ندم ، ومن افتقر فيها حزن ، ومن استغنى فيها افتتن ، في حلالها الحساب ، وفي حرامها العقاب» . وقال (ع) : « انما مثل الدنيا كمثل الحية ، ما ألين مسها وفي جوفها السم الناقع ، يحذرها الرجل العاقل ويهوى اليها الصبي الجاهل » . وقال في وصف الدنيا : « ما أصف من دار اولها عناء وآخرها فناء ، في حلالها حساب وفي حرامها عقاب، من استغنى فيها فتن ، ومن افتقر فيها حزن ، ومن ساعاها فاتته ، ومن قعد عنها اتته ، ومن بصر بها بصرته ، ومن ابصر اليها اعمته » . وقال عليه السلام في بعض مواعظه : « ارفض الدنيا ، فان حب الدنيا يعمي ويصم ويبكم ويذل الرقاب ، فتدارك ما بقى من عمرك ، ولا تقل غدا وبعد غد ، فانما هلك من كان قبلك باقامتهم على الاماني والتسويف حتى اتاهم امر الله بغتة وهم غافلون ، فنقلوا على اعوادهم الى قبورهم المظلمة الضيقة ، وقد اسلمهم الاولاد والاهلون ، فانقطع الى الله بقلب منيب من رفض الدنيا وعزم ليس فيه انكسار ولا انخزال » . وقال عليه السلام « لا تغرنكم الحياة الدنيا ، فانها دار بالبلاء محفوفة ، وبالفناء معروفة ، وبالغدر موصوفة ، فكل ما فيها الى زوال ، وهي بين اهلها دول وسجال، لا تدوم أحوالها ، ولا يسلم من شرها نزالها ؛ بينا أهلها منها في رخاء وسرور اذا هم منها في بلاء وغرور ، احوال مختلفة ، وتارات متصرمة ، العيش فيها مذموم ، والرخاء فيها لا يدوم ،وانما اهلها فيها اغراض مستهدفة ترميهم بسهامها ، وتفنيهم بحمامها . واعلموا عباد الله انكم وما انتم فيه من

هذه الدنيا على سبيل من قد مضى ، ممن كان اطول منكم اعمارا ، واشد منكم بطشا ، واعمر ديارا وابعد آثارا ، فأصبحت اصواتهم هامدة خامدة من بعد طول تقلبها ، واجسادهم بالية ، وديارهم على عروشها خاوية ، وآثارهم عافية ، استبدلوا بالقصور المشيدة والسرر والنمارق الممهدة الصخور والاحجار المسندة في القبور اللاطئة الملحدة ، فمحلها مقترب ، وساكنها مغترب ، بين أهل عمارة موحشين ، وأهل محلة متشاغلين ؛ لا يستأنسون بالعمران ، ولا يتواصلون تواصل الجيران والاخوان ، على ما بينهم من قرب الجوار ودنو الدار ، وكيف يكون بينهم تواصل ، وقد طحنهم بكلكله البلاء ، وأكلتهم الجنادل والثرى ، واصبحوا بعد الحياة أمواتا ، وبعد نضارة العيش رفاتا ، فجع بهم الاحباب ، وسكنوا تحت التراب ، وظعنوا فليس لهم ايـاب ، هيهات هيهات !

« كلا انها كلمة هو قائلها ومن ورائهم برزخ الى يوم يبعثون » (١٩) .

فكأن قد صرتم الى ما صاروا اليه من البلى والوحدة في دار المثوى ، وارتهنتم في ذلك المضجع ، وضمكم ذلك المستودع ، وكيف بكم لو عاينتم الامور ، وبعثرت القبور ، وحصل ما في الصدور ؛ واوقفتم للتحصيل بين يدي الملك الجليل ، فطارت القلوب لاشفاقها من سالف الذنوب ، وهتكت عنكم الحجب والاستار ، فظهرت منكم العيوب والاسرار ، هنالك .

« تجزى كل نفس بما كسبت » (٢٠) .

وقال ايضا عليه السلام في بعض خطبه : « اوصيكم بتقوى الله والترك للدنيا التاركة لكم ، وان كنتم لا تحبون تركها ، المبلية اجسامكم ، وانتم تريدون تجديدها ، فانما مثلكم ومثلها كمثل قوم في سفر سلكوا طريقـا ؛ وكأنهم قد قطعوه ، وافضوا الى علم ، فكأنهم قد بلغوه ، وكم عسى ان يجري المجرى حتى ينتهي الى الغاية ، وكم عسى ان يبقى من له يوم في الدنيا ، وطالب حثيث يطلبه حتى يفارقها ، فلا تجزعوا لبؤسها وضرائها فانه الى انقطاع ولا تفرحوا بمتاعها ونعمائها فانه الى زوال ، عجبت لطالب الدنيـا والموت

---

(١٩) المؤمنون ، الآية : ١٠١ .
(٢٠) المؤمن ، الآية : ١٧ .

يطلبه ، وغافل وليس بمغفول عنه » .

وقال السجاد عليه السلام: « ان الدنيا قد ارتحلت مدبرة ، وان الاخرة قد ارتحلت مقبلة ، ولكل واحدة منهما بنون ، فكونوا من ابناء الاخرة ولا تكونوا من أبناء الدنيا ، الا وكونوا من الزاهدين في الدنيا الراغبين في الاخرة ، الا ان الزاهدين في الدنيا اتخذوا الارض بساطا والتراب فراشا والماء طيبا ، وقرضوا من الدنيا تقريضا ، الا ومن اشتاق الى الجنة سلا عن الشهوات ، ومن اشفق من النار رجع عن المحرمات ، ومن زهد في الدنيا هانت عليه المصائب ، الا ان لله عبادا كمن رأى أهل الجنة في الجنة مخلدين وكمن رأى أهل النار في النار معذبين ، شرورهم مأمونة ، وقلوبهم محزونة انفسهم عفيفة ، وحوائجهم خفيفة، صبروا اياما قليلة ، فصاروا بعقبى راحة طويلة ، اما الليل فصافون أقدامهم ، تجري دموعهم على خدودهم ، وهم يجأرون الى ربهم ، يسعون في فكاك رقابهم ، واما النهار فحلماء علماء بررة اتقياء كأنهم القداح ، قد براهم الخوف من العبادة ، ينظر اليهم الناظر فيقول مرضى ، وما بالقوم من مرض ، أم خولطوا ، فقد خالط القوم أمر عظيم من ذكر النار وما فيها » . وقال عليه السلام : « ما من عمل بعد معرفة الله عز وجل ومعرفة رسوله (ص) افضل من بغض الدنيا ، فان لذلك لشعبا كثيرة وللمعاصي شعبا . فأول ما عصى الله به الكبر معصية ابليس حين ابى واستكبر وكان من الكافرين . ثم الحرص ، وهي معصية آدم وحواء حين قال الله عز وجل لهما :

« فكلا من حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين » (٢١).

فأخذا ما لا حاجة بهما اليه ، فدخل ذلك على ذريتهما الى يوم القيامة وذلك ان اكثر ما يطلب ابن آدم ما لا حاجة به اليه . ثم الحسد ، وهو معصية ابن آدم حيث حسد اخاه فقتله ، فتشعب من ذلك حب النساء وحب الدنيا ، وحب الرئاسة ، وحب الراحة وحب الكلام وحب العلو والثروة ، فصرن سبع خصال ، فاجتمعن كلهن في حب الدنيا . فقال الانبياء والعلماء — بعد معرفة ذلك — : حب الدنيا رأس كل خطيئة ، والدنيا دنيا آن :

(٢١) الاعراف ، الآية : ١٩ .

دنيا بلاغ ودنيا ملعونة » . وقال الباقر عليه السلام لجابر : « يا جابر ! انه من دخل قلبه صافي خالص دين الله شغل قلبه عما سواه ، يا جابر ! ما الدنيا وما عسى ان تكون الدنيا ؟! هل هي الا طعام أكلته ، أو ثوب لبسته أو امرأة أصبتها ؟ يا جابر ! ان المؤمنين لم يطمأنوا الى الدنيا ببقائهم فيها ولم يأمنوا قدومهم الآخرة . يا جابر ! الآخرة دار قرار ، والدنيا دار فناء وزوال، ولكن أهل الدنيا أهل غفلة ، وكان المؤمنون هم الفقهاء أهل فكرة وعبرة ، لم يصمهم عن ذكر الله جل اسمه ما سمعوا بآذانهم ، ولم يعمهم عن ذكر الله ما رأوا من الزينة بأعينهم ، ففازوا بثواب الآخرة كما فازوا بذلك العلم »[٢٢] . وقال الصادق عليه السلام : « مثل الدنيا كمثل ماء البحر ، كلما شرب منه العطشان ازداد عطشا حتى يقتله » . وقال : فيما ناجى الله عز وجل به موسى: « يا موسى ! لا تركن الى الدنيا ركون الظالمين وركون من اتخذها أبا واما . يا موسى ! لو وكلتك الى نفسك لتنظر لها اذن لغلب عليك حب الدنيا وزهرتها . يا موسى ! نافس في الخير أهله واستبقهم اليه فان الخير كاسمه ، واترك من الدنيا ما بك الغنى عنه ، ولا تنظر عينك الى كل مفتون بها وموكل الى نفسه ، واعلم ان كل فتنة بدؤها حب الدنيا ،ولا تغبط احدا بكثرة المال ، فان مع كثرة المال تكثر الذنوب لواجب الحقوق ولا تغبطن احدا برضى الناس عنه ، حتى تعلم ان الله راض عنه ، ولا تغبطن مخلوقا بطاعة الناس له ، فان طاعة الناس له واتباعهم اياه على غير الحق هلاك له ولمن تبعه » . واوحى الله تعالى الى موسى وهرون لما ارسلهما الى فرعون : « لو شئت ان ازينكما بزينة من الدنيا ، يعرف فرعون حين يراها ان مقدرته تعجز عما اوتيتما لفعلت ، ولكني ارغب لكما عن ذلك وازوى ذلك عنكما ، وكذلك افعل بأوليائي ، اني لازويهم عن نعيمها ، كما يزوى الراعي الشفيق غنمه عن مواقع الهلكة ، واني لاجنبهم عيش سلوتها ، كما يجنب الراعي الشفيق إبله عن مواقع الغرة ، وما ذلك لهوانهم عليّ ، ولكن

(٢٢) صححنا الحديث على الكافى فى باب ذم الدنيا ، وصدر الحديث هكذا : « قال جابر : دخلت على أبي جعفر — عليه السلام — فقال : يا جابر ! والله لمحزون ! واني لمشغول القلب ، قلت فداك ! وما شغلك وماحزن قلبك. . . » الى آخر الحديث .

ليستكملوا نصيبهم من كرامتى سالماموفورا ، انما يتزين إلي اوليائى :بالذل والخشوع والخوف والتقوى » • وقال الكاظم عليه السلام : « قال ابو ذر — رحمه الله — :جزى الله الدنيا عن مذمة بقدر رغيفين من الشعير ، اتغدى بأحدهما واتعشى بالآخر ، وبعد شملتي الصوف ، اتزر بأحداهما واتردى بالاخرى » • وقال لقمان لابنه : « يا بني ! بع دنياك بآخرتك تربحهما جميعا ، ولا تبع آخرتك بدنياك تخسرهما جميعا » • وقال له : « يا بني! ان الدنيا بحر عميق ، وقد غرق فيها ناس كثير ، فلتكن سفينتك فيها تقوى الله عز وجل وحشوها الايمان ، وشراعها التوكل على الله ، لعلك ناج وما اراك ناجيا » • وقال : « يا بني ! ان الناس قد جمعوا قبلك لاولادهم ، فلم يبق ما جمعوا ولم يبق من جمعوا له ، وانما انت عبد مستأجر قد امرت بعمل ووعدت عليه اجرا ، فاوف عملك واستوف أجرك ، ولا تكن في هذه الدنيا بمنزلة شاة وقعت في زرع اخضر فاكلت حتى سمنت ، فكان حتفها عند سمنها ، ولكن اجعل الدنيا بمنزلة قنطرة على نهر جزت عليها وتركتها، ولم ترجع اليها آخر الدهر ، اخربها ولا تعمر ، فانك لم تؤمر بعمارتها ، واعلم انك ستسئال غدا اذا وقفت بين يدى الله — عزوجل — عن اربع : شبابك فيما ابليته • وعمرك فيما أفنيته : ومالك مما اكتسبته ، وفيما انفقته فتاهب لذلك ، واعد له جوابا ، ولاتاس على مافاتك من الدنيا • فان قليل الدنيا لايدوم بقاؤه ، وكثيرها لايؤمن بلاؤه ، فخذحذرك وجدَّ في أمرك واكشف الغطاء عن وجهك ، وتعرض لمعروف ربك ، وجدد التوبة في قلبك واكمش في فراغك قبل ان يقصد قصدك ، ويقضى قضاؤك ، ويحال بينك وبين ما تريد » •

وقال بعض الحكماء : « الدنيا دار خراب ، واخرب منها قلب من يعمرها • والجنةدار عمران ، وأعمر منها قلب من يعمرها » • وقال بعضهم، « الدنيا لمن تركها ، والآخرة لمن طلبها» • وقال بعضهم : « انك لن تصبح في شيء من الدنيا الا وقد كانله أهل قبلك ، ويكون لهأهل بعدك ، وليس لك من الدنيا الا عشاء ليلة وغداء يوم ، فلا تهلك نفسك في أكلة ، وصم الدنيا ، وافطر على الآخرة ، فان رأس مال الدنيا الهوى ، وربحها النار »•

وقال بعض اكابر الزهاد : « الدنيا تخلق الابدان ، وتجدد الآمال ، وتقرب المنية ،وتبعد الأمنية ، ومن ظفر بها تعب ،ومن فاتته نصب » . وقال بعضهم: « ما في الدنيا شيء يسرك الا وقد التزق به شيء يسؤك » . وقال آخر : « لا تخرج نفس ابن آدم من الدنيا الا بحسرات ثلاث : انه لم يشبع مما جمع، ولم يدرك ما امل ، ولم يحسن الزاد لما قدم عليه » . وقال حكيم: « كانت الدنيا ولم اكن فيها ، وتذهب ولا اكون فيها ، فكيف اسكن اليها ؟ فان عيشها نكد ، وصفوها كدر ، واهلها منها على وجل ، اما بنعمة زائلة، او بلية نازلة ، أو منية قاضية » . وقال بعض العرفاء : « الدنيـا حانوت الشيطان ، فلا تسرق من حانوته شيئا ، فيجيء في طلبك ويأخذك » . وقال بعضهم : « لو كانت الدنيا من ذهب يفنى والآخرة من خزف يبقى ، لكان ينبغي ان يختار العاقل خزفا يبقى على ذهب يفنى ، فكيف والآخـرة ذهب يبقى والدنيا ادون من خزف يفنى ؟ » وقد ورد : « ان العبد اذا كان معظما للدنيا ، يوقف يوم القيامة ، ويقال : هذا عظم ما حقره الله » . وروى : « انه لما بعث النبي (ص) أتت ابليس جنوده ، فقالوا :قد بعث نبي واخرجت امة ، قال : يحبون الدنيا ؟ قالوا : نعم ! قال : ان كانوا يحبونها ما ابالي الا يعبدوا الاوثان ، وانا اغدو عليهم واروح بثلاثة : أخذ المال من غير حقه ، وانفاقه في غير حقه ، وامساكه عن حقه ، والشر كله لهذا تبع» . وروي : « انه اوحى الله تعالى الى بعض انبيائه : احذر مقتك ، فتسقط من عيني، فاصب عليك الدنيا صبا » . وقال بعض الصحابة : « ما اصبح أحد من الناس في الدنيا الا وهو ضيف ، وماله عارية . فالضيف مرتحل ، والعارية مردودة» . وقال بعضهم : « ان الله جعل الدنيا ثلاثة اجزاء : جزء للمؤمن وجزء للمنافق ، وجزء للكافر . فالمؤمن يتزود ، والمنافق يتزين ، والكافر يتمتع » . وقيل : « من أقبل على الدنيا احرقته نيرانها حتى يصير رمادا ، ومن أقبل على الآخرة صفته نيرانها فصار سبيكة ذهب ينتفع بها، ومن أقبل على الله سبحانه ، احرقته نيران التوحيد ، فصار جوهرا لا حد لقيمته ». وقيل أيضا : « العقلاء ثلاثة : من ترك الدنيا قبل ان تتركه ، وبنى قبره قبل ان يدخله ، وارتضى خالقه قبل ان يلقاه » . وسأل بعض الامراء رجلا

بلغ عمره مائتي سنة عن الدنيا ، فقال : « سنيات بلاء ، وسنيات رخاء ، يوم فيوم ، وليلة فليلة ، يولد ولد ، ويهلك هالك ، فلولا المولود باد الخلق ؛ ولولا الهالك لضاقت الدنيا بمن فيها » ،فقال له الامير: سل ماشئت قال : « اريد منك أن ترد علي مامضى من عمري ، وتدفع عني ما حضر من أجلي » ، قال : « لا أملك ذلك » ، قال : « فلا حاجة لي عليك » .

والاخبار والآثار في ذم الدنيا وحبها ، وفي سرعة زوالها وعدم الاعتبار بها ، وفي هلاك من يطلبها ويرغب اليها ، وفي ضديتها للآخرة ، أكثر من أن تحصى . وما ورد في ذلك من كلام أئمتنا الراشدين ، (لا) سيما عن مولانا أمير المؤمنين — صلوات الله عليهم أجمعين الى يوم الدين — فيه بلاغ لقوم زاهدين .ومن تأمل في خطب علي (ع) ومواعظه — كما في نهج البلاغة وغيره — يظهر له خساسة الدنيا ورذالتها . وقضية السؤال والجواب بين روح الامين ونوح في كيفية سرعة زوال الدنيا مشهورة ، وحكاية مرور روح الله على قرية هلك أهلها من حب الدنيا معروفة [٢٣] . ولعظم آفة الدنيا وحقارتها ومهانتها عند الله ، لم يرضها لاحد من اوليائه ، وحذرهم عن غوائلها ، فتزهدوا فيها وأكلوا منها قصدا ، وقدموا فضلا . أخذوا منها ما يكفي ، وتركوا مايلهي . ولبسوا من الثياب ما ستر العورة وأكلوا من الطعام ما سد الجوع . نظروا الى الدنيا بعين أنها فانية ، والى الآخرة أنها باقية ، فتزودوا منها كزاد الراكب ، فخربوا الدنيا وعمروا بها الآخرة ، ونظروا الى الآخرة بقلوبهم فعلموا انهم سينظرون اليها باعينهم ، فارتحلوا اليها بقلوبهم لما علموا أنهم سيرتحلون اليها بأبدانهم .صبروا قليلا ونعموا طويلا .

فصل

خسائس صفات الدنيا

اعلم أن للدنيا صفات خسيسة قد مثلت في كل صفة بما تماثله فيها :

فمثالها في سرعة الفناء والزوال وعدم الثبات : مثل النبات الذي اختلط به ماء السماء فاخضر ، ثم اصبح هشيما تذروه الرياح ، أو كمنزل

(٢٣) ذكرها « الكافي »عن أبي عبدالله الصادق (ع) في باب حب الدنيا بتمامها.

نزلته ثم ارتحلت عنه ، او كقنطرة تعبر عنها ولا تمكث عليها .وفي كونها مجرد الوهم والخيال ، وكونها مما لا أصل لها ولا حقيقة ، كفيء الظلال، أو خيالات المنام واضغاث الأحلام ، فانك قد تجد في منامك ما تهواه ، فاذا استيقظت ليس معك منه شيء .

وفي عداوتها لأهلها واهلاكها اياهم : بامرأة تزينت للخطاب ، حتى اذا نكحتهم ذبحتهم . فقد روى : « أن عيسى (ع) كوشف بالدنيا ، فرآها في صورة عجوز شمطاء هتماء عليها من كل زينة ، فقال لها : كم تزوجت ؟ قالت : لا أحصيهم ، قال : فكلهم مات عنك أو كلهم طلقك ؟قالت : بل كلهم قتلت، فقال عيسى (ع) : بؤسا لا زواجك الباقين ،كيف لا يعتبرون بالماضين؟ كيف تهلكينهم واحدا واحدا ولا يكونون منك على حذر ؟! » .

وفي مخالفة باطنها لظاهرها : كعجوز متزينة تخدع الناس بظاهرها . فاذا وقفوا على باطنها وكشفوا القناع عن وجهها ، ظهرت لهم قبائحها . روى : « أنه يؤتى بالدنيا يوم القيامة في صورة عجوز شمطاء زرقاء ،انيابها بادية ،مشوه خلقها ، فتشرف على الخلائق ؛ ويقال لهم : تعرفون هذه ؟ فيقولون: نعوذ بالله من معرفة هذه !فيقال:هذه الدنيا التي تفاخرتم عليها ؛ وبها تقاطعتم الارحام ، وبها تحاسدتم وتباغضتم واغررتم ، ثم يقذف بها في جهنم فتنادى : اى رب ! اين اتباعى واشياعى ؟ فيقول الله — عزوجل —: ألحقوا بها اتباعها واشياعها » .

وفي قصر عمرها لكل شخص بالنسبة الى ما تقدمه من الأزل وما يتأخر عنه من الأبد : كمثل خطوة واحدة ، بل أقل من ذلك ، بالنسبة الى سفر طويل ، بل بالنسبة الى كل مسافة الارض اضعافا غير متناهية . ومن راى الدينا بهذه العين لم يركن اليها ، ولم يبال كيف انقضت ايامه في ضيق وضر أو في سعة ورفاهية ، بل لايبني لبنة على لبنة . توفي سيد الرسل (ص) وما وضع لبنة على لبنة ولا قصبة على قصبة . ورأى بعض أصحابه يبنى بيتا من جص ، فقال : « أرى الامر أعجل من هذا » .والى هذا أشار عيسى(ع) حيث قال : « الدنيا قنطرة، فاعبروها ولا تعمروها » .

وفي نعومة ظاهرها وخشونة باطنها : مثل الحية التي يلين مسها

ويقتل سمها •

وفي قلة مابقى منها بالاضافة الى ما سبق : مثل ثوب شق من أوله الى آخره ، فبقى متعلقا في آخره ، فيوشك ذلك الخيط ان ينقطع •

وفي قلة نسبتها الى الآخرة : كمثل ما يجعل احد اصبعه في اليم ؛ فلينظر بم يرجع اليه من الأصل •

وفي تأدية علائقها بعض الى بعض حتى ينجر الى الهلاك : كماء البحر كلما شرب منه العطشان ازداد عطشا حتى يقتله •

وفي تأدية الحرص عليها الى الهلاك غما : كمثل دودة القز كلما ازدادت على نفسها لفا كان ابعد لها من الخروج حتى تموت غما •

وفي تعذر الخلاص من تبعاتها واستحالة عدم التلوث بقاذوراتها بعد الخوض فيها كالماشي في الماء ، فانه يمتنع الا تبتل قدماه •

وفي نضارة أولها وخباثة عاقبتها : كالاطعمة التي تؤكل ؛ فكما أن الطعام كلما كان الذ طعما واكثر دسومة كان رجيعه اقذر واشد نتنا ؛فكذلك كل شهوة من شهوات الدنيا التي كانت للقلب اشهى واقوى ؛ فنتنها وكراهيتها والتأذي بها عند الموت أشد ؛ وهذا مشاهد في الدنيا • فان المصيبة والالم والتفجع في كل ما فقد بقدر الالتذاذ بوجوده وحرصه عليه وحبه له ؛ ولذا ترى أن من نهبت داره واخذت اهله واولاده ، يكون تفجعه وألمه أشد مما اذا اخذ عبد من عبيده ، فكل ما كان عند الوجود اشهى عنده والذ ، فهو عند الفقد أدهى وأمر ، وما للموت معنى الا فقد مافي الدنيا•

وفي تنعم الناس بها ثم تفجعهم على فراقها : مثل طبق ذهب عليه بخور ورياحين ، في دار رجل هيأه فيها ، ودعا الناس على الترتيب واحدا بعد واحد ليدخلوا داره ، ويشمه كل واحد وينظر اليه ، ثم يتركه لمن يلحقه، لاليتملكه ويأخذه ، فدخل واحد وجهل رسمه ، فظن انه قد وهب ذلك له ، فتعلق به قلبه ، لما ظن أنه له ، فلما استرجع منه ضجر وتألم ، ومن كان عالما برسمه انتفع به وشكره ورده بطيب قلب وانشراح صدر •فكذلك من عرف سنة الله في الدنيا ،علم أنها دار ضيافة سبلت على المجتازين لينتفعوا بما فيها ، كما ينتفع المسافر بالعوارى ، ثم يتركوها ويتوجهوا الى مقصدهم

من دون صرف قلوبهم اليها ، حتى تعظم مصيبتهم عند فراقها ، ومن جهل سنة الله فيها ، ظن أنها مملوكة له ، فيتعلق بها قلبه ، فلما اخذت منه عظمت بليته واشتدت مصيبته •

وفي اغترار الخلق بها وضعف ايمانهم بقوله تعالى في تحذيره اياهم غوائلها : كمفازة غبراء لا نهاية لها ، سلكوها قوم وتاهوا فيها بلا زاد وماء وراحلة ، فأيقنوا بالهلاك ، فبيناهم كذلك اذ خرج عليهم رجل وقال أرأيتم ان هديتكم الى رياض خضر وماء رواء ما تعملون ؟ قالوا: لانعصيك في شيء • فأخذ منهم عهودا ومواثيق على ذلك ، فأوردهم ماء رواء ورياضا خضراء ، فمكث فيهم ما شاء الله ، ثم قال : الرحيل ! قالوا : الى أين ؟ قال : الى ماء ليس كمائكم ، والى رياض ليست كرياضكم • فقال اكثرهم: لانريد عيشا خيرا من هذا ، فلم يطيعوه • وقالت طائفة — وهم الاقلون —: ألم تعطوا هذا الرجل عهودكم ومواثيقكم بالله الا تعصوه ، وقد صدقكم في أول حديثه ؟ فوالله انه صادق في هذا الكلام ايضا ! فاتبعه هذا الاقل ، فذهب فيهم الى أن أوردهم في ماء ورياض أحسن بمراتب شتى مما كانوا فيه أولا ، وتخلف عنه الاكثرون ، فبدرهم عدو ، فأصبحوا من بين قتيل وأسير •

تذنيب

تشبيهات الدنيا واهلها

قد شبه بعض الحكماء حال الانسان واغتراره بالدنيا ، وغفلته عن الموت وما بعده من الاهوال ، وانهماكه في اللذات العاجلة الفانية الممتزجة بالكدورات : بشخص مدلي في بئر ، مشدود وسطه بحبل ، وفي أسفل ذلك البئر ثعبان عظيم متوجه اليه ، منتظر سقوطه ، فاتح فاه لالتقامه ، وفي أعلى ذلك البئر جرذان أبيض وأسود ، لا يزالان يقرضان ذلك الحبل شيئا فشيئا ، ولا يفتران عن قرضه آنا من الآنات ، وذلك الشخص ، مع أنه يرى ذلك الثعبان ويشاهد انقراض الحبل آنا فآنا ، قد اقبل على قليل عسل قد لطخ به جدار ذلك البئر وامتزج بترابه واجتمعت عليه زنابير كثيرة ، وهو مشغول بلطعة منهمك فيه ، ملتذ بما اصاب منه مخاصم

لتلك الزنابير عليه ، قد صرف باله باجمعه الى ذلك ، غير ملتفت الى مافوقه والى ما تحته . فالبئر هو الدنيا ، والحبل هو العمر ، والثعبان الفاتح فاه هو الموت ، والجرذان الليل والنهار القارضان للعمر ، والعسل المختلطة بالتراب هو لذات الدنيا الممتزجة بالكدورات والآلام ، والزنابير هم أبناء الدنيا المتزاحمون عليها .

وشبه بعض العرفاء الدنيا وأهلها ، في اشتغالهم بنعيمها وغفلتهم عن الآخرة، وحسراتهم العظيمة بعد الموت، من فقدهم نعيم الجنة بسبب انغمارهم في خسائس الدنيا : بقوم ركبوا السفينة ، فانتهت بها الى جزيرة ، فأمرهم الملاح بالخروج لقضاء الحاجة ، وحذرهم المقام فيها ،وخوفهم مرور السفينة واستعجالها ، فتفرقوا في نواحي الجزيرة ، فقضى بعضهم حاجته ،وبادر الى السفينة ، فصادف المقام خاليا ، فأخذ أوسع الاماكن واوفقها بمراده . وبعضهم توقف في الجزيرة ، واشتغل بالنظر الى أزهارها وانوارها واشجارها واحجارها ونغمات طيورها ، ثم تنبه لخطر فوات السفينة ، فرجع اليها ، فلم يصادف الا مكانا ضيقا ، فاستقر فيه . وبعضهم ، بعد التنبه لخطر مرور السفينة ، لما تعلق قلبه ببعض احجار الجزيرة وازهارها وثمارها ، لم تسمح نفسه باهمالها ، فاستصحب منها جملة ورجع الى السفينة ، فلم يجد فيها الا مكانا ضيقا لا يسعه الا بالتكلف والمشقة ، وليس فيه مكان لوضع ما حمله ، فصار ذلك ثقلا عليه ووبالا ، فندم على أخذها ، ولم يقدر على رميها ، فحملها في السفينة على عنقه متأسفا على اخذها ، وبعضهم اشتغل بمشاهدة الجزيرة ، بحيث لم يتنبه اولا من خطر مرور السفينة ومن نداء الملاح ،حتى امتلأت السفينة، فتنبه اخيرا ورجع اليها ، مثقلا بما حمله من احجار الجزيرة وحشائشها ، ولما وصل الى شاطيء البحر سارت السفينة ولم يجد فيها موضعا اصلا ، فبقي على شاطيء البحر . وبعضهم لكثرة الاشتغال بمشاهدة الجزيرة وما فيها نسوا المركب بالمرة ، ولم يبلغهم النداء أصلا، لكثرة انغمارهم في أكل الثمار وشرب المياه والتنسم بالانوار والازهار والتفرج بين الاشجار ، فسارت السفينة وبقوا في الجزيرة من دون تنبههم بخطر مرورها ، فتفرقوا فيها ، فبعضهم نهشته العقارب والحيات ، وبعضهم

افترسته السباع ، وبعضهم مات في الاوحال ، وبعضهم هلك من الندامة والحسرة والغصة . واما من بقى على شاطيء البحر فمات جوعا ، واما من وصل الى المركب مثقلا بما اخذه ، فشغله الحزن بحفظها والخوف من فوتها وقد ضيق عليه مكانه ، فلم يلبث ان ذبلت ما اخذه من الازهار ، وعفنت الثمار ، وكمدت الوان الاحجار ، فظهر نتن رائحتها ، فتأذى من نتن رائحتها ولم يقدر على القائها في البحر لصيرورتها جزءا من بدنه ، وقد اثر فيه ما أكل منها ، ولم ينته الى الوطن الا بعد احاطة الامراض والاسقام عليه لاجل مالم ينفك عنه من النتن ، فبلغ اليه سقيما مدنفا ، فبقى على سقمه أبدا ، أو مات بعد مدة . واما من رجع الى المركب بعد تضيق المكان ، فما فاته الا سعة المحل ، فتأذى بضيق المكان مدة ، ولكن لما وصل الى الوطن استراح ومن رجع اليه اولا ووجد المكان الاوسع فلم يتأذ من شيء اصلا ووصل الى الوطن سالما . فهذا مثال اصناف اهل الدنيا في اشتغالهم بحظوظهم العاجلة ، ونسيانهم وطنهم الحقيقي ، وغفلتهم عن عاقبة امرهم . وما اقبح بالعاقل البصير ان تغره بأحجار الارض وهشيم النبت ، مع مفارقته عند الموت وصيرورته كلا ووبالا عليه .

فصل

عاقبة حب الدنيا وبغضها

اعلم انه لا يبلغ مع العبد عند الموت الا صفاء القلب ، اعني طهارته عن أدناس الدنيا وحبه لله وانسه بذكره ، وصفاء القلب وطهارته لايحصل الا بالكف عن شهوات الدنيا ، والحب لا يحصل الا بالمعرفة ، والمعرفة لا تحصل الا بدوام الفكرة ، والانس لا يحصل الا بكثرة ذكر الله والمواظبة عليه ، وهذه الصفات الثلاث هي المنجيات المسعدات بعد الموت ، وهي الباقيات الصالحات .

أما طهارة القلب عن ادناس الدنيا ، فهي الجنة بين العبد وبين عذاب الله ، كما ورد في الخبر : « ان اعمال العبد تناضل عنه ، فاذا جاء العذاب من قبل رجليه جاء قيام الليل يدفع عنه ، واذا جاء من قبل يديه جاءت الصدقة تدفع عنه ... » الحديث .

وأما الحب والانس ، فهما يوصلان العبد الى لذة المشاهدة واللقاء . وهذه السعادة تتعجل عقيب الموت الى أن يدخل الجنة ، فيصير القبر روضة من رياض الجنة ، وكيف لايصل صاحب الصفات الثلاث بعد موته غاية البهجة ونهاية اللذة بمشاهدة جمال الحق ، ولا يكون القبر عليه روضة من الرياض البلد ، ولم يكن له الا محبوب واحد ، وكانت العوائق تعوقه عن الانس بدوام ذكره ومطالعة جماله . وبالموت ارتفعت العوائق وافلت من السجن وخلى بينه وبين محبوبه ، فقدم عليه مسرورا سالما من الموانع آمنا من الفراق؟ وكيف لايكون محب الدنيا عند الموت معذبا ولم يكن لهمحبوب الا الدنيا وقد غصبت منه وحيل بينه وبينها ، وسدت عليه طرق الحيلة في الرجوع اليه ؟ وليس الموت عدما ، انما هوفراق لمحاب الدنيا وقدوم على الله ، فاذن سالك طريق الآخرة هو المواظب على أسباب هذه الصفات الثلاث ، وهي : الذكر ، والفكر ، والعمل الذي يفطمه عن شهوات الدنيا ويبغض اليه ملاذها ويقطعه عنها وكل ذلك لايمكن الا بصحة البدن ، وصحة البدن لاتنال الا بالقوت والملبس والمسكن . ويحتاج كل واحد الى أسباب ، فالقدر الذي لابد منه من هذه الثلاثة اذا أخذه العبد من الدنيا للآخرة لم يكن من ابناء الدنيا وكانت الدنيا في حقه مزرعة الآخرة ، وان أخذ ذلك على قصد التنعم وحظ النفس صار من ابناء الدنيا والراغبين في حظوظها . الا أن الرغبة في حظوظ الدنيا تنقسم الى ما يعرض صاحبه لعذاب الله في الآخرة ، وسمى ذلك حراما . والى مايحول بينه وبين الدرجات العلى ويعرضه لطول الحساب ، ويسمى ذلك حلالا . والبصير يعلم ان طول الموقف فيعرصات القيامة لاجل المحاسبة أيضا عذاب ، فمن نوقش في الحساب عذب ، ولذلك قال رسول الله (ص) : « في حلالها حساب وفيحرامها عقاب » . بل لولم يكن الحساب لكان ما يفوت عن الدرجات العلى في الجنة وما يرد على القلب من التحسر على تفويتها بحظوظ حقيرة خسيسة لابقاء لها ، هو ايضا عذاب .

ويرشدك الى ذلك حالك في الدنيا اذا نظرت الى اقرانك ، وقد سبقوك الى السعادات الدنيوية ، كيف يتقطع قلبك عليها حسرات ، مع علمك بأنها سعادات متصرمة لابقاء لها ، ومنغصة بكدورات لاصفاء لها ، فما حالك

في فوات سعادات لايحيط الوصف بعظمتها وتنقطع الاذهان والدهور دون غايتها ؟ وكل من تنعم في الدنيا ، ولو بسماع صوت من طائر او بالنظر الى خضرة او بشربة ماء بارد ، فهو ينقص من حظه في الآخرة ، والتعرض لجواب السؤال فيه ذل ، وحذر ، وخوف ، وخطر ، وخجل ، وانكسار ، ومشقة ، وانتظار ، وكل ذلك من نقصان الحظ .

فالدنيا — قليلها وكثيرها ، حلالها وحرامها — ملعونة ، الا ما أعان على تقوى الله ، فان ذلك القدر ليس من الدنيا ، وكل من كانت معرفته أقوى واتم كان حذره من نعيم الدنيا أشد واعظم ، حتى ان عيسى (ع) وضع رأسه على حجر لما نام ثم رمى به ، اذ تمثل له ابليس وقال : رغبت في الدنيا . وحتى ان سليمان عليه السلام في ملكه كان يطعم الناس من لذائذ الاطعمة وهو يأكل خبز الشعير ، فجعل الملك على نفسه بهذا الطريق امتحانا وشدة ، فان الصبر من لذيذ الاطعمة مع وجودها أشد . ولذا زوى الله تعالى الدنيا على نبينا (ص) فكان يطوي اياما ، وكان يشد الحجر على بطنه من الجوع ، ولذا سلط الله المحن والبلاء على الانبياء والاولياء ، ثم الامثل فالامثل في درجات العلى . كل ذلك نظرا لهم وأمتنانا عليهم ، ليتوفر من الآخرة حظهم ، كما يمنع الوالد المشفق ولده لذائذ الفواكه والاطعمة ويلزمه القصد والحجامة ، شفقة عليه وحبا له لابخلا به عليه . وقد عرفت بهذا أن كل ماليس لله فهو من الدنيا وما هو لله فليس من الدنيا .

ثم الاشياء على أقسام ثلاثة :

(الاول) مالا يتصور ان يكون لله ، بل من الدنيا صورة ومعنى ، وهي أنواع المعاصي والمحظورات وأصناف التنعم بالمباحات ، وهي الدنيا المحضة المذمومة على الاطلاق .

(الثاني) ما صورته من الدنيا ، كالاكل والنوم والنكاح وأمثالها ، ويمكن ان يجعل معناه لله ، فانه يمكن ان يكون المقصود منه حظ النفس ، فيكون معناه كصورته أيضا من الدنيا ، ويمكن ان يكون المقصود منه الاستعانة على التقوى ، فهو لله بمعناه وان كانت صورته صورة الدنيا ، قال رسول الله (ص) : « من طلب من الدنيا حلالا مكاثرا مفاخرا لقى الله

وهو عليه غضبان ومن طلبها استعفافا عن المسألة وصيانة لنفسه جاء يوم القيامة ووجهه كالقمر ليلة البدر » ٠

(الثالثة) ما صورته لله ، ويمكن ان يجعل معناه من الدنيا بالقصد ، وهو ترك الشهوات ، وتحصيل العلم ، وعمل الطاعات والعبادات ٠ فهذه الثلاث اذا لم يكن لها باعث سوى امر الله واليوم والآخر فهي لله صورة ومعنى ، ولم تكن من الدنيا أصلا ،وان كان الغرض منها حفظ المال والحمية والاشتهار بالزهد والورع وطلب القبول بين الخلق باظهار المعرفة صار من الدنيا معنى وان كان يظن بصورته انه لله

ومنهـا :

حب المـــال

وهو من شعب حب الدنيا اذ حب الدنيا يتناول حب كل حظ عاجل ، والمال بعض اجزاء الدنيا ، كما ان الجاه بعضها ، واتباع شهوة البطن والفرج بعضها ،وتشفي الغيظ بحكم الغضب والحسد بعضها والكبر وطلب العلو بعضها

وبالجملة : لها أبعاض كثيرة يجمعها كل ماللانسان فيه حظ عاجل ، فآفات الدنيا كثيرة الشعب والارجاء ، واسعة الاوجاء والاكناف ، ولكن أعظم آفاتها المتعلقة بالقوة الشهوية هو (المال) ، اذ كل ذي روح محتاج اليه ولا غنـا له عنه ، فان فقـد حصل الفقر الذي يكاد أن يكون كفرا ، وان وجد حصل منه الطغيان الذي لاتكون عاقبة امره الا خسرا ، فهو لايخلو من فوائد وآفات وفوائده من المنجيات وآفاته من المهلكات ، وتمييز خيرها وشرها من المشكلات ، اذ من فقده تحصل صفة الفقر ، ومن وجوده تحصل صفة الغنا وهما حالتان يحصل بهما الامتحان ٠

ثم (للفاقد) حالتان : القناعة ، والحرص ٠ واحداهمـا محمودة والاخرى مذمومة ٠ و (للحريص) حالتان : تشمر للحرف والصنائع مـع اليأس عن الخلق ، وطمع بما في أيديهم ٠ واحدى الحالتين شر من الاخرى و (للواجد) حالتان : امساك ، وانفاق ٠ واحداهما مذموم والآخر ممدوح٠ و (للمنفق) حالتان : أسراف ، واقتصاد ٠ والاول مذموم والثاني ممدوح٠ وهذه أمور متشابه لابد أولا من تمييزها ، ثم الاخذ بمحمودها والترك

لمذمومها ، حتى تحصل النجاة من غوائل المال وفتنتها . ومن هنا قال بعض الاكابر : الدرهم عقرب ، فان لم تحسن رقيته فلا تأخذه ، فانه ان لدغك قتلك سمه . قيل وما رقيته ؟ قال : أخذه من حله ، ووضعه في حقه

فصـــل

ذم المـال

الكتاب والسنة متظاهران في ذم المال وكراهة حبه ، قال الله سبحانه: **« يايها الذين آمنوا لاتلهكم اموالكم ولا اولادكم عن ذكر الله ومن يفعل ذلك فاولئـك هـم الخاسرون » (٢٤) . وقال : « واعلموا انما اموالكم واولادكم فتنة » (٢٥) . وقال : « المال والبنون زينة الحياة الدنيا ...» الآية (٢٦) .**

قال رسول الله (ص) : « حب المال والشرف ينبتان النفاق ، كما ينبت الماء البقل » . وقال (ص) : « ماذئبان ضاريان ارسلا في زريبة غنم بأكثر فسادا من حب المال والجاه في دين الرجل المسلم » ، وقال : «شرامتي الاغنياء » . وقال (ص) : « يقول الله ــ تعالى ــ : يابن آدم امـالي، مالي ! وهل لك الا من مالك الا ماتصدقت فأمضيت ، او اكلت فأفنيت ، أو لبست فأبليت ؟! » وقال (ص) : « أخـلاء ابن آدم ثلاثة : واحد يتبعه الى قبض روحه وهو ماله ، وواحد يتبعه الى قبره وهو أهله ؛ وواحد يتبعه الى محشره وهو عمله » . وقال (ص) : يجاء بصاحب الدنيا الذي أطاع الله فيها وماله بين يديه ، كلما يكفأ به الصراط قال له ماله : أقض وقـد أديت حق الله في . ثم يجاء بصاحب الدنيا الذي لم يطع الله فيها وماله بين كفيه ،كلما يكفأ به الصراط قال ماله : ويلك ! ألا أديت حق الله في ؟ ... فما يزال كذلك حتى يدعو بالثبور والويل » . وقال (ص) : « ان الدينار والدرهم أهلكا من كان قبلكم ، وهما مهلكاكم » . وقال (ص) : « لكل أمة عجل ، وعجل هذه الامة الدينار والدرهم » . وقال (ص) : « يؤتى برجل يوم القيامة ، وقد جمع مالا من حرام وانفقه في حرام . فيقال: أذهبوا

(٢٤) المنافقون ، الآية : ٩ .
(٢٥) الانفال ، الآية : ٢٨ .
(٢٦) الكهف ، الآية : ٤٧ .

به الى النار . ويؤتى برجل قد جمع مالا من حلال وانفقه في حرام ، فيقال: أذهبوا به الى النار . ويؤتى برجل قد جمع مالا من حرام وانفقه فيحلال ، فيقال اذهبوا به الى . ويؤتى برجل قد جمع مالا من حلال وانفقه في حلال ، فيقال له : قف لعلك قصرت في طلب هذا بشيء مما فرضت عليك من صلاة لم تصلها لوقتها ، وفرطت فيشيء من ركوعها وسجودها ووضوئها فيقول : لايارب ! كسبت من حلال وانفقت في حلال ، ولم اضيع شيئاما فرضت ، فيقال : لعلك أختلفت فيهذا المال في شيء من مركب او ثوب باهيت به ، لايارب ! لم أختل ولم أباه في شيء ، فيقال : لعلك منعت حق أحد أمرتك ان تعطيه من ذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل ، فيقول: لايارب ! لم أضع حق أحد أمرتني ان اعطيه . فيجيء اولئك فيخاصمونه، فيقولون : يارب أعطيته واغنيته وجعلته بين أظهرنا وأمرته ان يعطينا ، فان كان قد اعطاهم وما ضيع مع ذلك شيئا من الفرائض ولم يختل في شيء ، فيقال : قف الآن هات شكر نعمة أنعمتها عليك من أكلة او شربة او لقمة او لذة ... فلا يزال يسأل » .

فليت شعري — يا أخي — ان الرجل الذي فعل في الحلال ، وأدى الفرائض بحدودها ، وقام بالحقوق كلها اذا حوسب بهذه المحاسبة ،فكيف يكون حال امثالنا الغرقى في فتن الدنيا وتخاليطها ، وشبهاتها وشهواتها وزينتها ، فيالها من مصيبة ماأفظعها ، ورزية ماأجلها ، وحسرة ماأعظمها !

ولخوف هذا الخطر قال بعض الصحابة : « مايسرني ان اكتسب كل

لا ندري ما تفعل بنا الدنيا غدا في الموقف عند يدي الجبار .

يوم الف دينار من حلال وانفقها في طاعة الله ، ولم يشغلني الكسب عن صلاة الجماعة » قالوا له : ولم ذلك رحمك الله ؟ قال : « لأني غني عن مقامي يوم القيامة ، فيقول الله : — عبدي من ان اكتسبت وفي أي شيء انفقت ؟ »

فينبغي لكل مؤمن تقي ألا يتلبس بالدنيا ، فيرضى بالكفاف ، وان كان معه فضل فليقدمه لنفسه ، اذ لو بقي بعده لكان له مفاسد وآفات . روى « أنه قال رجل : يارسول الله ، مالي لاأحب الموت ؟ فقال هل معك من مال ؟ قال : نعم يارسول الله ، قال : قدم مالك امامك ، فان قلب المؤمن مع

ماله ، ان قدمه أحب أن يلحقه ، وان خلفه احب ان يتخلف معه » •
ووضع أمير المؤمنين (ع) درهما على كفه ، ثم قال : « اما انك مالم تخرج عني لاتنفعني » • وروى : « ان أول ما ضرب الدينار والدرهم رفعهما أبليس ، ثم وضعهما على جبهته ، ثم قبلهما وقال : من أحبكما فهو عبدي حقا » • وقال عيسى (ع) : « لا تنظروا الى أموال أهل الدنيا ، فان بريق أموالهم يذهب بنور ايمانكم » • وقال بعض الاكابر : « مصيبتان لم يسمع الاولون والآخرون بمثلهما للعبد في ماله عند موته » ، قيل : وماهما ؟ قال : « يؤخذ منه كله ، ويسأل عنه كله » •

ثم جميع ما ورد في ذم الغنى ومدح الفقر ـ كما يأتي بعضه ـ ، وجميع ما ورد في ذم الدنيا ـ كما تقدم بعضه ـ يتناول ذم المال ، لانه أعظم أركان الدنيا •

فصل

الجمع بين ذم المال ومدحه

أعلم أنه كما ورد ذم المال في الآيات والاخبار ورد مدحه فيهما أيضا، وقد سماه الله خيرا في مواضع ، فقال :

« ان ترك خيرا الوصية ... » (٢٧) • وقال فى مقام الامتنان :« ويمددكم باموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم أنهارا » (٢٨) •

وقال رسول الله (ص) : « نعم المال الصالح للرجل الصالح » •
وكل ما جاء في ثواب الصدقة ، والضيافة ، والسخاء ، والحج ، وغير ذلك مما لا يمكن الوصول اليه الا بالمال ، فهو ثناء عليه •

ووجه الجمع بين الظواهر المادحة والذمة هو : أن المال قد يكون وسيلة الى مقصود صحيح هو السعادة الاخروية ، اذ الوسائل اليها في الدنيا ثلاث ، وهي : الفضائل النفسية ، والفضائل البدنية ، والفضائل الخارجية التي عمدتها المال • وقد يكون وسيلة الى مقاصد فاسدة ، وهي المقاصد الصادة عن السعادة الاخروية والحياة الابدية ، والصادة سبيل العلم والعمل•

---

(٢٧) البقرة ، الآية : ١٨٠ .
(٢٨) نوح ، الآية : ١٢ .

فهو اذن محمود ومذموم بالاضافة الى المقصودين • فالظاهر الذمة محمولة على صورة كونه وسيلة الى مقاصد فاسدة ، والمادحة على صورة كونه وسيلة الى مقاصد صحيحة • ولما كانت الطبائع مائلة الى اتباع الشهوات القاطعة لسبيل الله ، وكان المال مسهلا لها وآلة اليها ، عظم الخطر فيما يزيد على قدر الكفاية ، فأستعاذ طوائف الانبياء والاولياء من شره ، حتى قال نبينا (ص) : « اللهم اجعل قوت آل محمد كفافا » • وقال (ص) : « اللهم احيني مسكينا وامتني مسكينا » •

فصل

غوائل المال وفوائده

قد ظهر مما ذكر : أن المال مثل حية فيها سم وترياق ، فغوائلهسمه ، وفوائده وترياقه ، فمن عرفها أمكنه أن يحترز من شره ويستدر منه خيره •

ولبيان ذلك نقول : ان غوائله اما دنيوية أو دينية :

والدنيوية : هي ما يقاسيه أرباب الاموال : من الخوف ، والحزن ، والهم ، والغم ، وتفرق الخاطر ، وسوء العيش ، والتعب في كسب الاموال وحفظها ، ودفع الحساد وكيد الظالمين ، وغير ذلك •

والدينية : ثلاثة أنواع :

أولها — اداؤه الى المعصية • اذ المال من الوسائل الى المعاصي، ونوع من القدرة المحركة لداعيتها • فاذا أستشعرها الانسان من نفسه ، انبعثت الداعية ، واقتحم في المعاصي ، وارتكب أنواع الفجور • ومهما كان آيسا عن القدرة لم يتحرك داعية اليها • اذ العجز قد يحول بين المرء وبينالمعصية، ومن العصمة ألا يقدر ، وأما مع القدرة ، فان اقتحم ما يشتهيه هلك، وان صبر وقع في شدة • اذ الصبر مع القدرة أشد ، وفتنة السراء من فتنة الضراء أعظم •

وثانيها — أداؤه الى التنعم في المباحات • فان الغالب أن صاحب المال يتنعم بالدنيا ويمرن عليه نفسه ، فيصير التنعم محبوبا عنده مألوفا ، بحيث لايصبر عنه ، ويجره البعض منه الى البعض • واذا أشتد الفه به وصار عادة له ، ربما لم يقدر عليه من الحلال ، فيقتحم في الشبهات ويخوض في

المحرمات : من الخيانة ، والظلم ، والغصب ، والرياء ، والكذب، والنفاق والمداهنة ، وسائر الاخلاق المهلكة ، والاشغال الردية ، لينتظم أمر دنياه ويتيسر له تنعمه . وما أقل لصاحب الثروة والمال ألا يصير التنعم مألوفا له ، اذ متى يقدر أن يقنع بخبز الشعير ولبس الخشن وترك لذيذ الاطعمة بأسرها ، فانما ذلك شأن نادر من أولي النفوس القوية القدسية ، كسليمان بن داود (ع) وأمثاله . على أن من كثر ماله كثرت حاجته الى النـاس ، ومن احتاج الى الناس فلابد أن ينافقهم ويسخط الله في طلب رضاهم ،فان سلم من الآفة الاولى ، أعني مباشرة المحرمات ، فلا يسلم من هذه أصلا . ومن الحاجة الى الناس تثور العداوة والصداقة ، ويحصل الحقد ، والحسد والكبر ، والرياء ، والكـذب ، والغيبة ، والبهتان ، والنميمة ، وسائرمعاصي القلب واللسان ، وكل ذلك يلزم من شؤم المال والحاجة الى حفظه واصلاحه.

وثالثها — وهو الذي لاينفك عنه أحد من ارباب الاموال ، وهو أنه يلهيه اصلاح ماله وحفظه عن ذكر الله تعالى ، وكل ما يشغل العبد عن الله تعالى فهو خسران ووبال . ولذا قال روح الله (ع) : « في المال ثلاث آفات ، ان يأخذه من غير حله »، فقيل : ان أخذه من حله ؟قال :« يضعه في غير حقه »، فقيل : ان وضعه في حقه ؟ فقال : « يشغله اصلاحه عن الله» . وهذا هو الداء العضال ، اذ أصل العبادات وروحها وحقيقتها هو الذكر والفكر في جلال الله تعالى ، وذلك يستدعي قلبا فارغا . وصاحب الضيعة يصبح ويمسي متفكرا في خصومة الفلاح ومحاسبته وخيانته ،ومنازعة الشركاء وخصومتهم في المال والحدود ، وخصومة أعوان السلطان في الخراج وخصومة الاجراء في التقصير في العمارة وغير ذلك . وصاحب التجارة يكون متفكرا في خيانة الشركاء وأنفرادهم بالربح وتقصيرهم في العمل وتضييعهم المـال ، ويكون غالبا في بلاد الغربة متفرق الهم محزون القلب من كساد ما يصحبه من مال التجارة . وكذلك صـاحب المواشي وغيره من أرباب أصناف الاموال . وأبعدها عن كثرة الشغل النقد المكنون تحت الارض ، وصاحبه أيضا لايزال متفكرا مترددا فيما يصرف اليه ، وفي كيفية حفظه ، وفي الخوف ممن يعثر عليه ، وفي دفع طمع الخلق منه . وبالجملة : أودية

افكار أهل الدنيا لانهاية لها ، والذي ليس معه الا قوت يومه او سنته ، ولا يطلب أزيد من ذلك ، فهو في سلامة من جميع ذلك .

وأما فوائده : فهي أيضا دنيوية ودينية :

أما الدنيوية : فهي ما يتعلق بالحظوظ العاجلة : من الخلاص من ذل السؤال ، وحقارة الفقر ، والوصول الى العز والمجد بين الخلق ، وكثرة الاخوان والاصدقاء والاعوان ، وحصول الوقار والكرامة في القلوب .

وأما الدينية : فثلاثة أنواع :

أولها — أن ينفقه على نفسه في عبادة ، كالحج والجهاد ، أو فيما يقوى على العبادة ، كالمطعم والملبس والمسكن .

وثانيا — ان يصرفه الى أشخاص معينة : كالصدقة ، والمروة ، ووقاية العرض ، واجرة الاستخدام . وأما الصدقة بأنواعها ، فلا يحصى ثوابها وربما نشير الى فضيلتها في موضعها . وما المروة ، ونعني بها صرف المال الى الاغنياء والاشراف في ضيافة او هدية أو اعانة وما يجري مجراها مما يكتسب به الاخوان والاصدقاء ولايجلب به صفة الجود والسخاء ؛ اذ لايتصف بالجود الا من يصطنع المعروف ويسلك سبيل الفتوة والمروة ؛ فلا ريب في كونه مما يعظم ثوابه . فقد وردت اخبار كثيرة في الهدايا والضيافات واطعام الطعام ؛ من غير اشتراط الفقر والفاقة في مصارفها . وأما وقاية العرض ؛ ونعني بها بذل المال لدفع ثلب السفهاء ، وهجو الشعراء ، وقطع السنة الفاحشين والمغتابين ، ومنع شر الظالمين وأمثال ذلك ،فهو ايضا من الفوائد الدينية . قال رسول الله (ص) : « ما وقى المرء به عرضه فهو له صدقة» . واما أجرة الاستخدام ، فلا ريب في اعانته على أمور الدين ، اذ الاعمال التي يحتاج اليها الانسان لتهيئة أسباب كثيرة ، ولو تولاها بنفسه ضاعت اوقاته وتعذر عليه سلوك سبيل الآخرة بالفكر والذكر الذي هو أعلى مقامات السالكين ، ومن لا مال له يحتاج ان يتولى بنفسه جميع الاعمال التي يحتاج اليها في الدنيا، حتى نسخ الكتاب الذي يفتقر اليه ، وكلما يتصور ان يقوم به الغير فتضييع الوقت فيه خسران وندامة .

وثالثها — ان يصرفه الى غير معين يحصل به خير عام ، وهي الخيرات

الجارية : من بناء المساجد ، والمدارس ، والقناطر ، والرباطات ؛ ونصب الخشبات في الطرق ؛ واجراء القنوات ، ونسخ المصاحف والكتب العلمية وغير ذلك من الاوقاف المرصدة للخيرات المؤبدة ، الدائرة بعد الموت ، المستجلبة ببركة ادعية الصالحين الى أوقات متمادية .

فصـــل
الاموال المنجية من غوائل المال

من أراد النجاة من غوائل المال ، فليحافظ على أمور :

الاول — ان يعرف مقصود المال وباعث خلقه وعلة الاحتياج إليه ؛ حتى لا يكتسب ولا يحفظ الا وقدر حاجته .

الثاني — أن يراعى جهة دخله ؛ فيجتنب الحرام والمشتبه ؛ والجهات المكروهة القادحة في المروة والحرية ؛ كالهدايا المشوبة بالرشوة ؛ والسؤال الذي فيه الانكسار والذلة .

الثالث — ان يراعى جهة الخرج ، ويقتصد في الانفاق ، غير مبذر ولا مقتر . قال الله تعالى :

« والذين اذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما » (٢٩).

وقال النبي (ص) : « ما عال من اقتصد » . ثم للاقتصاد في المطعم والملبس والمسكن درجات ثلاث : أدنى واوسط واعلى ، وربما كان الميل الى الاولى احرى وأولى ، ليدخل في زمرة المخففين يوم القيامة .

الرابع — أن يضع ما إكتسبه من حله في حقه ، ولا يضعه في غير حقه فان الاثم في الاخذ من غير حله والوضع في غير حقه سواء .

الخامس — أن يصلح نيته في الاخذ والترك والانفاق والامساك ، فيأخذ ما يأخذ استعانة به على ما خلق لاجله ، ويترك ما يترك زهدا فيه واستحقارا له واجتنابا عن وزره وثقله ، واذا فعل ذلك لم يضره وجوده . قال أمير المؤمنين عليه السلام : « لو أن رجلا أخذ جميع ما في الارض وأراد به وجه الله فهو زاهد ، ولو ترك الجميع ولم يرد به وجه الله فليس بزاهد » .

(٢٩) الفرقان ، الآية : ٦٧ .

فينبغي لكل مؤمن ان يكون باعث جميع افعاله التقرب الى الله ليصير الجميع عبادة • فان أبعد الافعال عن العبادة الاكج والوقاع وقضاء الحاجة، ويصير بالقصد عبادة .• فمن أخذ من المال ما يحتاج اليه في طريق الدين ، وبذل مافضل منه على اخوانه المؤمنين ، فهو الذي أخذ من حية المال ترياقها واتقى سمها ، فلا تضره كثرة المال • الا أنه لا يتأتى ذلك الا لمن كثر علمه واستحكمت في الدين قدمه • والعامي اذ يشتبه به في الاستكثار من المال، فشأنه شأن الصبي الذي يرى المعزم الحاذق يأخذ بالحية ويتصرف بهاليأخذ ترياقها ، فيقتدي به ويأخذ مستحسنها صورتها وشكلها ومستلينا جلدهافتقتله في الحال • الا أن قتيل الحية يدري أنه قتيل ؛ وقتيل المال قد لا يعرف ذلك •وكما يتمنع أن يتشبه الاعمى بالبصير في التخطي قلل الجبال واطراف البحار والطرق المشوكة ، فيمتنع أن يتشبه العامي الجاهل بالعالم الكامل في الاستكثار من لمال •

فصل

الزهد

ضد حب الدنيا والرغبة اليها (الزهد) . وهو الا يريد الدنيا بقلبه ويتركها بجوارحه ، الا بقدر ضرورة بدنه • وبعبارة اخرى : هو الاعراض من متاع الدنيا وطيباتها ، من الاموال والمناصب وسائر ما يزول بالموت• وبتقرير آخر : هو الرغبة عن الدنيا عدولا الى الآخرة ، او عن غير الله ، عدولا الى الله ؛ وهو الدرجة العليا .• فمن رغب عن كل ما سوى اللهحتى الفراديس ، ولم يحب الا الله ، فهو الزهد المطلق • ومن رغب عن حظوظ الدنيا خوفا من النار او طمعا في نعيم الجنة ، من الحور والقصور والفواكه والانهار ، فهو أيضا زاهد ، ولكنه دون الاول • ومن ترك بعض حظوظ الدنيا دون بعض ،كالذي يترك المال دون الجاه ، او يترك التوسع فيالاكل دون التجمل في الزينة ، لا يستحق اسم الزاهد مطلقا •

وبما ذكر يظهر : أن الزهد انما يتحقق اذا تمكن من نيل الدنيا وتركها وكان باعث الترك هو حقارة المرغوب عنه وخساسته ، اعني الدنيا بالاضافة الى المرغوب اليه وهو الله والدار الآخرة • فلو كان الترك لعدم قدرتــه

عليها ، أو لغرض غير الله تعالى وغير الدار الآخرة ، من حسن الذكـر ، واستمالة القلوب ؛ او الاشتهار بالفتوة والسخاء ؛ او الاستثقال لما في حفظ الاموال من المشقة والعناء أو أمثال ذلك ، لم يكن من الزهد أصلا .

فصـــل
مدح الزهـــد

الزهد احد منازل الدين واعلى مقامات السالكين . قال الله سبحانه : « **فخرج على قومه فى زينته ... وقال الذين أوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير** » (٣٠) .

فنسب الزهد الى العلماء ، ووصف أهله بالعلم ، وهو غاية المدح . وقال: « **ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به أزواجا منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وأبقى** » (٣١) . وقال : « **ومن يريد حرث الدنيا نؤته منها وما له فى الآخرة من نصيب** » (٣٢) .

وقال رسول الله (ص) : « من أصبح وهمه الدنيا ، شتت الله عليه امره وفرق عليه ضيعته ، وجعل فقره بين عينيه ، ولم يؤته من الدنيا الا ما كتب له . ومن اصبح وهمه الآخرة ، جمع الله له همه ، وحفظ عليه ضيعته ، وجعل غناه في قلبه ، وأتته الدنيا وهي راغمة » . وقال (ص) : « اذا رأيتم العبد قد اعطى صمتا وزهدا في الدنيا فاقتربوا منه ، فانه يلقى الحكمة» . وقال (ص) : « من أراد ان يؤتيه الله علما بغير تعلم ، وهدى بغير هداية ، فليزهد في الدنيا » . وقال (ص) : « أزهد في الدنيا يحبك الله . وازهد فيما في ايدي الناس يحبك الناس » . وقال (ص) لامير المؤمنين عليه السلام « ياعلي ، من عرضت له دنياه وآخرته فاختار الآخرة وترك الدنيا فله الجنة ومن اختار الدنيا استخفافا بآخرته فله النار » وقال (ص) : « سيكون بعدي قوم لايستقيم لهم الملك الا بالقتل والتجبر ، ولا الغنى الا بالفخر والبخل ، ولا المحبة الا باتباع الهوى . ألا فمن أدرك ذلك الزمان منكم ،

(٣٠) القصص ، الآية : ٧٩ — ٨٠ .
(٣١) طه ، الآية : ١٣ .
(٣٢) الشورى ، الآية : ٢٠ .

فصبر على الفقر وهو يقدر على الغناء ، وصبر للبغضاء وهو يقدر على المحبة وصبر على الذل وهو يقدر على العز ، لا يريد بذلك الا وجه الله، اعطاه الله ثواب خمسين صديقا » . وقال (ص) : بعدما سئل عن معنى شرح الصدر للاسلام — : « ان النور اذا دخل القلب انشرح له وانفسح » ؛ قيل : يا رسول الله ؛ وهل لذلك من علامة ؟ قال : « نعم ! التجافي عن دار الغرور ؛ والانابة الى دار الخلود ؛ والاستعداد للموت قبل نزوله » . وقال (ص): « استحيوا من الله حق الحياء » ، قالوا : انا لنستحي منه تعالى ،قال : « فليس كذلك ، تبنون مالا تسكنون ، وتجمعون مالا تأكلون » . وروي «أنه قدم عليه بعض الوفود، وقالوا : انا مؤمنون . قال : وما علامة ايمانكم؟ فذكروا الصبر عند البلاء ، والشكر عند الرخاء ؛ والرضى بمواقع القضا ؛ وترك الشماتة بالمصيبة اذا نزلت بالاعداء . فقال (ص) : ان كنتم كذلك ، فلا تجمعوا مالا تأكلون ، ولا تبنوا ما لا تسكنون ، ولا تنافسوا فيما عنه ترحلون » ؛ فجعل الزهد من مكملات ايمانهم . وقال (ص) : « من جاء بلا اله الا الله ؛ لا يخلط معها غيرها ؛ وجبت له الجنة » ، وفسر (غيرها) بحب الدنيا وطلبها . وقال (ص): « من زهد في الدنيا، ادخل الله الحكمة قلبه ، فأنطق بها لسانه ، وعرفه دار الدنيا ودواءها ؛ واخرجه منها سالما الى دار السلام » . وروي : « ان بعض زوجاته بكت مما رأت به من الجوع ، وقالت له : يا رسول الله ، ألا تستطعم الله فيطعمك ؟ فقال والذي نفسي بيده ! لو سألت ربي ان يجري معي جبال الدنيا ذهبا لاجراها حيث شئت من الارض ، ولكني اخترت جوع الدنيا على شبعها ، وفقر الدنيا على غنائها ،وحزن الدنيا على فرحها .ان الدنيا لاتنبغي لمحمد ولالآل محمد . ان الله يرضى لاولي العزم من الرسل الا الصبر على مكروه الدنيا والصبر على محبوبها ، ثم لم يرض لي الا أن يتكلفني مثل ماكلفهم

« فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل » (٣٣) .

فقال :

والله ما لي بد من طاعته ! واني والله لاصبرن كما صبروا بجهدي ولا

---

(٣٣) الاحقاف ، الآية : ٣٥ .

قوة الا بالله » . وقال (ص): « لا يستكمل العبد الايمان حتى يكون الا يعرف أحب اليه من أن يعرف ، وحتى يكون قلة الشيء أحب اليه من كثرته » . وقال (ص) « اذا أراد الله بعبد خيرا ، زهده في الدنيا ، ورغبه في الآخرة ، وبصره بعيوب نفسه » . وقال (ص) « من اشتاق الى الجنة سارع الى الخيرات ومن خاف من النار لهى عن الشهوات ومن ترقب الموت ترك اللذات ومن زهد في الدنيا هانت عليه المصيبات » وقال (ص) : ان ربي عزوجل عرض علي ان يجعل لي بطحاء مكة ذهبا ، فقلت: لا يارب، ولكن اجوع يوما وأشبع يوما . فأما اليوم الذي اجوع فيه فاتضرع اليك وادعوك ، واما اليوم الذي أشبع فيه فأحمدك وأثني عليك » . وروي :« انه (ص) : خرج ذات يوم يمشي ومعه جبرئيل ، فصعد على الصفا، فقال له رسول الله (ص): ياجبرئيل ، والذي بعثك بالحق ماامسى لآل محمد كف سويق ولا سفة دقيق فلم يتم كلامه بأسرع من أن سمع هدة من السماء افزعته ، فقال رسول الله (ص) : امر الله القيامة أن تقوم ؟ قال : لا ! ولكن هذا اسرافيل عليه السلام قد نزل اليك حين سمع كلامك . فأتاه اسرافيل، فقال : ان الله عز وجل سمع ما ذكرت ، فبعثني بمفاتيح الارض ، وامرني ان اعرض عليك ان أحببت ان اسير معك جبال تهامة زمردا وياقوتا وذهبا وفضة فعلت ،وان شئت نبيا ملكا ، وان شئت نبيا عبدا . — فأومأ اليه جبرئيل أن تواضع الله. فقال : « نبيا عبدا ، ثلاثا » . وقال (ص) : « قال الله تعالى :ان من اغبط أوليائي عندي رجلا خفيف الحال ذا حظ من صلاة ، أحسن عبادة ربه بالغيب ، وكان غامضا في الناس ، جعل رزقه كفافا فصبر عليه ، عجلت منيته فقل تراثه وقل بواكيه [٣٤] . وعن علي بن الحسين — صلوات الله عليهما — قال : « مر رسول الله (ص): براعي ابل ، فبعث يستسقيه ، فقال : أما ما في ضروعها فصبوح الحي ، واما في آنيتنا فغبوقهم . فقال رسول الله (ص) : اللهم كثر ماله وولده . ثم مر براعي غنم، فبعث اليه يستسقيه ، فحلب له ما في ضروعها واكفأ ما في انائه في اناء رسول الله (ص) وبعث اليه بشاة ،وقال: هذا ما عندنا ،وان أحببت أن نزيدك زدناك قال: رسول

---

(٣٤) صححنا الحديث على (الكافي) : باب الكفاف . قال في (الوافي): الخفيف — بالمهملة — : العيش السوء وقلة المال . والغامض : الخامل الذليل.

الله (ص) : اللهم ارزقه الكفاف . فقال له بعض اصحابه : يارسول الله ، دعوت للذي ردك بدعاء عامتنا نحبه ، ودعوت للذي أسعفك بحاجتك بدعاء كلنا نكرهه . فقال رسول الله (ص) : ان ماقل وكفى خير مما كثر وألهى . اللهم أرزق محمدا وآل محمد الكفاف »[٣٥] . وقال أمير المؤمنين (ع) : «الناس ثلاثة : زاهد ، وصابر ، وراغب . فأما الزاهد ، فقد خرجت الاحزان والافراح من قلبه ، فلا يفرح بشيء من الدنيا ولا يأسى على شيء منها فانه ، مستريح . وأما الصابر ، فانه يتمناها بقلبه ، فاذا نال منها ألجم نفسه عنها بسوء عاقبتها وشناءتها ، ولو أطلعت على قلبه لعجبت من عفته وتواضعه وحزمه . وأما الراغب ، فلا يبالي من اين جاءته الدنيا ، من حلها أو حرامها ، ولا يبالي مادنس فيها عرضه وأهلك نفسه وأذهب مروته ؛ فهم في غمرته يعمهون ويضطربون » . وقال (ع) : « أن من أعون الاخلاق على الدين الزهد في الدنيا » وقال (ع) : « من جمع ست خصال لم يدع للجنة مطلبا ولا عن النار مهربا : عرف الله فأطاعه ، وعرف الشيطان فعصاه ، وعرف الدنيا فتركها ، وعرف الآخرة فطلبها ، وعرف الباطل فاتقاه وعرف الحق فأتبعه » . وقال (ع) : « من اشتاق الجنة سارع الى الخيرات ومن خاف النار لهى عن الشهوات ، ومن ترقب الموت ترك اللذات ، ومن زهد في الدنيا هانت عليه المصيبات » . وقال (ع) : « ان علامة الراغب في ثواب الآخرة زهده في عاجل زهرة الدنيا ، أما ان زهد الزاهد في هذه الدنيا لاينقصه مما قسم الله عز وجل له فيها وان زهد وان حرص الحريص على عاجل زهرة الدنيا لا يزيده فيها وان حرص . فالمغبون من حرم حظه من الآخرة[٣٦] . وقال علي بن الحسين (ع) : « ما من عمل بعد معرفة الله عز وجل ومعرفة رسوله (ص) أفضل من بغض الدنيا ... الحديث »[٣٧] . وقال الباقر (ع) : « أكثر ذكر الموت ، فانه لم يكثر انسان ذكر الموت الا زهد في الدنيا » . وقال (ع) : « قال الله تعالى : وعزتي وجلالي وعظمتي وبهائي وعلو ارتفاعي ! لايؤثر عبد مؤمن هواي على هواه في شيء من أمر

---

(٣٥) صححنا الحديث على مافي (اصول الكافي) : باب الكفاف .
(٣٦) صححنا الحديث على (الكافي) : باب ذم الدنيا .
(٣٧) الحديث مروي في (اصول الكافي): باب ذم الدنيا وقد مضى ذكره في صفحة ٣٠ .

الدنيا ، الا جعلت غناه في نفسه ، وهمته في آخرته ، وضمت السماوات والارض رزقه ، وكنت له من وراء تجارة كل تاجر » . وقال (ع) : «اعظم الناس قدرا من لايناول الدنيا في يد من كانت . فمن كرمت نفسه صغرت الدنيا في عينيه ، ومن هانت عليه نفسه كبرت الدنيـا في عينيه » . وقال الصادق (ع) : « جعل الخير كله في بيت ، وجعل مفتاحه الزهد في الدنيا ». وقال (ع) : « ما كان شيء أحب الى رسول الله (ص) من ان يظل خائفا جائعا في الله تعالى » . وقال (ع) : « اذا أراد الله بعبد خيرا ، زهده في الدنيا ، وفقهه في الدين ، وبصره عيوبها . ومن أوتيهن فقـد أوتي خير الدنيا والآخرة » . وقال (ع) : « لم يطلب أحد الحق بباب أفضل من الزهد في الدنيا ، وهو ضد لما طلب أعداء الحق ، قلت : جعلت فداك ، مما ذا ؟ قال : « من الرغبة فيها » ، وقال : « ألا من صبار كريم ؟ فانما هي ايام قلائل ! ألا انه حرام عليكم أن تجدوا طعم الايمان حتى تزهدوا في الدنيا [٣٨] وقال (ع) : « الزهد مفتاح باب الآخرة والبراءة من النار ، وهو تركك كل شيء يشغلك عن الله من غير تأسف على فوتها ، ولا اعجاب في تركها ، ولا انتظار فرج منها ولا طلب محمدة عليها ، ولا عوض منها ، بل يرى فوتها راحة وكونها آفة ويكون أبدا هاربا من الآفة معتصما بالراحـة ، والزاهد الذي يختار الآخرة على الدنيا والذل على العز والجهد على الراحة والجوع على الشبع وعافية الآجل على محبة العاجل والذكر على الغفلة ، وتكون نفسه في الدنيا وقلبه في الآخرة » ، وقال الرضا (ع) : « من أصبح وأمسى معافى في بدنه ، آمنا في سربه عنده قوت يومه فكأنما خيرت لـه الدنيـا » .

وكفى للزهد فضيلة ومدحا أنه اعرف صفات الانبياء والاولياء ، ولم يبعث نبي الا به ، ولو لم يتوقف التقرب الى الله والنجاة في دار الآخرة عليه ، لما ضيق عظماء نوع الانسان واعرف الناس بحقيقة الحال على أنفسهم في فطامها عن شهوات الدنيا ولذاتها .

فأنظر الى كليم الله موسى (ع) كيف كان غالب قوتـه نبت الارض

(٣٨) صححنا الحديث على (الكافي) : باب ذم الدنيا .

واوراق الاشجار، وكان ضعف بدنه من كثرة رياضته ، بحيث ترى الخضرة من صفات بطنه ، كما أخبر به أمير المؤمنين (ع) في نهج البلاغة . ثم انظر الى روح الله (ع) كيف يلبس الشعر ويأكل الشجر ، ولم يكن له ولد يموت يخرب ولا يدخر لغد ، اينما يدركه المساء نام ، وقال له الحواريون يوما : « يانبي الله لو أمرتنا أن نبني بيتا تعبد الله فيه »، قال « اذهبوا فابنوا بيتا على الماء » فقالوا : كيف يستقيم بنيان على الماء؟ قال : «فكيف تستقيم عبادة على حب الدنيا » ، وروى : « أنه اشتد به يوما المطر والرعد والبرق ، فجعل يطلب بيتا يلجأ اليه ، فرفعت اليه خيمة من بعيد فأتاها فاذا فيها امرأة فحاد عنها ، فاذا هو بكهف في جبل فاتاه فاذا فيه اسد ، فوضع يده عليه وقال : « الهي جعلت لكل شيء مأوي ولم تجعل لي مأوى» فاوحى الله اليه « مأواك في مستقر من رحمتي ، لأزوجنك يوم القيامة الف حوراء خلقتها بيدي ، ولاطعمنك في عرسك اربعة آلاف عام ،يوم منهاكعمر الدنيا ولآمرن مناديا ينادي أين الزهاد في الدنيا ، زوروا عرس الزاهد عيسى بن مريم » .

ثم انظر الى يحيى بن زكريا ، حيث يلبس المسوح حتى ثقب جلده تركا للتنعم بلين اللباس واستراحة حس اللمس فسألته أمه أن يلبس مكانها جبة من صوف ففعل ، فأوحى الله اليه : « يايحيى آثرت علي الدنيا » ، فبكى ونزع الصوف وعاد الى ما كان عليه .

ثم افتح بصيرتك وتأمل في سيرة رسول الله (ص) وزهده في الدنيا، فانه لبث في النبوة مالبث ، ولم يشبع هو وأهل بيته غدوة الا جاعوا عشية، ولم يشبعوا عشية الا جاعوا غدوة ، ولم يشبع من التمر هو وأهل بيته حتى فتح الله عليهم خيبر ، وقرب اليه يوما طعاما على مائدة فيها ارتفاع فشق ذلك عليه حتى تغير لونه ، فأمر بالمائدة فرفعت ووضع الطعام على الارض ، وكان ينام على عباءة مثنية فثنوها له ليلة أربع طاقات فنام عليها، فلما استيقظ قال منعتموني قيام الليلة هذه بهذه العباءة اثنوها باثنتين كما كنتم تثنونها ، وكان يضع ثيابه لتغسل فيأتيه بلال فيؤذنه بالصلاة فما يجد ثوبا يخرج به الى الصلاة حتى تجف ثيابه فيخرج بها الى الصلاة .

وروى : « أن أمرأة من بني ظفر صنعت له (ص) كساءين ازارا ورداء

وبعث اليه باحدهما قبل ان يبلغ الآخر ، فخرج الى الصلاة وهو مشتمل به ليس عليه غيره قد عقد طرفيه الى عنقه فصلى كذلك » .

وشدة زهد علي (ع) وتركه الدنيا أشهر من ان يحتاج الى بيان وكذا من بعده من الأئمة الرشدين والاصحاب والتابعين وغيرهم من أكابر الدين والسلف الصالحين ، حتى كان أحدهم يعيش خمسين سنة وستين لم يطوله ثوب ولم ينصب له قدر ولم يجعل بينه وبين الارض شيئا ولا أمر من في بيته بصنعة طعام ، فعلى اطرافهم يقومون ووجوهم على الارض يفترشون تجري دموعهم على خدودهم ويناجون ربهم في فكاك رقابهم من النار .

وقد حكي أن بعض الخلفاء ارسل الى بعضهم بعشرة آلاف درهم فلم يقبلها فشق ذلك على أهله ، فقال أتدرون ؟ ما مثلي ومثلكم الا كمثل قوم كانت لهم بقرة يحرثون عليها فلما هرمت ذبحوها لينتفعوا بجلدها، فكذلك أتتم أردتم ذبحي على كبر سني فموتوا جوعا خير لكم من ان تذبحوني. وقد بلغ بعضهم من الزهد بحيث يطلب لقيام الليل موضعا لا يصيبه نسيم الاسحار خيفة من الاستراحة به . وكان لبعضهم حب مكسور ، فيه ماؤه، لا يرفعه من الشمس ويشرب الماء الحار ويقول من وجد لذة الماء البارد يشق عليه مفارقة الدنيا .

فيا حبيبي أفق من سكر الهوى واعرف المضادة التي بين الآخرة والدنيا ، واقتد بالواقفين على جلية الحال والمطلعين على حقيقة المآل في المواظبة على الزهد والتقوى وفطام النفس عن لذائذ الدنيا ، فان ذلك وان كان شاقا فمدته قريبة ، والاحتماء مدة يسيرة للتنعم على التأييد لايثقل على أهل المعرفة القاهرين انفسهم بسياسة الشرع المبين المعتصمين بعروة اليقين بما وعد الله في الآخرة لعباده الزاهدين .

فصل

اعتبارات الزهد ودرجاته

اعلم ان للزهد اعتبارات تتحقق له بكل اعتبار درجات :

(الاول) اعتبار نفسه أي من حيث نفس الترك للدنيا وبهذا الاعتبار له درجات ثلاث : (الاولى) أن يزهد في الدنيا مع ميله اليها وحبه لها بأن

يكف نفسه عنها بالمجاهدة والمشقة ، وهذا هو التزهد . (الثانية) أن يترك الدنيا طوعا وسهولة من دون ميل اليها لاستحقاره اياها بالاضافة الى مايطمع فيه من لذات الآخرة ، وهذا كالذي يترك درهما لاجل درهمين معاوضة فانه لا يشق عليه ذلك وان كان يحتاج الى قليل انتظار ، ومثله ربما اعجب بنفسه وبزهده لاحتمال أن يظن بنفسه أنه ترك شيئا له قدر لما هو أعظم قدرا منه . (الثالثة) وهي أعلى الدرجات أن يترك الدنيا طوعا وشوقا ولا يرى انه ترك شيئا ، اذ عرف أن الدنيـا لا شيء فيكون كمن ترك خنفساء وأخذ ياقوتة صافية حمراء ، فلا يرى ذلك معاوضة ولا يرى نفسه تاركا شيئا وسبب هذا الترك كمال المعرفة ، فان العارف على اليقين بأن الدنيا بالاضافة الى الله ونعيم الآخرة أخس من خنفساء بالنظر الى ياقوتة ، ومثل هذا الزاهد في أمن من خطر الالتفات الى الدنيا ، كما أن تارك الخنفساء بالياقوتة في أمن من طلب الاقالة في البيع .

وقد ذكر ارباب القلوب من أهل المعرفة أن مثل تارك الدنيا بالآخرة مثل من منعه عن باب الملك كلب يكونو في بابه فالقى اليه لقمة خبز نالها من موائد الملك فشغله بنفسه ودخل الباب ونال غاية القرب من الملك حتى نفذ أمره فيجميع مملكته ، أفترى أنه يرى لنفسه عوضا عندالملك بلقمةخبز ألقاها الى كلب في مقابلة ما يناله مع كون هذه اللقمة أيضا من الملك . فالشيطان كلب على باب الله يمنع الناس من الدخول ، مع أن الباب مفتوح والحجاب مرفوع والدنيا كلقمةخبز ان أكلها فلذتها في حال المضغ وتنقضي على القرب بالابتلاع ثم يبقى ثقله في المعدة ثم ينتهي الى النتن والقـذر ويحتاج الى اخراجه ، فمن تركها لينال عز الملك كيف يلتفت اليها . ولاريب في نسبة الدنيا لكل شخص اعني ما يسلم له منها وان عمر ألف سنة بالاضافة الى نعيم الآخرة أقل من لقمة بالاضافة الى ملك الدنيا ، اذ لانسبة للمتناهي الى غير المتناهي ، والدنيا متناهية ، ولو كانت تتمادى الف الف سنة صافية عن كل كدورة لكان لا نسبة لها الى الابد ، فكيف ومـدة العمر قصيرة ولذاتها مكدرة غير صافية فأي نسبة لها الى نعيم الابد .

* * *

(الثاني) اعتبار المرغوب عنه اعني ما يترك وبهذا الاعتبار له خمس درجـات :

(الاولى) أن يترك المحرمات وهو الزهد في الحرام، ويسمى زهد فرض.

(الثانية) ان يترك المشتبهات أيضا وهو الزهد في الشبهة ، ويسمى زهـد سلامة .

(الثالثة) ان يزهد في الزائد عن قدر الحاجة من الحـلال أيضا ولا يزهد في التمتع بالقدر الضروري من المطعم والملبس والمسكن واثاثه والمنكح وما هو وسيلة اليها من المال والجاه ، والى هذه الدرجات كلا او بعضـا أشار مولانا أمير المؤمنين (ع) بقوله : « كونوا على قبول العمل أشد عناية منكم على العمل ، الزهد في الدنيا قصر الامل وشكر كل نعمة والورع عن كل ما حرم الله عز وجل » [٣٩] ومولانا الصادق (ع) بقوله : « الزهد في الدنيا ليس باضاعة المال ولا تحريم الحلال بل الزهد في الدنيا ألا تكون بما في يدك أوثق بما في يد الله عز وجل » [٤٠] وهذا مع مايأتي بعده هو الزهد في الحلال ، ويسمى زهد نقل .

(الرابعة) أن يترك جميع ما للنفس فيه تمتع ويزهد فيه ولو في قـدر الضرورة ، لا بمعنى ترك هذا القدر بالمرة ، اذ ذلك متعذر ، بل تركه من حيث التمتع به وان ارتكبه اضطرارا من قبيل أكل الميتة مع الاكراه له باطنا ، وهذا يتناول ترك جميع مقتضيات الطبع من الشهوة والغضب والكبر والرئاسة والمال والجاه وغيرها ، والى هذه الدرجة أشار الصادق (ع) بقوله : (الزاهد في الدنيا الذي يترك حلالها مخافة حسابه ويترك حرامها مخافة عذابه) واليها يرجع قول أمير المؤمنين (ع) : (الزهد كله بين كلمتين من القرآن قال الله سبحانه :

« لكيلا تاسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما أتاكم » (٤١) .

---

(٣٩) صححنا الحديث على ما في البحار الجزء الثاني من المجلد الخامس عشر في باب الزهد ص ١٠١ .

(٤٠) صححنا الحديث على ما في سفينة البحار ج ١ ص ٥٦٨ .

(٤١) الحديد الآية ٢٣ .

فمن لم يأس على الماضي ولم يفرح بالآتي فقد أخذ الزهد بطرفيه »[٤٢] .

وقوله (ع) (الزهد في الدنيا ثلاثة أحرف : زاء وهاء ودال اما الزاء فترك الزينة وأما الهاء فترك الهوى واما الدال فترك الدنيا » .

(الخامسة) أن يترك جميع ماسوى الله ويزهد فيه حتى في بدنه ونفسه أيضا بحيث كان ما يصحبه ويتركه في الدنيا الجاء واكراها من دون استلذاذ وتمتع به، والى هذه الدرجة اشار مولانا الصادق (ع) في كلامه المنقول سابقا (ص ٤٨) حيث قال : « الزهد مفتاح باب الآخرة والبراءة من النار وهو تركك كل شيء يشغلك عن الله من غير تأسف على فوتها ولا اعجاب في تركها ولا انتظار فرج منها ولا طلب محمدة عليها ولاعوض منها بل يرى فوتها راحة وكونها آفة » الى آخر الحديث [٤٣] .

ثم الالتفات الى بعض ما سوى الله والاشتغال به ضرورة ، كضروري الاكل واللبس ومخالطة الناس ومكالمتهم وأمثال ذلك ، لاينافي هذه المرتبة من الزهد ، اذ معنى الانصراف من الدنيا الى الله تعالى انما هو الاقبال بكل القلب اليه تعالى ذكرا وفكرا ، وهذا لا يتصور بدون البقاء الا بضرورات المعيشة ، فمتى اقتصر من الدنيا عليها قصدا لدفع المهلكات عن البدن والاستعانة بالبدن على العبادة وسائر ما يقربه الى الله لم يكن مشتغلا بغير الله ، اذ مالا يتوصل الى شيء الا به فهو منه ، فالمشتغل بعلف دابته في طريق الحج ليس معرضا عن الحج ، ولكن ينبغي أن يكون البدن في طريق الله مثل الدابة في طريق الحج، فكما أن قصدك من تهيئة ما تحتاج اليه دابتك دفع المهلكات عنها حتى تسير بك الى مقصدك دون تنعمها ، فكذلك ينبغي أن يكون قصدك من الاكل والشرب واللباس والسكنى صيانة بدنك عما يهلكك من الجوع والعطش والحر والبرد فتقتصر على قدر الضرورة وتقصد به التقوى على طاعة الله دون التلذذ والتنعم ، وذلك لاينافي الزهد بل هو شرطه ، ثم ترتب التلذذ على ذلك لايضرك اذا لم يكن مقصودا

(٤٢) هذا الحديث مروى فى البحار الجزء الثاني من المجلد الخامس عشر فى باب الزهد ص ١٠٢ .

(٤٣) صححنا الحديث هنا وهناك على مافي البحار الجزء الثاني من المجلد الخامس عشر فى باب الزهد ص ١٠٠ والحديث منقول فيه عن مصباح الشريعة الذي تقدم ذكره فى الجزء الاول ص ١٢١ ، ٢٥٤ .

بالذات لك فان الانسان قد يستريح في قيام الليل بنسيم الاسحار وصوت الطيور وهذا لايضر بعبادته اذا لم يقصد طلب موضع خاص لهذه الاستراحة، على انه لالذة حقيقية في الاكل والشرب واللباس وانما تندفع بها آلام الجوع والعطش والحر والبرد .

ثم لا يخفى ان الفضول من امور الدنيا من المطعم والمشرب والملبس والمسكن واثاثه والمنكح والمال والجاه ينبغي تركها والزهد فيها اذ الاخذ بما لا يحتاج اليه ينافي الزهد . (واما) غير الفضول مما يحتاج اليه الانسان ويكون مهما له من الامور الثمانية ، فينبغي الا يترك الزهد فيها ، اذ ما هو المهم الضروري يتطرق اليه فضول في مقداره وجنسه واوقاته فينبغي ألا يترك الزهد فيه ايضا .

ومقتضى غاية الزهد فيه ان يقتصر من القوت على قوت يومه وليلته فان كان عنده أزيد من ذلك فليبذله على بعض المستحقين ، فان اقتصر من جنسه على خبز الشعير فهو نهاية الزهد في القوت ، الا ان اكل خبز الحنطة في بعض الاحيان بل آكل ادام واحد في بعض الاوقات اذا لم يكن من اللذائذ الشديدة من أطعمة المتنعمين من أهل الدنيا لا ينافي الزهد ، وربما لم يكن اكل اللحم في بعض الاحيان منافيا له . ويقتصر من (اللباس) بعد كونه من القطن او الصوف على ما يستر الاعضاء ويحفظها من الحر والبرد ، ولا بأس بكونه اثنين ليلبس الآخر عند غسل احدهما . ومن (المسكن) على ما يحفظ نفسه وأهله من الحر والبرد . ومن (اثاثه) اعني الفرش والظرف والقدر والكوز وامثال ذلك ، ما يدفع حاجته من غير تعد الى ما يمكن زوال ضرورته بدونه . ومن (المنكح) على ماتنكسر به سورة شبقه ويحفظه عن النظر والوساوس الشهوية المانعة عن الحضور في العبادات .

ومن (المال) على ما يقضي به حاجة يومه بليلته فان كان كاسبا فاذا اكتسب حاجة يومه فليترك كسبه ويشتغل بأمر الدين ، وان كانت له ضيعة ولم يكن له مدخل آخر يمكن ان يصل اليه كل يوم قدر حاجته فيه ، فالظاهر عدم خروجه عن الزهد بامساك قدر ما يكفي لسد رمقه بسنة واحدة بشرط ان يتصدق بكل ما يفضل من كفاية نفقته . وربما قيل ان مثله من

ضعفاء الزهاد ، بمعنى ان ما وعد للزاهدين في الدار الآخرة من المقامات العالية والدرجات الرفيعة لا يناله ، وان صدق عليه كونه زاهدا ، اذ مثله ليس له قوة اليقين ، لان صاحب اليقين الواقعي اذ اكان له قوت يومه لا يدخر شيئا لغده ؛ ومن شرط التوكل في الزهد فلا يكون هذا من الزهاد عنده . وهذا غاية الزهد في الامور المذكورة ، وعليه جرت طوائف الانبياء وزمرة الاوصياء ومن بعدهم من السلف الاتقياء . والحق ان حكم الزهد فيها يختلف باختلاف الاشخاص والاوقات فان أمر المتفرد في جميع ذلك اخف من امر المعيل ، ومن قصر جميع همه على تحصيل العلم والعمل ولم يقدر على كسب ، حاله يخالف حال أهل الكسب ، وكذا في بعض الاوقات وفي بعض الاماكن يمكن تحصيل قدر الحاجة في كل يوم وفي بعض آخر منهما لا يمكن ذلك ، فاللائق لكل احد ان يلاحظ حاله ووقته ومكانه ويتأمل في ان الاصلح بأمر آخرته والاعون على تحصيل ما خلق لاجله امساك أي قدر من المال وصرف أي قدر وجنس من القوت ، بحيث لو كان أقل منه لم يتمكن من تحصيل ما يقربه الى ربه فيأخذ به ويترك الزائد ، فان بعد صحة النية وخلوص القصد في ذلك لا يخرج به عن الزهد الواقعي وان تصور الاكتفاء بأقل من ذلك مع ايجابه لفقد ماهو أهم في تكميل النفس .

واما (الجاه) فقد تقدم ان القدر الضروري منه في أمر المعيشة كتحصيل منزلة في قلب خادمه ليخدمه ، وفي قلب السلطان ليدفع الاشرار عنه ، لا بأس به ، فالظاهر عدم منافاة هذا القدر للزهد ، وقال بعض العلماء : (هذا القدر وان لم يكن به بأس الا انه يتمادى الى هاوية لا عمق لها ومن حام حول الحمى يوشك ان يقع فيه) وانما يحتاج الى المحل في القلوب اما لجلب نفع أو لدفع ضرر او الخلاص من ظلم : اما النفع فيغني عنه المال فان من يخدم باجرة يخدم وان لم يكن لمستأجره عنده قدر ، وانما يحتاج الى الجاه في قلب من يخدم بغير اجرة ، ومعلوم ان من اراد ان يخدم بغير اجرة فهو من الظالمين فكيف يكون من الزاهدين . واما دفع الضرر فيحتاج لاجله الى الجاه في بلد لا يكمل العدل فيها وان يكون بين جيران يظلمونه ولا يقدر على دفع شرهم الا بمحل له في القلوب او محل له عند السلطان . وقدر

الحاجة فيه لا ينضبط لا سيما اذا انضم اليه الخوف وسوء الظن بالعواقب والخائض في طلب الجاه سالك طريق الهلاك ، بل حق الزاهد ألا يسعى لطلب المحل في القلوب أصلا ، فان اشتغاله بالدين والعبادة يمهد لـه من المحل في القلوب ما يدفع عنه الاذى ولو كان بين الكفار فكيف بين المسلمين. واما التوهمات والتقديرات التي تخرج الى الزيادة في الجاه على الحاصل بغير كسب فهي اوهام كاذبة ، اذ من طلب الجاه ايضا لم يخل عن اذى في بعض الاوقات فعلاج ذلك بالاحتمال والصبر اولى من علاجه بطلب الجاه ، فاذن طلب المحل في القلوب لا رخصة فيه اصلا واليسير منه داع الى الكثير وضراوته أشد من ضراوة الخمر فليحترز من قليله وكثيره ، نعم ما اعطاه الله لبعض عبيده من دون سعيه في طلبه لنشر دينه أو لاتصافه ببعض الكمالات المختصة لحصول منزلته في القلوب ، فليس به بأس ولا ينافي الزهد ، فان جاه رسول الله (ص) كان أوسع الجاه مع كونه أزهد الناس .

والحق كما تقدم ان الجاه كالمال في نفي البأس من قدر يضطر اليه الانسان اذا وقع في زمان او بلد توقف امر معيشته عليه . فالقدر الضروري منهما غير محذور وغير مناف للزهد ، والزائد على الحاجة سم قاتل ، فلا ينبغي ان ينسب المقتصر على الضرورة الى الدنيا ، بل ذلك القدر من الدين ، لانه من شرطه والشرط من جملة المشروط . ويدل عليه ما روي ان ابراهيم عليه السلام اصابته حاجة فذهب الى صديق له يستقرض شيئا فلم يقرضه ، فرجع مهموما ، فاوحى الله تعالى اليه : (لو سألت خليلك لاعطاك) ، فقال يا رب : (عرفت مقتك للدنيا فخفت ان اسألك منها) ، فاوحى الله اليه : (ليس الحاجة من الدنيا) ويدل عليه ايضا كلام الصادق عليه السلام مع سفيان الثوري كما اورده بطوله شيخنا الاقدم رحمه الله في جامعه الكافي .

فاذن قدر الحاجة من الدين وما وراءه وبال في الآخرة ، بل في الدنيا ايضا ، ويعرف ذلك بالتأمل في احوال الاغنياء وما عليهم من المحنة في كسب المال وجمعه وحفظه وتحمل الذل فيه ، وغاية سعادته ان يتركه لورثتـه ، فيأكلونه وهم اعداؤه ، او يستعينون به على المعصية ، فيكون معينا لهـم عليها ، ولذلك شبه جامع الدنيا وتابع الشهوات بدود القز ، لا يزال ينسج

على نفسه حتى يقتلها ، ثم يروم الخروج فلا يجد مخلصا فيموت ويهلك بسبب العمل الذي عمله بنفسه كما قيل في ذلك :

ألم تر ان المرء طول حياته معنى بأمر لا يزال يعالجه
كدود كدود القز ينسج دائما ويهلك غما وسط ما هو ناسجه

فكل مكب على الدنيا متبع للشهوات لا يزال يقيد نفسه بسلاسل واغلال لا يقدر على قطعها ، الى ان يفرق ملك الموت بينه وبين شهواته دفعة، فتبقى السلاسل من قلبه معلقة بالدنيا التي فاتته وخلفها ، وهي تجاذبه الى الدنيا ، ومخالب ملك الموت قد تعلقت بعروق قلبه تجذبه الى الآخرة فأهون أحواله عند الموت ان يكون مثل شخص ينشر بالمناشير ويفصل احد جانبيه عن الآخر . فهذا اول عذاب يلقاه قبل ما يراه من حسرات نزوله في اسفل السافلين ومنعه عن أعلى عليين وجوار رب العالمين . فبالنزوع الى الدنيا يحجب عن لقاء الله ، وعند الحجاب تتسلط عليه نار جهنم ، اذ النار لكل محجوب معدة ، كما قال الله تعالى :

« كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون . ثم انهم لصالوا الجحيم » (٤٤) .

ولما انكشف لارباب القلوب ان العبد يهلك نفسه باتباع الهوى والخوض في الدنيا اهلاك دود القز نفسه ، رفضوا الدنيا بالكلية . فنسأل الله تعالى ان يقرر في قلوبنا ما نفث في روع حبيبه (ص) ، حيث اوحى اليه: « احبب ما أحببت ، فانك مفارقه » .

❊ ❊ ❊

(الثالث) اعتبار المرغوب فيه : أعني ما يترك لأجله . وله بهذا الاعتبار ثلاث درجات . الاولى : ان يكون المرغوب فيه النجاة من النار وسائر عذاب الآخرة ، وهذا زهد الخائفين . الثانية : ان يكون ثواب الله ونعيم الجنة ، وهذا زهد الراجين . الثالثة : وهي الدرجة العليا : الا تكون له رغبة الا في الله وفي لقائه ، فلا يلتفت الى الآلام ليقصد منها الخلاص ، ولا الى اللذات ليقصد نيلها ، بل كان مستغرق الهم بالله ، وهذا زهد العارفين لأنه لا يحب الله خاصة الا من عرفه بصفاته الكمالية . فكما ان من عرف

---

(٤٤) المطففين ، الآية : ١٥ — ١٦ .

الدينار والدرهم ،وعلم انه لا يقدر على الجمع بينهما ، لم يحب الا الدينار. كذلك من عرف الله ، وعرف لذة النظر الى وجهه الكريم، وعرف ان الجمع بين تلك اللذة ولذة التنعم بالحور العين والنظر الى القصور وخضرة الاشجار غير ممكن ، فلا يحب الا لذة النظر ولا يؤثر غيره .

وقال بعض العرفاء : ولا تظنن ان أهل الجنة عند النظر الى وجه الله تعالى يبقى للذة الحور والقصور متسع في قلوبهم ، بل تلك اللذة بالاضافة الى لذة نعيم الجنة، كلذة ملك الدنيا والاستيلاء على اطراف الارض ورقاب الخلق ، بالاضافة الى لذة الاستيلاء على عصفور واللعب به . والطالبون لنعيم الجنة، عند أهل المعرفة وارباب القلوب ،كالصبي الطالب للعب بالعصفور التارك للذة الملك ، وذلك لقصوره عن ادراك لذة الملك ، لا لان اللعب بالعصفور في نفسه أعلى وألذ من الاستيلاء بطريق الملك على كافة الخلق .

تتميم

الزهد الحقيقي

لا تظنن ان كل من يترك مال الدنيا انه زاهد ، فان ترك المال واظهار التضييق والخشونة في المأكل والملبس سهل على من أحب المدح بالزهد . فكم من الرهبان والمرائين تركوا مال الدنيا وروضوا[٤٥] انفسهم كل يوم على قدر قليل من القوت ، واكتفوا من المسكن بأي موضع اتفق لهم ، وكان غرضهم من ذلك ان يعرفهم الناس بالزهد ويمدحهم عليه ، فهم تركوا المال لنيل الجاه . فالزهد الحقيقي ترك المال والجاه ، بل جميع حظوظ النفس من الدنيا . وعلامة ذلك استواء الغنى والفقر والذم والمدح والذل والعز لاجل غلبة الانس بالله ، اذ ما لم يغلب على القلب الانس بالله والحب له لم يخرج عنه حب الدنيا بكليته . اذ محبة الله ومحبة الدنيا في القلب كالماء والهواء في القدح ، فاذا دخل احدهما خرج الآخر ، فكلاهما لا يجتمعان ولا يرتفعان ايضا . فالقلب المملوء من حب الدنيا يكون خاليا عن حب الله، كما ان القلب المشغول بحب الله وانسه فارغ عن حب الدنيا ، وبقدر ما

---

(٤٥) في بعض النسخ (ردوا) ، وفي بعض آخر (رودوا) . والظاهر ان الصحيح ما أثبتناه .

يقدر ما يخرج احدهما يدخل الآخر وبالعكس •

ومنهـا :

الغنى

وهو وجود كل ما يحتاج اليه من الاموال ، وهذا اقل مراتبـه ، وفوق ذلك مراتب لا تحصى ، حتى ينتهي الى جمع اكثر اموال الدنيا ، كما اتفق لبعض الملوك •

ثم (الغني) اما ان يكون بحيث يسعى في طلب المال وجمعه ويتعب في تحصيله ويكره خروجه عن يده ويتأذى به ، وهذا غنى حريص • او يكون بحيث لا يتعب ولا يسعى في تحصيله ، الا انه لما اتاه اخذه وفرح به ، مع تأذيه بفقده وكراهته له ، وهذا ايضا لا يخلو عن الحرص لحزنه بفقده • أو يكون بحيث لا يتعب في طلبه ولا يرغب فيه رغبة يفرح بحصوله ويتأذى بفقده، ولكن لما اتاه رضى به : اما مع تساوى وجوده وعدمه أو مع كون وجوده أحب اليه من عدمه ، ومثله الغني الراضي والقانع •

وايضا الغني اما ان يكون جميع ماله حلالا ،أو يكون بعضه او كله حراما•

وايضا اما يمسكه غاية الامساك ، بحيث لا يؤدي شيئا من حقوقـه الواجبة والمستحبة ، أو ينفقه في مصارفه اللائقة • وللانفاق مراتب شتى : ادناها ان يؤدي الحقوق الواجبة ، واعلاها ان يبذل كلما يزيـد عن أقل مراتب الغنى ، بحيث لو تعدى عنه يسيرا صار فقيرا •

فصـــل

ذم الغنى

الغنى الحاصل من الحلال ، مع بذل ما يفضل عن أقل مرتبته في المصارف اللائقة ومساواة وجوده وعدمه عند صاحبه ، سالم من الآفات والاخطار • وغير ذلك من اقسامه لا يخلو عن آفة أو خطر ، وحبـه بعض افراد حب الدنيا ، بل هو راجع الى حب المال بعينه • فيدل على ذمه ما ورد في ذمهما • وقد ورد في ذمه بخصوصه بعض الآيات والاخبار ، قال الله سبحانه :

« ان الانسان ليطغى أن رءاه استغنى » (٤٦) •

(٤٦) العلق ، الآية : ٦ — ٧ •

وقيل لرسول الله (ص) : أي امتك أشر ؟ قال : «الاغنياء» . وقال (ص) لبلال : « الق الله فقيرا ، ولا تلقه غنيا » . وقال(ص) : « يدخل فقراء امتي الجنة قبل اغنيائهم بخمسمائة عام ». وقال(ص) : « اطلعت على الجنة ، فرأيت أكثر أهلها الفقراء . واطلعت على النار ، فرأيت اكثر اهلها الاغنياء » . وفي طريق : « فقلت : اين الاغنياء ؟ فقال: حسبهم الجد » واوحى الله تعالى الى موسى : « يا موسى ، اذا رأيت الفقر مقبلا ، فقل : مرحبا بشعار الصالحين . واذا رأيت الغنى مقبلا،فقل : ذنب عجلت عقوبته» . وروي : « انه مامن يوم الا وملك ينادي من تحت العرش: يا ابن آدم ، قليل يكفيك خير من كثير يطغيك». وقال عيسى(ع):«بشدة يدخل الغني الجنة» .

وصل

الفقر

ضد الغنى (الفقر) . وهو فقد ما يحتاج اليه . ولا يسمى فقد ما لا حاجة اليه فقرا . فان عمم ما يحتاج اليه ولم يخص بالمال ، لكان كل موجود ممكن محتاجا ، لاحتياجه الى دوام الوجود وغيره من الحاجات المستفادة من الله سبحانه ، وانحصر الغنى بواحد واجب لذاته ومفيد لوجود غيره من الموجودات، أعني الله سبحانه. فهو الغني المطلق ، وسائر الاشياء الموجودة فقراء محتاجون. وقد اشير الى هذا الحصر في الكتاب الالهي بقوله تعالى:

« والله الغني وانتم الفقراء » (٤٧) .

وان خص بالمال لم يكن كل الناس فقراء ، بل من فقد المال الذي هو محتاج اليه كان فقيرا بالاضافة اليه ، والفقر بهذا المعنى هو الذي نريد بيانه هنا .

فصل

اختلاف احوال الفقراء

(الفقير) اما ان يكون راغبا في المال محبا له ، بحيث لو وجد اليه سبيلا لطلبه ، ولو بالتعب والمشقة ، وانما ترك طلبه لعجزه منه ، ويسمى هذا فقيرا (حريصا) .

---

(٤٧) محمد (ص) ، الآية : ٣٧ .

أو يكون وجود المال أحب اليه من عدمه ، ولكن لم يبلغ حبه له حدا يبعثه على طلبه ، بل ان اتاه بلا طلب أخذه وفرح به ، وان افتقر الى سعي في طلبه لم يشتغل به ، ويسمى هذا فقيرا (قانعا) •

او يكون بحيث لا يحبه ولا يرغب فيه ، ويكره وجوده ويتأذى به ، ولو أتاه هرب منه ، مبغضا له ومحترزا عن شره ، ويسمى هذا فقيرا (زاهدا) • فاعراضه عنه وعدم سعيه في محافظته وضبطه لو وجده ، ان كان لخوف العقاب فهو (فقر الخائفين) • وان كان لشوق الثواب فهو (فقر الراجين) • وان كان لعدم التفاته اللازم لاقباله على الله تعالى بشراشره من دون غرض دنيوي أو اخروي فهو (فقر العارفين) •

او يكون بحيث لا يحبه حبا يفرح بحصوله ولا يكرهه كراهة يتأذى بها ويزهد فيه ، بل يستوي عنده وجوده وعدمه ، فلا يفرح بحصوله ولا يتأذى بفقده ،بل كان راضيا بالحالتين على السواء، وغنيا عن دخوله وبقائه وخروجه من يده ، من غير خوف من الاحتياج اذا فقد ، كالحريص والقانع ولا حذار من شره واضراره اذا وجد كالزاهد • فمثله لو كانت اموال الدنيا باسرها في يده لم تضره ، اذ هو يرى الاموال في خزانة الله لا في يد نفسه، فلا تفريق بين أن تكون في يده أو في يد غيره ، فيكون بحيث يستوي عنده المال والهواء المخلوق في الجو ، فكما أن كثرة الهواء في جواره لا يؤذيه ولا يكون قلبه مشغولا بالفرار عنه ولا يبغضه بل يستنشق منه بقدر الضرورة ولا يبخل به على أحد ، فكذلك كثرة المال لا يؤذيه ولا يشغل قلبه ، ويرى نفسه وغيره فيه على السواء في المالكية •

ومثله ينبغي ان يسمى (مستغنيا راضيا)، لاستغنائه عنه وجودا وعدما، ورضائه بالحالتين من دون تفاوت ، ومرتبته فوق الزاهد ، اذ غاية درجة الزهد كمال الابرار ،وصاحب هذه المرتبة من المقربين فالزهد في حقه نقصان ، اذ حسنات الابرار سيئات المقربين • والسر فيه : ان الزاهد كاره للدنيا ، فهو مشغول بالدنيا ،كما ان الراغب فيها مشغول بها، والشغل بما سوى الله حجاب عن الله ، سواء كان بالحب او بالبغض• فكل ما سوى الله ، كالرقيب الحاضر في مجلس جمع العاشق والمعشوق • فكما ان التفات قلب العاشق الى الرقيب وبغضه وكراهته حضوره نقص في العشق

فكذلك التفات قلب العبد الى غير الله تعالى وبغضه وكراهته نقصان في الحب والانس، كما ان التفاته بالحب نقص فيهما . اذ كما لا يجتمع في قلب واحد حبان في حالة واحدة ، فكذلك لا يجتمع فيه حب وبغض في حالة واحدة . فالمشغول ببغض الدنيا غافل عن الله كالمشغول بحبها ، وان كان الثاني اسوأ حالا من الآخر . اذ المشغول بحبها غافل في غفلته ، سالك في طريق البعد ، والمشغول ببغضها غافل ، وهو في غفلته سالك في طريق القرب ، فيحتمل زوال غفلته وتبدلها بالشهود ؛ فالكمال مرتقب له، اذ بغض الدنيا مظنة توصل العبد الى الله .

وهرب الانبياء والاولياء من المال ، وفرارهم عنه ، وترجيحهم فقده على وجوده — كما اشير اليه في بعض الاخبار والآثار — : اما نزول منهم الى درجة الضعفاء ليقتدوا بهم في الترك ، اذ الكمال في حقهم حب الترك وبغض الوجود ، لان مع وجوده يتعذر في حقهم استواء وجوده وفقده وكونه عندهم كماء البحر ، فلو لم يظهر الانبياء النفار والكراهة من المال ويقتدي الضعفاء بهم في الاخذ لهلكوا . فمثل النبي كمثل المعزم الحاذق، يفر بين يدي اولاده من الحية ، لا لضعفه عن أخذها ، بل لعلمه بأنه لو اخذها لأخذها اولاده ايضا اذا رأوها ، وهلكوا . فالسير بسيرة الضعفاء صفة الانبياء والاوصياء . أو غير الهرب والنفار اللازمين للبغض والكراهة وخوف الاشتغال به ، بل كان نفارهم منه كنفارهم من الماء ، على معنى انهم شربوا منه بقدر حاجتهم ، وتركوا الباقي في الشطوط والانهار للمحتاجين من غير اشتغال قلوبهم بحبه وبغضه . الا ترى انه قد حملت خزائن الأرض الى رسول الله وخلفائه ، فأخذوها ووضعوها في مواضعها ، من غير هرب منه وبغض له ، وذلك لاستواء المال والماء والحجر والذهب عندهم .

ثم تسمية صاحب هذه المرتبة بالفقير والمستغني لا يوجب التنافي ، اذ اطلاق الفقير عليه لمعرفته بكونه محتاجا اليه تعالى في جميع أموره عامة وفي بقاء استغنائه عن المال خاصة ، فيكون اسم الفقير له كاسم العبد لمن عرف نفسه بالعبودية واقر بها، فانه أحق باسم العبد من الغافلين ، وان كان عاما للخلق . ثم كل مرتبة من المراتب المذكورة للفقر ، ما عدا الاخيرة ، أعم من ان يكون بالغا حد الاضطرار ، بأن يكون ما فقده من المال مضطرا

اليه ، كالجائع الفاقد للخبز والعاري الفاقد للثوب ، أم لا •

وانت ، بعد ما فهمت اشتراك الفقر بين المعاني المذكورة ، لم يشكل عليك الجمع بين ما ورد في مدح الفقر — كما يأتي — وبينما ورد في ذمه، كقوله (ص) : « كاد الفقر ان يكون كفرا »، وقوله (ص) : «الفقر الموت الاكبر » • وقول امير المؤمنين عليه السلام : « من ابتلى بالفقر فقد ابتلى باربع خصال : بالضعف في يقينه ، والنقصان في عقله ، والرقة في دينه ، وقلة الحياء في وجهه • فنعوذ بالله من الفقر ! » •

فصل

مراتب الفقر ومدحه

قد عرفت أن بعض مراتب الفقر راجع الى الزهد، وبعضها الى ماهوفوقه اعني الرضى والاستغناء ، وبعضها الى القناعة • ففضيلة هذه المراتب ظاهرة، والاخبار الواردة في فضيلة الزهد والرضى والقناعة تدل على فضيلة المراتب المذكورة من الفقر • واما المرتبة الاولى المتضمنة للحرص ، فهو أيضا لايخلو عن فضلية بالنظر الى الغنى المتضمن له والاخبار الواردة في مدح الفقر تتناول بعمومها جميع مراتبه، قال الله سبحانه :

« للفقراء المهاجرين الذين اخرجوا من ديارهم واموالهم » (٤٨) • وقال : « للفقراء الذين احصروا فى سبيل الله ••• » الآية (٤٩) •

ساق الله سبحانه الكلام في معرض المدح ، وقدم وصفهم بالفقر على وصفهم بالهجرة الاحصار ؛ وفيه دلالة جلية على مدح الفقر [٥٠] • وقال رسول الله (ص) :« خير هذه الامة فقراؤها ، وأسرعها تصعدا في الجنة ضعفاؤها » • وقال — (ص) : « آللهم احيني مسكينا وامتني مسكينا ، واحشرني في زمرة المساكين » • وقال (ص) : « ان لى حرفتين اثنتين ، فمن أحبهما فقد أحبنى ، ومن أبغضهما فقد أبغضنى : الفقر والجهاد »• وقال — صلى الله عليه وآله — :« الفقر أزين للمؤمنين من العذار الحسن على خد الفرس » • وسئل عن الفقر ، فقال : « خزانة من خزائن الله » وسئل عنه

---

(٤٨) الحشر ، الآية : ٨ •

(٤٩) البقرة ، الآية : ٢٧٣ •

(٥٠) قال المحقق (الفيض) فى (احياء الاحياء) : « لادلالة فى الآيتين على مدح الفقر ، وانما سيقتا لبيان ان مصرف المال انما هم الفقراء المتصفون بهذه الصفات » •

ثانيا ، فقال : « كرامة من الله » • وسئل عنه ثالثا ، فقال : « شيء لايعطيه الا نبيا مرسلا او مؤمنا كريما على الله » • وقال (ص) « ان في الجنة غرفة من ياقوتة حمراء ، ينظر اليها أهل الجنة كما ينظر أهل الارض إلى نجوم السماء لايدخل فيها الا نبي فقير أو مؤمن فقير » • وقال : « يوم فقراء امتي يوم القيامة وثيابهم خضر ، وشعورهم منسوجة بالدر والياقوت ، وبأيديهم قضبان من نور يخطبون على المنابر ، فيمر عليهم الانبياء ، فيقولون : هؤلاء من الملائكة ، وتقول الملائكة : هؤلاء من الانبياء • فيقولون : نحن لا ملائكة ولا انبياء ! بل من فقراء أمة محمد (ص) ، فيقولون : بم نلتم هذه الكرامة ؟ فيقولون : لم تكن اعمالنا شديدة ، ولم نصم الدهر ، ولم نقم الليل ، ولكن اقمنا على الصلوات الخمس ، واذا سمعنا ذكر محمد فاضت دموعنا على خدودنا » • وقال (ص) : « كلمني ربي فقال: يا محمد ، اذا احببت عبدا ، اجعل له ثلاثة اشياء : قلبه حزينا ، وبدنه سقيما ، ويده خالية من حطام الدنيا • واذا ابغضت عبدا ، اجعل له ثلاثة اشياء : قلبه مسرورا ، وبدنه صحيحا ، ويده مملوة من حطام الدنيا » • وقال (ص) : « الناس كلهم مشتاقون الى الجنة ، والجنة مشتاقة الى الفقراء » • وقال (ص) : «الفقر فخري» • وقال (ص) : « تحفة المؤمن من الدنيا الفقر » • وقال (ص) : « يؤتى بالعبد يوم القيامة ، فيعتذر الله تعالى اليه كما يعتذر الاخ الى أخيه في الدنيا ، فيقول : وعزتي وجلالي ! ما زويت الدنيا عنك لهوانك علي، ولكن لما أعددت لك من الكرامة والفضيلة • اخرج يا عبدي الى هذه الصفوف ، فمن اطعمك فيّ أو كساك فيّ يريد بذلك وجهي ، فخذ بيده فهو لك والناس يومئذ قد الجمهم الغرق • فيتخلل الصفوف وينظر من فعل ذلك به ، ويدخله الجنة » • وقال (ص) : « اكثروا معرفة الفقراء واتخذوا عندهم الايادي ، فان لهم دولة » ، قالوا : يا رسول الله ، وما دولتهم ؟ قال : « اذا كان يوم القيامة ، قيل لهم : انظروا الى من اطعمكم كسرة او سقاكم شربة أو كساكم ثوبا ، فخذوا بيده ثم امضوا به الى الجنة » • وقال (ص) : « ألا اخبركم بملوك أهل الجنة ؟ » قالوا : بلى يا رسول الله ! قال : « كل ضعيف مستضعف أغبر أشعث ذي طمرين

لا يؤبه به لو أقسم على الله لأبره » . ودخل (ص) على رجل فقير ، ولم ير له شيئا ، فقال : «لو قسم نور هذا على أهل الارض لوسعهم» . وقال (ص) : « اذا أبغض الناس فقراءهم ، واظهروا عمارة الدنيا ،وتكالبوا على جمع الدراهم والدنانير ، رماهم الله بأربع خصال : بالقحـط من الزمان ، والجور من السلطان ،والجناية من ولاة الحكام،والشوكة من الاعداء »[٥١] .

وورد من طريق أهل البيت عليهم السلام : « ان الله تعـالى اذا أحب عبدا ابتلاه ، فاذا أحبه الحب البالغ اقتناه . قيل : وما اقتناه ؟ قال : لم يترك له أهلا ولا مالا » . وقال أمير المؤمنين عليه السلام : « وكل الرزق بالحمق ، ووكل الحرمان بالعقل ، ووكل البلاء بالصبر » . وقال الباقر عليه السلام : « اذا كان يوم القيامة ، امر الله تعالى مناديا ينادي بين يديه : اين الفقراء ؟ فيقوم عنق من الناس كثير ، فيقول : عبادي ! فيقولون : لبيك ربنا ! فيقول : اني لم افقركم لهون بكم علي ؛ ولكن انما اخترتكم لمثـل هذا اليوم . تصفحوا وجوه الناس ، فمن صنع اليكم معروفا لم يصنعه الا فيَّ فكافوءني بالجنة ». وقال الصادق عليه السلام : « لولا الحاح المؤمنين على الله في طلب الرزق ، لنقلهم من الحال التي هم فيها الى حال أضيـق منها » . وقال عليه السلام : « ليس لمصاص[٥٢] شيعتنا في دولة الباطل الا القوت ، شرقوا ان شئتم أو غربوا ، لن ترزقوا الا القوت » . وقال عليه السلام : « ما كان من ولد آدم مؤمن الا فقيرا ولا كافر الا غنيا ، حتى جاء ابراهيم عليه السلام ، فقال :

« ربنا لاتجعلنا فتنة للذين كفروا » (٥٣) .

فصير الله في هؤلاء اموالا وحاجة » . وقال عليه السلام : « ان فقراء المؤمنين يتقلبون في رياض الجنة قبل اغنيائهم بأربعين خريفا » ، ثم قال: « سأضرب لك مثل ذلك : انما مثل ذلك مثل سفينتين مر بهما على عاشر، فنظر في احـداهما فـلم ير فيها شـيئا ؛ فقال اسـربوها . ونـظر في الاخـرى ؛ فـاذا هي مـوقرة ، فقـال : احبسـوهـا » . وفي بعض

---

(٥١) هذه الاخبار كلها عاميـة ، فصححناها على (احياء العلوم) ، و (احياء الاحياء) .

(٥٢) المصاص : خالص كل شيء . قاله الجوهري .

(٥٣) المتحنة ، الآية : ٥ .

الاخبار : فسر الخريف بألف عام، والعام بألف سنة . وعلى هذا ، فيكون المراد من اربعين خريفا اربعين الف الف عام . وقال الصادق عليه السلام : « المصائب منح من الله ، والفقر مخزون عند الله » : أي المصائب عطايا من الله يعطيها عباده ، والفقر من جملتها مخزون عنده عزيز لا يعطيه الا من خصه بمزيد العناية . وقال عليه السلام : « ان الله عز وجل يلتفت يوم القيامة الى فقراء المؤمنين شبيها بالمعتذر اليهم ، فيقول : وعزتي وجلالي ! ما أفقرتكم في الدنيا من هوان بكم علي ، ولترون ما اصنع بكم اليوم، فمن زود منكم في دار الدنيا معروفا فخذوا بيده فادخلوه الجنة » ، قال : « فيقول رجل منهم : يا رب ، ان أهل الدنيا تنافسوا في دنياهم ، فنكحوا النساء ، ولبسوا الثياب اللينة ، وأكلوا الطعام ، وسكنوا الدور ، وركبوا المشهور من الدواب . فاعطني مثل ما اعطيتهم . فيقول تبارك وتعالى : لك ولكل عبد منكم مثل ما اعطيت أهل الدنيا منذ كانت الدنيا الى ان انقضت الدنيا سبعون ضعفا » . وقال عليه السلام : « ان الله جل ثناؤه ليعتذر الى عبده المؤمن المحوج في الدنيا كما يعتذر الاخ الى اخيه ، فيقول: وعزتي وجلالي! ما احوجتك في الدنيا من هوان كان بك علي ، فارفع هذا السجف ، فانظر الى ما عوضتك من الدنيا . قال : فيرفع ، فيقول : ما ضرني ما منعتني ما عوضتني » . وقال عليه السلام : « اذا كان يوم القيامة قام عنق من الناس حتى يأتوا باب الجنة ، فيضربوا باب الجنة ،فيقال لهم : من انتم ؟ فيقولون نحن الفقراء ، فيقال لهم : اقبلوا الحساب ، فيقولون : ما اعطيتمونا شيئا تحاسبونا عليه ، فيقول الله عز وجل : صدقوا ، ادخلوا الجنة » . وقال — لبعض اصحابه : « اما تدخل للسوق ؟ اما ترى الفاكهة تباع والشيء مما تشتهيه ؟ فقلت : بلى ! فقال : أما ان لك بكل ما تراه فلا تقدر على شراه حسنة » .وقال الكاظم عليه السلام : « ان الله عز وجل يقول : اني لم اغن الغني لكرامة به علي ، ولم أفقر الفقير لهوان به علي ، وهو مما ابتليت به الاغنياء بالفقراء، ولولا الفقراء لم يستوجب الاغنياء الجنة »[٥٤].

---

(٥٤) صححنا اغلب الاحاديث المروية عن اهل البيت — عليهم السلام — فى هذا الفصل على(الكافى) : باب الفقر . وعلى (سفينة البحار) : ٢/٣٧٧ . وعلى (احياء الاحياء) : كتاب الفقر .

وقال عليه السلام : « ان الانبياء واولاد الانبياء واتباع الانبياء خصوا بثلاث خصال : السقم في الابدان ، وخوف السلطان ، والفقر » . وقال الرضا عليه السلام : « من لقى فقيرا مسلما وسلم عليه خلاف سلامه على الغني، لقى الله يوم القيامة وهو عليه غضبان » . وقال عليه السلام : « الفقر شين عند الناس وزين عند الله يوم القيامة » وقال موسى عليه السلام في بعض مناجاته : « الهي ، من احباؤك من خلقك حتى أحبهم لاجلك ؟ فقال : كل فقير » . وقال عيسى عليه السلام : « ان احب الاسامي الي ان يقال : يا مسكين » . وقال بعض الصحابة : «ملعون من اكرم الغني واهان الفقير» . وقال لقمان لابنه : «لا تحقرن احدا لخلقان ثيابه ، فان ربك وربه واحد» .

ومما يدل على فضيلة الفقر ، اذا كان مع الرضى او القناعة او الصبر او الصدق او الستر ، قوله (ص) : « يا معشر الفقراء : اعطوا الله الرضى من قلوبكم تظفروا بثواب فقركم ، فان لم تفعلوا فلا ثواب لكم » . وقوله (ص): « ان احب العباد الى الله الفقير القانع برزقه الراضي عن الله تعالى» . وقوله (ص) : « لا احد أفضل من الفقير اذا كان راضيا » . وقوله (ص): « يقول الله تعالى يوم القيامة : أين صفوتي من خلقي ؟ فتقول الملائكة : من هم يا ربنا ؟ فيقول : فقراء المسلمين القانعين بعطائي الراضين بقدري، ادخلوهم الجنة . فيدخلونها ، ويأكلون ويشربون ، والناس في الحساب يترددون » . وقوله (ص) : « ما من أحد ، غني ولا فقير ، الا ود يوم القيامة انه كان اوتي قوتا في الدنيا» وقوله (ص): « طوبى للمساكين بالصبر وهم الذين يرون ملكوت السماوات والارض » . وقوله (ص) : « من جاع او احتاج ، فكتمه عن الناس وأفشاه الى الله تعالى ، كان حقا على الله ان يرزقه رزق السنة من الحلال » . وقوله (ص) : « ان لكل شيء مفتاحا ، ومفتاح الجنة حب المساكين والفقراء الصابرين ، وهم جلساء الله يوم القيامة» . وما روي : « ان الله اوحى الى اسماعيل عليه السلام : اطلبني عند المنكسرة قلوبهم من أجلي . قال : ومن هم ؟ قال : الفقراء الصادقون » . وقال رسول الله (ص) لامير المؤمنين عليه السلام : « يا علي ، ان الله جعل الفقر أمانة عند خلقه ، فمن ستره أعطاه الله تعالى مثل أجر الصائم القائم ، ومن

أفشاه الى من يقدر على قضاء حاجته فلم يفعل فقد قتله اما انه ما قتله بسيف ولا رمح ولكنه قتله بما نكأ من قلبه » .

ثم لا ريب في ان كل من لم يجد القوت من التعفف وستر احتياجه هذا وصبر ورضى يكون داخلا تحت هذه الاخبار وتثبت له الفضيلة التي وردت فيها ، ولا ريب في ان هذه صفة لا توجد في الف الف واحد .

واما الفقير الحريص الذي يظهر فقره ويجزع معه ، فظاهر بعض الاخبار وان تناوله ، الا ان الظاهر خروجه منها كما اومأت اليه بعض الاخبار المذكورة وان كان احسن حالا من الغني الذي مثله في الحرص .

فصل

الموازنة بين الفقر والغنى

لا ريب في ان الفقر مع الصبر والقناعة وقصد الفراغ افضل من الغنى مع الحرص والامساك ، كما لا ريب في ان الغنى مع الانفاق وقصد الاستعانة على العبادة أفضل من الفقر مع الحرص والجزع ، وانما وقع الشك في الترجيح بين الفقر والغنى في مواضع :

(الاول) في الترجيح بين الفقر مع الصبر، والقناعة والغنى مع الانفاق وقصد الاستعانة على العبادة ، فقال قوم ان الاول افضل ، لما روى : «ان رسول الله (ص) قال لاصحابه : أي الناس خير ؟ فقالوا : موسر من المال يعطي حق الله تعالى من نفسه وماله ، فقال : نعم الرجل هذا وليس به المراد ، قالوا فمن خير الناس يا رسول الله ؟ فقال : فقير يعطي جهده » ، وما روي : « ان الفقراء بعثوا رسولا الى رسول الله (ص) ، فقال : اني رسول الفقراء اليك ، فقال : مرحبا بك وبمن جئت من عندهم ، جئت من عند قوم أحبهم ، فقال : قالوا ان الاغنياء ذهبوا بالجنة يحجون ولا نقدر عليه ، ويعتمرون ولا نقدر عليه ، واذا مرضوا بعثوا بفضل اموالهم ذخيرة لهم ، فقال النبي(ص) : بلغ عني الفقراء ان لمن صبر واحتسب منكم ثلاث خصال ليست للاغنياء : أما (الاولى) فان في الجنة غرفا ينظر اليها أهل الجنة كما ينظر أهل الارض الى نجوم السماء ، لا يدخلها الا نبي فقير ، او شهيد فقير ، او مؤمن فقير ؛ (والثانية) يدخل الفقراء الجنة قبل الاغنياء

بنصف يوم وهو خمسمائة عام . (والثالثة) اذا قال الغني : سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر ، وقال الفقير مثل ذلك ، لم يلحق الغني بالفقير وان انفق فيها عشرة الاف درهم ، وكذلك اعمال البر كلها ، فرجع اليهم ، فقالوا رضينا » .

وقال آخرون : الثاني أفضل ، لان الغنى من صفات الربوبية ، والفقر من لوازم العبودية ، ووصف الحق افضل من وصف العبد .

(واجيب عنه) بأن غنى الواجب سبحانه ليس بالاسباب والاغراض ، وغنى العبد بهما ، اذ هو غني بوجود المال ومفتقر الى بقائه ، فانى يكون الغنى الذي يتصف العبد به من اوصاف الربوبية ، نعم الغنى بمعنى الاستغناء من وجود المال وعدمه جميعا بأن يستوي كلاهما عنده يشبه اوصاف الحق ، الا انك قد عرفت انه نوع من الفقر ، وبأن التكبر من اوصاف الربوبية ، فينبغي ان يكون افضل من التواضع ، مع ان الامر ليس كذلك ، بل الحق ان الافضل للعبد انما هو صفات العبودية كالخوف والرجاء ، اذ صفات الربوبية لا ينبغي ان ينازع فيها ، ولذلك قال الله سبحانه : « والعظمة ازاري ، والكبرياء ردائي ، فمن نازعني فيهما قصمته » . وعلى هذا فالفقر أفضل من الغنى .

والحق ان ترجيح واحد من صفات الربوبية وصفات العبودية على الآخر للعبد على الاطلاق غير صحيح ، اذ كما ينتقض ترجيح الاولى على الثانية بالتكبر ينتقض العكس بالعلم والمعرفة والجهل والغفلة ، فان العلم من صفات الربوبية ، والجهل من صفات العبودية ، مع ان الاول افضل من الثاني ضرورة .

والحق ان الافضل من الفقر والغنى ما لا يشغل العبد عن الله ، فان كان الفقر يشغله فالغنى اولى به ، وان كان الغنى يشغله عن الله فالفقر اولى به ، وذلك لان الغنى ليس محذورا بعينه ، بل لكونه عائقا عن الوصول الى الله ، والفقر ليس مطلوبا لذاته ، بل لعدم كونه عائقا عن الله ، وليس مانعية الاول وعدم مانعية الثاني كليا ، اذ رب فقير يشغله الفقر عن المقصد وكم من غنى لا يصرفه الغنى عنه ، اذ الشاغل ليس الا حب الدنيا ، لمضادته حب الله تعالى ، والمحب للشيء مشغول به ، سواء كان في وصاله أو في فراقه .

فاذن فضل الفقير والغني بحسب تعلق قلبهما بالمال وجودا وعدما ، فان تساويا فيه تساوت درجتهما . وان تفاوتا فيه فأيهما أقل تعلقا درجته اعلى وافضل بل مع وجود تعلق لهما وتساويهما فيه يكون وجود قدر الحاجة من المال أفضل من فقده ، اذ الجائع يسلك سبيل الموت لا سبيل المعرفة والطاعة . ومع عدم تعلق قلبهما اصلا بحيث يستوي عندهما وجود المال وعدمه كان المال عندهما كهواء الجو وماء البحر — وبالجملة حصلت لهما المرتبة الاخيرة من الفقر ، اعني الاستغناء والرضا — كان الواجد افضل من الفاقد ، لاستوائهما في عدم الالتفات اليه ، ومزية الواجد باستفادة ادعية الفقراء والمساكين .

ثم الحكم بأنقطاع القلب رأسا عن المال وجودا وعدما انما يتصور في الشاذ النادر الذي لايسمح الدهر بمثله الا بعد ازمنة متطاولة ، وقلوب جل الناس غير خالية عن حب المال والتعلق به . فتفصيل القول بافضلية من هو أقل تعلقا بالمال ، أستواء درجتهما مع استوائهما في التعلق ، ومزية الواجد على الفاقد مع انقطاع قلبهما بالكلية عنه مزلة الاقدام وموضع الغرور ، اذ الغني ربما يظن أنه منقطع القلب عن المال ويكون حبه دفينا في باطنه وهو لايشعر به ، وانما يشعر به اذا فقده ، فما عدا الانبياء والاولياء وشرذمة قليلة من أكابر الاتقياء لو ظنوا أنقطاعهم عن الدنيا اذا جربوا أنفسهم بأخراج المال من أيديهم يظهر لهم أنهم مغرورون وليس لهم تمام الانقطاع عن الدنيا ، واذا كان ذلك محالا أو بعيدا فليطلق القول بأن الفقر أصلح لكافة الناس وأفضل ، لانه عن الخطر أبعد ، اذ فتنة السراء من فتنة الضراء أشد ، وعلاقة الفقير وانسه بالدنيا غالبا اضعف ، وبقدر ضعف علاقته يتضاعف ثواب أذكاره وعبادته ، اذ حركات اللسان والجوارح ليست مرادة لاعيانها بل ليتأكد بها الانس بالمذكور وتأثيرها في اثارة الانس في قلب فارغ عن غير المذكور اشد من تأثيرها في قلب مشغول ، ولهذا وردت الاخبار مطلقة في فضل الفقر على الغنى ، وفي فضل الفقراء على الاغنياء .

(الثاني) في الترجيح بين الفقر مع الحرص والجزع ، والغنى مع الحرص والامساك . والتحقيق فيه أن مطلوب الفقير ان كان مالابد منه في

المعيشة وكان حرصه في تحصيل هذا القدر دون الزائد منه وكان قصده الاستعانة به على الدين ، وكذا كان حرص الغنى وامساكه في هذا القدر بهذا القصد ، فحال الوجود أفضل لأن الفقد يصده عن أمور الدين لاضطراره في طلب القوت ، وهو أولى بالتفضيل اذا كان قصد الغنى ذلك وكان مطلوب الفقير فوق الحاجة ، أو قدر الحاجة بدون قصد الاستعانة به الى أمر الدين . وان كان مطلوب كل منها فوق الحاجة ، او لم يكن قصدهما الاستعانة به على أمر الدين ، فالفقد أصلح وأفضل ، لانهما استويا في الحرص وحب المال ، وفي عدم قصد الاستعانة به على الدين ، لكنهما افترقا في أن الواجد يتأكد حب الدنيا في قلبه ، ويطمئن اليها لأنسه بها ، والفاقد يتجافى قلبه عنها أضطرارا ، او تكون الدنيا عنده كالسجن الذي يطلب الخلاص منه . وهو أولى وأحرى بالتفضيل ، اذا كان قصد الفقير ذلك وكان قصد الغنى فوق الحاجة ، او قدر بدون الاستعانة به على أمر الدين .

(الثالث) في الترجيح بين فقير حريص متكالب على الدنيا ليس له هم سواه ، وغنى هو دونه في الحرص على حفظ المال ، وتفجعه بفقد المال لو فقده أقل من تفجع الفقير بفقده ، والظاهر حينئذ كون الفقير اسوأ حالا ، اذ البعد عن الله بقدر قوة التفجع بفقد المال ، والقرب بقدر ضعف التفجيع به .

فصل

ما ينبغي للفقير

ينبغي للفقير ألا يكون كارها للفقر من حيث انه فعل الله ومن حيث انه فقر ، بل يكون راضيا به طالبا له فرحانا به لعلمه بغوائل الغنى ، وأن يكون متوكلا في باطنه على الله ، واثقا به في اتيان قدر ضرورته ، ويكون قانعا به ، كارها للزيادة عليه ، منقطع الطمع عن الخلق ، غير ملتفت الى ما في أيديهم ، وغير حريص على أكتساب المال كيف كان ، وأن يكون صابرا شاكرا على فقره ، قال أمير المؤمنين (ع) : « ان لله عقوبات بالفقر ، ومثوبات بالفقر ، فمن علامات الفقر اذا كان مثوبة ان يحسن عليه خلقه ، ويطيع به ربه ، ولا يشكو حاله ، ويشكر الله تعالى على فقره ، ومن

علاماته اذا كان عقوبة أن يسوء عليه خلقه ، ويعصى ربه بترك طاعته ، ويكثر الشكاية ، ويتسخط بالقضاء » ، وهذا يدل على أن كل فقير ليس مثابا على فقره ، بل من يرضى بفقره ، ويفرح به ، ويقنع بالكفاف ، ويقصر الامل ؛ وان لم يرض به وتشوف الى الكثرة وطول الامـل ، وفاته عز القناعة ، وتدنس بذل الحرص والطمع ، وجره الحرص والطمع الى مساوي الاخلاق ، وارتكاب المنكرات الخارقة للمروات حبط أجره وكان آثما قلبه.

وينبغي أن يظهر التعفف ويستر الفقر ويستر أنه يستر ، وألا يخالط الاغنياء ، ولا يرغب في مجالستهم ، ولا يتواضع لهم لاجل غناهم بل يتكبر عليهم . قال أمير المؤمنين عليه السلام : « ما أحسن تواضع الغني للفقير رغبة في ثواب الله ، واحسن منه تيه الفقير على الغنى ثقة بالله » ، وألا يسكت عن ذكر الحق مداهنة للاغنياء ، وطمعا بما في أيديهم ، ولا يفتر بسبب فقره عن عبادة الله ، ويبذل قليل مايفضل عنه ، فان ذلك جهد المقل، وفضله أكثر من أموال كثيرة يبذلها الغنى ؛ قال رسول الله (ص) : «درهم من الصدقة افضل عند الله من مائة الف دينار » ، قيل وكيف ذلك يارسول الله ؟ قال : « أخرج رجل من عرض ماله مائة الف دينار يتصدق بهـا ، وأخرج رجل درهما من درهمين لايملك غيرهما طيبة به نفسه فصار صاحب الدرهم أفضل من صاحب مائة الف دينار » ، وينبغي ألا يدخر أزيد من قدر الحاجة ، فان لم يدخر أكثر من قوت يومه وليلته فهو من الصديقين ، وان لم يدخر اكثر من قوت اربعين يوما كان من المتقين ، وان لم يدخر أكثر من قوت سنة — وهو الفضل المشترك بين الفقر والغنى — كان من الصالحين ، ولو زاد عليه خرج عن زمرة الفقراء .

فصـــل

وظيفة الفقراء

ما يعطى الفقير بغير سؤاله : ان كان (حراما أو شبهة) وجب عليه رده والاجتناب عنه ، وان كان (حلالا) ، فان كان (هدية) استحب قبوله تأسيا برسول الله (ص) ان لم تكن فيه منة ، ولو كانت فيه منة فالاولى تركه . وكان بعضهم اذا أعطاه صديقه شيئا يقول له أتركه عندك ،

وانظر ان كنت انا بعدقبوله في قلبك أفضل مني قبل القبول فأخبرني حتى آخذه والا فلا ، وعلامة ذلك أن يشق على المعطي رده ، ويفرح بالقبول ، ويرى المنة على نفسه في قبوله ، وان كان (صدقة أو زكاة) أو غير ذلك مما يكون للثواب المحض فينبغي ان ينظر في استحقاقه لذلك ، فان كان من أهله قبله والا رده ، وان كان المعطى أعطاه لوصف يعلمه فيه كعلم او ورع او كونه علويا ، ولو لم يكن له هذا الاختصاص لنفر طبعه ، ولما تقرب الى الله باعطائه ، ولم يكن له باطنا كذلك فأخذه حرام ، وان لم يكن هدية ولا صدقة بل اعطاه للشهرة والرياء والسمعة فينبغي ان يردعليه ولا يقبله ، والا كان معينا له على غرضه الفاسد ، والاعانة على الإثم اثم.

فصـــل

موارد قبول العطاء وردها

ما يعطي الفقير ان كان محتاجا اليه ولم يكن أزيدمن حاجته فالافضل له الاخذ اذا سلم من الآفات المذكورة ، قال رسول الله (ص) : « ما المعطي من سعة بأعظم أجرا من الآخذ اذا كان محتاجا » ، وقال (ص) : « من أتاه شيء من هذا المال من غير مسألة ولا أستشراف فانما هو رزق ساقه الله اليه فلا يرده » ، وان كان زائدا على قدر حاجته فليرد الزائد ان كان طالبا طريق الاخرة ، اذ الزيادة على قـــدر الحاجة انما يأتيك ابتلاء وفتنة لينظر الله اليك ماذا تعمل فيه ، وقدر الحاجة يأتيك رفقا بك ، فأنت في أخذ قدر الحاجة مثاب ، وفيما زاد عليه اما عاص او متعرض للحساب، قال رسول الله (ص) : « لاحق لابن آدم الا في ثلاث : طعام يقيم صلبه، وثوب يوارى عورته ، وبيت يسكنه ، فما زاد فهو حساب » ، فلا ينبغي لطالب السعادة أن يأخذ الازيد من قدر الحاجة ، اذ النفس اذا رخصت في نقض العزم والعهد ألفت به ، وردها بعد الالف والعادة مشكل .

والحاصل أن أخذ قدر الحاجة راجح لكونه مما لابد منه ، وايجابه ثواب المعطى ، ولذلك لما أمر موسى بن عمران (ع) بأن يفطر عند بني أسرائيل قال : إلهي ما بالى فرقت رزقي على أيدي بني اسرائيل يغديني هذا يوما ويعشيني هذا ليلة ، فأوحى الله اليه : « هكذا أصنع بأوليائي

أجرى ارزاقهم على أيدي البطالين من عبادي ليؤجروا فيهم » • فلا ينبغي أن يرى المعطى الا من حيث انه مسخر مأجور •

وأما أخذ الزيادة على قدر الحاجة فليس مما ينبغي ، نعم من كان حاله التكفل بأمور الفقراء والاتفاق عليهم ، لما في طبعه من البذل والسخاء والرفق والعطاء ، فيجوز له أخذ الزيادة ليبذلها على المستحقين ، ولكن يلزم ان يبادر الى الصرف اليهم ولا ينبغي أن يدخر ، اذ في أمساكه ولو في يوم واحد أو ليلة واحدة فتنة واختبار ، فربما مالت النفس الى الامساك ويصير وبالا عليها ، وقد نقل أن جماعة تصدوا لخدمة الفقراء والتكفل لأحوالهم فخدعتهم النفس الامارة باعانة الشيطان فأتخذوها وسيلة الى التوسع في المال ، والتنعم في المطعم والمشرب ، وانجر أمرهم الى الهلاك •

فصـــل

لايجوز السؤال من غير حاجة

ينبغي للمؤمن ألا يسأل الناس من غير حاجة اضطر اليها ، بل يستعف عن السؤال ما أستطاع ، لانه فقر معجل ، وحساب طويل يوم القيامـــة • والاصل فيه التحريم لتضمنه الشكوى من الله ، واذلال السائل نفسه عند غير الله ، وايذاء المسؤل غالبا ، اذ ربما لم تسمح نفسه بالبذل عن طيب القلب ، وبعـــد السؤال ألجأه الحياء او الرياء اليه ، ومعلوم ان الاعطاء استحياء أو رياء لئلا ينقص جاهه عند الناس بنسبتهم اياه الى البخل لايكون له حلية شرعا •

ولتضمنه هذه المفاسد ورد في الشريعة المنع منه، قال رسول الله(ص): « مسألة الناس من الفواحش » ، وقال (ص) : « من سأل عن ظهر غنى فانما يستكثر من جمر جهنم ، ومن سأل وله ما يغنيه جاء يوم القيامـــة ووجهه عظم يتقعقع ليس عليه لحم » • وقال : « من سأل الناس وعنده قوت ثلاثة أيام لقى الله يوم يلقاه وليس على وجهه لحم » [٥٥] وقال (ص): « ما من عبد فتح على نفسه باباً من المسألة الا فتح الله عليه سبعين باباً من

---

(٥٥) روى هذا الحديث عينه عن الصادق (ع) (الوسائل كتاب الزكاة ابواب الصدقة الباب ٣٢ الحديث ٥) .

الفقر » • وقال : « ان المسألة لاتحل الا لفقر مدقع او غرم مفظع » •
وقال : « السؤال عن ظهر غنى صداع في الرأس ، وداء في البطن » •
وقال : « من سأل الناس أموالهم تكثرا فانما هي جمرة فليستقل منه أو ليستكثر » •

وروى : « انه جاءت فخذمن الانصار الى رسول الله (ص) فسلموا عليه فرد عليهم السلام ، فقالوا يارسول الله ان لنا اليك حاجة فقال : (هاتوا حاجتكم) فقالوا انها حاجة عظيمة فقال : (هاتوها ماهي) قالوا : تضمن لنا على ربك الجنة ، فنكس رأسه ، ثم نكت [٥٦] في الارض ، ثم رفع رأسه فقال : (أفعل ذلك بكم على ألا تسألوا أحدا شيئا) ، فكان الرجل منهميكون في السفر فيسقط سوطه ، فيكره ان يقول لانسان ناولنية فرارا من المسألة وينزل فيأخذه ، ويكون على المائدة ويكون بعض الجلساء أقرب الى الماء منه فلا يقول ناولني حتى يقوم فيشرب » [٥٧] وبايع (ص) قوما على الاسلام ، فاشترط عليهم السمع والطاعة ، ثم قال لهم خفية : « لاتسألوا الناس شيئا » ، فكان بعد ذلك تقع المخفرة من يد أحدهم فينزل لها ولا يقول لأحد ناولنيها • وكان (ص) يأمر غالبا بالتعفف عن السؤال ، ويقول : « من سألنا أعطيناه ، ومن استغنى اغناه الله ومن لم يسألنا فهو أحب الينا » وقال : « وما قل من السؤال فهو خير » قالوا : ومنك يارسول الله ؟ قال : « ومني » • وقال : « لو أن أحدكم أخذحبلا فيأتي بحزمة حطب على ظهره فيبيعها ويكف بها وجهه ، خير له من أن يسأل » •

وقال سيد الساجدين (ع) : « ضمنت على ربى أنه لايسأل أحد أحدا من غير حاجة الا اضطرته المسألة يوما الى أن يسأل من حاجة » ونظر (ع) يوم عرفة الى رجال ونساء يسألون ، فقال « هؤلاء شرار خلق الله ، الناس مقبلون على الله وهم مقبلون على الناس » ، وقال الباقر (ع): « اقسم بالله وهو حق ما فتح رجل على نفسه باب مسألة الا فتح الله عليه

(٥٦) نكت الارض بقضيب او بأصبعه ضربها به حال التفكر فأثر فيها.
(٥٧) صححنا الحديث على الوسائل « كتاب الزكاة أبواب الصدقة الباب ٣٢ الحديث ٤) وهو يرويه عن الكافي .

باب فقر » ، وقال الصادق (ع) : « طلب الحوائج الى الناس استلاب[٥٨] للعز مذهبة للحياء ، واليأس مما في أيدي النـاس عز للمؤمن في دينه ، والطمع هو الفقر الحاضر » . وقال الصادق (ع) : « لو يعلم السائل ما عليه من الوزر ما سأل أحد أحدا ، ولو يعلم المسؤل ما عليه اذا منع ما منع احد أحدا » . وقال : « من سأل من غير حاجة فكأنما يأكل الجمر » .

ثم المنع والتحريم انما هو في السؤال بدون الاضطرار ، وأما مـع الحاجة والاضطرار فلا ريب في جوازه ، وقد وردت به الرخصة ، قال الله سبحانه :

« وأما السائل فلا تنهر » (٥٩) .

وقال رسول الله : « لاتردوا السائل ولو بشق تمرة » وقال (ص) : « لولا أن السائل يكذب ما قدس من ورده » وقال (ص) : « للسائل حق وان جاء على الفرس » وقال (ص) : « لاتردوا السائل ولو بظلف محترق » [٦٠] . ولو كان السؤال مطلقا حراما لما أجاز الله ورسوله اعانة العاصي على معصيته .

ثم الحاجة المجوزة للسؤال : مابلغت حد الاضطرار ، كسؤال الجائع الخائف على نفسه بالموت او المرض لو لم يصل اليه قوت ، وسؤال العاري الذي بدنه مكشوف ويخاف من الحر والبرد ــ أو لم تبلغ اليه ، وهي اما حاجة (مهمة) كالاحتياج الى الجبة في الشتاء بحيث لولاها لتأذى بالبرد تأذيا لاينتهى الى حد الضرورة ، والاحتياج الى الكرى مع القدرة على المشي مع المشقة ، او حاجة (خفيفة) كالاحتياج الى الادام مع وجود الخبز ــ فالظاهر جواز السؤال في جميع ذلك (مع رجحانه في الاول ، واباحته في الثاني ، ومرجوحيته في الثالث) ، بشرط اخلائه عن المحذورات المذكورة ،

(٥٨) الاستلاب بمعنى السلب ، وهو من باب الافتعال .
(٥٩) الضحى ، الآية : ١٠ .
(٦٠) صححنا اكثر الاحاديث هنا على مافي سفينة البحار الجزء الاول ص ٥٨٥ وكتاب الزكاة من الوسائل أبواب الصدقة باب ٢٣ــ ٣٧ واحياء الاحياء في كتاب الفقر .

أعني . الشكوى والذل والايذاء ، وتندفع هذه المحذورات بأن يظهرحاجته تعريضا بعد تقديم الشكر لله، واظهار الاستغناء عن الخلق عند بعض الاصدقاء أو الاسخياء ، اذ السؤال من الصديق لايوجب الاذلال ، والسخي لايتأذى بالسؤال بل يفرح به .

ثم ما ذكر انما هو في السؤال للاحتياج اليه بعد النسبة لما يحتاج اليه في الحال ، وأما السؤال لما يحتاج اليه في الاستقبال ، فان كان يحتاج اليه بعد السنة فهو حرام قطعا ، وان كان يحتاج اليه قبلها ، سواء كان بعد أربعين يوما من يومه أو خمسين او أقل او اكثر ، فان أمكنه السؤال عند بلوغ وقت الحاجة فلا يحل له السؤال ، وان علم بأنه لايتمكن من السؤال عنده فهو جائز مع الكراهة والمرجوحية ، وكلما كان تراخي الحاجة عن يومه أكثر كانت الكراهة أشد . ثم معرفة درجات الحاجة وضعفها وشدتها والوقت الذي يحتاج فيه موكول الى العبد ومنوط باجتهاده ونظره لنفسه بينه وبين الله ، فليعمل به بعد استغناء قلبه على ما يقتضيه سلوك طريق الآخرة ، وكلما كان يقينه أقوى ، وثقته بمجيء الرزق أتم ، وقناعته بقوت الوقت أظهر ، فدرجته عند الله أعلى .

فيا حبيبي ، لاتهبط نفسك من أوج التوكل والاعتماد على الله الى حضيض الخوف والاضطراب في مجيء رزقك ، ولا تصغ الى تخويف الشيطان ، فانه يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء ، وكن مطمئنا بوعد ربك ، اذ قال :

« والله يعدكم مغفرة منه وفضلا » (٦١) .

واسمع قول نبيك (ص) حيث قال : « لو توكلتم على الله حق توكله، لرزقتم كما ترزق الطيور ، تغدوا خماصا وتروح بطانا » .

ومنها :

الحرص

وهو معنى راتب في النفس ، باعث على جميع مالا يحتاج اليه ولايفيده من الاموال ، من دون ان ينتهي الى حد يكتفى به ، وهو اقوى شعب حب

(٦١) البقرة ، الآية : ٢٦٨ .

الدنيا واشهر انواعه . ولاريب في كونه ملكة مهلكة وصفة مضلة ، بل بادية مظلمة الارجاء والاطراف ، وهاوية غير متناهية الاعماق والاكناف ، من وقع فيها ضل وباد ، ومن سقط فيها هلك وما عاد . والتجربة والاعتبار والاخبار والآثار متظاهرة على ان الحريص لاينتهي الى حد يقف دونه ، بل لايزال يخوض في غمرات الدنيا الى أن يغرق ، وتطرحه ارض الى أرض حتى يهلك . قال رسول الله (ص) : « لو كان لابن آدم واديان من ذهب ، لابتغى وراءهما ثالثا ، ولا يملأ جوف ابن آدم الا التراب ، ويتوب الله على من تاب » . وقال (ص) : « منهومان لايشبعان : منهوم العلم ، ومنهوم المال » . وقال (ص) : « يشيب ابن آدم وتشب فيه خصلتان : الحرص ، وطول الامل » . وقال ابو جعفر الباقر (ع) : « مثل الحريص على الدنيا كمثل دودة القز ، كلما ازدادت على نفسها لفا كان أبعد لها من الخروج ، حتى تموت غما » . وقال الصادق (ع) : « ان فيما نزل به الوحي من السماء : لو أن لابن آدم واديين يسيلان ذهبا وفضة لابتغى لهما ثالثا . يابن آدم ، انما بطنك بحر من البحور وواد من الاودية ، لايملأه شيء الا التراب » . وقال بعض الاكابر : « من عجيب أمر الانسان ، انه لو نودي بدوام البقاء في أيام الدنيا لم يكن في قوى خلقته من الحرص على الجمع اكثر مما قد استعمله مع قصر مدة التمتع وتوقع الزوال » . ثم ما ورد من الاخبار في ذمه اكثر من ان تحصى ، ولا حاجة الى ايرادها لاشتهارها . وقال الباقر (ع) : « رب حريص على أمر قد شقي به حين أتاه ، ورب كاره لأمر قد سعد به حين أتاه » . وأي خسران أشد من أن يسعى الانسان في طلب به هلاكه ؟ وأي تأمل في أن كلما يحرص عليه الانسان من أموال الدنيا يكون مهلكا له ؟ !

وصل

القناعة

ضد الحرص (القناعة) . وهي ملكة للنفس : توجب الاكتفاء بقدر الحاجة والضرورة من المال ، من دون سعي وتعب في طلب الزائد عنه ، وهي صفة فاضلة يتوقف عليها كسب سائر الفضائل ، وعدمها يؤدي بالعبد

الى مساوي الاخلاق والرذائل ، وهي المظنة للوصول الى المقصد ، وأعظم الوسائل لتحصيل سعادة الابد ، اذ من قنـع بقدر الضرورة من المطعم والملبس ، ويقتصر على أقله قدرا أو أخسه نوعا ، ويرد أمله الى يومه أو الى شهره ، ولا يشغل قلبه بالزائد عن ذلك ، كان فارغ البال مجتمع الهم فيتمكن من الاشتغال بامر الدين وسلوك طريق الاخرة ، ومن فاتته القناعة وتدنس بالحرص والطمع وطول الامل ، وخاض في غمرات الدنيا ، تفرق قلبه وتشت امره . فكيف يمكنه التشمر لتحصيل أمر الدين والوصول الى درجات المتقين ؟ ولذلك ورد في مدح القناعـة ما ورد من الاخبار ، قـال رسول الله (ص) : « طوبى لمن هدى للاسلام ، وكان عيشه كفافا وقنع به وقال : « مامن أحد ، من غنى ولافقير ، الاود يوم القيامه أنه كان اوتى قوتا في الدنيا » . وقال (ع) ــ : « ايها الناس ، اجملوا في الطلب ، فانه ليس للعبد الا ماكتب له في الدنيا ، ولن يذهب عبد من الدنيا حتى يأتيه ماكتب له في الدنيا وهي راغمة » . وقال (ص) « نفث روح القـدس في روعى : انه لن تموت نفس حتى تستكمل رزقها . فاتقوا الله واجملوا في الطلب » . وقال (ص) : « كن ورعا تكن اعبد الناس ، وكن قانعا تكـن اشكر الناس ، واحب للناس ماتحب لنفسك تكن مؤمنا » وفي الخبر القدسى « يا ابن آدم ، لو كانت الدنيا كلها لك لم يكن لك منها الا القوت ،فاذا انا اعطيتك منها القوت وجعلت حسابها على غيرك ، فانا اليك محسن » . وروي : « ان موسى سأل ربه تعالى ، وقال : أي عبادك أغنى؟ قـال : اقنعهم لما اعطيته » . وقـال أمير المؤمنين (ع) : « ابن آدم » ، ان كنت تريد من الدينا ما يكفيك ، فان ايسر مافيها يكفيك ، وان كنت انما تريـد مالا يكفيك ، فان كل مافيها لايكفيك » وقـال ابو جعفر الباقر (ع) : « اياك ان تطمح بصرك الى من هو فوقك ، فكفى بما قال الله عز وجل لنبيه صلى الله عليه وآله :

« فلا تعجبك اموالهم ولا اولادهم » (٦٢) . وقال : « ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به أزواجا منهم زهرة الحياة الدنيا » (٦٣) .

---

(٦٢) التوبة ، الآية : ٥٦ .
(٦٣) طه ، الآية : ١٣١ .

فان دخلك من ذلك شيء ، فاذكر عيش رسول الله (ص) فانما كان قوته الشعير ، وحلواه التمر ، ووقوده السعف اذا وجده »[٦٤] وقال : « من قنع بما رزقه الله فهو من اغنى الناس » . وقال الصادق (ع) « من رضي من الله باليسير من المعاش رضي الله عنه باليسير من العمل » وقال : « مكتوب في التوراة : ابن آدم ، كن كيف شئت كما تدين تدان ، من رضي من الله بالقليل من الرزق قبل الله منه اليسير من العمل ، ومن رضي باليسير من الحلال خفت مؤنته وزكت مكسبته وخرج من حد الفجور » وقال : « ان الله عزوجل يقول : يحزن عبدي المؤمن ان قترت عليه ، وذلك اقرب له مني ، ويفرح عبدي المؤمن ان وسعت عليه ، وذلك ابعد له مني » وقال : « كلما ازداد العبد ايمانا ازداد ضيقا في معيشته » . والاخبار الواردة في فضيلة القناعة اكثر من ان تحصى ، وما اوردناه كاف لاهل البصيرة .

فصل

علاج الحرص

طريق المعالجة في ازالة الحرص وتحصيل القناعة : ان يتذكر اولا ما في القناعة من المدح والشرافة ، وعز النفس وفضيلة الحرية ، وما في الحرص من الذم والمهانة ، وتحمل الذلة ومتابعة الشهوة . ويعرف ان من لا يؤثر عز النفس على شهوة البطن ، فهو قليل العقل ناقص الايمان . ثم يتذكر ما في جميع المال من الآفات الدنيوية والعقوبات الاخروية ، ويكثر التأمل فيما مضى عليه عظماء الخلق وأعز اصنافهم ، اعني الانبياء والاوصياء ومن سار بسيرتهم من السلف الاتقياء ، من صبرهم على القليل ، وقناعتهم باليسير ، وفيما يجرى عليه الكفار من الهندو واليهود والنصارى وأراذل الناس واغنيائهم وامثالهم ، من التنعم وجمع المال الكثير . وبعد هذا التأمل لا أظنه يشك في أن الاقتداء بأعز الخلائق أحسن من الاقتداء باراذلهم ، بل المتأمل يعرف ان الحريص

(٦٤) صححنا الحديث وما قبله على ما في (الكافي) : باب القناعة ، وكذا الحديثين المذكورين بعده . الا ان هذا الحديث مروى في (الكافي) عن ابي جعفر — عليه السلام — . وروى في (الوسائل) عن كتاب الزهد ، في أبواب جهاد النفس من كتاب الجهاد : الباب ٦١ الحديث ١١ ، ما يقرب من عبارة هذا الحديث عن ابي عبدالله — عليه السلام — .

المتكالب على لذات الدنيا خارج عن افق الانسانية ، وداخل في جريدةالبهائم اذ الحرص على شهوات البطن والفرج من لوازم البهيمية ، واحرص الناس على الشهوات لايبلغ رتبة البهائم فيذلك . فمامن حريص على التنعم فيالبطن الا والحمار اكثر اكلا منه ، ومامن حريص على الجماع الا والخنزير اشدنزوا منه . فظهر ان الحريص في مرتبة الخنزير والحمار واليهود والهندو ، والقانع لايساهمه في الرتبة الا الانبياء والاولياء . وبعد التامل في جميع ماذكر ، يتم العلاج العلمى ، وبه تسهل ازالة الحرص واكتساب القناعة . فليبادر الى العلاج العملى ، وهو العمل بالاقتصاد في أمر المعيشة ، ليسد ابواب المخرج ماامكن ، ورد النفس الى مالا بدمنه . فان من كثر خرجه واتسع انفاقه ، لم تمكنه القناعة ، فان كان وحده ، اكتفى بثوب خشن ، ويقنع بأى طعام كان ويقلل من الادام ما امكنه ، وهكذا الحال في سائر مايضطر اليه ويوطن نفسه عليه . وان كان له عيال رد كل واحد منهم الى هذا القدر . واذا بنى أمره على الاقتصاد ، لم يحتج الى كثير جهد وان كان معيلا . قال رسول (ص) « ما عال من اقتصد »[٦٥] . وقال (ص) : « ثلاث منجيات : خشية الله في السر والعلانية ، والقصد في الغناء والفقر ، والعدل في الرضا والغضب » وقال : « التدبير نصف المعيشة » . وقال : « من اقتصد أغناه الله ، ومن بذر أفقره الله » . وقال : « الاقتصاد ، وحسن الصمت ، والهدى الصالح جزء من بضع وعشرين جزءاً من النبوة » . وقال أميرالمؤمنين عليه السلام : « القصد مثراة والسرف متواة »[٦٦] وقال السجاد عيه السلام — : « لينفق الرجل بالقصد وبلغة الكفاف ، ويقدم منه الفضل لآخرته ، فان ذلك أبقى للنعمة ، وأقرب الى المزيد من الله تعالى ، وانفع في العافية » . وقال الصادق عليه السلام : « ان القصد أمر يحبه الله ، وان السرف أمر يبغضه الله ،

(٦٥) روى في (سفينة البحار) : ٢ / ٤٣١ ، عن امير المؤمنين — عليه السلام — مثل هذا الحديث هكذا : « ما عال امرؤ اقتصد » . وكذا في (بحار الانوار) : ٢ مج ١٥ / ١٩٩ .

(٦٦) صححنا الحديث على مافي (الوافي) : ٥ / ٢٩٥ ، قال فيه : « كلاهما بكسر الميم : أسم آلة من الثروة . والتوى — بالمثناة — بمعنى الهلاك والتلف » .

حتى طرحك النواة ،فانها تصلح لشيء ، وحتى صبك فضل شرابك »[٦٧] .

وقال (ع) « ضمنت لمن اقصد ألا يفتقر » وقال (ع) —: « ان السرف يورث الفقر ، وان القصد يورث الغناء » والاخبار في مدح الاقتصاد أكثر من ان تحصى .

ثم اذا تيسرت له المعيشة في الحال ، فلا ينبغي ان يكون مضطربا لاجل الاستقبال ، ويعتمد على فضل الله ووعده بان الرزق الذى قدر له ياتيه وان لم يكن حريصا ولامضطربا لاجله ولايعلم لنفسه مدخلا يأتى رزقه منه وقال الله تعالى :

« وما من دابة فى الارض الا على الله رزقها » (٦٨) .

وقال : «ومن يتق الله يجعل له مخرجا . ويرزقه من حيث لايحتسب »(٦٩).

وقال رسول الله (ص) « أبى الله ان يرزق عبده المؤمن الا من حيث لايحتسب »

ثم ينبغي ألاينظر الى من هو فوقه ، بل ينظر الى من هو دونه في التنعم وفي مال الدنيا ، فان الشيطان يصرف نظره في امر الدنيا الى من هو فوقه ويقول : لم تفتر عن طلب الدنيا وارباب الاموال يتنعمون في المطاعم والملابس ويصرف نظره في امر الدين الى من هو دونه ، ويقول : لم تضيق على نفسك وتخاف الله وفلان أعلم منك ولايخاف الله ؟ قال ابو ذر(ره) : « اوصاني خليلي رسول الله ان انظر الى من هو دوني ، لا الى من هو فوقي في الدنيا وقال (ص) : اذا نظر احدكم الى من فضله الله عليه في المال والخلق ، فلينظر الى من هو أسفل منه » .

ومنها :

الطمــع

وهو التوقع من الناس في اموالهم ،وهو ايضا من شعب حب الدنيا ومن انوعه ، ومن الرذائل المهلكــة . قال رسول الله : « اياك والطمع ، فانه الفقر الحــاضر » . وقــال أمير المــؤمنين عليــه الســلام : « اســتغن عمــن شــئت تــكن نظــيره ، وارغب الى من شــئت تــكن اسيره

---

(٦٧) صححنا الحديث على مافى (الوافى) : ٥ / ٢٤٥ .

(٦٨) هود ، الآية : ٦ .

(٦٩) الطلاق ، الآية : ٢ — ٣ .

واحسن الى من شئت تكن أميره ». وقال الباقر (ع) « بئس العبد عبد له طمع يقوده وبئس العبد عبد له رغبةتذله » وقيل للصادق (ع) ماالذى يثبت الايمان في العبد ؟ قال : « الورع ، والذى يخرجه منه الطمع »[٧٠] والاخبار في ذم الطمع كثيره ، وكفى به ذما ان كل طامع يكون ذليلا مهينا عند الناس ، وان وثوقه بالناس واعتماده عليهم اكثر من وثوقه بالله ، اذلو كان اعتماده على الله اكثر من اعتمـاده على الناس لم يكن نظره اليهم ، بل لم يطمع من أحد شيئا الا من الله سبحانه .

وصــل

الاستغناء عن الناس

ضد الطمع هو (الاستغناء عن الناس) .وهو من الفضائل الموجبـة لتقرب العبد الى الله سبحانه ، اذ من استغنى بالله عن غير الله أحبه الله . والاخبار الآمرة بالاتصاف به والمادحة له كثيرة. قال رسول الله (ص) : « ليس الغني عن كثرة العروض ، انما الغنى غني النفس » . وقال لاعرابي طلبمنه موعظة : « اذا صليت فصل صلاة مودع ، ولا تحدثن بحديث تعتذر منه غدا ، واجمع اليأس عما في أيدي الناس » . وقال (ص) : « عليك باليأس عما في أيدي الناس ، فانه الغني الحاضر ».وقال أميرالمؤمنين — عليه السلام — : « ليجتمع في قلبك الافتقار الى الناس والاستغناء عنهم، فيكون افتقارك اليهم في لين كلامك وحسن بشرك ، ويكون استغناؤكعنهم في نزاهة عرضك وبقاء عزك » وقال سيد الساجدين (ع) : « رأيت الخير كله قد اجتمع في قطع الطمع عما في ايدي الناس ، ومن لم يرج النـاس في شيء ، ورد أمره الى الله تعالى في جميع أموره ، استجاب الله تعالى له في كل شيء» . وقال الباقر (ع) : « سخاء المرء عما في ايدي الناس اكثر من سخاء النفس والبذل ، ومروة الصبر في حال الفاقة والحاجة والتعفف والغنى اكثر من مروة الاعطاء ،وخير المال الثقة باللهواليأس ممافيأيدي الناس».

(٧٠) صححنا الحديث على (الكافى) فى باب الطمع كما اثبتناه ، لكن فى (سفينة البحار) : ٢ / ٩٣ ، رواه عن الصادق — عليه السلام — هكذا : « قال : قلت : ما الذي يثبت الايمان فى قلب العبد ؟ قال : الذي يثبته فيه الورع ، والذي يخرجه منه الطمع » .

وقال (ع) : « اليأس مما في ايدي الناس عز المؤمن في دينه » . وقال الصادق (ع) : « شرف المؤمن قيام الليل ، وعزه استغناؤه عن الناس » . وقال (ع) : « شيعتنا من لايسأل الناس ، ولو مات جوعا » . وقال (ع): « ثلاث هن فخر المؤمن وزينته في الدنيا والآخرة : الصلاة في آخر الليل، ويأسه مما في أيدي الناس،وولايته للامام من آل محمد — عليهم السلام— ». وقال (ع) : « اذا أراد أحدكم الا يسأل ربه شيئا الا اعطاه ، فلييأس من الناس كلهم ، ولا يكون له رجاء الا عند الله ، فاذا علم الله ذلك من قلبه، لم يسأل الله شيئا الا أعطاه » [71] . ثم طريق العلاج في قطع الطمع وكسب الاستغناء قريب مما ذكر فيعلاج ازالة الحرص وتحصيل القناعة،فتذكر. ومنها :

البخــل

وهو الامساك حيث ينبغي البذل ، كما أن الاسراف هو البذل حيث ينبغي الامساك ، وكلاهما مذمومان ، والمحمود هو الوسط ، وهو الجود والسخاء : اذ لم يؤمر رسول الله(ص) الابالسخاء ، وقيل له :

« ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط » (٧٢) .

وقال تعالى : «والذين اذا أنفقوا لميسرفوا ولم يقتروا وكانبينذلك قواما »(٧٣)

فالجود وسط بين الاقتار والاسراف ، وبين البسط والقبض ، وهو تقدير البذل والامساك بقدر الواجب اللائق . ولا يكفي في تحقق الجود والسخاء ان يفعل ذلك بالجوارح مالم يكن قلبه طيبا غير منازع له فيه. فان بذل فيمحل وجوب البذل ونفسه تنازعه وهو يضايرها فهو متسخ وليس بسخي ، بل ينبغي الا يكون لقلبه علاقة مع المال الا من حيث يراد المال له ، وهو صرفه الى ما يجب أو ينبغي صرفه اليه .

---

(٧١) صححنا الاحاديث هنا — ابتداء من الحديث المروي عن علي عليه السلام — على (الكافي) : باب الاستغناء عن الناس . و (الوسائل) : كتاب الزكاة ، ابواب الصدقة ، الباب ٣٧ .

(٧٢) الاسراء ، الآية : ٢٩ .

(٧٣) الفرقان ، الآية : ٦٧ .

فصــل

ذم البخل

البخل من ثمرات حب الدنيا ونتائجه ، وهــو من خبائث الصفات ورذائل الاخلاق . ولذا ورد في ذمه ما ورد من الآيات والاخبار . قــال الله سبحانه :

« الذين يبخلون ويامرون الناس بالبخل ويكتمون ما آتاهم الله من فضله. . . » الآية (٧٥) . وقال الله تعالى : « ولايحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم بل هو شر لهم سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة » (٧٦).

وقال رسول الله (ص) : « اياكم والشح ، فانه أهلك من كان قبلكم ، حملهم على أن سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم » . وقال (ص): «لايدخل الجنة بخيــل ، ولا خب ، ولا خائن ، ولاسيء الملكة » . وقال (ص) : «البخيل بعيد من الله ، بعيد من الناس ، بعيد من الجنة ، قريب من النار. وجاهل سخي أحب الى الله من عابد بخيل ، وأدوى الداء البخل » (٧٧) . وقال (ص) : « الموبقات ثلاث : شح مطاع ، وهوى متبع ، واعجاب المرء بنفسه » . وقال (ص) : « ان الله يبغض الشيخ الزاني ، والبخيل المنان، والمعيل المختال » . وقال (ص) « اياكم والشح ، فانما هلك من كان قبلكم بالشح ، امرهم بالكذب فكذبوا ، وامرهم بالظلم فظلموا وامرهم بالقطيعة فقطعوا » (٧٨) . وقال (ص) : « البخل شجرة تنبت في النار ، فلا يلج النار الا بخيل » . وقال : « خلق البخل من مقتة ، وجعل رأسه راسخا فيأصل شجرة الزقوم ، ودلى بعض أغصانها الى الدنيا ، فمن تعلق بغصن منهــا أدخله النار . الا ان البخل من الكفر ، والكفر في النار » . وقتل فيالجهاد رجل من اصحاب رسول الله (ص) فبكته باكية ، وقالت : واشــهيداه !

---

(٧٥) النساء ، الآية : ٣٦ .

(٧٦) آل عمران ، الآية : ١٨٠ .

(٧٧) الاحاديث كلها عامية ، صححناها على (احياء العلوم) و (احياء الاحياء) .

(٧٨) صححنا الحديث (على البحار) : ج٣ من المجلد الخامس عشر ص ١٤٣ ، وكذا الحديث المتقدم .

فقال النبي (ص) : « ما يدريك انه شهيد ؟ فلعله كان يتكلم بمالا يعنيه ، أو يبخل بما لا ينقصه » . وقال (ص) : « ان الله يبغض البخيل في حياته والسخي عند موته » . وقال (ص) : « السخي الجهول أحب الى الله عز وجل من العابد البخيل » . وقال :« الشح والايمان لا يجتمعان فيقلب واحد» . وقال أيضا : « خصلتان لا تجتمعان في مؤمن : البخل ، وسوء الخلق ». وقال (ص) : « لاينبغي للمؤمن ان يكون بخيلا ولا جبانا » . وقال (ص) : « يقول قائلكم : الشحيح أعذر من الظالم . وأي ظلمأظلمعند الله من الشح ؟ حلف الله بعزته وعظمته وجلاله لا يدخل الجنة شحيح ولا بخيل ». وقال : « اللهم اني أعوذ بك من البخل ! » . وروي «انه (ص) كان يطوف بالبيت ، فاذا رجل متعلق باستار الكعبة وهو يقول : بحرمة هذا البيت الا غفرت لي ذنبي ! قال رسول الله (ص) : وما ذنبك ؟ صفه لي . قال : هو أعظم من أن أصفه لك . قال : ويحك ! ذنبك أعظم أم الارضون ؟ قال بل ذنبي يا رسول الله . قال (ص) : ويحك ! ذنبك أعظم أم الجبال ؟ قال : بل ذنبي يا رسول الله . قال (ص) : فذنبك أعظم أم البحار ؟ قال : بل ذنبي يا رسول الله قال (ص) : فذنبك أعظم أم السماوات ؟ قال : بل ذنبي يا رسول الله . قال : ذنبك أعظم أم العرش ؟ قال : بل ذنبي يا رسول الله . قال : ذنبك أعظم أم الله ؟ قال : بل الله أعظم وأعلى وأجل . قال : ويحك ! فصف لي ذنبك . قال : يارسولالله اني رجل ذو ثروة من المال ، وان السائل ليأتيني ليسألني فكأنما يستقبلني بشعلة من النار . فقال رسول الله (ص) : اليك عني ! لاتحرقني بنارك! فوالذي بعثني بالهداية والكرامة ، لو قمت بين الركن والمقام ، ثم صليت الفي الف عام ،وبكيت حتى تجري من دموعك الانهار وتسقى بهاالاشجار ثم مت وأنت لئيم ، لأكبك الله في النار ! ويحك ! أما علمت أنالله يقول.

« ومن يبخل فانما يبخل عن نفسه » (٧٩) . « ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون » ؟ ! (٨٠) .

وقال أمير المؤمنين (ع) : « سيأتي على الناس زمان عضوض ، يعض

---

(٧٩) محمد ، الآية : ٣٨ .

(٨٠) الحشر ، الآية : ٩ . التغابن ، الآية : ١٦ .

المؤمن على مافي يديه ، ولم يؤمر بذلك . قال الله تعالى :

« ولا تنسوا الفضل بينكم » (٨١) .

وروي : « أنه ما من صباح الا وقد وكل الله تعالى ملكين يناديان : اللهم اجعل لكل ممسك تلفا ، ولكل منفك خلفا ! » . والاخبار في ذم البخل أكثر من أن تحصى ، مع أن تضمنه للمفاسد الدنيوية والاخروية مما يحكم به الوجدان ولا يحتاج الى دليل وبرهان ، حتى أن النظر الى البخيل يقسى القلب ، ومن كان له صفاء سريرة ، يكرب قلبه ويظلم من ملاقاته ، وقد قيل : (أبخل الناس بماله أجودهم بعرضه) .

وصل

السخاء

ضد البخل (السخاء) . وقد عرفت معناه ، وهو من ثمرة الزهد، كما أن البخل من ثمرة حب الدنيا . فينبغي لكل سالك لطريق الآخرة أن يكون حاله القناعة ان لم يكن له مال ، والسخاء واصطناع المعروف ان كان له مال. ولاريب في كون الجود والسخاء من شرائف الصفات ومعالي الاخلاق ، وهو أصل من أصول النجاة ، وأشهر أوصاف النبيين ، وأعرف أخلاق المرسلين. وما ورد في مدحه خارج عن حد الاحصاء ، قال رسول الله (ص): « السخاء شجرة من شجر الجنة ، أغصانها متدلية الى الارض ، فمن اخذ منها غصنا قاده ذلك الغصن الى الجنة». وقال (ص) : « ان السخاء من الايمان والايمان في الجنة » . وقال (ص) : « السخاء شجرة تنبت في الجنة ، فلا يلج الجنة الا سخي » . وقال (ص) : « قال الله سبحانه : ان هذا دين ارتضيته لنفسي ، ولن يصلحه الا السخاء وحسن الخلق ، فاكرموه بهما ما استطعتم » . وقال (ص) : « ما جعل الله أولياءه الا على السخاء وحسن الخلق » . وقال (ص) : « ان من موجبات المغفرة : بذل الطعام، وافشاء السلام ، وحسن الكلام » . وقال (ص) : « ان السخي قريب من الله ، قريب من الناس ، قريب من الجنة ، بعيد من النار » . وقال (ص):

---

٨١) البقرة ، الآية : ٢٣٧ .

« تجافوا عن ذنب السخي ، فان الله آخذ بيده كلما عثر » . وقال (ص): « طعام الجواد دواء ، وطعام البخيل داء » (٨٢) . وقال (ص) : « خلقان يحبهما الله ، وهما : حسن الخلق ، والسخاء » . وقال (ص) : « ان الله جواد يحب الجود ،ويحب معالي الاخلاق ، ويكره سفاسفها » .وقال(ص): « الرزق الى مطعم الطعام اسرع من السكين الى ذروة البعير ، وان الله تعالى ليباهي بمطعم الطعام الملائكة (ع): ». وقال (ص) : « ان عبادا يخصهم بالنعم لمنافع العباد ، فمن بخل بتلك المنافع عن العباد، نقلها الله عنه وحولها الى غيره» . وقال (ص) : « الجنة دار الاسخياء » . وقال (ص): « لشاب سخي مرهق في الذنوب ، أحب الى الله من شيخ عابد بخيل»(٨٣) . وقال (ص) : « اصنع المعروف الى من هو أهله والى من ليس بأهله ، فان أصبت أهله فقد أصبت أهله ، وان لم تصب أهله فأنت من أهلـه » . وقال (ص) : « ان بدلاء أمتي لم يدخلوا الجنة بصلاة ولا صيام ، ولكن دخلوها بسخاء الانفس ، وسلامة الصدور ، والنصح للمسلمين» . وقال — صلى الله عليه وآله وسلم — : « ان الله عز وجل جعل للمعروف وجوها من خلقه ، حبب اليهم المعروف وحبب اليهم فعاله ، ووجه طلاب المعروف اليهم ويسر عليهم اعطاءه ، كما ييسر الغيث الى البلدة الجدبة فيحييها ويحيي بها أهلها » . (ص) : « السخي محبب في السماوات ومحبب في الارضين ، خلق من طينة عذبة، وخلق عينيه ما الكوثر، والبخيل مبغض في السماوات مبغض في الارضين، خلق من طينة سبخة ، وخلق ماء عينيه من ماء العوسج » . وقال (ص) : « ان أفضل الناس ايمانا أبسطهم كفا » . وقال (ص) : « يؤتى يوم القيامة برجـل ، فيقال : احتج ، فيقول : يارب ، خلقتني وهديتني ؛ وأوسعت علي فلم أزل اوسع على خلقك ؛ وأنشر عليهم لكي تنشر علي هذا اليوم رحمتك وتيسره . فيقول الرب — تعالى ذكره — : صدق عبدي ، أدخلوه الجنة » . وروي : « انه أتى النبي (ص) وفـد من اليمن ، وفيهم رجل كان اعظمهم كلاما واشدهم استقصاء في محاجة النبي

(٨٢) « البحار » : ٢ مج ١٥ / ٢٢١ ، باب السخاء والسماحة .
(٨٣) صححنا الحديث على « البحار » في الموضع المتقدم : (الشحيح) بدل (البخيل) .

— صلى الله عليه وآله وسلم —: فغضب النبي حتى التوى عرق الغضب بين عينيه ، وتربد وجهه وأطرق الى الارض ، فأتاه جبرئيل (ص) فقال : ربك يقرئك السلام ، ويقول لك : هذا رجل سخي يطعم الطعام . فسكن عن النبي (ص) : الغضب ، ورفع رأسه ، وقال : لولا ان جبرئيل أخبرني عن الله عز وجل انك سخي تطعم الطعام لشردت بك، وجعلتك حديثا لمن خلفك! فقال له الرجل : ان ربك يحب السخاء ؟ فقال : نعم ! فقال : اني اشهد ألا اله الا الله ، وانك رسول الله ، والذي بعثك بالحق ، لا رددت عن مالي أحدا » [٨٤] ، وقال (ص) : « كل معروف صدقة ، وكل ماأنفق الرجل على نفسه وأهله كتب له صدقة ، وما وقى المرء به عرضه فهو له صدقة ، وما انفق الرجل من نفقة فعلى الله خلفها » . (ص) : « كل معروف صدقة والدال على الخير كفاعله ، والله تعالى يحب اغاثة اللهفان » . وروى :«انه أوحى الله الى موسى (ع) : لا تقتل السامري ، فانه سخي »[٨٥] . وقال عيسى (ع) : « استكثروا من شيء لا تأكله النار » ، قيل : وما هو ؟قال: « المعروف » .وقال أمير المؤمنين (ع) : « ومن يبسط يده بالمعروف اذا وجده ، يخلف الله له ما انفق في دنياه ، ويضاعف له في آخرتـه »[٨٦] . وقال الباقر (ع) : « ان الشمس لتطلع ومعها اربعة أملاك : ملك ينادي : ياصاحب الخير أتم وابشر ، وملك ينادي : يا صاحب الشر انزع واقصر، وملك ينادي : اعط منفقا خلفا وآت ممسكا تلفا ، وملك ينضح الارض بالماء ولولا ذلك اشتعلت الارض » . وقال الصادق (ع) لبعض جلسائه :«ألا اخبرك بشيء تقرب به من الله وتقرب من الجنة وتباعد من النار؟ » ، فقال: بلى . فقال : « عليك بالسخاء » . وقال : « خياركم سمحاؤكم ،وشراركم بخلاؤكم . ومن خالص الايمان : البر بالاخوان والسـعي في حوائجهم ، وأن البار باخوان ليحبه الرحمن ، وفي ذلك مرغمة للشيطان ، وتزحزح

---

(٨٤) صححنا الحديث على (سفينة البحار) : ١ / ٦٠٧ ، وعلى (الوافي): ٥ / ٢٩٣ ، في باب الجود والبخل . لكن بينهما اختـلاف يسير ، فرجحنا تصحيح الحديث على ما في (السفينة) .

(٨٥) الروايات كلها عامية ، صححناها على احياء العلوم : ٣ / ٢١٠ .

(٨٦) صححنا الحديث على (الوافي) : ٥ / ٢٩٤ ، باب الجود والبخل.

عن النيران ودخول الجنان » . وقال الكاظم (ع) : « السخي الحسن الخلق في كنف الله ، لا يستخلي الله منه حتى يدخله الجنة . وما بعث الله نبيا ولا وصيا الا سخيا ، ولا كان أحد من الصالحين الا سخيا ، وما زال ابي يوصيني بالسخاء حتى مضى » .

فصل

معرفة ما يجب ان يبذل

لعلك تقول : انك قلت : السخاء هو الوسط بين الاقتار والاسراف ، وهو صرف المال الى ما يجب أو ينبغي صرفه اليه ، وهذا غير كاف لمعرفة حد السخاء ، لتوقفه على معرفة ما يجب أو ينبغي ، وهو عندنا مبهم .

قلنا : مايجب أو ينبغي يتناول الواجب واللائق بحسب الشرع والمروة والعادة . فالسخي هو الذي يؤدي واجب الشرع وواجب المروة والعادة جميعا ، فان منع واحدا منها فهو بخيل ، وان كان الذي يمنع واجب الشرع أبخل . ثم ما يجب بذله شرعا مضبوط معين ، من الزكاة والخمس وغيرهما من أطيب ماله أو وسطه دون الخبيث منه ، والانفاق على أهله وعياله على قدر احتياجهم . فمن أدى جميع ذلك فقد أدى الواجب الشرعي ، ويستحق اسم السخي شرعا ، اذا كان الاداء بطيبة من قلبه ، من دون أن يشق عليه ، اذ لو شق عليه ذلك كان بخيلا بالطبع ومتسخيا بالتكلف . وأما مايجب مروة وعادة ، فهو ترك المضايقة في بذل ما يستقبح المضايقة فيه عرفا وعادة وهو يختلف في الاحوال والاشخاص ، فتستقبح من الغنى المضايقة مالا يستقبح من الفقير ، ومع الاهل والاقارب مالا يستقبح مع الاجانب ، ومع الجار مالا يستقبح من البعيد ، وفي الضيافة مالا يستقبح أقل منه في المبايعة والمعاملة ، ويستقبح من المضايقة في الاطعمة مالا يستقبح في غيرها . وبالجملة : يختلف ذلك بما فيه المضايقة من ضيافة أو معاملة ، وبما فيه المضايقة من طعام أو ثوب أو فرش أو غير ذلك ، وبمن معه المضايقة من صديق أو قريب أو جار أو أجنبي أو بعيد ، وبمن منه المضايقة من غني أو فقير أو أمير أو رعية او عالم أو جاهل أو صبي أو كامل . فالسخي هو الذي لا يمنع حيث ينبغي ألا يمنع شرعا أو مروة أو عادة ، والبخل من

يمنع شيئا مما ينبغي ألا يمنع شرعا أو مروة أو عادة • ولا يمكن التنصيص على مقدار ذلك ، فلعل حد البخل هو امساك لغرض ذلك الغرض أهم من حفظ المال ، وفي مقابله الجود والسخاء •

ثم من يؤدي الواجب ويحفظ العادة والمروة ، ولكن له مال كثير قد جمعه ، لايصرفه الى المحتاجين ولا ينفقه في الصدقات المستحبة ليكون له عدة على نوائب الزمان ، وان لم يكن بخيلا عند عوام الخلق ، ولكنه بخيل عند أهل الفطانة والكياسة • اذ التبري عن البخل والاتصاف بصفة الجود والسخاء لايتحقق عندهم مالم يبذل زيادة على قدر واجب الشرع وواجب المروة والعادة اللائقة به، لطلب الفضيلة والثواب ،ونيل الدرجات في الآخرة• وتختلف هذه الزيادة باختلاف مقدار ماله ، وباختلاف حاجة المحتاجين وصلاحهم وورعهم • فأتصافه بالجود ، بقدر ما تتسع له نفسه من قليل أو كثير ، وتختلف درجات ذلك • فأصطناع المعروف أمر وراء ما توجبه العادة والمروة ، وهو الجواد بشرط أن يكون عن طيبة من النفس ، ولا يكون لأجل غرض ، من خدمة او مدح وثناء • اذ من يبذل المال بعوض المدح والثناء او غيره فليس بجواد ، بل هو بياع يشتري المدح بماله ، لكون المدح ألذ عنده من المال •

فالجواد هو بذل الشيء عن طيبة من القلب من غير غرض ، وهذا وان كان حقيقة ، الا أنه لايتصور في غير حق الله ، اذ ما من انسان يبذل الشيء الا لغرض ، لكن اذا لم يكن غرضه الا الثواب في الآخرة ، ورفع الدرجات ، واكتساب فضيلة الجود، وتطهير النفس عن رذيلة البخل ، سمي جوادا ، وان كان غرضه شيئا من الامور الدنيوية لم يسم جوادا •

تنبيه

الايثار

أرفع درجات الجود والسخاء (الايثار) ، وهو أن يجود بالمال مع الحاجة اليه • قال الله سبحانه في معرض الثناء على أهل الايثار :

« ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة » (٨٧) •

(٨٧) الحشر ، الآية : ٩ •

وقال رسول الله (ص) : « ايما أمرؤ اشتهى شهوة فرد شهوتهوآثر على نفسه ، غفر له » .

وكان الايثار من شعار رسول الله (ص) ، ولقد قالت بعض زوجاته. « انه (ص) ما شبع ثلاثة أيام متوالية حتى فارق الدنيا ، ولو شئنا لشبعنا، ولكنا كنا نؤثر على أنفسنا » . وروى : « أن موسى بن عمران قال : يارب ، أرني بعض درجات محمد وامته . قال : ياموسى ، انك لن تطيق ذلك، لكني اريك منزلة من منازله ، جليلة عظيمة ، فضلته بها عليك وعلى جميع خلقي . قال [٨٨] : فكشف له عن ملكوت السماوات ، فنظر الى منزلة كادت أن تتلف نفسه من أنوارها وقربها من الله ، فقال : يارب ، بماذا بلغت به الى هذه الكرامة ؟ قال تعالى : بخلق اختصصته به من بينهم ، وهو الايثار. ياموسى ، لايأتيني أحد منهم قد عمل به وقتا من عمره الا استحييت من محاسبته ، وبوأته من جنتي حيث يشاء » . وسئل الصادق (ع) : « أي الصدقة أفضل ؟ قال (ع) : جهد المقل . أما سمعت قول الله عز وجل : ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ؟ » . وايثار علي (ع) غيره في جميع أوقات عمره مشهور ، وفي الكتب مسطور . ولقد آثر حياة رسول الله (ص) على حياته ليلة المبيت ، فباهي الله به الملائكة ، وأنزل فيه :

« ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله » (٨٩) .

ولقد كان الخواص من شيعته والمقتدون به في سنته وسيرته ، يجتهدون في المحافظة على هذه الفضيلة مهما أمكن .

فصل

علاج مرض البخل

علاج مرض البخل يتم بعلم وعمل . والعلم يرجع الى معرفة آفة البخل وفائدة الجود ، والعمل يرجع الى البذل على سبيل التكلف الى أن يصير طبعا له . فكل طالب لازالة البخل وكسب الجود ينبغي ان يكثر التأمل في اخبار ذم البخل ومدح السخاء ، وما توعد الله به على البخل من العذاب

(٨٨) اي الراوي .
(٨٩) البقرة ، الآية : ٢٠٧ .

العظيم ، ويكثر التأمل في أحوال البخلاء وفي نفرة الطبع عنهم ، حتى يعرف بنور المعرفة أن البذل خير له من الامساك في الدنيا والآخرة . ثم يكلف نفسه على البذل ومفارقة المال ، ولا يزال يفعل ذلك الى ان يهيج رغبته في البذل ، وكلما تحركت الرغبة ينبغي ان يجتنب الخاطر الاول ولا يتوقف ، لأن الشيطان يعده الفقر ويخوفه ويوسوسه بأنواع الوساوس الصادة عن البـذل .

ولو كان مرض البخل مزمنا غير مندفع بما مر ، فمن معالجاته ان يخدع نفسه بحسن الاسم والاشتهار بالجود ، فيبذل على قصد الرياء ،حتى تسمح نفسه بالبذل طمعا في الاشتهار بصفة الجود ، فيكون قد زال عن نفسه رذيلة البخل واكتسب خبث الرياء ، ولكن يتعطف بعد ذلـك على الرياء ويزيله بعلاجه ، ويكون طلب الشهرة والاسم كالتسلية للنفس عند فطامهـا عن المال ، كما يسلى الصبي عند فطامه عن الثدي باللعب بالعصافير وغيره ، لا لكون اللعب مطلوبا بذاته ، بل لينتقل من الثدى اليه ثم ينتقل عنه الى غيره . فكذلك هذه الصفات الخبيثة ينبغي ان يسلط بعضها على بعض حتى يندفع الجميع ، فتسلط الشهوة على الغضب حتى تكسر سورته بها ، ويسلط الغضب على الشهوة حتى تكسر رعونتها به . وقد جرت سنة الله بدفـع المؤذيات والمهلكات بعضها ببعض ، الى ان يندفع الجميع ، سواء كانت من الصفات المؤذية او من الاشخاص المؤذية من الظلمة والاشرار ، ألا ترى انه يسلط الظالمين والاشرار بعضهم على بعض الى أن يهلك الجميع ؟

ومثال ذلك — كما قيل — : ان الميت تستحيل جميع اجزائه دودا ، ثم يأكل بعض الديدان بعضا ، الى أن يرجع الى اثنين قويين ، ثم لايزالان يتقابلان ويتعارضان ، الى ان يغلب احدهما الآخر فيأكله ويسمن به ، ثم لايزال يبقى وحده جائعا الى أن يموت . فكذلك هـذه الصفات الخبيثة يمكن أن يسلط بعض على بعضها حتى يقمعها ، فيجعل الاضعف قوتا للاقوى ، الى ان لاتبقى الا واحدة . ثم تقع العناية بمحوها واذابتها بالمجاهدة ، وهو منع القوت منها ، أي عدم العمل بمقتضاها ، فانها تقتضي لا محالة آثارا فاذا خولفت خمدت وماتت . مثلا البخل يقتضي امساك المال ، فاذا منع مقتضاه

وبذل المال مع الجهد والمشقة مرة بعد أخرى،ماتت صفة البخل وصارت صفة البذل طبعا ، وسقط التعب والمشقة فيه .

ثم العمدة في علاجه أن يقطع سببه ، وسببه حب المال ، وسبب حب المال : اما حب الشهوات التى يتوقف الوصول اليها على المال مع طول الامل اذ لو لم يكن له طول امل وعلم انه يموت بعد ايام قلائل ربما لم يبخل بماله او ادخاره وابقاؤه لاولاده ، فانه يقدر بقاءهم كبقاء نفسه ، فيمسك المال لاجلهم ، او حبه عين المال من حيث انه مال فيجب ، فان بعض الناس من المشايخ والمعمرين يكون له من المال ما يكفيه لغاية ما يتصور من بقية عمره وتزيد معه اموال كثيرة ، ولا ولد له ليحتاط لأجله ، مع ذلك لاتسمح نفسه باخراج مثل الزكاة ومداواة نفسه عند المرض ، بل هو محب للدنانير ، عاشق لها ، يتلذذ بوجودها في يده ، مع علمه بانه عن قريب يموت ، فتضيع او تأخذها اعداؤه ، ومع ذلك لاتسمح نفسه بان يأكل منها او يتصدق ببعضها، وهذا مرض عسر العلاج ، لاسيما في كبر السن ، اذ حينئذ يكون المرض مزمنا والطبيعة المدافعة له قاصره والبدن ضعيفا . ومثله مثل من عشق شخصا فاحب رسوله ، ثم نسى محبوبه واشتغل برسوله فان الدنانير رسول مبلغ الى الحاجات . وهي محبوبة من هذه الحيثية ، لامن حيث انها دنانير ، فمن نسى الحاجات صارت الدنانير محبوبة عنده في نفسها ، فهو في غاية الضلالة والخسران ، بل من رأى بين الفاضل منها عن قدر الحاجة وبين الحجر فرقا ، فهو في غاية الجهل .

ثم لما كان الطريق في قطع سبب كل علة أن يواظب على ضد هذا السبب ، فيعالج حب الشهوات بالقناعة باليسير وبالصبر ، ويعالج طول الامل بكثرة ذكر الموت والنظر في موت الاقران وطول تعبهم في جمع المال وضياعه بعدهم ، ويعالج التفات القلب الى الاولاد بأن الذي خلقهم خلق أرزاقهم ، وكم من ولد لم يرث مالا من ابيه وحاله أحسن ممن ورث ،وبأن يعلم ان ولده ان كان تقيا صالحا فيكفيه الله ، وان كان فاسقا فيستعين بماله على المعصية وترجع مظلمته عليه ، ويعالج حب المال من حيث انه مال ، بأن يتفكر في مقاصد المال وانه لماذا خلق ، فلا يحفظ منه الا بقدر حاجته ، ويبذل الباقي على المستحقين وليبقى له ثوابه في الآخرة .

تذنيب

اعلم ان بذل الاموال وانفاقها المترتب على صفة الجود والسخاء يتناول امورا : بعضها واجب ، وبعضها مندوب . وقد ورد في فضيلة كل منها بخصوصه أخبار ، فلابد لنا ان نشير الى ذلك تأكيدا لبيان فضل السخاء، والى بعض مالها من الآداب والدقائق الباطنة ، ونحيل مالها من الاحكام والشروط الظاهرة الى كتب الفقه ، فنقول :

اما الامور الواجبة ، فأولها :

الزكاة

والآيات والاخبار الواردة في ذم تاركها ومدح فاعلها كثيرة . قال الله سبحانه :

« فاقيموا الصلاة وآتوا الزكاة » (٩٠) . وقال تعالى : « والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله فبشرهم بعذاب اليم » (٩١) .

ومعنى الانفاق في سبيل الله اخراج الزكاة ، كما ورد عن أهل البيت — عليهم السلام —، وأجمع عليه المفسرون . وقال رسول الله (ص) :« اذا منعت الزكاة منعت الارض بركاتها » . وقال الباقر(ع) : « ان الله عز وجل قرن الزكاة بالصلاة ، قال :

« فاقيموا الصلاة وآتوا الزكاة » (٩٢) .

فمن اقام الصلاة ولم يؤت الزكاة ،فلم يقم الصلاة » . وقال الصادق(ع): « مامن ذي مال ذهب أو فضة يمنع زكاة ماله ، الا حبسه الله يوم القيامة بقاع قرقر ، وسلط عليه شجاعا اقرع يريده وهو يحيد عنه ، فاذا رأى أنه لا يتخلص منه ، أمكنه من يده ، فقضمها كما يقضم الفحل ، ثم يصير طوقا في عنقه ، وذلك قول الله تعالى :

« سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة » (٩٣) .

وما من ذي مال ابل أو غنم أو بقر يمنع زكاة ماله ، الا حبسه الله

---

(٩٠) و (٩١) الحج ، الآية : ٧٨ . المجادلة ، الآية : ١٣ .
(٩٢) التوبة ، الآية : ٣٥ .
(٩٣) آل عمران ، الآية : ١٨٠ .

يوم القيامة بقاع قرقر ، تطأه كل ذات ظلف بظلفها ، وتنهشه كل ذات ناب بنابها ، ومامن ذي مال نخل أو كرم أو زرع يمنع زكاتها ، الا طوقه الله تعالى ريعة ارضه الى سبع ارضين الى يوم القيامة »[٩٤]. وقال (ع) : « ما فرض الله على هذه الامة شيئا اشد عليهم من الزكاة ، وفيها تهلك عامتهم » . وقال : « من منع قيراطا من الزكاة ، فليس بمؤمن ولا مسلم، وهو قوله تعالى :

« قال رب ارجعون ، لعلي أعمل صالحا فيما تركت » (٩٥) .

وقال (ع) : « انما وضعت الزكاة اختبارا للاغنياء ، ومعونة للفقراء. ولو ان الناس ادوا زكاة أموالهم ، مابقي مسلم فقيرا محتاجا ، ولا ستغنى بما فرض الله له . وان الناس ما افتقروا ولا احتاجوا ولا جاعوا ولا عروا الا بذنوب الاغنياء ، وحقيق على الله ان يمنع رحمته ممن منع حق الله في ماله. واقسم بالذي خلق الخلق وبسط الرزق : انه ما ضاع مال في بر ولا بحر الا بترك الزكاة . وما صيد صيد في بر ولا بحر الا بتركه التسبيح في ذلك اليوم ، وان أحب الناس الى الله تعالى أسخاهم كفا ، وأسخى الناس من أدى زكاة ماله ، ولم يبخل على المؤمنين بما افترض الله لهم في ماله». وقال (ع) « ان الزكاة ليس يحمد بها صاحبها ، وانما هو شيء ظاهر حقن بها دمه وسمي بها مسلما ، ولو لم يؤدها لم تقبل له صلاة »[٩٦].والاخبار في فضل الزكاة وذم تاركها اكثر من ان تحصى ، وما ذكرناه كاف لا يقاظ الطالبين .

فصل

سر وجوب الزكاة ، وفضيلة سائر الانفاقات

السر في ايجاب الزكاة ، بل فضيلة مطلق انفاق المال ، ثلاثـة امور :

---

(٩٤) قال في (الوافي) : ٦ / ٢٤١ ، باب الزكاة : « بيان (القاع) : الارض السهلة المطمئنة . و (القرقر): الارض المستوية اللينة . و (الشجاع) ــ بالضم والكسر ــ : الحية ، او الذكر منها ، او ضرب منها و (الفحل) ــ بالمهملة ــ : الذكر من كل حيوان ، ومن الابل خاصة ، وهو المراد هنا . (الرابع) ــ بكسر الراء وفتحها ــ : المرتفع من الارض » .
(٩٥) المؤمنون ، الآية : ٩٩ ــ ١٠٠ .

الاول ــ أن التوحيد العام الا يبقى للموحد محبوب سوى الواحد الفرد ، اذ المحبة لاتقبل الشركة ، والتوحيد باللسان قليل الجدوى ، وانما تمتحن درجة الحب بمفارقة سائر المحاب ، والاموال محبوبة عند الناس ، لانها آلة تمتعهم بالدنيا ، ولاجلها يأنسون بهذا العالم ، ويخافون من الموت ويتوحشون منه ، مع أن فيه لقاء المحبوب ، فامتحنوا في صدق دعواهم الحب التام لله تعالى بمفارقتهم عن بعض محابهم ، اعني المال ، ولذلك قال الله سبحانه :

« ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة » (٩٧) .

ولفهم هذا السر في بذل الاموال ، انقسم الناس بحسب درجاتهم في التوحيد والمحبة ثلاثة أقسام : (قسم) صدقوا التوحيد ووفوا بعهده ، ولم يجعلوا قلوبهم الا محلا لحب واحد . فنزلوا عن جميع أموالهم ، ولم يدخروا شيئا من الدرهم والدينار وغيرهما من انواع المال ، ولم يتعرضوا لوجوب الزكاة عليهم ، حتى قيل لبعضهم : كم يجب من الزكاة في مائتي درهم ؟ فقال : أما على العوام ــ بحكم الشرع ــ فخمسة دراهم ، وأما نحن ، فيجب علينا بذل الجميع . وسئل الصادق (ع) : « في كم تجب الزكاة من المال ؟ فقال : أما الزكاة الظاهرة ، ففي كل الف خمسة وعشرون، وأما الباطنة ، فلا تستأثر على أخيك بما هو أحوج اليه منك » . و(قسم) درجتهم دون هذا ، وهم الذين امسكوا أموالهم ، ولكنهم راقبوا مواقيت الحاجات ومراسم الخيرات ، ويكون قصدهم من الامساك الانفاق على قدر الحاجة ، دون التنعم ، وصرف الفاضل عن قدر الحاجة الى وجوه البر . وهؤلاء لا يقتصرون على اعطاء مجرد ما يجب عليهم من الزكاة والخمس ، بل يؤدون جميع انواع البر والمعروف أو اكثرها . و(قسم) اقتصروا على اداء الواجب ، فلا يزيدون عليه ولا ينقصون منه . وهو أدون الدرجات وأقل المراتب ، وهو درجة العوام الراغبين الى المال ، لجهلهم بحقيقته وفائدته، وضعف حبهم للآخرة .

الثاني ــ تطهير النفس عن رذيلة البخل ، فانه من المهلكات ــ كما تقدم ــ ، وانما تزول هذه الرذيلة ببذل المال مرة بعد أخرى حتى يتعود، اذ حب الشيء لاينقطع الا بقهر النفس على مفارقته ، حتى يصير ذلك اعتيادا.

(٩٧) التوبة ، الآية : ١١١ .

وعلى هذا ، فالانفاق يطهر صاحبه من خبث البخل المهلك ، وانما طهارته بقدر بذله ، وبقدر فرحه باخراجه واستبشاره بصرفه الى الله تعالى .

الثالث ــ شكر النعمة ، فان لله سبحانه على عبده نعمة في نفسه ونعمة في ماله . فالعبادات البدنية شكر لنعمة البدن ، والمالية شكر لنعمة المال . وما أقبح بالغني المسلم أن ينظر الى فقير مسلم، وقد ضيق الرزق عليه واحوج اليه ، ثم لاتسمح نفسه بأن يؤدي شكر الله تعالى على اغنائه عن السؤال ، واحواج غيره اليه ، باعطاء عشر او ربع عشر من ماله .

فصــل

الحث على التعجيل فى الاعطاء

ينبغي للمعطي المنفق ، عند ظهور داعية الخير من باطنه ، ان يغتنم الفرصة ، ويسارع الى الامتثال ، تعجيلا لادخال السرور في قلوب الفقراء، وحذرا عن عوائق الزمان المانعة عن الخيرات ، وعلما بأن في التأخير آفات، وتنبها بأن انبعاث داعية الخير لـمـة الملك ، وقلب المؤمن بين اصبعين من أصابع الرحمن ، فما اسرع تقلبه ، والشيطان يعد الفقر ويأمر بالفحشاء والمنكر ، وله لمة عقيب لمة الملك ، وصونا للفقراء عن الاضطرار الى السؤال اذ ورد : ان الاعطاء معه مكافاة لوجهه المبذول وثمن لما أخذ منه ،وليس بمعروف . وروي : « أن أمير المؤمنين (ع) بعث الى رجل بخمسة أوساق من تمر البغيبغة ، وكان الرجل ممن ترجى نوافله ، ويؤمل نائله ورفـده ، وكان لا يسأل عليا ولا غيره شيئا . فقال رجــل لأمير المؤمنين (ع) : والله ما سألك فلان شيئا! ولقد كان يجزيه من الخمسة أو ساق وسق واحد. فقال له أمير المؤمنين (ع) : لا كثر الله في المؤمنين ضربك ! اعطى أنا ، وتبخل أنت ! لله أنت ! اذا أنا لم أعط الذي يرجوني الا من بعد المسألة، ثم اعطيه بعد المسألة ، فلم اعطـه الا ثمن ما أخذت منه ، وذلك لاني عرضته أن يبذل لي وجهه الذي يعفره في التراب لربي وربه عز وجل عند تعبده له وطلب حوائجه اليه . فمن فعل هذا بأخيه المسلم ، وقد عرف أنه موضع لصلته ومعروفه ، فلم يصدق الله في دعائه ، حيث يتمنى له الجنة

بلسانه ، ويبخل عليه بالحطام من ماله »[٩٨] . ثم ينبغي أن يعين لأداء صدقته وقتا فاضلا ، كيوم الغدير وشهر ذي الحجة ، (لا) سيما العشرة الاولى ، أو شهر رمضان ، (لا) سيما العشرة الاخيرة . وقد ورد أن رسول الله (ص) كان اجود الخلق ، وكان في رمضان كالريح المرسلة ، لايسك فيه شيئا .

فصل

فضيلة اعلان الصدقة الواجبة

الصدقة الواجبة ، أعني الزكاة ، اعلانها أفضل من اسرارها ــ انكان في اظهارها ترغيب للناس في الاقتداء ، وأمن من تطرق الرياء ، ولم يكن الفقير بحيث يستحي من أخذها علانية . قال الصادق (ع) : « كلمافرض الله عليك ، فاعلانه أفضل من اسراره ، وكلما كان تطوعا فاسراره افضل من اعلانه ، ولو ان رجلا حمل زكاة ماله على عاتقه وعلانية ، كان ذلك حسنا جميلا » . وقال في قوله تعالى :

« وان تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم » (٩٩) :

« هي ما سوى الزكاة ، فان الزكاة علانية غير سر ». فلو دخل في نفسه الرياء مع الاظهار ، أو كان الفقير يستحي من أخذها علانية ، كان الاسرار بها أفضل : أما الاول : فظاهر ، وأما الثاني : فلما روى : «انه قيل لابيجعفر الباقر (ع) : الرجل من اصحابنا يستحيي من ان يأخذ من الزكاة، فاعطيه من الزكاة ولا اسمى له انها من الزكاة . فقال : اعطه ولا تسم له ، ولاتذل المؤمن » .

وبالجملة : الاعلان كما يتصور فيه فائدة الترغيب ، يتطرق اليه محذور الرياء والمن والأذى ، وذلك يختلف بالاحوال والاشخاص .فبالنظر الى بعض الاحوال والاشخاص ، يكون الاعلان افضل ، وبالنظر الىبعض

(٩٨) صححنا الحديث على (الوافى) : ٦ / ٢٨٦ ، باب آداب الاعطاء. قال : ((البغيبغة) ضيعة بالمدينة ، و (النوافل) : العطايا ، و ((لله انت !)): اي كن لله وانصفني فى القول .

(٩٩) البقرة ، الآية : ٢٧١ .

آخر ، يكون الاسرار أفضل . فلا بد لكل منفق أن يلاحظ حاله ووقته، ويقابل الفائدة بالمحذور ، ويختار ما هو الافضل . ومن عرف الفوائد والغوائل ، ولم ينظر بعين الشهوة ، اتضح له ماهو الاولى والاليق .

فصل

ذم المن والاذى في الصدقة

ينبغي للمتصدق أن يجتنب عن المن والاذى . قال الله سبحانه :

« لاتبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى » (١٠٠) . وقال : « قول معروف ومغفرة خير من صدقة يتبعها أذى » (١٠١) .

وقال رسول الله (ص) : « ان الله تبارك وتعالى كره لي ست خصال وكرهتهن للاوصياء من ولدي واتباعهم من بعدي : العبث في الصلاة ، والرفث في الصوم ، والمن بعد الصدقة ، واتيان المساجد جنبا ، والتطلع في الوفد ، والضحك بين القبور » .

و(المن) : أن يرى نفسه محسنا . ومن ثمراتها الظاهرة : الاظهار بالانفاق ، والتحدث به، وطلب المكافاة منه ،بالشكر والخدمة والتعظيم ؛ والمتابعة في الامور . و (الاذى): التعيير ، والتوبيخ ، والاستخفاف ، والاستخدام ، والقول السيء ، وتقطيب الوجه ، وهتك الستر . ثم معرفة الاذى ظاهرة ، وكذا معرفة الثمرات الظاهرة للمن . واما المن الباطني ، أي رؤية نفسه محسنا ، فيعرف بأن يكون استبعاده من خيانة القابض بعد العطاء اكثر من استبعاده منه قبله .

وعلاج المن : أن يعرف ان المحسن هو الفقير القابض لايصاله الثواب والانجاء من العذاب ، وكونه نائبا عن الله تعالى ، وكون ما يعطيه حقا من الله سبحانه ، أحال عليه الفقير انجازا لما وعده من الرزق . وعلاج الاذى : ان يعرف ان سببه استكثار العطاء وكراهية انفاق المال والتكبر على الفقير القابض برؤية نفسه خيرا منه ، لغنائه واحتياجه ، وجميع ذلك جهل وحماقة . اما استكثاره العطاء ، فلأن ما أعطاه بالنظر الى ما يطلبه لأجله

---

(١٠٠) البقرة ، الآية : ٢٦٤ .
(١٠١) البقرة ، الآية : ٢٦٣ .

من رضا الله وثواب الآخرة في غاية القلة والخسة ، وكيف يستعظم العاقل بذل خسيس فان اذا أخذ في مقابله ، خطيرا باقيا . واما استحقاره الفقير ، فلما تقدم من فضل الفقير على الغنى ، فكيف يرى نفسه خيرا منه ؟ وكفى للفقير فضلا : ان الله سبحانه جعل الغنى مسخرا له ، بأن يكتسب المال بالجهد والتعب ، ويسعى في حفظه ، ويسلمه الى الفقير بقدر حاجته ، ويكف عنه الفاضل الذي يضره لو سلمه اليه . فالغنى يخدم الفقير في طلب المال ، مع كون ما يحمد منه للفقير ، وكون ما يذم منه ، من تحمل المشاق وتقلد المظالم وحراسة الفضلات الى أن يموت فتأكله الاعداء ، على الغنى .

وبالجملة : العاقل ، بعد التأمل ، يعلم ان ما يعطيه قليل في مقابلة ما يأخذه ، وأن الفقير محسن اليه . قال أمير المؤمنين (ع) : « ومن علم أن ماصنع انما صنع الى نفسه ، لم يستبطىء الناس في شكرهم ، ولم يستزدهم في مودتهم ، فلا تلتمس من غيرك شكر ما أتيت الى نفسك ووقيت به عرضك ، وأعلم ان الطالب اليك لحاجة لم يكرم وجهه عن وجهك ، فاكرم وجهك عن رده » [١] . وينبغي للمحترز عن المن والاذى ان يتواضع ويتخضع للفقير عند اعطائه ، بأن يضع الصدقة لديه ، ويمثل قائما بين يديه ، او يبسط كفه ليأخذ الفقير ، وتكون يد الفقير هي العليا .

فصل

ما ينبغي للمعطي

ومما ينبغي للمعطي ان يستصغر العطية ليعظم عند الله ، وان استعظمها صغرت عند الله ، قال الصادق (ع) : « رأيت المعروف لايصلح الا بثلاث خصال : تصغيره ، وتستيره ، وتعجيله . فأنت اذا صغرته عظمته عند من تصنعه اليه ، واذا سترته تممته ، واذا عجلته هنأته ، وان كان غير ذلك محقته ونكدته » [٢] . واستعظام العطاء غير المن والاذى ، اذ الصرف الى عمارة المسجد ومثله يتأتى فيه الاستعظام ، ولا يتأتى فيه المن والاذى ، وأن يعطى

(١) صححنا الحديث على « الوافى » : ٦/ ٢٩٠ ، كتاب الزكاة ، باب ٥٧ المعروف وفضله .

(٢) صححنا الحديث على « الوافى » : ٢٩١/٦ ، كتاب الزكاة ، باب آداب المعروف .

الاجود والاحب والابعد عن الشبهة ، لأن الله طيب لايقبل الا طيبا ، واخراج غير الجيد سوء أدب بالنسبة الى الله ، اذ امساك الجيد لنفسه وأهله ، وانفاق الردىء في سبيل الله ، يوجب ايثار غير الله وترجيحه عليه ، ولو فعل هذا لضيف وقدم اليه أردأ طعام في البيت لانكسر قلبه ووغر به صدره .

هذا اذا كان نظره الى الله بأن يتصدق لوجه الله ، من غير ملاحظة عوض لنفسه في دار الآخرة ، وان كان نظره الى نفسه وثوابه في الآخرة، فلا ريب في أن العاقل لايؤثر غيره على نفسه ، وليس له من ماله الا ماتصدق فأبقى ، وأكل فأفنى . ولعظم فائدة انفاق الاجود الاحب ، وقبح انفاق الردىء الاخس ، قال الله تعالى :

« انفقوا من طيبات ما كسبتم ومما اخرجنا لكم من الارض ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون ولستم بآخذيه الا أن تغمضوا فيه » (٣) :

أي لاتأخذونه الا مع كراهية وحياء ، وهو معنى الاغماض ، وما هذا شأنه عندكم فلا تؤثروا به ربكم . وقال سبحانه :

« لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون ! » . (٤) وقال : **« ويجعلون لله ما يكرهون »** (٥) .

وفي الخبر : « سبق درهم مائة الف درهم » . وذلك بأن يخرجه الانسان وهو من أحل ماله وأجوده ، فيصدر ذلك عن الرضا والفرح بالبذل وقد يخرج مائة الف درهم مما يكره من ماله ، فيدل على أنه ليس يؤثر الله بشيء مما يحبه .

ومما ينبغي له أن يغني الفقير اذا قدر ، ففي الخبر اذا أعطيته فأغنه ، وأن يقبل يده بعد الاعطاء ، لانه يقع في يد الله تعالى اولا . قال أمير المؤمنين (ع) : « اذا ناولتم السائل فليرد الذي ناوله يده الى فيه فيقبلها ، فان الله عز وجل يأخذ الصدقات » . وقال النبي (ص) : « ماتقع صدقة المؤمن في يد السائل حتى تقع في يد الله » ، ثم تلا هذه الآية :

(٣) البقرة ، الآية : ٢٦٧ .
(٤) آل عمران ، الآية : ٩٢ .
(٥) النحل ، الآية : ٦٢ .

« ألم يعلموا أن الله هو يقبل التوبة عن عباده ويأخذ الصدقات ؟ » (٦).

وقال الصادق (ع) : « ان الله تعالى يقول : ما من شيء الا وقد وكلت به من يقبضه غيري ، الا الصدقة ، فاني اتلقفها بيدي تلقفا ، حتى أن الرجل ليتصدق بالتمر او بشق تمرة ، فاربيها له كما يربى الرجل فلوه وفصيله ، فتأتي يوم القيامة وهي مثل أحد وأعظم من أحد »[٧]. وأن يلتمس الدعاء من الفقير ، لأن دعاءه يستجاب فيه ، كما روى : « أن علي بن الحسين (ع) كان يقول للخادم : أمسك قليلا حتى يدعوا ، فان دعوة السائل الفقير لاترد » . وانه (ع) كان يأمر الخادم اذا أعطى السائل ، أن يأمره ان يدعو بالخير . وعن أحدهما — عليهما السلام — : « اذا اعطيتموهم فلقنوهم الدعاء ، فانه يستجاب لهم فيكم ، ولا يستجاب لهم في انفسهم » . وما قيل من أن أرباب القلوب لايتوقعون الدعاء من القابض ، لانه شبيه المكافاة ، وكانوا يقابلون الدعاء بمثله ، ولو أرسلوا معروفا الى فقير ، قالوا للرسول احفظ ما يدعو به ليردوا عليه مثل قوله ، خلاف طريقة أئمتنا الراشدين — عليهم السلام — ، فلا اعتبار به عندنا .

ومما ينبغي له أيضا ان يصرف الصدقات الى من يكثر باعطائه الاجر كأهل الورع والعلم ، وأرباب التقوى والصدق ، والكاملين في الايمان والتشيع . قال رسول الله (ص) : « لايأكل طعامك الا تقي » . وقال — صلى الله عليه وآله — : « أطعموا طعامكم الاتقياء » . وقال (ص) : « أضف بطعامك من تحبه في الله » . ولكن يرفعهم من الزكاة الواجبة والصدقات ، لأنها أوساخ الاموال ، ويوسع عليهم بالهدايا والصلات ، ففي الخبر : « مستحقو الزكاة المستضعفون من شيعة محمد وآله : الذين لم تقو بصائرهم ، وأما من قويت بصيرته وحسنت بالولاية لأوليائهم والبراءة من أعدائهم معرفته ، فذاك أخوكم في الدين ، أمس بكم رحما من الآباء والامهات المخالفين ، فلا تعطوه زكاة ولا صدقة ، فان موالينا وشيعتنا منا كالجسد الواحد ، تحرم على جماعتنا الزكاة والصدقة . وليكن ماتعطونه

(٦) التوبة ، الآية : ١٠٥ .
(٧) صححنا الحديث على (الوافي) : ٢٦٢/٦ ، باب فضل الصدقة .

أخوانكم المستبصرين البر ، وأرفعوهم عن الزكاة والصدقات ، ونزهوهم عن أن تصبوا عليهم أو ساخكم • أيحب أحدكم • ان يغسل وسخ بدنه ثم يصبه على أخيه المؤمن ؟ ان وسخ الذنوب أعظم من وسخ البدن ، فلا توسخوا اخوانكم ... » الحديث •

ولا ينبغي أن يصرف الى من نظره الى الوسائط ، بل ينبغي الصرف الى من بلغ مقام التوحيد ، ويرى النعمة من الله ، ولا ينظر الى الوسائط • اذ من لم يصف باطنه عن رؤية الوسائط الا من حيث أنهم وسائط ، فغير خال من نوع من الشرك الخفي • قال الصادق (ع) في قول الله تعالى :

« وما يؤمن اكثرهم بالله الا وهم مشركون » [٨٢] :

« هو قول الرجل : لولا فلان لهلكت ! ولولا فلان لما أصبت كذا ! ولولا فلان لضاع عيالي ! ألا ترى انه قد جعل لله شريكا في ملكه ، يرزقه أو يدفع عنه ؟ » ، فقال الراوي : يجوز ان يقال : لولا ان الله من علي بفلان لهلكت ؟ قال « نعم ! لا بأس بهذا » • ومن أهل المزية والاختصاص بالبذل اليه ، من كان مستترا ساترا للحاجة ، كائنا من أهل المروة ، متغشيا في جلباب التجمل ، محصورا في سبيل الله ، محبوسا في طريق الآخرة بعيلة او مرض او ضيق معيشة او اصلاح قلب او سبب آخر من الاسباب ، والاولى من الكل الاقارب وأولو الارحام من أهل الاحتياج ، فان الانفاق عليهم صدقة وصلة • وفي صلة الرحم من الثواب مالا يخفى ، قال أمير المؤمنين (ع) : « لإن أصل أخا من أخواني بدرهم ، أحب الي من أن أتصدق بعشرين درهما ، ولإن أصلهبعشرين درهما أحب الي من أن اتصدق بمائة درهم ، ولأن أصله بمائة درهم أحب الي من أن اعتق رقبة » • وفي خبر آخر : « لاصدقة وذو رحم محتاج ، الصدقة بعشرة والقرض بثمانية عشر ، وصلة الاخوان بعشرين ، وصلة الرحم بأربعة وعشرين » • وفي الخبر : « ان أفضل الصدقات والصلات الانفاق على ذي الرحم الكاشح »: يعني المبغض ، وكأنه لمخالفة الهوى وصدوره عن الخلوص والتقوى •

---

٨٢) يوسف ، الآية : ١٠٦ .

فصــل

ما ينبغي للفقراء في أخذ الصدقة

ينبغي للفقير الآخذ أن يعلم ان الله تعالى اوجب صرف المال اليه ليكفى مهمته ، فتتجرد للعبادة والاستعداد للموت ، فينبغي ان يتأهب لذلك ولا يصرفه عنه فضول الدنيا ، ويشكر الله على ذلك ، ويشكر المعطى ، فيدعو له ويثني عليه مع رؤية النعمة من الله سبحانه ، قال رسول الله (ص) : « من لم يشكر الناس لم يشكر الله » . وقال الصادق (ع) : « لعن الله قاطعي سبيل المعروف قيل : وما قاطعو سبل المعروف ؟ قال : الرجل يصنع اليه المعروف فيكفره . فيمنع صاحبه من أن يصنع ذلك الى غيره »[٩] وقال أمير المؤمنين (ع) : « من صنع بمثل ما صنع اليه فأنما كافاه ، ومن ضعفه كان شكورا ، ومن شكر كان كريما » .

وينبغي له أيضا ان يستر عيوب صاحب العطاء ، ولا يذمه ولايحقره ، ولا يعيره بالمنع اذا منع ، ويفخم عند نفسه وعند الناس اعطاءه ، بحيث لايخرجه عن كونه واسطة ، لئلا يكون مشركا ، وأن يتوقى مواقع الحرمة والريبة والشبهة في أصله ومقداره ، فلا يأخذ من لايحل ماله او يشتبه ، كعمال السلاطين والجنود ومن أكثر كسبه من الحرام ، ولا الزيادة على قدر الحاجة ، ولا يسأل على رؤس الملأ ممن يستحى الرد ، وأن يتورع العالم والمتقى من أخذ الزكاة والصدقات مالم يضطر اليها ، تنزيها لنفسه عن الاوساخ وأن يستر الاخذ بنية أنه ابقى لستر المروة والتعفف ، وأصون لنفسه عن الاهانة والاذلال ، وأعون للمعطي على الاخفاء والاسرار ،وسلم لقلوب الناس من الحسد وسوء الظن ، او يظهره بنية الاخلاص والصدق ، واظهار المسكنة والعبودية ، والتبرى عن الكبر ، وتلبيس الحال واقامة سيئة الشكر ، او غير ذلك ، فانه يختلف باختلاف النيات والاشخاص والاحوال ، ولكل امرىء ما نوى ، وكل مراقب للاحوال عارف بالفوائد والمفاسد ، يمكنه الاخـذ بالانفع الارجح .

---

(٩) صححنا الحديث على (الكافى) : ٣٣/٤ ، كتاب الزكاة ، باب من كفر المعروف . ط طهران ١٣٧٧ هـ .

تتميم

زكاة الابدان

أعلم أنه كما في المال زكاة فكذلك للبدن زكاة ، وهو نقصه ليزيدالخير والبركة لصاحبه . وهذا النقص اما أن يكون اختيارا ، بأن يصرف فيالطاعة ويمنع عن المعصية ، أو اضطرارا ، بأن يصاب بمرض وآفة . قال رسول الله — صلىالله عليه وآله — يوما لاصحابه : « ملعون كل مال لايزكى ، ملعون كل جسد لايزكى ، ولو في كل اربعين يوما مرة . قيل له : يارسول الله ، أما زكاة المال فقد عرفناها ، فما زكاة الاجساد ؟ قال (ص) : أن يصاب بآفة » . فتغيرت وجوه الذين سمعوا منه ذلك ،فلما رآهم قد تغيرتالوانهم، قال : « هل تدرون ما عنيت بقولي ؟ فقالوا : لا يارسول الله ! قال : ان الرجل يخدش الخدشة ، وينكب النكبة ، ويعثر العثرة ، ويمرض المرضة ، ويشاك الشوكة ، وما أشبه هذا ... » ، حتى ذكر في حديثه اختلاج العين . وقال (ص) : « لكل شيء زكاة ، وزكاة الابدان الصيام » . وقال الصادق (ع) : « على كل جزء من اجزائك زكاة واجبة لله عز وجل بل على كل منبت شعر من شعرك ، بل على كل لحظة من لحاظك زكاة . فزكاة العين : النظرة بالعبرة [١٠] والغض عن الشهوات وما يضاهيها . وزكاة الاذن : استماع العلم والحكمة والقرآن ،وفوائد الدين من الموعظة والنصيحة وما فيه نجاتك ، وبالاعراض عما هو ضده من الكذب والغيبة واشباههما. وزكاة اللسان : النصح للمسلمين ، والتيقظ للغافلين ، وكثرة التسبيحوالذكر وغيرها . وزكاة اليد : البذل والعطاء والسخاء بما أنعم اللهعليك به،وتحريكها بكتابة العلم ومنافع ينتفع بها المسلمون في طاعة الله تعالى ، والقبض عن الشر وزكاة الرجل : السعي في حقوق الله ، من زيارة الصالحين ، ومجالس الذكر ، واصلاح الناس ، وصلة الارحام ، والجهاد ، وما فيه صلاح قلبك وسلامة دينك » [١١].

---

(١٠) في نسخ (جامع السعادات) : « النظر بالعبر » ، ولعله الاولى .

(١١) صححنا الحديث على (مصباح الشريعة) : الباب ٢٢ ، وفيه اختلاف كثير عن نسخ (جامع السعادات) بما لم يخرج عن المعنى .

وثانيها :

الخمس

وقد فرضه الله تعالى على عباده صونا لذرية نبيه (ص) عن الافتقار ، وتنزيها لهم عن الصدقات التي هي اوساخ الناس، فقال سبحانه :

« واعلموا انما غنمتم من شيء فان لله خمسه وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل ، ان كنتم آمنتم بالله وما انزلنا على عبدنا يوم الفرقان يوم التقى الجمعان ، والله على كل شيء قدير » (١٢) .

والمستفاد من الآية : ان مانع الخمس لا ايمان له . وقال أميرالمؤمنين ـ عليه السلام ـ: « هلك النـاس في بطونهم وفروجهم ، لانهم لايؤدون الينا حقنا » . ولا ريب في عظم الثواب والاجر في أدائه وايصاله الى أهله، وكيف لا وهو اعانة ذرية الرسول (ص) وقضاء حوائجهم ، وقد قال رسول الله (ص) : « حقت شفاعتي لمن اعان ذريتي بيده ولسانه وماله » (١٣) . وقال (ص): « اربعة انالهم شفيع يوم القيامة : المكرم لذريتي ،والقاضي لهم حوائجهم ، والساعي لهم في أمورهم عندما اضطروا اليه ، والمحب لهم بقلبه ولسانه » . وقال (ص) : « من اصطنع الى أحد من أهل بيتي يدا ، كافيته يوم القيامة » . وعن الصادق (ع) قال: « اذا كان يوم القيامة ، نـادى مناد : أيها الخلائق ، انصتوا ، فان محمدا يكلمكم . فتنصت الخلائق ، فيقوم النبي (ص) فيقول : يامعشر الخلائق ، من كانت له عندي يد او منه أومعروف فليقم حتى أكافيه .فيقولون :بآبائنا وامهاتنا! وأي يد وأي منة وأي معروف لنا؟! بل اليد والمنة والمعروف لله ولرسوله على جميع الخلائق .فيقول لهم: بلى ! من آوى أحدا من أهل بيتي ، أو برهم ، او كساهم من عرى ، أو أشبع جائعهم ، فليقم حتى اكافيه . فيقوم اناس قد فعلوا ذلك ، فيأتي النداء من عند الله : يامحمد ، يا حبيبي ، قد جعلت مكافاتهم اليك ، فأسكنهم من الجنة حيث شئت. قال : فيسكنهم في الوسيلة حيث لايحجبون عن محمد

---

(١٢) الانفال ، الآية : ٤١ .

(١٣) صححنا هذا الحديث على(جامع الاخبار) : الباب ٢ ، الفصل ٦ .

وأهل بيته ـ صلوات الله عليهم » [١٤] • وقد ظهر مما تقدم بعض ماتعلق به من الاسرار والآداب والشرائط الباطنة •

وينبغي أن يكون معطيه في غاية الحذر عن استعظامه وعن المن والأذى، وأن يكون في غاية التخضع والتواضع للذرية العلوية عند اعطائه اياهم ، ويعلم أنه عبد من عباد الله ، اعطاه مولاه نبذا من امواله ، ثم امره بأن يوصل قليلا منها الى ذرية نبيه (ص)، وجعل له ايضا في مقابلة هذا الايصال زيادة المال في الدنيا وعظيم الاجر والثواب في العقبى • فما أقبح بالعاقل ـ مع ذلك ـ ان يستعظم ما يعطيه ، ويمن على اولاد نبيه (ص) •

وثالثها :

الانفاق على الاهل والعيال

والتوسع عليهم • وهو أيضا من الواجبات ، على النحو المقرر في كتب الفقه • وما ورد في مدحه وعظم اجره اكثر من أن يحصى ، قال رسول الله(ص): « الكاد على عياله كالمجاهد في سبيل الله »[١٥] وقال (ص) : « خيركم خيركم لأهله » • وقال (ص) : « المؤمن يأكل بشهوة أهله ، والمنافق يأكل أهله بشهوته »[١٦] • وقال : « أفضل الصدقة صدقة عن ظهر غني ، وابدا بمن تعول ،واليد العليا خير من اليد السفلى ،ولا يلوم الله على الكفاف»[١٧] • وقال (ص) : « دينار أنفقته على أهلك ، ودينار أنفقته في سبيل الله، ودينار أنفقته في رقبة ، ودينار تصدقت به على مسكين ، وأعظمها أجرا الدينار الذي انفقته على أهلك » • وقال (ص) : « ما أنفق الرجل على أهله فهو صدقة ، وان الرجل ليؤجر في رفع اللقمة الى فم امرأته » •وقال (ص) :

---

(١٤) صححنا الاحاديث الثلاثة الاخيرة على (الوسائل) : كتاب الامر بالمعروف ، ابواب الامر بالمعروف ، الباب ١٧.

(١٥) صححنا الحديث على (الوسائل) : كتاب التجارة ، أبواب مقدماتها الباب ٢٢ . وروي الحديث في (المستدرك) عن (غوالي اللئالي).

(١٦) صححنا الحديث على (الوسائل) : كتاب النكاح ، ابواب النفقات، الباب ٢١ . وكذا الحديث الآتي : « ملعون ملعون .... » .

(١٧) صححنا الحديث على (الوافي) : ٦/ ٢٨٩ ، وهو بمضمونه من المشهورات التي يرويها العامة والخاصة .

« من الذنوب ذنوب لا يكفرها الا الهم بطلب المعيشة » . وقال (ص) : « من كانت له ثلاث بنات ، فانفق عليهن وأحسن اليهن حتى يغنيهن الله عنه، أوجب الله تعالى له الجنة ، الا أن يعمل عملا لا يغفر الله له » . وقال (ص) يوما لاصحابه : « تصدقوا . فقال رجل : ان عندي دينار . قال انفقه على نفسك . فقال : ان عندي آخر قال : انفقه على زوجتك . قال : ان عندي آخر. قال: انفقه على ولدك . قال: ان عندي آخر . قال : انفقه على خادمك . قال: ان عندي آخر . قال (ص) : انت أبصر به » [١٨] . وقال (ص): «ملعون ملعون من القى كله على الناس ! ملعون ملعون من ضيع من يعوله ! »، وقال (ص) لأمير المؤمنين (ع) بعد ماراه في البيت ينقي العدس ، وفاطمة عليها السلام جالسة عند القدر : « اسمع مني يا أبا الحسن ، وما أقول الا من أمر ربي : مامن رجل يعين امرأته في بيتها ، الا كان له بكل شعرة على بدنه عبادة سنة صيام نهارها وقيام ليلها ، واعطاه الله من الثواب مثل ما أعطاه الصابرين وداود النبي ويعقوب وعيسى — عليهم السلام — . يا علي ، من كان في خدمة العيال في البيت ولم يأنف ، كتب الله اسمه في ديوان الشهداء ، وكتب له بكل يوم وليلة ثواب الف شهيد ، وكتب له بكل قدم ثواب حجة وعمرة ، واعطاه الله بكل عرق في جسده مدينة في الجنة . ياعلي ساعة في خدمة البيت خير من عبادة الف سنة ، والف حجة ،والف عمرة ، وخير من عتق الف رقبة ، والف غزوة ، والف مريض عاده ، والف جمعة والف جنازة ، والف جائع يشبعهم ، والف عار يكسوهم ، والف فرس يوجهه في سبيل الله ، وخير له من الف دينار يتصدق على المساكين ، وخير له من أن يقرأ التوراة والانجيل والزبور والفرقان ، ومن ألف أسيرة اشتراها فأعتقها ، وخير له من الف بدنة يعطي للمساكين ، ولا يخرج من الدنيا حتى يرى مكانه في الجنة . ياعلي ، من لم يأنف من خدمة العيال دخل الجنة بغير حساب . يا علي ، خدمة العيال كفارة للكبائر ، وتطفىء غضب الرب ، ومهور حور العين ، وتزيد في الحسنات والدرجات . يا علي ، لايخدم العيال

---

(١٨) صححنا الحديث على (احياء العلوم) : ١ / ٢٠٣ .

الا صديق أو شهيد ، او رجل يريد الله به خير الدنيا والآخرة » [١٩] .

وقال السجاد (ع) : « أرضاكم عند الله أسبغكم على عياله » . وقال — عليه السلام — : « لئن ادخل السوق ، ومعي دراهم ابتاع لعيالي لحما ، وقد قرموا [٢٠] اليه ، أحب الي من ان اعتق نسمة » . وقال الصادق (ع): « كفى بالمرء اثما ان يضيع من يعوله » . وقال (ع) : « من سعادة الرجل أن يكون القيم على عياله » . وقال الكاظم (ع) : « ان عيال الرجل اسراؤه ، فمن انعم الله عليه نعمة فليوسع على اسرائه ، فان لم يفعل أوشك ان تزول النعمة » . وقال ابو الحسن الرضا (ع) : « ينبغي للرجل ان يوسع على عياله لئلا يتمنوا موته » . وقال (ع) : « صاحب النعمة يجب عليه التوسعة على عياله » [٢١] . والاخبار الواردة في ثواب الانفاق على العيال وخدمتهم والتوسع عليهم مما لاتعد كثرة . وما ذكرناه كاف لايقاظ أهل الاستبصار .

فصل

ماينبغي فى الانفاق على العيال

ينبغي لطالب الاجر والثواب في انفاق العيال : ان يقصد في كده وسعيه في تحصيل النفقة وفي انفاقه وجه الله وثواب الآخرة ، اذ لاثواب بدون القربة ، وأن يجتنب عن تحصيل الحرام والشبهة ، ولا يدخل على عياله الا الحلال ، اذ أخذ الحرام وانفاقه أعظم الذنوب وأشد المعاصي ، وأن يقصد في التحصيل والانفاق ، فليحترز عن الاقتار لئلا يضيع عياله ، وعن الاسراف لئلا يضيع عمره في طلب المال ، فيكون من الخاسرين الهالكين . قال الله

---

(١٩) صححنا الحديث على (جامع الاخبار) : الباب ٨ ، الفصل ٣ ، طبع بمبي سنة ١٣٣٨ . ولم نعثر على الحديث فى الكتب المعتبرة . الا انه فى (مستدرك الوسائل) نقله عن (جامع الاخبار) نفسه فى ابواب مقدمات التجارة : الباب ١٧ .

(٢٠) قال فى (الوافى) : ٢٨٨/٦ ، باب التوسيع على العيال ، فى شرح هذا الحديث : « القرم : شدة شهوة اللحم » .

(٢١) صححنا الاحاديث ،ابتداء من الرواية عن السجاد، على (الوسائل): كتاب النكاح ، ابواب النفقات ، الباب ٢٠ و٢١ .

سبحانه :

« وكلوا واشربوا ولا تسرفوا » (٢٢) . وقال : « ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط » (٢٣) . وقال : « والذين اذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما » (٢٤) .

وعن الصادق (ع) : « أنه تلا هذه الآية : (والذين اذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما) ، فأخذ قبضة من حصى وقبضها بيده ، فقال : هذا الاقتار الذي ذكره الله في كتابه . ثم أخذ قبضه أخرى، فأرخى كفه كلها ، ثم قال : هذا الاسراف . ثم أخذ قبضة أخرى ، فأرخى بعضها وأمسك بعضها ، وقال : هذا القوام » [٢٥] . وينبغي ألا يستأثر نفسه أو بعض عياله بمأكول طيب ، ولا يطعم سائرهم منه، فان ذلك يوغر الصدر ويبعد عن المعاشرة بالمعروف ، الا أن يضطر اليه ، لمرض او ضعف او غير ذلك . وينبغي ألا يصف عندهم طعاما ليس يريد اطعامهم اياه ، وأن يقعد عياله كلهم على مائدة عند الاكل ، فقد روى : « ان الله وملائكته يصلون على أهل بيت يأكلون في جماعة » .

وأما الامور المستحبة من الانفاق ، الداخلة تحت السخاء ، فأولها :

صدقة التطوع

وفضلها عظيم ، وفوائدها الدنيوية والاخروية كثيرة . قال رسول الله ـ صلى الله عليه وآله ـ : « تصدقوا ولو بتمرة ، فانها تسد من الجائع ، وتطفىء الخطيئة ، كما يطفىء الماء النار » . وقال (ص) : « اتقوا النار ولو بشق تمرة ، فان لم تجدوا فبكلمة طيبة » . وقال (ص) : « مامن عبد مسلم يتصدق بصدقة من كسب طيب ، ولا يقبل الله الا طيبا ، الاكان الله آخذها بيمينه ، فيربيها له كما يربى أحدكم فصيله ، حتى تبلغ التمرة

(٢٢) الاعراف ، الآية : ٣٠ .
(٢٣) الاسراء ، الآية : ٢٩ .
(٢٤) الفرقان ، الآية : ٦٧ .
(٢٥) صححنا الحديث على (الوافي) : ٢٩٦/٦ . باب فضل القصد بين الاسراف والتقتير

مثل أحد » . وقال (ص) : « ما أحسن عبد الصدقة الا أحسن الله عز وجل الخلافة على تركته » . وقال (ص) : « كل أمرىء في ظل صدقته ، حتى يقضي بين الناس » . وقال (ص) : « أرض القيامة نار ، ماخلا ظل المؤمن ، فان صدقته تظله » . وقال (ص) : « ان الله لا آله الا هو ، ليدفع بالصدقة الداء والدبيلة : والحرق والغرق ، والهدم والجنون ... » وعد سبعين باباً من الشر . وقال (ص) : « صدقة السر تطفىء غضب الرب عز وجل »[٢٦] . وقال (ص) : « اذا أطرقكم سائل ذكر بالليل فلا تردوه » .

وفائدة التخصيص بالذكر والليل : ان من يسألك ليلا في صورة الانسان ، يحتمل ان يكون ملكا أتاك للامتحان ، كما روى : « أنه سبحانه أوحى الى موسى بن عمران (ع) ، وقال : ياموسى ، أكرم السائل ببذل يسير او برد جميل ، انه يأتيك من ليس بإنس ولا جان ، بل ملائكة من ملائكة الرحمن ، يبلونك فيما خولتك ، ويسألونك فيما نولتك ، فانظر كيف أنت صانع يابن عمران » . ولذلك حث رسول الله (ص) على عدم رد السائل ، وقال : « اعط السائل ولو على ظهر فرس » . وقال (ص) : « لاتقطعوا على السائل مسألته ، فلولا ان المساكين يكذبون ما أفلح من ردهم » . وقال الباقر (ع) : « البر والصدقة ينفيان الفقر ، ويزيدان في العمر ، ويدفعان عن صاحبهما سبعين ميتة سوء » . وقال الصادق (ع) : « داووا مرضاكم بالصدقة ، وأدفعوا البلاء بالدعاء ، واستنزلوا الرزق بالصدقة، فانها تفك من بين لحي سبعمائة شيطان ، وليس شيء أثقل على الشيطان من الصدقة على المؤمن ، وهي تقع في يد الرب تعالى قبل ان تقع في يد العبد» . وقال (ع) : « الصدقة باليد تقي ميتة السوء ، وتدفع سبعين نوعا من البلاء، وتفك عن لحي سبعين شيطانا كلهم يأمره ألا يفعل » . وقال (ع) : « يستحب للمريض ان يعطي السائل بيده ، ويأمره ان يدعو له » . وقال عليه السلام : « باكروا بالصدقة ، فان البلاء لايتخطاها ، ومن تصدق بصدقة

---

(٢٦) الاخبار النبوية المذكورة فى هذا الفصل اغلبها عامية صححناها على (احياء العلوم) : ج١ بيان فضيلة الصدقة .

اول النهار رفع الله عنه شر ماينزل من السماء في ذلك اليوم ، فان تصدق اول الليل دفع الله شر ماينزل من السماء في تلك الليلة » • وكان (ع) اذا أعتم أي صلى العتمة ــ وذهب من الليل شطره ، أخذ جرابا فيه خبز ولحم ودراهم ، فحمله على عنقه ، ثم ذهب به الى أهل الحاجة من أهل المدينة ، فقسمه فيهم ولا يعرفونه ، فلما مضى أبو عبدالله (ع) ، فقدوا ذلك ، فعلموا أنه كان أبا عبدالله (ع) • وسئل (ع) عن السائل يسأل ولا يدري ماهو، فقال : « اعط من أوقع في قلبك الرحمة » • وقال (ع) في السؤال : « اطعموا ثلاثة ، وان شئتم ان تزدادوا فأزدادوا ، والا فقد أديتم حق يومكم » • وقال (ع) في الرجل يعطي غيره الدراهم يقسمها ، قال : «يجري له من الاجر مثل ما يجري للمعطي ، ولا ينقص من أجره شيئا • ولو أن المعروف جرى على سبعين يد ، لأوجروا كلهم من غير أن ينقص من أجر صاحبه شي » • وقد وردت أخبار كثيرة في فضل تصدق الماء وثوابه ، قال أمير المؤمنين (ع) : « اول ما يبدأ به في الآخرة صدقة الماء ، يعني في الاجر» •وقال ابو جعفر (ع): « ان الله تعالى يحب ابراد الكبد الحراء،ومن سقى الماء كبدا حراء ، من بهيمة وغيرها ، أظله الله في ظل عرشه يوم لاظل الا ظله » • وقال الصادق (ع) : « من سقى الماء في موضع يوجد فيه الماء ، كان كمن أعتق رقبة ، ومن سقى الماء في موضع لايوجد فيه الماء ، كان كمن احيى نفسا ، ومن أحيى نفسا فكأنما احيى الناس جميعا » •

(تنبيه) : سئل رسول الله (ص) : « أي الصدقة أفضل ؟ قال : أن تتصدق وانت صحيح شحيح ، تأمل البقاء وتخشى الفاقة ، ولا تمهل حتى اذا بلغت الحلقوم قلت : لفلان كذا ولفلان كذا » •

فصل

فضيلة الاسرار في الصدقة المندوبة

لاكلام في ان الاسرار في الصدقة المندوبة افضل من اظهارها للمعطى في اعطائها ، ويدل عليه قول الصادق (ع) : « الصدقة في السر والله أفضل

من الصدقة في العلانية » [٢٧] . وقوله (ع) : « كلما فرض الله عليك ، فإعلانه افضل من أسراره ، وكلما كان تطوعا ، فأسراره افضل من اعلانه » .

وانما الكلام في أن الافضل للآخذ في أخذها ، ان يأخذهـا سرا أو علانية . فقيل : الافضل له أخذها ، لانه ابقى للتعفف وستر المروة ، واسلم لقلوب الناس والسنتهم من الحسد وسوء الظن والغيبة ، وعون للمعطي على أسرار العمل ، وقد علمت افضلية السر على الجهر في الاعطاء ، وأصون لنفسه عن الاذلال والاهانة ، وأخلص من شوب شركة الحضار ، فان المستفاد من الاخبار : أن الحضار شركاء من أهدى له في الهدية . والظاهر ان الصدقة مثلها اذا كان الحضار من أهلها . قال رسول الله (ص) : « من أهدى له هدية وعنده قوم ، فهم شركاؤه فيها » . وقال الباقر (ع) : « جلساء الرجل شركاؤه في الهدية » . وقال (ع) : « اذا أهدى للرجل هدية من طعام ، وعنده قوم ، فهم شركاؤه في الهدية الفاكهة او غيرها » . وقيل : الافضل أخذها علانية ، والتحدث بها ، لتنقية الكبر والرياء ، وتلبيس الحال، وايجابه الاخلاص والصدق ، واقامة منة الشكر ، واسقاط الجاه والمنزلة ، واظهار العبودية والمسكنة ، مع أن العارف ينبغي ألا ينظر الا الى الله ، والسر والعلانية في حقه واحد ، فأختلاف الحال شرك في التوحيد .

والحق أن الحكم بأفضلية أحدهما على الاطلاق غير صحيح ، اذ تختلف أفضلية كل منهما بأختلاف النيات ، وتختلف النيات بأختـلاف الاحوال والاشخاص .

فينبغي لطالب السعادة أن يراقب نفسه ، ويلاحظ حاله ووقته ، ويرى ان أي الحالتين من السر والجهر بالنظر اليه أقرب الى الخلوص والقربة ، وأبعد من الرياء والتلبيس وسائر الآفات، فيختار ذلك، ولايتدلى بحبل الغرور ولا ينخدع بتلبيس الطبع ومكر الشيطان . مثلا اذا كان طبعه مائلا الى الاسرار ، ورأى ان باعث هذا الميل حفظ الجاه والمنزلة ، وخوف سقوط

---

(٢٧) صححنا اغلب هذه الاخبار المروية عن اهل البيت — عليهم السلام— فى هذا المقام على (الوافى) : ٦/٢٨٢ ، ٢٨٤ باب فضل الصدقة وباب فضل صدقة السر .

القدر من أعين الناس ، ونظر الخلق اليه بعين الازدراء ، والى المعطى كونه منعما محسنا اليه ، او خوف ألا يعطيه الناس بعد ذلك لعلمهم بما أخذه ، فلينتقل عن الاسرار ويأخذها علانية ، اذ لو ابقى نفسه على ما أستكن فيها من الداء الدفين ، وعمل بمقتضاها ، صار هالكا — وان كان طبعه مائلا الى الاسرار ، وأيقن بأن باعث الميل اليه : ابقاء التعفف ، وستر المروءة ، وصيانة الناس عن الحسد ، وسوء الظن والغيبة ، ولم يكن باعثه شيء من المفاسد المذكورة ، فالاولى ان يأخذها سرا • ويعرف ذلك بأن يكون تألمه بانكشاف أخذه للصدقة كتألمه بانكشاف صدقة أخذها بعض اقرانه وأخوانه المؤمنين ، فانه ان كان طالبا لبقاء السر واعانة المعطى على الاسرار ، وصيانة العلم عن الابتذال ، وحفظ الناس عن الحسد والغيبة وسوء الظن ، فينبغي أن يكون طالبا لها في صدقة أخيه أيضا ، اذ يحصل ما يحذر منه : من هتك الستر ، وابتذال العلم ، ووقوع الناس في الغيبة والحسد بانكشاف صدقة أخيه أيضا • فان كان انكشاف صدقته أثقل عليه من انكشاف صدقة غيره ، فتقديره الحذر من هذه المعاني تلبيس من النفس ومكر من الشيطان • واذا كان طبعه مائلا الى الاظهار ، ووجد منه أن باعث هذا الميل هو التطيب لقلب المعطى ، والاستحثاث له على مثله ، والاظهار للغير بأنه من المبالغين في الشكر ، حتى يرغبوا في الاحسان اليه ، فليتنبه أن هذا الداء من الداء الدفين الذي يهلكه لو لم يعالجه ، فليترك أخذها جهرا والتحدث بها ، وينتقل الى الاخذ خفية • وان تيقن من نفسه بأن الباعث هو اقامة السنة في الشكر ، والتحدث بالنعمة ، واسقاط الجاه والمنزلة ، واظهار العبودية والمسكنة ، او غير ذلك من المقاصد الصحيحة ، من دون تطرق شيء من المفاسد المذكورة ، فالاظهار أفضل ، ويعرف ذلك بأن تميل نفسه الى الشكر ، حيث لاينتهي الخبر الى المعطي ولا الى من يرغب في عطائه ، وبين يدي جماعة يعلم أنهم يكرهون اظهار العطية ، ويرغبون في اخفائها ، وعادتهم ألا يعطوها الا من يخفيها ولا يتحدث بها ولا يشكر عليها • ثم اذا جزم يكون الباعث اقامة السنة في الشكر ، فينبغي ان يغفل عن قضاء حق المعطي ، فينظر انه ان كان ممن يحب الشكر والنشر فيخفى الاخذ ولا يشكر ، لان قضاء حقه ألا

ينصره على الاثم ، وان كان ممن لايحب الشكر ولا يطلب النشر ، فالاولى ان يشكره ويظهر صدقته •

وينبغي لكل من يراعي قلبه ان يلاحظ هذه الدقائق ولا يهملها ، اذ اعمال الجوارح مع أهمالها ضحكة للشيطان وشماتة له ، لكثرة التعب فيها مع عدم تصور نفع لها ، والعلم بهذه الدقائق وملاحظتها هو العلم الذي ورد فيه أن تعلم مسألة واحدة منه أفضل من عبادة سنة ، اذ بهذا العلم تحيى عبادة العمر ، وبالجهل به تموت عبادة العمر •

وثانيها :

الهدية

وهي ما يعطي ويرسل الى أخيه المسلم ، فقيرا كان أم غنيا ، طلبا للاستيناس ، وتأكيدا للصحبة والتودد • وهو مندوب اليه من الشرع ، ومع سلامة القصد والنية يكون عبادة • قال رسول الله (ص) : « تحابوا تهادوا ، فانها تذهب بالضغائن » • وقال (ص) : « لو أهدى الي ذراع لقبلت » • وقال أمير المؤمنين (ع) : « لان اهدى لأخي المسلم هدية أحب الي من أن اتصدق بمثلها » • وقال (ع) : « من تكرمة الرجل لأخيه المسلم ، أن يقبل تحفته وان يتحفه بما عنده ، ولا يتكلف له شيئا » •

وثالثها :

الضيافة

وثوابها جزيل ، وأجرها جميل ، وفضلها عظيم ، وثمرها جسيم • قال رسول الله (ص) : « لاخير فيمن لايضيف » • ومر (ص) برجل له ابل وبقر كثير ، فلم يضيفه ، ومر بأمرأة لها شويهات ، فذبحت له ، فقال (ع) : « انظروا اليهما ، فانما هذه الاخلاق بيد الله عز وجل ، فمن شاء ان يمنحه خلقا حسنا فعل » • وقال (ص) : « الضيف اذا جاء فنزل بالقوم ، جاء برزقه معه من السماء ، فاذا أكل غفر الله لهم بنزوله » • وقال : « مامن ضيف حل بقوم الا ورزقه في حجره » • وقال : « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه » • وقال (ص) : « لاتزال امتي بخير : ما تحابوا ، وأدوا الامانة ، واجتنبوا الحرام ، وأقرأوا الضيف ، وأقاموا الصلاة ، وآتوا الزكاة ، فاذا لم يفعلوا ذلك أبتلوا بالقحط والسنين » • وقال (ص) :

اذا أراد الله بقوم خيرا أهدى لهم هدية . قالوا : وما تلك الهدية ؟ قال : الضيف ينزل برزقه ، ويرتحل بذنوب أهـل البيت » . وقال (ص) : « كل بيت لايدخل فيه الضيف لا تدخله الملائكة» .وقال (ص) : «الضيف دليل الجنة » . وقال أمير المؤمنين (ع) : « مامن مؤمن يحب الضيف الاويقوم من قبره ووجهه كالقمر ليلة البدر ، فينظر أهل الجمع ، فيقولون : ما هذا الا نبي مرسل ! فيقول ملك : هذا مؤمن يحب الضيف ويكرم الضيف ، ولا سبيل له الا أن يدخل الجنة » . وقال (ع) : « مامن مؤمن يسمع بهمس الضيف وفرح بذلك ، الا غفرت له خطاياه ، وان كانت مطبقة بين السماء والارض » . وبكى — (ع) يوما ، فقيل له : مايبكيك ؟ قال : « لم يأتني ضيف منذ سبعة أيام ، أخاف ان يكون الله قد أهانني » .وعن محمد بن قيس ، عن ابى عبد الله (ع) — قال : « ذكر اصحابنا قوما ، فقلت والله ماأتغدى ولا اتعشى الا ومعى منهم اثنان او ثلاثة او اقـل او اكثر ، فقال — (ع) : فضلهم عليك اكثر من فضلك عليهم . قلت : جعلت فداك ! كيف ذا وانا أطعمهم طعامى ، وانفق عليهم من مالى ، ويخدمهم خادمى ؟ فقال : اذا دخلوا عليك دخلوا من الله بالرزق الكثير ، واذا خرجوا بالمغفرة لك » . وكان ابراهيم الخليل (ع) اذا اراد ان ياكل ، خرج ميـلا اوميلين يلتمس من يتغدى معه ، وكان يكنى (ابا الضيفان) .

وجميع الاخبار الواردة في فضيلة اطعام المؤمن وسعيه تدل على فضيلة الضيافة ، كقوله (ص) بعد سؤاله عن الحج المبرور : «هو اطعام الطعام وطيب الكلام » . وقال (ص) : « من اطعم ثلاثة نفر من المسلمين اطعمه الله من ثلاث جنان في ملكوت السماوات : الفردوس ، وجنة عدن ، وطوبى شجرة تخرج في جنة عدن غرسها ربنا بيده » . وقول الصادق(ع) « من اشبع مؤمنا وجبت له الجنة » وقوله(ع) : « من اطعم مؤمنا حتى يشبعه ، لم يدر احد من خلق الله ماله من الاجر في الاخرة ، لاملك مقرب ولانبى مرسل ، الا الله رب العالمين » . وسئل(ص) : « ماالايمان ؟ فقال : اطعام الطام . وبذل السلام وقال : « ان في الجنة غرفا يرى ظاهرها من باطنها ، وباطنها من ظاهرهـا ، يسكنها من امتى من اطاب الكلام ، واطعم الطعام ، وافشى السلام ،وصلى

بالليل والناس نيام » .وقال (ص) : « من احب الاعمال الى الله تعالى : اشباع جوعة المؤمن ، وتنفيس كربته ، وقضاء دينه » وقال (ص) « ان الله يحب الاطعام في الله ، ويحب الذى يطعم الطام في الله ، والبركه في بيته اسرع من الشفرة في سنام البعير » وقال(ص) « خيركم من اطعم الطعام »وقال صلى الله عليه وآله : من اطعم الطعام اخاه المؤمن حتى يشبعه ، وسقاه حتى يرويه،بعده الله من النار سبع خنادق ، مابين كل خندقين مسيرة خمسمائة عام» وفي الخبر : « ان الله تعالى يقول للعبد في القيامة : يابن آدم ، خفت فلم تطعمنى . فيقول : كيف اطعمك وانت رب العالمين ؟فيقول : جاع أخوك فلم تطعمه ، ولو اطعمته كنت اطعمتنى » . وقال(ص) : من سقى مؤمنا من ظمأ سقاه الله من الرحيق المختوم » . وقال (ص) من سقى مؤمنا شربة من ماء من حيث يقدرعلى الماء ، اعطاه الله بكل شربة سبعين الف حسنة ، وان سقاه من حيث لا يقدر على الماء ، فكأنما اعتق عشر رقاب من ولد اسماعيل »[٢٨] .

فصل

ما ينبغي أن يقصد فى الضيافة

ينبغى ان يقصد في ضيافتة التقرب الى الله ،والتسنن بسنة رسول الله واستمالة قلوب الاخوان ، وادخال السرور على قلوب المؤمنين ، ولايقصد به الرياء والمفاخرة والمباهاة ، والاضاع عمله ، وان يدعو الفقراء والاتقياء، وان كان في ضيافة الاغنياء ومطلق الناس فضيلة ايضا . وينبغى الا يهمل في ضيافة الاقارب والجيران ، اذ اهمالهم قطع رحم وايحاش ، والا يدعو من يعلم انه تشق عليه الاجابة . وينبغى ان يعجل في احضار الطام ، لانه من اكرام الضيف وقد ورد : « ان العجلة من الشيطان ، الا في خمسة اشياء ، فانها من سنة رسول الله (ص): اطعام الضيف ، وتجهيز البيت وتزويج البكر، وقضاء الدين والتوبة من الذنوب »وان يحضر من الطعام قدر الكفاية ، اذ التقليل عنه نقص في المروة، والزيادة عليه تضييع ؛ وان يسعى في اكرام الضيف :من طلاقة الوجه

---

(٢٨) صححنا أحاديث هذا الفصل على (البحار) : ٤ مج ١٥ / ١١٠ ، باب اطعام المؤمن . و٢٤٢ — ٢٤٤ : باب آداب الضيف . وعلى (الكافى) : باب اطعام المؤمن . وعلى (الوسائل): فى آداب المائدة من كتاب الاطعمة والاشربة .

وطيب الكلام معه عند دخوله وخروجه وعلى المائدة ، والخروج معه الى باب الدار اذا خرج ، قال رسول الله (ص) : « ان من سنة الضيف ان يشيعه الى باب الدار » • ومما ينبغي له الا يستخدم الضيف ، قال الباقر (ع) :« من الجفاء استخدام الضيف » • وكان عند الرضا (ع) ضيف ، فكان يوما في بعض الحوائج ، فنهاه عن ذلك ، وقام بنفسه الى تلك الحاجة ، وقال :« نهى رسول الله (ص) عن ان يستخدم الضيف » •

فصل

آداب الضيافة

ينبغي لكل مؤمن ان يجيب دعوة اخيه الى الضيافة ، من غير ان يفرق بين الغني والفقير ، بل يكون اسرع اجابة الى الفقير ، والا يمنعه بعد المسافة عن الاجابة اذا امكن احتمالها عادة • قال رسول الله (ص) : « اوصى الشاهد من امتي والغائب ، ان يجيب دعوة المسلم ولو على خمسة اميال ، ولايمنعه صوم التطوع عن الاجابة ، بل يحضر ،فان علم سرور أخيه بالافطار فليفطر ويحتسب في افطاره افضل مايحتسب في صومه » • وقال الصادق (ع) :ـ « من دخل على اخيه وهو صائم ، فأفطر عنده ولم يعلمه بصوم فيمن عليه ، كتب الله له صوم سنة ، وان علم انه متكلف ولايسر بافطاره فليتعلل »•

وينبغي الا يقصد بالاجابة قضاء شهوة البطن ، ليدخل عمله في امور الدنيا ،بل ينوي الاقتداء بسنة رسول الله (ص) واكرام اخيه المؤمن،ليكون في عمله مطيعا لله مثابا في الآخرة ، وان يحترز عن الاجابة اذا كان الداعي من الظلمة او الفساق ، او كانت ضيافة للفخر والمباهاة ، ومن كان طعامه حراما أو شبهة ، أو لم يكن موضعه او بساطه المفروش حلالا ، او كان في الموضع شيء من المنكرات ، كإناء فضة ، او تصوير حيوان على سقف او حائط ، أو أحد آلات اللهو من المزامير وامثالها ، او التشاغل بشيء من اللهو واللعب والهزل ، فكل ذلك مما يمنع الاجابة ، ويوجب تحريمها او كراهيتها • قال الصادق (ع) « لاينبغي للمؤمن انيجلس مجلسا يعصى الله تعالى فيه ولايقدر على تغييره • ومن ابتلى بحضور طعام ظالم اكراها وتقية ، فليقلل الاكل ، ولايأكل أطايب الاطعمة » •

وينبغي للضيف ـ ايضا ـ أذا دخل الدار الا يتصدر، ولا يقصد أحسن الاماكن ، بل يتواضع ويرضى بالدون من المجلس ، وان أشار اليه صاحب الدار بموضع فلايخالفه ويجلس فيه ، وان اشار اليه بعض الضيفان بالارتفاع او الانحطاط ، وألايجلس في مقابلة باب حجرة النسوان ، ولا يكثر النظر الى الموضع الذى يخرج منه الطعام ، فانه دليل الشره وخسة النفس ، وان يخص بالتحية والسلام أولا من يقرب منه .

وينبغي لمن دعى الى الضيافة الا يطول الانتظار عليهم ، ولا يعجل بحيث يفاجئهم قبل تمام الاستعداد .

ورابعها :

الحق المعلوم وحق الحصاد والجذاذ

والمراد من الاول : ما يعرضه الرجل ويقدره في ماله ، من قليل اوكثير غير الصدقات الواجبه ، يعطيه محتاجا او يصل به رحمه . والمراد بالثانى : مايعطى به الى الفقراء من الضغث بعد الضغث : أى القبضة بعد القبضة من الزرع يوم حصاده ، ومن الحفنة بعد الحفنة : أي ملء الكف من التمر او الحنطة أو غيرهما من الثمار والفواكه والحبوبات عند قطعها وتصفيتها . وهذان النوعان من الانفاق معدودان في صدقة التطوع ، وقد وردت بخصوصهما اخبار كثيرة لشدة استحبابهما . قال الصادق (ع) : « ان الله فرض للفقراء في اموال الاغنياء فريضة لايحمدون الا بأدائها ، وهي الزكاة ، بها حقنوا دماءهم وبها سموا مسلمين ، ولكن الله تعالى فرض في اموال الاغنياء حقوقا غير الزكاة فقال الله تعالى :

« والذين فى اموالهم حق معلوم » (٢٩) .

والحق المعلوم غير الزكاة ، وهو شيء يفرضه الرجل على نفسه في ماله ، يجب عليه ان يفرضه على قدر طاقته وسعة ماله ، فيؤدي الذي فرض على نفسه ان شاء كل يوم ، وان شاء كل جمعة ، وان شاء كل شهر » (٣٠) .

---

(٢٩) المعارج ، الاية : ٢٤ .

(٣٠) صححنا الحديث على (الوافى) ٢٨١/٦ ، باب جملة ما يجب فى المال من الحقوق .

وقال (ع) : « الحق المعلوم ليس من الزكاة ، هو الشيء تخرجه من مالك ؛ ان شئت كل جمعة ، وان شئت كل شهر ، ولكل ذي فضل فضله ، وقول الله تعالى : (وان تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لـكم)، فليس من الزكاة ، والماعون ليس من الزكاة ، وهو المعروف تصنعه والقرض تقرضه ومتاع البيت تعيره ، وصلة قرابتك ليس من الزكاة . وقال الله تعالى : (والذين في اموالهم حق معلوم) ، فالحق المعلوم غير الزكاة ، وهو شيء يفرضه الرجل على نفسه انه في ماله ونفسه ، ويجب له أن يفرضه على قدر طاقته ووسعه » (٣١) وقال (ع) : « وان عليكم في أموالكم غير الزكاة . فقلت : اصلحك الله ، وما علينا في أموالنا غير الزكاة ؟ فقال : سبحان الله! أما تسمع قول الله تعالى ؟ يقول في كتابه :

« والذين فى اموالهم حق معلوم ، للسائل والمحروم » (٣٢) .

قال : قلت : فماذا الحق المعلوم الذي علينا ؟ قال : هو والله الشيء يعلمه الرجل في ماله ، يعطيه في اليوم أو في الجمعة أو الشهر ، قل أو كثر، غير أنه يدوم عليه» (٣٣) . وقال (ع) في قول الله تعالى :(في أموالهم حق معلوم ، للسائل والمحروم) : « هو الرجل يؤتيه الله الثروة من المـال فيخرج منه الألف والالفين والثلاثة آلاف والاقل والاكثر ، فيصل به رحمه ويحمل به الكل عن قومه » . وقال (ع) : « في الزرع حقان : حـق تؤخذ به ، وحق تعطيه . قلت : وما الذي أؤخذ به وما الذي أعطيه؟ قال: أما الذي تؤخذ به ، فالعشر ونصف العشر ، واما الذي تعطيه ، فقول الله:

« وآتوا حقه يوم حصاده » (٣٤) .

يعني من حصدك الشيء ثم الشيء — ولا اعلمـه الا قال الضغث ثم

(٣١) نفس المصدر : باب جملة ما يجب فيه الزكاة « الوسائل » : ٧/٢ ، باب الحقوق فى المال سوى الزكاة .

(٣٢) المعارج ، الآية : ٢٤ ، ٢٥ .

(٣٣) صححنا الحديث على (الواقى) : ٢٨١/٦ ، باب جملة ما يجب فى المال من الحقوق وعلى « الوسائل » : ٧/٢ ، باب جملة مايجب فيه الزكاة.

(٣٤) الانعام ، الآية : ١٤١ .

الضغث ـ حتى تفرغ » [٣٥] • وقال (ع) : « لاتصرم بالليل ، ولاتحصد بالليل ، ولا تضح بالليل ، ولا تبذر بالليل • فانك ان فعلت ذلك لم يأتك القانع والمعتر • فقلت : وما القانع والمعتر ؟ فقال : القانع : الذي يقنع بما أعطيته ، والمعتر : الذي يمر بك فيسألك • وان حصدت بالليل لم يأتك السؤال ، وهو قول الله تعالى : (وآتوا حقه يوم حصاده) عند الحصاد ،يعني القبضة بعد القبضة اذا حصدته ، فاذا خرج فالحفنة بعد الحفنة ، وكذلك عند الصرام ، وكذلك عند البذر • ولا تبذر بالليل ،لانك تعطى من البذر كما تعطى من الحصاد »• وقال الباقر (ع) في قول الله تعالى (وآتوا حقه يوم حصاده): « هذا من الصدقة ، ويعطي المسكين القبضة بعد القبضة ، ومن الجذاذ الحفنة بعد الحفنة ، حتى يفرغ » • وفي مضمون هذه الاخبار اخبار كثيرة أخر •

وخامسها :

القرض

وهو أيضا من ثمرات السخاء ، لان السخي تسمح نفسه بأن يقرض أخاه المحتاج بعض أمواله الى حين استطاعته ، كما تسمح نفسه بأن يبذل عليه أصل ماله ، والبخيل يشق عليه ذلك • وثواب القرض عظيم ،وفضله جسيم • قال الباقر (ع) : « من أقرض رجلا قرضا الى ميسرة ، كان ماله في زكاة ، وكان هو في الصلاة مع الملائكة حتى يقبضه » • وقال الصادق ـ عليه السلام ـ :« مكتوب على باب الجنة : الصدقة بعشرة ، والقرض بثمانية عشر » • وقال (ع) : « مامن مؤمن اقرض مؤمنا يلتمس به وجه الله ، الا حسب الله له أجره بحساب الصدقة ، حتى يرجع ماله اليه ، يعنى اعطاه الله في كل آن اجر صدقة ، ذلك لان له قضاءه في كل آن ، فلما لم يفعل فكأنما أعطاه ثانيا وثالثا وهلم جرا ، الى ان يقبضه » • وقال(ع): « لا تمانعوا قرض الخمير والخبز واقتباس النار ، فانه يجلب الرزق على أهل البيت مع ما فيه من مكارم الاخلاق »• وقال : « لاتمانعوا قرض

(٣٥) صححنا الحديث على « الوافى »٦/٢٨٢ . وعلى (فروع الكافى) : كتاب الزكاة ، باب الحصاد والجذاذ . وكذا ما بعده .

الخبير والخبز ، فان منعهما يورث الفقر » [٣٦].

وسادسها :

انظار المعسر والتحليل

وهو أيضا من أفراد البذل المترتب على السخاء ، وقد ورد في فضله اخبار كثيرة ، قال الصادق (ع) : «من اراد أن يظله الله يوم لا ظل الا ظله ، فلينظر معسرا ، أو يدع له من حقه » . وقال (ص): « ان رسول الله (ص) قال في يوم حار — وحناكفه — : من أحب ان يستظل من فور جهنم ؟ — قالها ثلاث مرات — فقال الناس في كل مرة : نحن يارسول‌الله. فقال : من أنظر غريما أو ترك المعسر ». وقال (ع): « صعد رسول الله(ص) المنبر ذات يوم ، فحمد الله واثنى عليه ، وصلى على انبيائه ، ثم قال : أيها الناس ؛ ليبلغ الشاهد الغائب منكم ، ألا ومن انظر معسرا كان له‌على الله في كل يوم ثواب صدقة بمثل ماله ، حتى يستوفيه » . وقيل له (ع): « ان لعبد الرحمن بن سبابة دينا على رجل قد مات ، وقد كلمناه ان يحلله فأبى ، فقال : ويحه ! أما يعلم ان له بكل درهم عشرة اذا حلله ، وان لم يحلله فانما هو درهم بدرهم ؟ » [٣٧] . وفي معناها اخبار كثيرة اخر .

وسابعها :

بذل الكسوة والسكنى ونحوهما

غير ماذكر من وجوه الاعانة بالمسلم ، كبذل الكسوة والسكنى ، وحمله على الدابة ، واعطائه الماعون ، واعارته المتاع وسائر ما يحتاج اليه، واطراق الفحل وغير ذلك ؛ فان جميع ذلك من ثمرات السخاء ، ومنعها من نتائج البخل . وفي كل واحد منها فضيلة وثواب ، وورد في فضيلة كل منها اخبار .

ومما يدل على مدح كسوة المؤمن ، قول الباقر (ع) : « لإن أحج حجة أحب‌الي من ان اعتق رقبة ورقبة ورقبة (حتى انتهى الى عشرة)،ومثلها

---

(٣٦) صححنا الاحاديث الواردة فى هذا المقام على (الوافى): ٢٩٢/٦ ، باب القرض .

(٣٧) صححنا جميع الاحاديث الواردة فى هذا المقام على (الوافى) :٢٩٢/٦ باب‌انظار المعسر والتحليل. وعلى (فروع الكافى) : باب انظار المعسر ،كتاب‌الزكاة.

ومثلها (حتى انتهى الى سبعين) . ولان اعول أهل بيت من المسلمين ، اشبع جوعتهم ، واكسو عورتهم ، واكف وجوههم عن الناس ، أحب الي من أن احج حجة وحجة (حتى انتهى الى عشر)، وعشر مثلها ومثلها (حتى انتهى الى سبعين)»[٣٨]. وقال الصادق (ع) : « من كسا أخاه كسوة شتاء أو صيف، كان حقا على الله أن يكسوه من ثياب الجنة ، وان يهون عليه من سكرات الموت ، وأن يوسع عليه في قبره ، وان يلقي الملائكة اذا خرج من قبره بالبشرى . وهو قول عز وجل في كتابه :

« وتتلقاهم الملائكة هذا يومكم الذي كنتم توعدون » (٣٩) .

وقال :« من كسا أحدا من فقراء المسلمين ثوبا من عرى ، أو أعانه بشيء مما يقويه على معيشته ، وكل الله عز وجل به سبعة آلاف ملك من الملائكة ، يستغفرون لكل ذنب عمله ، الى أن ينفخ في الصور »[٤٠].

وثامنها :

مايبذل لوقاية العرض والنفس

ما يبذل لوقاية العرض ، وحفظ الحرمة ، ورفع شر الاشرار وظلم الظلمة . فان السخي لا يقصر في شيء من ذلك ، والبخيل ربما منع بخله عن ذلك ، فيهتك عرضه ويذهب حرمته . وفي بعض الاخبار دلالة على أن البذل لذلك صدقة . وتقدم أن ما وقي المرء به عرضه فهو له صدقة ، وكذا بذل ما تقتضيه المروة والعادة من ثمرات الجود والسخاء، ومن منعه كان بخيلا .

وتاسعها :

ماينفق فى المنافع العامة

والخيرات الجارية ، من بناء المساجد والمدارس والربط والقناطير ، واجراء القنوات ، وأمثال ذلك مما يبقى أثره على مر الدهور ، ويصل نفعه وثوابه الى صاحبه في كل وقت الى يوم النشور . ولا يخفى ثواب ذلك.

---

(٣٨) صححنا الحديث على (الوافى) : ٢٨٢/٦ ، باب فضل الصدقة.
(٣٩) الانبياء ، الآية : ١٠٣ .
(٤٠) صححنا الاحاديث الواردة فى هذا المقام على (الكافى) : باب من كسا مؤمنا .

والاخبار الواردة في مدحه وفضيلته اكثر من أن تحصى ، ولا حاجة الى ذكرها لاشتهارها بين الناس •

تنبيــــه

الفرق بين الانفاق والبر والمعروف

اعلم أن لفظ الانفاق والمعروف والبر يتناول جميع ما تقــدم من الانفاقات الواجبة والمستحبة • والفرق بينها : ان الانفاق خاص بالمــال والمعروف اسم جامع لكل ما عرف من طاعة الله والتقرب اليه والاحسان الى الناس ، وكل ما ندب اليه الشرع من فعل وترك ، وهو من الصفات الغالبة ، أي أمر معروف بين الناس اذا رأوه لا ينكرونه ؛ والغالب في الاخبار ارادة ما يتعلق بالمال من معانيه • والبر كالمعروف في شموله لجميع أعمال الخير في الاصل ، وانصراف اطلاقه غالبا في الاخبار الى ما يتعلق بالمــال من وجوه الانفاقات المتقدمة بأسرها ، وربما خص بما سوى الصدقة منها ، لما ورد : أن البر والصدقة ينفيان الفقر ويزيدان في العمر • والظــاهر أن مبنى الخبر على ذكر الخاص بعد العام، فلا وجه للتخصيص •ثم الصدقة تتناول جميع ما تقدم من وجوه الانفاق ، سوى المروة ، وعلى أي تقدير ، لاريب في ان ما ورد من الآيات والاخبار في فضيلة مطلق الانفاق والمعروف والبر يدل على فضيلة كل واحد مما تقدم من وجوه الانفاق، كقوله سبحانه :

« انفقوا من طيبات ما كسبتم ومما اخرجنا لــكم » (٤١) • وقوله : « وما تنفقوا من خير فلا نفسكم وما تنفقون الا ابتغاء وجه الله وما تنفقوا من خير يوف اليكم وانتم لاتظلمون » (٤٢) وقوله : « وآتى المال على حبه ذوي القربى واليتامى ... » الآية (٤٣) •وقوله : « قل ما انفقتم من خير فللوالدين والاقربين ... » الآية (٤٤) • وقوله : « يأيها الذين آمنوا أنفقوا مما رزقناكم من قبل ان ياتي يوم لابيع فيه ولا خلة ولا شفاعة » (٤٥) • وقوله : « مثل

(٤١) البقرة ، الآية : ٢٦٧ .
(٤٢) البقرة ، الآية : ٢٧٢ .
(٤٣) البقرة ، الآية : ١٧٦ .
(٤٤) البقرة ، الآية : ٢١٥ .
(٤٥) البقرة ، الآية : ٢٥٤ .

الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل فى كل سنبلة ... » الآية (٤٦) . وقوله : « الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله ثم لايتبعون ما أنفقوا منا ولا أذى لهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون » (٤٧) .

وقول رسول الله (ص) : « أول من يدخل الجنة المعروف وأهله ، وأول من يرد على الحوض » . وقوله (ص) : « ان البركة اسرع الى البيت الذي يمتاز فيه المعروف من الشفرة في سنام الجزور، أو من السيل الى منتهاه » . وقول الباقر (ع) : « ان من أحب عباد الله الى الله ، لمن حبب اليه المعروف وحبب اليه فعاله » . وقول الصادق (ع) : « ان من بقاء المسلمين وبقاء الاسلام أن تصير الاموال عند من يعرف فيها الحق ويصنع المعروف ، وان من فناء الاسلام وفناء المسلمين أن تصير الاموال في ايدي من لايعرف فيها الحق ولا يصنع فيها المعروف ». وقوله (ع) : « رأيت المعروف كاسمه ، وليس شيء أفضل من المعروف الا ثوابه » . وقوله (ع) مخاطبا لزرارة : « ثلاثة ان تعلمهن المؤمن كانت زيادة في عمره وبقاء لنعمه عليه . فقلت : وما هن ؟ فقال : تطويله في ركوعه وسجوده في صلاته ، وتطويله لجلوسه على طعامه اذا اطعم على مائدته ، واصطناعه المعروف الى أهله » . وقوله (ع) : « أقيلوا لأهل المعروف عثراتهم ، واغفروا لهم ، فان كف الله عليهم هكذا ـ وأومأ بيده كأنه يظلل بهاشيئا» . وقوله (ع) : « صنائع المعروف تقي مصارع السوء» . وقال (ع) :« ان للجنة بابا يقال له المعروف ، لا يدخله الا أهل المعروف . وأهل المعروف في الدنيا هم أهل المعروف في الآخرة » : يعني كما أنهم يصنعون المعروف في الدنيا كذلك يصنعونه في الآخرة ، يهبون حسناتهم لمن شاؤا ، كما قال الصادق (ع) في خبر آخر : « يقال لهم في الآخرة : ان ذنوبكم قد غفرت لكم ، فهبوا حسناتكم لمن شئتم وادخلوا الجنة » . وقال (ع) : « قال اصحاب رسول الله (ص) : يارسول الله ، فداك آباؤنا وامهاتنا ! ان

---

(٤٦) البقرة ، الآية : ٢٦١ .

(٤٧) البقرة ، الآية : ٢٦٢ .

اصحاب المعروف في الـدنيا عرفوا بمعروفهم ، فبم يعرفون في الآخرة ؟ فقال (ص) : ان الله اذا أدخل أهل الجنة الجنة ، أمر ريحا عبقة طيبـة فلصقت بأهل المعروف ، فلا يمر أحد منهم بملأ من أهل الجنة الا وجدوا ريحه ، فقالوا : هذا من أهل المعروف »[٤٨] .

ومنها — أي من رذائل القوة الشهوية — :

طلب الحرام

وعدم الاجتناب عنه . ولا ريب في كونه مترتبا على حب الدنياوالحرص عليها ، وهو اعظم المهلكات ، به هلك اكثر من هلك ، وجل الناس حرموا عن السعادة لأجله ، ومنعوا عن توفيق الوصول الى الله بسببه . ومن تأمل يعلم أن اكل الحرام اعظم الحجب للعبد من نيل درجة الابرار ، وأقوى الموانع له عن الوصول الى عالم الانوار، وهو موجب لظلمة القلب وكدرته وهو الباعث لخبثه وغفلته ، وهو العلة العظمى لخسران النفس وهـلاكها ، وهو السبب الاقوى لضلالتها وخباثتها ، وهو الذي انساها عهود الحمى، وهو الذي أهواها في مهاوي الضلالة والردى ، وما للقلب المتكون من الحرام والاستعداد لفيوضات عالم القـدس ! وأنىللنطفة الحاصلة منـه والوصول الى مراتب الانس ! وكيف يدخل النور والضياء في قلب أظلمته أدخنة المحرمات ؟! وكيف تحصل الطهارة والصفاء لنفس اخبثتها قذارات المشتبهات ؟ !

ولأمر ما حذر عنه اصحاب الشرعوأمناء الوحي غاية التحذير ، وزجروا منه أشد الزجر . قال رسول الله (ص) : « ان لله ملكا على بيت المقدس، ينادي كل ليلة : من أكل حراما لم يقبل منه صرف ولا عـدل » : أي لا نافلة ولا فريضة . وقال (ص) : « من لم يبال من أين اكتسب المـاله لم يبال الله من اين ادخله النار» . وقال (ص): «كل لحم نبت من حرام فالنار

(٤٨) صححنا الاحاديث الواردة هنا على « الوافى » : ٢٨٩/٦ — ٢٩٠ . وعلى « الوسائل » : كتاب الامر بالمعروف ، ابواب فعل المعروف ، الباب ١— ٦ .

أولى به » . وقال (ص) : « من اصاب مالا من مأثم ، فوصل به رحما أو تصدق به أو أنفقه في سبيل الله ، جمع الله ذلك جمعا ،ثم أدخله في النار » وقال (ص) : « ان أخوف ما أخاف على أمتي من بعدي هذه المكاسب الحرام ، والشهوة الخفية والربا » . وقال (ص) : « من اكتسب مالا من الحرام،فان تصدق به لم يقبل منه،وان تركه وراءه كان زاده الى النار»(٤٩) . وقال (ع) : « اذا اكتسب الرجل مالا من غير حله ، ثم حج فلبى ، نودي : لا لبيك ولا سعديك ! وان كان من حله ، نودي : لبيك وسعديك !»(٥٠) . وقال (ع): « كسب الحرام يبين في الذرية » . وقال (ع) في قوله تعالى :

« وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا » (٥١) .

« ان كانت أعمالهم أشد بياضا من القباطي ، فيقول الله عز وجل لها: كوني هباء، وذلك انهم كانوا اذا شرع لهم الحرام أخذوه»(٥٢) . وقال الكاظم (ع) : « ان الحرام لاينمى ، وان نمى لم يبارك فيه ، وان انفقه لم يؤجر عليه ، وماخلفه كان زاده الى النار » . وفي بعض الاخبار : « ان العبد ليوقف عند الميزان ، وله من الحسنات أمثال الجبال ، فيسأل عن رعاية عياله والقيام بهم ، وعن ماله من أين اكتسبه وفيم انفقه ، حتى تفنى تلك المطالبات كل أعماله ، فلا تبقى له حسنة . فتنادي الملائكة : هذا الذي اكل عياله حسناته في الدنيا ، وارتهن اليوم باعماله » . وورد : « ان اهل الرجل واولاده يتعلقون به يوم القيامة ، فيوقفونه بين يدي الله تعالى ، ويقولون: يا ربنا ، خذلنا بحقنا منه ، فانه ماعلمنا مانجهل ، وكان يطعمنا من الحرام

---

(٤٩) هذه النبويات ـ عدا الخامس ـ مذكورة في (احياء العلوم) : ٨١/٢ ،وصححناها عليه . اما الخامس ، فقد رواه في (الوسائل) عن (الكافي): كتاب التجارة ، ابواب ما يكتسب منه ، الباب ١ ، الحديث ١ .

(٥٠) صححنا الحديث على (الوسائل) : كتاب التجارة ، ابواب ما يكتسب به ، باب عدم جواز الانفاق من الكسب الحرام ، الحديث ٣ . وفي نسخ (جامع السعادات) : « اذا كسب » .

(٥١) الفرقان ، الآية : ٢٣ .

(٥٢) صححنا الحديث على (الوسائل) :كتاب التجارة، ابواب مايكتسب به ، الباب ١ ، الحديث ٦ . وكذا ما قبله في هذا الباب ، الحديث ٣ .

ونحن لانعلم . فيقتص لهم منه »[1]

فصــل

عزة تحصيل الحلال

ينبغي لطالب النجاة ان يفر من الحرام فراره من الاسد ، ويحترز منه احترازه من الحية السوداء ، بل أشد واني يمكنه ذلك في امثال زماننا الذى لم يبق فيه من الحلال الا الماء الفرات والحشيش النابت في ارض الموات ، وما عداه قد اخبثته الايدي العادية ،وافسدته المعاملات الفاسدة ! مامن درهم الا وقد غصب من اهله مرة بعد اولى ، ومامن دينار الا وقد خرج من ايدى من اخذه قهرا كرة غب اولى، جل المياه اوالاراضى من اهلها مغصوبة ، واني يمكن القطع بحلية الاقوات واكثر المواشى والحيوانات من اهلها منهوبة ، فانى يتأتى الحزم بحلية اللحوم والالبان والدسوم ، فهيهات ذلك هيهات ! مامن تاجر الا ومعاملته مع الظالمين ، ومامن ذى عمل الا وهو مخالط للجائرين من عمال السلاطين .

وبالجملة : الحلال في امثال زماننا مفقود ، والسبيل دون الوصول اليه مسدود . ولعمرى ! ان فقده آفة عم في الدين ضررها ، ونار استطار في الخلق شررها . والظاهر ان اكثر الاعصار كان حالها كذلك . ولذلك قال الامام جعفر بن محمد الصادق (ع) : « المؤمن يأكل في الدينا بمنزلة المضطر » . وقال رجل للكاظم (ع) : « ادع الله جل وعز يرزقنى الحلال ، فقال : اتدرى ما الحلال ؟ قال : الكسب الطيب . فقال :كان علي بن الحسين عليهما السلام يقول : الحلال قوت المصطفين . لكن قل : أسألك من رزقك الواسع » . ومع ذلك كله ، لا ينبغي للمؤمن أن ييأس من تحصيل الحـلال ، ويترك الفرق والفصل بين الاموال ، فان الله سبحانه أجل واعظم من ان يكلف عباده بأكل الحلال ويسد عنهم طريق تحصيله .

---

(1) هذان الخبران الاخيران لم نعثر لهما على مستند وقد ذكرهما في (احياء العلوم) : ٣/ ٣٠ ، فقال عن الاول : « وفى الخبر »، وعن الثاني: «ويقال» .

فصـــل

أنواع الاموال

اعلم ان الاموال على أقسام ثلاثة : حلال بين ، وحرام بين ، وشبهات بينهما • ولكل منها درجات،فان الحرام وان كان كله خبيثا ، الا ان بعضه أخبثمن بعض ، فان ما يؤخذ بالمعاملة الفاسدة مع التراضي ليس فيالحرمة كمال اليتيم الذي يؤخذ قهرا • وكذا الحلال وان كان كله طيبـــا ، الا ان بعضه أطيب من بعض • والشبهة كلها مكروهة ، ولكن بعضها أشد كراهة من بعض • وكما انالطبيب يحكمعلى كل حلو بالحرارة، ولكن يقولبعضه حار في الدرجة الاولى ، وبعضه في الثانية ، وبعضه في الثالثة ، وبعضه في الرابعة ؛ فكذلك الحرام بعضه خبيثفي الدرجة الاولى ، وبعضه في الثانية وبعضه في الثالثة ، وبعضه في الرابعة • وكذلك درجات الحلال في الصفاء والطيبة ، ودرجات الشبهة في الكراهة •

ثم الحرام اما يحرم لعينه ، كالكلب والخنزير والتراب وغـــيرها من المحرمات العينية ، او لصفة ،حادثة فيه ؛ كالخمر لاسكاره ؛ والطعامالمسموم لسميته،او لخلل في جهة اثبات اليد عليه• وله اقسام غير محصورة ، كالمأخوذ بالظلم والقهروالغصب والسرقةوالخيانة في الامانة وغيرها ، والغش والتلبيس والرشوة ، وبالبخس في الوزن والكيل ، وباحدى المعاملات الفاسدة ، من الربا والصرف والاحتكار ، وغير ذلك مما هو مذكور في كتب الفقه • وقد نهى الله سبحانه عن جميع ذلك في آيات كثيرة ، كقوله تعالى :

« ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل » (٢) • وقوله : « ان الذين ياكلون أموال اليتامى ظلما ... الآية » (٣) • وعن خصوص الربا بقوله : « يأيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربا ان كنتم مؤمنين » ، ثم قال : « فان لم تفعلوا فاذنوا بحرب من الله ورسوله » ، ثم قال : « وان تبتمفلكم رؤس أموالكم » (٤) ، ثم قال : « ومن عاد فاولئك أصحاب النار » (٥) •

---

(٢) البقرة ، الاية : ١٨٨ .
(٣) النساء ، الاية : ٩ .
(٤) البقرة ، الآية : ٢٧٨ — ٢٧٩ .
(٥) البقرة ، الاية : ٢٧٥ .

جعل أكل الربا في أول الامر مؤديا الى محاربة الله ،وفي آخره متعرضا للنار. وقد ورد الذم الشديد على كل واحد منها بخصوصه في اخبار كثيرة، وهي في كتب الاخبار والفقه مذكورة ، وتفصيل جميع المحرمات موكول الى كتب الفقه ، وليس هنا موضع بيانه فليرجع فيه الى كتب الفقهاء .

الفرق بين الرشوة والهدية

وربما يتوهم الاشتباه في بعض الموارد بين الرشوة والهدية ، فلنشر الى جلية الحال فيهما ، فنقول : ههنا صور :

الاولى ــ ان يسلم او يرسل مالا الى بعض الاخوان طلبا للاستئناس، وتأكيدا للصحبة والتودد . وقد عرفت كونه هدية وحلالا ، سواء قصد به الثواب في الآخرة والتقرب الى الله تعالى ايضا ، او لم يقصد به الثواب ، بل قصد مجرد الاستئناس والتودد .

الثانية ــ ان يقصد بالبذل عوض مالي معين في العاجل ، كأن يهدي الفقير الى الغني او الغني الى الغني شيئا طمعا في عوض اكثر او مساو من ماله . وهذا أيضا نوع هدية ، وحقيقته ترجع الى هبة بشرط العوض ، واذا وفى بما (يطمع فيه)[٦] من العوض فلا ريب في حليته . قال الصادق (ع): « الربا رباءان : ربا يؤكل وربا لا يؤكل . فاما الذي يؤكل فهديتك الى الرجل تطلب منه الثواب أفضل منها ، فذلك الربا الذي يؤكل ، وهو قول الله تعالى:

« **وما أتيتم من ربا ليربوا في أموال الناس فلا يربوا عند الله** » (٧) .

واما الذي لا يؤكل ، فهو الذي نهى الله عز وجل عنه ، واوعد عليه النار »[٨] . وعنه عليه السلام : « قال : قال رسول الله (ص): الهدية على ثلاثة وجوه : هدية مكافأة ، وهدية مصانعة ، وهدية لله عز وجل »[٩] . وفي بعض الاخبار نوع اشعار بالحل ،وان لم يتحقق الوفاء بما (يطمع فيه)[١٠]

(٦) في النسخ : « يطمعه » ، فرجحنا ما اثبتناه .
(٧) الروم ، الآية : ٣٩ .
(٨) صححناه على (الوسائل) : كتاب التجارة ، ابواب الربا ، الباب ٣، الحديث ١ .
(٩) صححناه على (الوسائل) : كتاب التجارة ، ابواب ما يكتسب به، الباب ١١٦ ، الحديث ١ .
(١٠) في النسخ : « يطمعه » .

من العوض، كخبر اسحق بن عمار عن الصادق عليه السلام : « قال : قلت له عليه السلام : الرجل الفقير يهدي الى الهدية ، يتعرض لما عندي فآخذها ولا أعطيه شيئا أيحل لي؟ قال نعم؛ هي لك حلال ولكن لا تدع ان تعطيه»[١١] . وهل يحل مع اعطائه العوض المطموع فيه اذا لم يكن من ماله ، بل كان من الاموال التي أعطته الناس ليصرف الى الفقراء من الزكوات والاخماس وسائر وجوه البر ، والظاهر الحل اذا كان المهدي من أهل الاستحقاق والمهدي له معطيا اياه ، وان لم يكن ليهدي له شيئا . وفيه تأمل ، كما يظهر بعد ذلك .

الثالثة ـ أن يقصد به الاعانة بعمل معين ، كالمحتاج الى السلطان او ذي شوكة يهدى الى وكيلهما ، او من له مكانة عندهما ، فينظر الى ذلك العمل ، فان كان حراما ، كالسعى في تنجز إدرار حرام او ظلم انسان او غير ذلك، او واجبا ؛ كدفع ظلم أو استخلاص حق ينحصر الدفع والاستخلاص به ، او شهادة معينة ، او حكم شرعي يجب عليه ، او أمثال ذلك ، فهو رشوة محرمة يحرم أخذها ؛ وان كان العمل مباحا لاحراما ولا واجبا . فان كان فيه تعب ، بحيث جاز الاستئجار عليه ، فما يأخذه حلال وجار مجرى الجعالة ، كأن يقول : اوصل هذه الفضة الى السلطان ، ولك دينار . او اقترح على فلان ان يعينني على كذا أو يعطيني كذا ، وتوقف تنجز غرضه على تعب او كلام طويل ، فما يأخذه في جميع ذلك مباح ، اذا كان الغرض مشروعا مباحا ، وهو مثل ما يأخذه وكيل القاضي للخصومة بين يديه ، بشرط ألا يتعدى من الحق . وان لم يكن العمل مما فيه تعب ، بل كان مثل كلمة او فعلة لاتعب فيها أصلا ، ولكن كانت تلك الكلمة او تلك الفعلة من مثله مفيدة ، لكونه ذا منزلة ، كقوله للبواب لاتغلق دونه باب السلطان ، فقال بعض العلماء : الآخذ على هذا حرام ، اذ لم يثبت في الشرع جواز ذلك . ويقرب من هذا أخذ الطبيب العوض على كلمة واحدة ينبه بها على دواء يتفرد بمعرفته . وفيه نظر ، اذ الظاهر جواز هذا

---

(١١) صححناه على (الوسائل) : كتاب التجارة ، ابواب ما يكتسب به، ١١٩ ، الحديث ٢

الاخذ مع مشروعية الغرض وعدم كونه واجبا عليه .

الرابعة — أن يطلب به حصول التودد والمحبة ، ولكن لامن حيث انه تودد فقط ، بل ليتوصل بجاهه الى أغراض ينحصر جنسها وان لم ينحصر عينها ، وكان بحيث لولا جاهه لكان لايهدى اليه ، فان كان جاهه لأجل علم أو ورع اونسب فالامر فيه أخف ، والظاهر كون الاخذ حينئذ مكروها، لانه هدية في الظاهر مع كونه مشابها للرشوة . وان كان لأجل ولاية تولاها ، من قضاء او حكومة او ولاية صدقة او وقف او جباية مال او غير ذلك من الاعمال السلطانية ، فالظاهر كون ما يأخذه حراما لو كان بحيث لايهدى اليه لولا تلك الولاية ، لانه رشوة عرضت في معرض الهدية ، اذ القصد بها في الحال طلب التقرب والمحبة ، ولكن لأمر ينحصر في جنسه ، لظهور أن مايمكن التوصل اليه بالولايات ماذا ، قال رسول الله — صلى الله عليه وآله — : « يأتي على الناس زمان يستحل فيه السحت بالهدية ، والقتل بالموعظة ، يقتل البريء لتوعظ به العامة » . وروى : « أنه (ص) بعث والياً على صدقات الازد ، فلما جاء أمسك بعض مامعه، وقال : هذا لكم وهذا لي هدية . فقال (ص) : ألا جلست في بيت أبيك وبيت امك حتى تأتيك هدية ان كنت صادقا ! ثم قال : مالي استعمل الرجل منكم ، فيقول : هذه لكم وهذه هدية لي ، ألا جلس في بيت أمه ليهدى له ! والذي نفسي بيده ! لايأخذ منكم أحد شيئا بغير حقه الا أتى الله بحمله ، ولا يأتين أحدكم يوم القيامة ببعير له رغاء ، او بقرة لها خوار او شاة تيعر ... ثم رفع يديه حتى رأوا بياض ابطيه ، وقال : اللهم هل بلغت ؟ » [١٢] .

وعلى هذا ، فينبغي لكل وال أوحاكم وقاض وغيرهم من عمال السلاطين ، ان يقدر نفسه في بيت ابيه وأمه معزولا بلا شغل ، فما كان يعطي حينئذ يجوز له ان يأخذه في ولايته أيضا ، ومالا يعطي مع عزله ويعطي لولايته يحرم أخذه ، وما أشكل عليه من عطايا أصدقائه فهو شبهة ، وطريق الاحتياط فيها واضح .

(١٢) صححنا هذين النبويين على مافي (احياء العلوم) : ٢ / ١٣٧ .

وصـــل

الورع عن الحرام

ضد عدم الاجتناب عن الحرام التنزه والاحتياط عنه ، وهو الورع بأحد اطلاقيه . فان الورع قد يفسر بملكة التنزه والاجتناب عن مال الحرام أكلا وطلبا وأخذاً واستعمالا ، وقد يفسر بكف النفس عن مطلق المعاصي ومنعها عما لاينبغي . فعلى الاول يكون ضدا لعدم الاجتناب عن المـال الحرام ، ويكون من رذائل قوة الشهوة ، وعلى الثاني يكون ضدا لملكة الولوع على مطلق المعصية ،ويكون من رذائل القوة الغضبية والشهوية جميعاً.

ثم الظاهر ان التقوى مرادفة للورع ،فان لها أيضا تفسيرين : احدهما: الاتقاء عن الاموال المحرمة ، وقد أطلقت التقوى في بعض الاخبار على هذا المعنى . وثانيهما : ملكة الاتقاء عن مطلق المعاصي ، خوفا من سخط الله وطلبا لرضاه . فعلى الاول يكون ضدا لعدم التنزه عن المال الحرام ورذيلة لقوة الشهوة ، وعلى الثاني يكون ضدا لملكة ارتكاب المعاصي ورذيـلة للقوتين معاً .

ثم اللازم على طريقتنا ان يذكر الورع والتقوى بالتفسير الاول هنا ، وبالتفسير الثاني في المقام الرابع الذي نذكر فيه مايتعلق بالقوتين او بالثلاث من الرذائل والفضائل . الا أنا نذكر ما ورد في فضيلتهما هنا ، لدلالة ما ورد في فضيلتهما بالتفسير الثاني على فضيلتهما بالتفسير الاول أيضا ، ولعدم فائدة في استئناف عنوان على حدة لمطلق المعصية وذكر ما ورد في ذمها ، ثم تذييلها بضدها الذي هو الورع والتقوى بتفسيريهما العام . اذ بعـد ذكر جميع الاجناس والانواع والاصناف من المعاصي والطاعات ، بأحكامها ولوازمها وذمها ومدحها ، لافائدة لاستئناف ذكر مطلق المعصية او الطاعة ، اذ لايتعلق بهما غرض سوى ذكر ما ورد في ذم مطلق المعصية ، وما ورد في مدح مطلق الطاعة ، وهذا أمر ظاهر لاحاجة اليه في كتب الاخلاق . نعم ، نشير الى مطلق العصيان وضده ، أعنى الورع والتقوى بالمعنى الاعم، اجمالا ، ضبطا للأنواع والاقسام .

فصـــل

مدح الورع

الورع والتقوى عن الحرام أعظم المنجيات ، وعمـــدة ماينال به الى السعادات ورفع الدرجات • قال رسول الله (ص) : « خير دينــــكم الورع » • وقال (ص) : « من لقى الله سبحانه ورعا ، أعطاه الله ثواب الاسلام كله » • وفي بعض الكتب السماوية : « وأما الورعون ، فاني استحيى أن أحاسبهم » • وقال الباقر (ع) : « ان أشد العبادة الورع» • وقال (ع) : « ما شيعتنا الا من أتقى الله واطاعه ، فأتقوا الله وأعملوا لما عند الله ، ليس بين الله وبين أحـد قرابة • أحب العباد الى الله تعالى وأكرمهم عليه أبقاهم واعملهم بطاعته » • وقال الصادق (ع) : « أوصيك بتقوى الله والورع والاجتهاد ، واعلم أنه لاينفع اجتهاد لاورع فيه » • وقال : « اتقوا الله وصونوا دينكم بالورع » • وقال (ع) : « عليكم بالورع ، فانه لاينال ما عند الله الا بالورع » • وقال (ع) : « ان الله ضمن لمن اتقاه ، أن يحوله عما يكره الى مايحب ، ويرزقـه من حيث لايحتسب » • وقال (ع) : « ان قليل العمل مع التقوى خير من كثير بلا تقوى » • وقال (ع) : « ما نقل الله عبدا من ذل المعاصي الى عز التقوى ، الا أغناه من غير مال ، وأعزه من غير عشيرة ، وآنسه من غير بشر » • وقال (ع) : « انما اصحابي من أشتد ورعه ، وعمل لخالقه ، ورجا ثوابه : هؤلاء أصحابي » • وقال (ع) : « ألا وان من أتباع أمرنا وارادته الورع ، فتزينوا به يرحمكم الله ، وكيدوا أعداءنا به ينعشكم الله » • وقال (ع) : « أعينونا بالورع ، فان من لقى الله تعالى منكم بالورع ، كان له عند الله فرجا • ان الله عز وجل يقول :

« ومن يطع الله والرسول فاولئك مـع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا » (١٣) •

فمنا النبي ، ومنا الصديق والشهداء والصالحون » • وقال أبوجعفر — عليه السلام — : « قال الله عز وجل : يابن آدم ، اجتناب ما حرم عليك،

---

(١٣) النساء ، الآية : ٦٨ •

تكن من أورع الناس » . وسئل الصادق ـ عليه السلام ـ عن الورع من الناس ، فقال : « الذي يتورع عن محارم الله عز وجل » [١٤] .

ولكون طلب الحرام وعدم الاجتناب عنه باعثا للهلاك ، وتوقف النجاة والسعادة في الآخرة على الورع عن المحرمات ، مع أفتقار الناس في الدنيا الى المطاعم والملابس ، ورد في فضيلة كسب الحلال ومدحه ما ورد .

قال رسول الله (ص) : « طلب الحلال فريضة على كل مسلم ومسلمة » . وقال (ع) : « من بات كالا من طلب الحلال ، بات مغفورا له » . وقال (ص) : « العبادة سبعون جزأ ، أفضلها طلب الحلال » . وقال (ص) : « العبادة عشرة أجزاء ، تسعة اجزائه في طلب الحلال » . وقال (ص) : « من أكل من كد يده ، نظر الله اليه بالرحمة ، ثم لا يعذبه أبدا » . وقال (ص) : « من أكل من كد يده حلالا ، فتح الله له أبواب الجنة ، يدخل من أيها شاء » . وقال (ص) : « من أكل من كد يده ، كان يوم القيامة في عداد الانبياء ، ويأخذ ثواب الانبياء » . وقال (ص) : « من طلب الدنيا استعفافا عن الناس وسعيا على أهله وتعطفا على جاره ، لقى الله عز وجل يوم القيامة ووجهه كالقمر ليلة البدر » [١٥] . وكان (ص) اذا نظر الى الرجل وأعجبه ، قال : « هل له حرفة ؟ فان قال : لا ، قال : سقط من عيني . قيل : وكيف ذاك يارسول الله؟ قال : لأن المؤمن اذا لم تكن له حرفة يعيش بدينه » . وقال : ـ صلى الله عليه وآله ـ : « من سعى على عياله من حله ، فهو كالمجاهد في سبيل الله » . وقال (ص) : « من طلب الدنيا حلالا في عفاف ، كان في درجة الشهداء » . وقال (ص) : « من أكل الحلال اربعين يوما ، نور الله قلبه ، وأجرى ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه » . وطلب منه

---

(١٤) صححنا الاحاديث الواردة فى هذا الفصل على الكافى باب الطاعة والتقوى ، وباب الورع . وعلى « البحار » : ٢ مج ١٥ / ٩٦ — ٩٨ باب الطاعة والتقوى ، وباب الورع واجتناب الشبهات .

(١٥) صححنا أكثر الاحاديث المذكورة هنا على الوسائل : كتاب التجارة ، ابواب مقدماتها ، الباب ٤ وعلى فروع الكافى : كتاب المعيشة ، باب الحث على الطلب والتعرض للرزق .

ــ صلى الله عليه وآله ــ بعض الصحابة أن يجعلــه الله تعالى مستجاب الدعوة ، فقال له : « أطب طعمتك تستجب دعوتك » . وقال الصادق عليه السلام : « اقرؤا من لقيتم من اصحابكم السلام ، وقولوا لهم : ان فلان بن فلان يقرؤكم السلام ، وقولوا لهم : عليكم بتقوى الله عز وجل ، وما ينال بهما عند الله ، اني والله ما آمركم الا بما نأمر به أنفسنا ، فعليكم بالجد والاجتهاد ، واذا صليتم الصبح وأنصرفتم ، فبكروا في طلب الرزق ، وأطلبوا الحلال ، فان الله عز وجل سيرزقكم ويعينكم عليه » [١٦] .

فصــل

مداخـل الحلال

اعلم أن مداخل الحلال خمسة :

الاول ــ مالا يؤخذ من مالك ، كنيل المعادن ، واحيــاء الموات ، والاصطياد ، والاحتطاب ، والاحتشاش ، والاستقاء من الشطوط والانهار . وهذا حلال بشرط عدم صيرورته مختصا بذى حرمة من الناس ، وتفصيل ذلك موكول الى كتاب أحياء الموات .

الثاني ــ مايؤخذ قهرا ممن لاحرمة له ، وهو الفيء ، والغنيمة ، وسائر أموال الكفار المحاربين . وذلك حلال للمسلمين بالشروط المقررة في كتاب الغنائم والجزية .

الثالث ــ ما ينتقل اليه بالرضى من غير عوض ، من حي او ميت ، كالهبة ، والميراث ، والوصية ، والصدقات . وهذا حلال بشرط ان يكون المنقول منه أكتسبه من مداخل الحلال ، وبضمن سائر الشروط المقررة في كتاب الهبات والفرايض والوصايا والصدقات .

الرابع ــ ما يؤخذ تراضيا بمعاوضة ، وذلك حلال بالشرائط والآداب المقررة في فن المعاملات من الفقه ، من البيع ، والسلم ، والاجارة ، والصلح ، والشركة ، والمضاربة ، والمزارعة ، والمساقاة ، والحوالة ، والضمــان ، والكتابة ، والخلع ، والصداق ، وغير ذلك من المعاوضات .

الخامس ــ ما يحصل من الزراعة ومنافع الحيوانات . وهو حلال

---

(١٦) صححنا الحديث على الوسائل : كتاب التجارة ، في الباب المتقدم.

اذا كان الارض والبـذر والماء والحيوانات حلالا بأحد الوجوه المتقدمة .

فهذه مداخل الحلال ، فينبغي لطالب النجاة أن يكون ما يكتسبه من المال من أحد هذه المداخل ، بعد فتوى الفقيه العدل بحصول شرائط الحلية.

فصـــل

درجات الورع

قسم بعض العلماء الورع والتقوى عن الحرام على أربع درجات :

الاول ـ ورع العـدول : وهو الاجتناب عن كل ما يلزم الفسق باقتحامه ، وتسقط به العدالة ، ويثبت به العصيان والتعرض للنار ، وهو الورع عن كل ما يحرمه فتوى المجتهدين .

الثانية ـ ورع الصالحين : وهو الاجتناب من الشبهات أيضا .

الثالثة ـ الورع عما يخاف اداؤه الى محرم او شبهة أيضا ، وان لم يكن في نفسه حراما ولا شبهة ، فهو ترك مالا بأس به مخافة مابه بأس .

الرابعة ـ ورع الصديقين : وهو الاجتناب عن كل ما ليس لله ، ويتناول لغير الله ، وغير نيته التقوى على عبادته وان كان حلالا صرفا لا يخاف اداؤه الى حرام أو شبهة . والصديقون الذين هذه درجتهم هم الموحدون المتجردون عن حظوظ أنفسهم ، المتفردون لله تعالى بالقصد ، الراؤن كل ما ليس لله تعالى حراما ، العاملون بقوله سبحانه :

« قل الله ثم ذرهم فى خوضهم يلعبون » (١٧) .

تتميم

قال الصادق (ع) : « التقوى على ثلاثة أوجه : تقوى من خوف النار والعقاب ، وهو ترك الحرام ، وهو تقوى العام . وتقوى من الله ، وهو ترك الشبهات فضلا عن الحرام ، وهو تقوى الخاص . وتقوى في الله ، وهو ترك الحلال فضلا عن الشبهة » (١٨) والى هذه المراتب الثلاث

---

(١٧) الانعام ، الآية : ٩١ .

(١٨) هذا مقتبس من (مصباح الشريعة) : الباب ٨٣ وفيه تقديم وتأخير في مراتب التقوى عما هنا ولم يتبين لنا وجـه صحة التعبير : تقوى العام وتقوى الخاص ، فاثبتناه كما وجدناه .

أشير في الكتاب الإلهي بقوله :

« ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا اذا ما اتقوا وآمنوا وعملوا الصالحات ثم اتقوا وآمنوا ثم اتقوا واحسنوا والله يحب المحسنين »[١٩] .

ومنها :

الغدر والخيانة

في المال او العرض أو الجاه . ويدخل تحته الذهاب بحقوق الناس خفية ، وحبسها من غير عسر ، وبالبخس في الوزن والكيل ، وبالغش بما يخفى ، وغير ذلك من التدليسات المموهة والتلبيسات المحرمة . وجميع ذلك من خباثة القوة الشهوية ورذائلها ، ومن الرذائل المهلكة وخبائثها . وقد وردت في ذم الخيانة وبأقسامها أخبار كثيرة ، وجميع ما يدل على ذم الذهاب بحقوق الناس وأخذ أموالهم بدون رضاهم يدل على ذمها .

وضد الخيانة (الامانة) ، وقد وردت في مدحها وعظم فوائدها اخبار كثيرة ، كقول الصادق عليه السلام : «ان الله عز وجل لم يبعث نبيا الا بصدق الحديث واداء الامانة الى البر والفاجر » . وقوله عليه السلام : « لا تغتروا بصلاتهم ولا بصيامهم ، فان الرجل ربما لهج بالصلاة والصوم حتى لو تركه استوحش ، ولكن اختبروهم بصدق الحديث واداء الامانة »[٢٠] وقوله عليه السلام : « انظر ما بلغ به علي عليه السلام عند رسول الله (ص) فالزمه فان عليا عليه السلام انما بلغ ما بلغ به عند رسول الله (ص) بصدق الحديث واداء الامانة »[٢١] . وقوله عليه السلام « ثلاث لا عذر فيها لاحد : أداء الامانة الى البر والفاجر ، والوفاء بالعهد الى البر والفاجر ، وبر الوالدين

---

(١٩) المائدة ، الآية : ٩٦ .

(٢٠) في نسخ جامع السعادات والبحار والوسائل : « عند صدق الحديث ... » . ورجحنا نسخة الكافي .

(٢١) صححنا هذه الاحاديث الثلاثة على البحار : ٢ مج ١٥ / ١٢٣ — ١٢٤ ، باب الصدق ولزوم اداء الامانة وعلى الكافي : باب الصدق واداء الامانة. وعلى الوسائل : كتاب الوديعة الباب ١ .

برين كانا او فاجرين »[٢٢] • وقوله عليه السلام : « كان ابي يقول : اربع من كن فيه كمل ايمانه ، وان كان من قرنه الى قدمه ذنوبا لم ينقصه ذلك وهي : الصدق ، واداء الامانة ، والحياء ، وحسن الخلق »[٢٣] • وقوله عليه السلام : « أهل الارض مرحومون ما يخافون وأدوا الامانـة وعملوا بالحق » • وقيل له عليه السلام : « ان امرأة بالمدينة كان الناس يضعون عندها الجواري فيصلحن ، ومع ذلك ما رأينا مثل ما رأينا مثل ما صب عليها من الرزق • فقال : انها صدقت الحديث وأدت الامانة ، وذلك يجلب الرزق »[٢٤] • والاخبار في فضيلة الامانة كثيرة • ولقد قال لقمان : « ما بلغت الى ما بلغت اليه من الحكمة ، الا بصدق الحديث واداء الامانة » • فمن تأمل في ذم الخيانة وايجابها الفضيحة والعار في الدنيا والعذاب والنار في الآخرة ، وفي فضيلة الامانة وادائها إلى خير الدنيا وسعادة الاخرة ، سهل عليه ترك الخيانة والاتصاف بالامانة •

ومنها :

أنواع الفجور

من الزنا ، واللواط ، وشرب الخمر ، والاشتغال بالملاهي ، واستعمال آلاتها ؛ من العود ، والمزمار ، والرباب ، والدف ، وامثالها • فان كل ذلك من رذائل القوة الشهوية • وكذا لبس الذهب والحرير للرجال • وقد وردت في ذم كل واحد منهما بخصوصه اخبار كثيرة ، ولا حاجة الى ذكرهـا ، لشيوعها واشتهارها •

ومنهـا :

الخوض فى الباطل

وهو التكلم في المعاصي والفجور وحكاياتها ، كحكايات احوال النساء،

---

(٢٢) روى فى الكافى باب بر الوالدين ـ : هذا الحديث عن أبي جعفر ـ عليه السلام ـ وجاء فيه : « ثلاث لم يجعل الله عز وجل لأحـد فيهن رخصة ... »، ولكن فى الوسائل ـ كتاب الوديعة الباب ٢ الطبعة الحجرية ـ رواه عن الكافى كما فى المتن .

(٢٣) روى فى الكافى باب حسن الخلق ـ هذا الحديث عن الصادق ـ عليه السلام ـ ، وليس فيه : « كان أبي يقول » .

(٢٤) صححنا الحديث على الوسائل : كتاب الوديعة ، الباب ١ ، وهو يرويه عن الكافى .

ومجالس الخمر ؛ ومقامات الفساق ؛وتنعم الاغنياء ، وتجبر الملوك ومراسمهم المذمومة واحوالهم المكروهة ، وامثال ذلك • فكل ذلك من رداءة القوة الشهوية وخباثتها •

ثم لما كانت انواع الباطل غير محصورة لكثرتها ، فالخوض فيه ايضا كذلك ، وتكون له انواع غير متناهية ، ولا يفتح باب كلام الا وينتهي الى واحد منها ؛ فلا خلاص منه الا باقتصار الكلام على قدر الحاجة من مهمات الدين والدنيا • وربما وقعت من الرجل من انواع الخوض في الباطل كلمة تهلكه وهو مستحقر لها ، فان اكثر الخوض في الباطل حرام ، ولذا قال رسول الله (ص): « اعظم الناس خطايا يوم القيامة اكثرهم خوضا في الباطل» • واليه الاشارة بقوله تعالى :

« وكنا نخوض مع الخائضين » (٢٥) • وقوله تعالى : « فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا فى حديث غيره » (٢٦) •

وقال (ص) : « ان الرجل ليتكلم بالكلمة من رضوان الله ، ما يظن ان تبلغ ما بلغت ، فيكتب الله له بها رضوانه الى يوم القيامة • وان الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله ، ما يظن ان تبلغ ما بلغت ، فيكتب الله عليه بها سخطه الى يوم القيامة »(٢٧) • وقال سلمان الفارسي ــ رضى الله عنه ــ: « اكثر الناس ذنوبا يوم القيامة ، اكثرهم كلاما في معصية الله » • وكان رجل من الانصار يمر على مجلس الخائضين في الباطل ، فيقول لهم : « توضؤا ، فان بعض ما تقولون شر من الحدث » •

ثم الخوض في الباطل هو ذكر محظورات سبق وجودها بمجرد شهوة النفس ، من دون حاجة داعية اليه ، فلا مدخلية له بمثل الغيبة والنميمة والفحش والمراء والجدال وأمثالها ؛ ويدخل فيه الخوض في حكايات البدع والمذاهب الفاسدة، فان الحديث عنها خوض في الباطل ، وورد النهي عنه •

---

(٢٥) المدثر ، الآية : ٤٥ .
(٢٦) النساء ، الآية : ١٣٩ .
(٢٧) صححناه على كنز العمال : ٢ / ١١٢ .

ومنهـا :

التكلم بما لا يعني أو بالفضول

والمراد بالاول : التكلم بما لا فائدةفيه اصلا ،لا في الدين ولا في الدنيا، والثاني ــ أعني فضول الكلام ــ : أعم منه ؛ اذ يتناول الخوض في ما لا يعنى والزيادة في ما يعنى على قدر الحاجة . فان من يعنيه أمر ويتمكن من تقريره وتأديته وتأديةمقصودهبكلمة واحدة ،ومع ذلك ذكر كلمتين ، فالثانية فضول ؛ أي فضل علىالحاجة. ولا ريب في ان التكلم بما لا يعنى وبالفضول مذموم ، وان لم يكن فيه اثم ، وهو ناش عن رداءة القوة الشهوية ؛ اذ الباعث عليه ليس الا مجرد تشهي النفس وهواها .

والسر في ذمه : انه يوجب تضييع الوقت ، والمنع من الذكر والفكر، وربما يبنى لاجل تهليله او تسبيحه قصر في الجنة ، وربما ينفح من نفحات رحمة الله عند الفكرة ما يعظم جدواه . فمن قدر على ان يأخذ كنزا من الكنوز ، فأخذ بدله مدرة لا ينتفع بها ، كان خاسرا . فمن ترك ذكر الله والفكر في عجائب قدرته ، واشتغل بمباح لا يعنيه ، وان لم يأثم ، الا انه قد خسر ؛ حيث فاته الربح العظيم بذكر الله وفكره . فان رأس مال العبد أوقاته ، ومهما صرفها الى ما لا يعنيه ، ولم يدخر بها ثوابا في الآخرة ؛ فقد ضيع رأس ماله . على ان الغالب تأدية الخوض في ما لا يعني وفي الفضول الى الخوض في الباطل ، وربما أدى الى الكذب بالزيادة والنقصان . ولذا ورد في ذمه ما ورد ، وقد روى : « انه استشهد يوم احد غلام من اصحاب النبي(ص) ، ووجد على بطنهحجر مربوط من الجوع ، فمسحت امه التراب عن وجهه، وقالت : هنيئا لك الجنة يا بني ! فقال النبي (ص) : وما يدريك؟ لعله كان يتكلم فيما لا يعنيه ، ويمنع ما لا يضره ؟ » . وورد ايضا :«ان رسول الله (ص) قال لبعض اصحابه ــ وهو مريض ــ : ابشر . فقالت امه: هنيئا لك الجنة ! فقال رسول الله (ص): وما يدريك ؟ لعله قال ما لا يعنيه أو منع ما لا يعنيه ؟ » : يعني انما تتهنأ الجنة لمن لا يحاسب ، ومن يتكلم فيما لا يعنيه حوسب عليه ، وان كان كلامه مباحا ، فلا تتهنأ له الجنة مع المناقشة في الحساب ، فانه نوع من العذاب . وروي : « انه تكلم رجل

عند النبي (ص) فأكثر ، فقال له النبي : كم دون لسانك من حجاب؟ فقال: شفتاي واسناني • فقال : افما كان في ذلك ما يرد كلامك؟ » • وفي رواية أخرى :« انه قال ذلك في رجل اثنى عليه ، فاستهتر في الكلام ، ثم قال : ما اوتي رجل شرا من فضل في لسانه » • وروي : « انه قدم رهط من بني عامر على رسول‌الله (ص) ، فشرعوا بالمدح والثناء عليه • فقال (ص): قولوا قولكم ،ولا يستهوينكم الشيطان !»[٢٨] • ومراده (ص) : ان اللسان اذا اطلق الثناء ، ولو بالصدق ، فيخشى ان يستهويه الشيطان الى الزيادة المستغنى عنها •وقال بعض الصحابة : « ان الرجل ليكلمني بالكلام وجوابه أشهى الي من الماء البارد على الظمآن ، فاتركه خيفة ان يكون فضولا » • وقال بعض الاكابر : « من كثر كلامه كثر كذبه » • وقال بعضهم : « يهلك الناس في خصلتين : فضول المال ، وفضول الكلام » •

فصــل

حد التكلم بما لايعنى

التكلم بما لا يعنى وبالفضول لا تنحصر انواعه واقسامه ، لعدم تناهيها وانما حده‌ان تتكلم بما لو سكت عنه لم‌تأثم ، ولم تتضرر في شيء مما يتعلق بك ، ولم يعطل شيء من أمورك • مثاله : ان‌تحكى مع قوم اسفارك ، وما رأيت فيها من جبال وانهار ، وما وقع لك من الوقايع ؛ وما استحسنته من الاطعمة والثياب ؛ وما تعجبت منه من مشايخ البلاد ووقائعهم • فهذه امور لو سكت عنها لم تأثم ولم تتضرر ، ولا يتصور فيها فائدة دينية ولا دنيوية لاحد ، فاذا بالغت في‌الاجتهاد حتى لا تمتزج بحكاياتك زيادة ونقصان ، ولا تزكية نفس‌من حيث التفاخر بمشاهدة الاحوال العظيمة، ولا اغتياب شخص ولا مذمة شيء مما خلقه الله ، فانك مع ذلك كه مضيع وقتك •

ثم كما ان التكلم بما لا يعنيك مذموم ، كذلك سؤالك غيرك عما لا يعنيك مذموم، بل هو أشد ذما ، لانك بالسؤال مضيع وقتك ،وقد الجأت أيضا صاحبك‌بالجواب الى تضييع وقته • وهذا اذا كان الشيء مما لا يتطرق

---

(٢٨) صححنا احاديث الباب كلها على « احياء العلوم » : ٢/٩٣ — ٩٩ ، وعلى (كنز العمال) : ٢ / ١٣٠ ، ١٨٤ .

الى السؤال عنه آفة ، ولو كان في جوابه آفة ـ كما هو الشأن في اكثر الاسئلةعما لا يعنيك ـ كنت آثما عاصيا . مثلا : لو سألت غيرك عن عبادته، فتقول : هل انت صائم ؟ فان قال : نعم ، كان مظهرا عبادته ، فيدخل عليه الرياء ؛ وان لم يدخل الرياء سقطت عبادته ـ على الاقل ـ من دون عبادة السر ، وعبادة السر تفضل عبادة الجهر بدرجات ، وان قال : لا ، كان كاذبا ؛ وان سكت ؛ كان مستحقرا اياك وتأذيت به ، وان احتال لمدافعة الجواب افتقر الى تعب وجهد فيه . فقد عرضته بالسؤال اما للرياء والكذب ، او للاستحقار ، أو التعب في حيلة الدفع .

وكذلك سؤالك عن كل ما يخفى ويستحيى من اظهاره ، او عما يحتمل ان يكون في اظهاره مانع ، كان يحدث به احد غيرك ، فتسأله وتقول : ماذا تقول؟ وفيم أنتم ؟ وكأن ترى انسانا في الطريق فتقول : من اين ؟ اذ ربما يمنع مانع من اظهار مقصوده . ومن هذا القبيل سؤالك غيرك : لم انت ضعيف ؟ او ما هذا الضعف أو الهزال الذي حدث بك ؟ أو أي مرض فيك؟ وامثال ذلك . واشد من ذلك ان تخوف مريضا بشدة مرضه ، وتقول : ما أشد مرضك وما اسوأ حالك ! فان جميع ذلك وامثالها ، مع كونها من فضول الكلام والخوض في ما لا يعني ، يتضمن اثما وايذاء . وليس من مجرد التكلم بما لا يعني والفضول ، وانما مجرد مالا يعني مالا يتصور فيه ايذاء وكسر خاطر واستحياء من الجواب ، كما روى : « ان لقمان دخل على داود عليه السلام وهو يسرد الدرع ، ولم يكن يراها قبل ذلك ، فجعل يتعجب مما يرى . فأراد ان يسأله عن ذلك فمنعته الحكمة ، فأمسك نفسه ولم يسأله . فلما فرغ داود ، قام ولبسها ،وقال : نعم الدرع للحرب !فقال لقمان : الصمت حكم وقليل فاعله » . وهذا وامثاله من الاسئلة اذا لم يكن فيه ضرر وهتك ستر وايقاع في رياء او كذب ، فهو مما لا يعني ، وتركه من حسن الاسلام .

فصل

علاج الخوض فيما لايعني

سبب الخوض في ما لا يعني وفي فضول الكلام : اما الحرص على معرفة

ما لا حاجة اليه ، أو المباسطة بالكلام على سبيل التودد ، او تزجية الوقت بحكايات أحوال لا فائدة فيها ، وكل ذلك من رداءة قوة الشهوة . وعلاج ذلك من حيث العلم : أن يتذكر ذمه كما مر ، ومدح ضده ، اعني الصمت وتركه ـ كما يأتي ـ ويعلم ان الموت بين يديه ، وانه مسؤول عن كل كلمة وان انفاسه رأس ماله ، وان لسانه شبكة يقدر على ان يقتنص بها الحـور العين : فاهماله وتضييعه خسران ، ومن حيث العمل ان يعتزل عن الناس مهما امكن ، ويلزم نفسه السكوت عن بعض ما يعنيه ليتعود لســانه ترك ما لا يعنيه ، وان يقدم التأمل والتروي على كل كلام يريد ان يتكلم به ، فان كان فيه فائدة دينية أو دنيوية تكلم به والا تركه . وكان بعضهم يضع في فمه حجرا ، خوفا من التكلم بالفضول وما لا يعنيه .

وصـل

الصمـت

ضد التكلم بما لا يعنيه وبالفضول تركها ، اما بالصمت او بالتكلم فيما يعنيه مما يتعلق بدينه أو دنياه . وفوائد الصمت ومدحه يأتي في موضعه. وقد وردت أخبار في المدح على خصوص ترك ما لا يعني وفضول الكلام ، كقول النبي (ص) : « من حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه » . وقوله (ص) : « طوبى لمن امسك الفضل من لسانه، وانفق الفضل من ماله ! ». وانظر كيف قلب الناس الامر في ذلك ، فامسكوا فضل المال واطلقوا فضل اللسان . وروي : « انه (ص) قال ذات يوم : ان اول من يدخل من هذا الباب رجل من أهل الجنة. فلما دخل هذا الرجل ، قالوا له : اخبرنا بأوثق عملك في نفسك ترجو به . فقال : اني رجل ضعيف العمل ، واوثق ما ارجو الله به سلامة الصدر وترك ما لا يعنيني » . وقال (ص) لأبي ذر : « ألا أعلمك بعمل خفيف على البدن ثقيل في الميزان . قال : بلى يا رسول الله. قال : هو الصمت ، وحسن الخلق ، وترك ما لا يعنيك » . قال ابن عباس: « خمس هن احسن من الدراهم الموقفة : لا تتكلم فيما لا يعنيك ، فانـه فضل ولا آمن عليك الوزر . ولا تتكلم فيما يعنيك حتى تجد له موضعا ، فانه رب متكلم في أمر يعنيه قد وضعه في غير موضعه فعنت. ولا تمار حليما

ولا سفيها ، فان الحليم يغلبك بصمته ، وان السفيه يؤذيك بمنطقه. واذكر أخاك اذا تغيب عنك بما تحب أن يذكرك به ، واعفه مما تحب ان يعفيك منه. واعمل عمل رجل يرى انه مجازى بالاحسان مأخوذ بالاحترام »[٢٩] . وقيل للقمان : ما حكمتك؟ قال: « لا أسأل عما كفيت ، ولا اتكلف ما لا يعنيني».
وما ورد في فضيلة ترك الفضول وما لا يعني في اخبار الحجج عليهم السلام وكلمات الاكابر من الحكماء والعرفاء اكثر من ان تحصى، وما ذكرناه كاف لأهل الاستبصار .

---

(٢٩) ذكر هذه الرواية عن ابن عباس فى (احياء العلوم) : ٩٧/٣ . وفيه اختلاف كثير عما هنا ، ولم يحصل لنا ان نحققها على مصدر آخر . والأحاديث النبوية هنا رواها فى (احياء العلوم) ايضا فى الموقع المذكور .

المقام الرابع

فيما يتعلق بالقوى الثلاث من العاقلة وقوتي الغضب والشهوة ، او باثنتين منها من الرذائل والفضائل

الحسد وذمه — الغبطة — بواعث الحسد — لا تحاسد بين علماء الآخرة والعارفين — علاج الحسد — القدر الواجب في نفي الحسد — النصيحة — الايذاء والاهانة — كف الاذى — ذم الظلم — العدل — اخافة المؤمن — ادخال السرور على المؤمن — ترك اعانة المسلمين — قضاء حوائج المسلمين — المداهنة في الامر بالمعروف — السعي فيه — وجوبه وشروطه — لا تشترط العدالة فيه — مراتبه — ما ينبغي في الآمر والناهي — انواع المنكرات — الهجران — التآلف — قطع الرحم — صلة الرحم — المراد منه — عقوق الوالدين — برهما — حق الجوار — حدود الجوار وحقه — طلب العثرات — ستر العيوب — افشاء السر — كتمان السر — النميمة — السعاية — الافساد بين الناس — الاصلاح — الشماتة — المراء — علاجه — طيب الكلام — السخرية — المزاح — المذموم منه — الغيبة — لاتنحصر الغيبة باللسان — بواعثها — ذمها — مسوغاتها — كفارتها — البهتان — المدح — الكذب — ذمه — مسوغاته — التورية والمبالغة — شهادة الزور — علاج الكذب — الصدق ومدحه — انواعه — اللسان أضر الجوارح — الصمت — حب الجاه — ذمه — الجاه احب من المال — لا بد للانسان من جاه — دفع اشكال — الكمال الحقيقي في العلم والقدرة والجاه والمال — علاج حب الجاه — الخمول — مراتب حب المدح — اسبابه — علاجه — ضد حب المدح — الرياء — ذمه — اقسامه — تأثير الرياء على العبادة — السرور بالاطلاع على العبادة — متعلقات الرياء — بواعثه — الرياء الجلي والخفي — كف يفسد الرياء العمل — شوائب الرياء المبطلة للعمل — علاجه — الوسوسة بالرياء — الاخلاص — مدحه — آفاته — النفاق .

فمنهـا :

الحسد

وهو تمني زوال نعم الله تعالى عن أخيك المسلم مما له فيه صلاح ، فان لم ترد زوالها عنه ولكن تريد لنفسك مثلها فهو (غبطة) ومنافسة ، فان لم يكن له فيها صلاح واردت زوالها عنه فهو (غيرة) • ثم ان كان باعث حسدك مجرد الحرص على وصول النعمة الى نفسك ، فهو من رداءة القوة الشهوية وان كان باعثه محض وصول المكروه الى المحسود ، فهو من رذائل القوة الغضبية ، ويكون من نتائج الحقد الذي هو من نتائج الغضب ، وان كان باعثه مركبا منهما ، فهو من رداءة القوتين • وضده (النصيحة) ، وهي ارادة بقاء نعمة الله على اخيك المسلم مما له فيه صلاح •

ولا ريب في انه لا يمكن الحكم على القطع بكون هذه النعمة صلاحا أو فسادا • فربما كانت وبالا على صاحبه فسادا له ، مع كونها نعمة وصلاحا في بادىء النظر • فالمناط في ذلك غلبة الظن ، فما ظن كونه صلاحا فأرادة زواله حسد وارادة بقائه نصيحة ، وما ظن كونه فاسدا فارادة زواله غيرة • ثم ان اشتبه عليك الصلاح والفساد ، فلا ترد زوال نعمة أخيك ولا بقاءها الا مقيدا بالتفويض وشرط الصلاح ، لتخلص من حكم الحسد ويحصل لك حكم النصيحة • والمعيار في كونك ناصحا : ان تريد لأخيك ما تريد لنفسك ؛ وتكره له ما تكره لنفسك • وفي كونك حاسدا : أن تريد له ما تكره لنفسك • وفي كونك حاسدا : ان تريد له ما تكره لنفسك ؛ وتكره له ما تريد لنفسك •

فصـل

ذم الحسـد

الحسد أشد الامراض واصعبها ؛ واسوأ الرذائل وأخبثها ؛ ويؤدي بصاحبه الى عقوبة الدنيا وعذاب الآخرة ؛ لانه في الدنيا لا يخلو لحظة عن الحزن والالم ؛ اذ هو يتألم بكل نعمة يرى لغيره ؛ ونعم الله تعالى غير متناهية لا تنقطع عن عباده ؛ فيدوم حزنه وتألمه • فوبال حسده يرجع الى نفسه ؛ ولا يضر المحسود اصلا ؛ بل يوجب ازدياد حسناته ورفع درجاته من حيث

انه يعيبه ، ويقول فيه ما لا يجوز في الشريعة ، فيكون ظالما عليه ، فيحمل بعضا من اوزاره وعصيانه ، وتنقل صالحات اعماله الى ديوانه ، فحسده لا يؤثر فيه الا خيرا ونفعا ، ومع ذلك يكون في مقام التعاند والتضاد مع رب الارباب وخالق العباد ، اذ هو الذي أفاض النعم والخيرات على البرايا كما شاء واراد بمقتضى حكمته ومصلحته ، فحكمته الحقة الكاملة اوجبت بقاء هذه النعمة على هذا العبد ، والحاسد المسكين يريد زوالها ، وهل هو الا سخط قضاء الله في تفضيل بعض عباده على بعض ، وتمنى انقطاع فيوضات الله التي صدرت عنه بحسب حكمته وارادة خلاف ما أراد الله على مقتضى مصلحته ؟! بل هو يريد نقصه سبحانه ، وعدم اتصافه بصفاته الكمالية . اذ افاضةالنعم منه سبحانهفي اوقاتها اللائقة على محالها المستعدة من صفاته الكمالية التي عدمها نقص عليه تعالى ، والا لم يصدر عنه ، وهو يريد ثبوتهذا النقص ،ثم لتمنيه زوال النعم الالهيةالتي هي الوجودات ورجوع الشرور الى الاعدام يكون طالبا للشر ومحبا له . وقد صرح الحكماء بأن من رضى بالشر ، ولو بوصوله الى العدو، فهو شرير . فالحسد أشد الرذائل؛ والحاسد شر الناس . وأي معصية أشد من كراهة راحة مسلم من غير ان يكون له فيها مضرة ؟ ولذا ورد به الذم الشديد في الآيات والاخبار ، قال الله سبحانه في معرض الانكار :

« أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله » (١) . وقال : «ود كثير من أهل الكتاب ان يردونكم من بعد ايمانكم كفارا حسدا من عند انفسهم » (٢) . وقال : « ان تمسكم حسنة تسؤوهم وان تصبكم سيئة يفرحوا بها » (٣) .

وقال رسول الله (ص) : « الحسد يأكل الحسنات ، كما تأكل النار الحطب » . وقال (ص) : « قال الله عز وجل لموسى بن عمران: يا بن عمران لا تحسدن الناس على ما آتيتهم من فضلي ، ولا تمدن عينيك الى ذلك ،

(١) النساء ، الآية : ٥٣ .
(٢) البقرة ، الآية : ١٠٩ .
(٣) آل عمران ، الآية : ١٢٠ .

ولا تتبعه نفسك ، فن الحاسد ساخط لنعمي ، صاد لقسمي الذي قسمت بين عبادي • ومن يك كذلك ، فلست منه وليس مني » • وقال (ص) : « لا تحاسدوا ولا تقاطعوا ولا تدابروا ولا تباغضوا، وكونوا عباد الله اخوانا »• وقال (ص) : « دب اليكم داء الامم من قبلكم : الحسد والبغضاء ، والبغضة هي الحالقة ، لا أقول حالقة الشعر ، ولكن حالقة الدين • والذي نفس محمد بيده! لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا ، ولن تؤمنوا حتى تحابوا • الا انبئكم بما يثبت ذلك لكم ؟ افشوا السلام بينكم !» • وقال (ص) : « كاد الفقر ان يكون كفرا ، وكاد الحسد ان يغلب القدر » • وقال (ص) : « سيصيب أمتي داء الامم • قالوا : وما داء الامم ؟ قال: الاشر ، والبطر ، والتكاثر، والتنافس في الدنيا ؛ والتباعد والتحاسد ، حتى يكون البغي ثم الهرج » • وقال (ص) : « أخوف ما اخاف على امتي ان يكثر فيهم المال فيتحاسدون ويقتتلون » • وقال (ص) : « ان لنعم الله أعداء • فقيل : ومن هم ؟ قال: الذين يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله »• وورد في بعض الاحاديث القدسية: « ان الحاسد عدو لنعمتي ، متسخط لقضائي ، غير راض بقسمتي التي قسمت بين عبادي » • وقال الامام ابو جعفر الباقر عليهما السلام : « ان الرجل ليأتي بأدنى بادرة فيكفر [4] وأن الحسد ليأكل الايمان كما تأكل النار الحطب » • وقال ابو عبد الله (ع) : « آفة الدين : الحسد والعجب والفخر »• وقال (ع) : « ان المؤمن يغبط ولا يحسد ،والمنافق يحسد ولا يغبط » [5] • وقال : « الحاسد مضر بنفسه قبل أن يضر بالمحسود ، كأبليس أورث بحسده لنفسه اللعنة ، ولآدم الاجتباء والهدى والرفع الى محل حقائق العهد والاصطفاء • فكن محسودا ولا تكن حاسدا فان ميزان الحاسد أبدا خفيف بثقل ميزان المحسود ، والرزق مقسوم ،

---

(٤) فى بعض نسخ « الكافى) : « ليتاذى» وفى نسخ (جامع السعادات): « لياتى باي » . ورجحنا نسخة (الوسائل) و « البحار) كما فى المتن .

(٥) صححنا احاديث هذا الفصل على « البحار) : ٣ مج ١٥ / ١٣١ — ١٣٢ ، باب الحسد .وعلى (الكافى) : باب الحسد . وعلى « سفينة البحار): ١ / ٢٥٠ — ٢٥١ . وعلى (احياء العلوم) : ٣ / ١٦٢ — ١٦٤ . وعلى « الوسائل) : ابواب جهاد النفس ، الباب ٥٤ .

فماذا ينفع الحسد الحاسد ، وماذا يضر المحسود الحسد • والحسد أصله من عمى القلب والجحود بفضل الله تعالى ، وهما جناحان للكفر ، وبالحسد وقع ابن آدم في حسرة الابد ، وهلك مهلكا لاينجو منه أبدا ، ولا توبة للحاسد ، لانه مصر عليه معتقد به مطبوع فيه ، يبدو بلا معارض به ولا سبب ، والطبع لايتغير عن الاصل ، وان عولج »[٦] • وقال بعض الحكماء : « الحسد جرح لايبرأ » • وقال بعض العقلاء : « ما رأيت ظالما أشبه بمظلوم من حاسد ، انه يرى النعمة عليك نقمة عليه » • وقال بعض الاكابر : « الحاسد لاينال من المجالس الا مذمة وذلا ، ولا من الملائكة الا لعنة وبغضا ، ولا ينال من الخلق الا جزعا وغما ، ولا ينال عند النزع الا شدة وهولا ، ولا ينال عند الموقف الا فضيحة ونكالا » • والاخبار والآثار في ذم الحسد أكثر من ان تحصى ، وما ذكرناه يكفى لطالب الحق • ثم ينبغي ان يعلم انه اذا أصاب النعمة كافر أو فاجر وهو يستعين بها على تهيج الفتنة وايذاء الخلق وافساد ذات البين ، فلا مانع من كراهتها عليه وحب زوالها منه ، من حيث أنها آلة للفساد لامن حيث أنها نعمة •

فصل

المنافسة والغبطة

قد علمت أن المنافسة هي تمنى مثل ما للمغبوط ، من غير ان يريد زواله عنه ، وليست مذمومة ، بل هى في الواجب واجبه ، وفي المندوب مندوبة ، وفي المباح مباحه • قال الله سبحانه :

« وفى ذلك فليتنافس المتنافسون »[٧] •

وعليها يحمل قول النبي (ص) : « لاحسد الا في اثنين : رجل آتاه الله مالا ، فسلطه على ملكه في الحق • ورجل آتاه الله علما ، فهو يعمل به ويعلمه الناس » : أي لاغبطة الا في ذلك ، سميت الغبطة حسدا كمايسمى الحسد منافسة ، اتساعا لمقارنتهما • وسبب الغبطة حب النعمة التي للمغبوط ، فان كانت أمرادينيا فسببها حب الله وحب طاعته ، وان كانت دنيوية فسببها

---

(٦) هذا الخبر فى (مصباح الشريعة) : الباب ٥١ ، وصححناه عليه .
(٧) المطففين ، الآية : ٢٦ .

حب مباحات الدنيا والتنعم فيها. والاول لاكراهة فيه بوجه ، بل هومندوب اليه . والثاني وان لميكن حراما ، الا أنه ينقص درجته في الدين ،ويحجب عن المقامات الرفيعة ، لمنافاته الزهد والتوكل والرضا .

ثم الغبطة لو كانت مقصورة على مجرد حب الوصول الى مثل ما للمغبوط ، لكونه من مقاصد الدين والدنيا ، من دون حب مساواته له وكراهة نقصانه عنه ، فلا حرج فيه بوجه ، وان كان معه حب المساواة وكراهة التخلف والنقصان ،فهنا موضع خطر. اذ زوال النقصان اما بوصوله الى نعمة المغبوط أو بزوالها عنه ، فاذا أنسدت احدى الطريقتين تكاد النفس لاتنفك عنشهوة الطريقة الاخرى . اذ يبعد أن يكون انسان مريدا لمساواة غيره في النعمة فيعجز عنها ، ثم لاينفك عن ميل الى زوالها ، بل الاغلب ميله اليه ، حتى اذا زالت النعمة عنه كان ذلك عنده أشهى من بقائها عليه ، اذ بزوالها يزول نقصانه وتخلفه عنه . فان كان بحيث لو ألقى الامر اليه ورد الى أختياره لسعىفي ازالةالنعمة عنه ، كان حاسدا حسدا مذموما. وان منعه مانع العقل من ذلك السعي ، ولكنه وجد من طبعه الفرحوالارتياح بزوال النعمة عن المغبوط ، من غير كراهة لذلك ومجاهدة لدفعه ، فهو أيضا من مذموم الحسد ، وان لم يكن في المرتبة الاولى . وان كره مايجد في طبعه من السرور والانبساط بزوال النعمة بقوة عقله ودينه ، وكان في مقام المجاهدة لدفع ذلك عن نفسه ، فمقتضى الرحمة الواسعة ان يعفىعنه ؛ لأن دفع ذلك ليس في وسعه وقدرته الا بمشاق الرياضات . اذ مامن انسان الا ويرى من هو فوقه من معارفه وأقاربه في بعض النعم الإلهية ، فاذا لم يصل الىمقام التسليم والرضا ، كان طالبا لمساواته له فيه ، وكارها عن ظهور نقصانه عنه . فاذا لم يقدر أن يصل اليه ، مال طبعه بلا اختيار الى زوال النعمة عنه ، وأهتز وارتاح به حتى ينزل هو الى مساواته . وهذا وان كان نقصا تنحط به النفس عن درجات المقربين ، سواء كان من مقاصد الدنيا او الدين ، الا انه لكراهته له بقوة عقله وتقواه ، وعدمالعمل بمقتضاه ،يعفى عنه ان شاء الله، وتكون كراهته لذلك من نفسه كفارة له.

وقد ظهر من تضاعيف ما ذكر : أن الحسد المذموم له مراتب اربع :

الاولى ـ أن يحب زوال النعمة عن المحسود وان لم تنتقل اليه ، وهذا اخبث المراتب وأشدها ذما .

الثانية ـ أن يحب زوالها لرغبته في عينها ، كرغبته في دار حسنة معينة ، او امرأة جميلة بعينها ، ويحب زوالها من حيث توقف وصوله اليها عليه ، لامن حيث تنعم غيره بها . ويدل على تحريم هذه المرتبة وذمها قوله تعالى :

« **ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض** » (٨) .

الثالثة ـ ألا يشتهي عينها ، بل يشتهي لنفسه مثلها ، الا أنه انعجز عن مثلها أحب زوالها عنه ، كيلا يظهر التفاوت بينهما ، ومع ذلك لوخلى وطبعه ، أجتهد وسعى في زوالها .

الرابعة ـ كالثالثة ، الا انه ان اقتدر على ازالتها منعه قاهر العقل أو غيره من السعي فيه ، ولكنه يهتز ويرتاح به من غير كراهة من نفسه لذلك الارتياح .

والغبطة لها مرتبتان :

الاولى ـ أن يشتهى الوصول الى مثل ما للمغبوط ، من غير ميل الى المساواة وكراهة للنقصان ، فلا يحب زوالها عنه .

الثانية ـ أن يشتهي الوصول اليه مع ميله الى المساواة وكراهته النقصان ، بحيث لو عجز عن نيله ، وجد من طبعه حبا خفيا لزوالها عنه ، وارتاح من ذلك ادراكا للمساواة ودفعا للنقصان ، الا أنه كان كارها من هذا الحب ، ومغضبا على نفسه لذلك الارتياح ، وربما سميت هذه المرتبة بـ (الحسد المعفو عنه) وكأنه المقصود من قوله (ص) : « ثلاث لاينفك المؤمن عنهن : الحسد ، والظن ، والطيرة ... ثم قال : وله منهن مخرج، اذا حسدت فلا تبغ ـ أي ان وجدت في قلبك شيئا فلا تعمل به ، وكن كارها له ـ واذا ظننت فلا تحقق ، واذا تطيرت فأمض » .

---

(٨) النساء ، الآية : ٣١ .

فصل

بواعث الحسد

بواعث الحسد سبعة :

الاول — خبث النفس وشحها بالخير لعباد الله . فانك تجد في زوايا العالم من يسر ويرتاح بابتلاء العباد بالبلايا والمحن ، ويحزن من حسن حالهم وسعة عيشهم فمثله اذا وصف له أضطراب أمور الناس وادبارهم ، وفوات مقاصدهم وتنغص عيشهم ، يجد من طبعه الخبيث فرحا وانبساطا ، وان لم يكن بينه وبينهم عداوة ولا رابطة ، ولم يوجب ذلك تفاوتا في حاله من وصوله الى جاه او مال أو غير ذلك . واذا وصف عنده حسن حال عبد من عباد الله وانتظام أموره ، شق ذلك عليه ، وان لم يوجب ذلك نقصا في شيء مما له . فهو يبخل بنعمة الله على عباده من دون قصد وغرض ، ولا تصور انتقال النعمة اليه ، فيكون ناشئا عن خبث نفسه ورذالة طبعه . ولذا يعسر علاجه ، لكونه مقتضى خباثة الجبلة ، وما يقتضيه الطبع والجبلة تعسر ازالته ، بخلاف ما يحدث من الاسباب العارضة .

الثاني — العداوة والبغضاء . وهي اشد اسبابه ، اذ كل أحد — الا أو حدى من المجاهدين — اذا أصابت عدوه بلية فرح بذلك ، اما لظنها مكافأة من الله لأجله ، او لحبه طبعا ضعفه وهلاكه . ومهما أصابته نعمة ساءه ذلك ، لانه ضد مراده ، وربما تصور لأجله أنه لامنزلة له عند الله ، حيث لم ينتقم من عدوه وأنعم عليه ، فيحزن لذلك .

الثالث — حب الرئاسة وطلب المال والجاه . فان من غلب عليه حب التفرد والثناء ، وأستفزه الفرح بما يمدح به من انه وحيد الدهر وفريد العصر في فنه ، من شجاعة او علم او عبادة او صناعة او جمال او غير ذلك ، لو سمع بنظير له في أقصى العالم ساءه ذلك ، وارتاح بموته او زوال النعمة التي يشاركه فيها ، ليكون فائقا على الكل في فنه ، ومتفردا بالمدح والثناء في صفته .

الرابع — الخوف من المقاصد . وذلك يختص بمتزاحمين على مقصود واحد ، فان كل واحد ، منهما يحسد صاحبه في وصوله هذا المقصود ،

طلبا للتفرد به كتحاسد الضرات في مقاصد الزوجية ، والاخوة في نيل المنزلة في قلب الابوين توصلا الى مالهما ، والتلامذة لاستاذ واحد في نيل المنزلة في قلبه ، وندماء الملك وخواصه في نيل المنزلة والكرامة عنده ، والوعاظ والفقهاء المتزاحمين على أهل بلدة واحدة في نيل القبول والمال عندهم ، اذا كان غرضهم ذلك .

الخامس ـ التعزز : وهو أن يثقل عليه أن يترفع عليه بعض اقرانه ، ويعلم انه لو اصاب بعض النعم يستكبر عليه ويستصغره ، وهو لا يطيق ذلك لعزة نفسه ، فيحسده لو أصاب تلك النعمة تعززا لنفسه . فليس غرضه أن يتكبر ، لانه قد رضى بمساواته ، بل غرضه ان يدفع كبره .

السادس ـ التكبر : وهو أن يكون في طبعه الترفع على بعض الناس ، ويتوقع منه الانقياد والمتابعة في مقاصده ، فاذا نال بعض النعم خاف الا يحتمل تكبره ويترفع عن خدمته ، وربما أراد مساواته أو التفوق عليه ، فيعود مخدوما بعد أن كان خادما ، فيحسده في وصول النعمة لأجل ذلك . وقد كان حسد اكثر الكفار لرسول الله (ص) من هذا القبيل ، حيث قالوا : كيف يتقدم علينا غلام فقير يتيم ؟

« لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم » (٩) .

السابع ـ التعجب : وهو أن يكون المحسود في نظر الحاسد حقيرا ، والنعمة عظيمة ، فيعجب من فوز مثله بمثلها ، فيحسده ويحب زوالها عنه ، ومن هذا القبيل حسد الامم لانبيائهم ، حيث قالوا :

« ما انتم الا بشرمثلنا » (١٠) . « فقالوا : انؤمن لبشرين مثلنا ؟ » (١١) .

« ولئن اطعتم بشرا مثلكم انكم اذاً لخاسرون » (١٢) .

فتعجبوا من فوز من هو مثلهم برتبة الوحي والرسالة ، وحسدوه

(٩) الزخرف ، الآية : ٣١ .

(١٠) يس ، الآية : ١٥ .

(١١) المؤمنون ، الآية : ٤٨ .

(١٢) المؤمنون ، الآية ٣٤ .

بمجرد ذلك ، من دون قصد تكبر او رئاسة او عداوة او غيرها من أسباب الحسد .

وقد تجتمع هذه الاسباب او أكثرها في شخص واحد ، فيعظم لذلك حسده ، وتقوى قوة لايقدر معها على المجاملة ، فتظهر العداوة بالمكاشفة . وربما قوى الحسد بحيث يتمنى صاحبه ان يزول عن كل أحد ما يراه نه من النعمة ، وينتقل اليه . ومثله لاينفك عن الجهل والحرص ، اذ هويتمنى استجماع جميع النعم والخيرات الحاصلة لجميع الناس له ، ولا ريب في استحالة ذلك ، ولو قدر امكانه لايمكنه الاستمتاع بها ، فلو لم يكن حريصا لم يتمن ذلك أصلا ، ولو كان عالما لدفع هذا التمني بقوته العاقلة.

(تنبيه) بعض الاسباب المذكورة ، كما يقتضى ان يتمنى زوال النعمة والسرور به كذلك يقتضى تمنى حدوث البلية والارتياح منه . الا أن المعدود من الحسد هو الاول والثاني معدود من العداوة . فالعداوة أعم منه، اذ هي تمني وقوع مطلق الضرر بالعدو ، سواء كان زوال نعمة أو حدوث بلية . والحسد تمني زوال مجرد النعمة .

فصل

لاتحاسد بين علماء الآخرة والعارفين

الاسباب المذكورة انما تكثر بين أقوام تجمعهم روابط يجتمعون لأجلها في مجالس المخاطبات ويتواردون على الاغراض ، فاذا خالف بعضهم بعضا في غرض من أغراضه ، أبغضه وثبت فيه الحقد ، فعند ذلك يريد استحقاره والتكبر عليه ، ويكون في صدد مكافاته على المخالفة لغرضه ، ويكره تمكنه من النعمة التي توصله الى أغراضه ، فيتحقق الحسد . ولذا ترى أنه لاتحاسد بين شخصين في بلدتين متباعدتين ، لعدم رابطة بينهما ، الا اذا تجاورا في محل واحد ، وتواردا على مقاصد تظهر فيها مخالفة بينهما ، فيحدث منهما التباغض ، وتثور منه بقية أسباب الحسد . وترى كل صنف يحسد مثله دون غيره ، لتواردهما على المقاصد ، وتزاحمهما على صنعة واحدة . فالعالم يحسد العالم دون العابد ، والتاجر يحسد التاجر دون غيره الا بسبب آخر سوى الاجتماع على الحرفة ، وهكذا يغم من أشتد حرصه على حب الجاه وأحب الصيت والاشتهار في جميع أطراف العالم وشقاق

التفرد بما هو فيه ، فانه يحسد كل من في العالم ممن يشاركه في الفن الذي يتفاخر به .

ثم منشأ جميع ذلك حب الدنيا ، اذ منافعها لضيقها وانحصارها تصير محل التزاحم والتعارك ، بحيث لايمكن وصول منفعة منها ، كمنصب او مال، الى احد الا بزوالها عن الآخر. وأما الآخرة ، فلا ضيق فيها، فلا تنازع بين أهلها . ومثالها في الدنيا العلم ، فانه منزه عن المزاحمة ، فمن يحب العلم بالله وصفاته وأفعاله ومعرفة النظام الجملى من البدو الى النهاية ، لم يحسد غيره اذا عرف ذلك أيضا . اذ العلم لايضيق عن كثرة العالمين ، والمعلوم الواحد يعرفه الف الف عالم ، ويفرح كل واحد منهم بمعرفته ويلتذ به ، ولا ينقص مالديه بمعرفة غيره ، بل يحصل بكثرة العارفين زيادة الانس وثمرة الافادة والاستفادة . اذ معرفة الله بحر واسع لاضيق فيه ، وكل علم يزيد بالانفاق وتشريك غيره من ابناء النوع ، يصير منشأ لزيادة اللذة والبهجة ، وقس على العلم التقرب والمنزلة عند الله وغيرهما من النعم الاخروية . فان أجل ما عند الله من النعم وأعلى مراتب المنزلة والقرب عنده تعالى لذة لقائه ، ولس فيها ممانعة ومزاحمة ، ولا يضيق بعض أهل اللقاء على بعض ، بل يزيد الانس بكثرتهم .

وقد ظهر مما ذكر : انه لاتحاسد بين علماء الآخرة ، لانهم يلتذون ويبتهجون بكثرة المشاركين في معرفة الله وحبه وأنسه ، وانما يقع التحاسد بين علماء الدنيا ، وهم الذين يقصدون بعلمهم طلب المال والجاه . اذ المال أعيان وأجسام ، اذا وقعت في يد واحد خلت عنها أيدي الآخرين . والجاه ملك القلوب ، واذا امتلأ قلب شخص بتعظيم عالم ، أنصرف عن تعظيم الآخر ، او نقص عنه لامحالة ، فيكون ذلك سببا للتحاسد . وأما اذا امتلأ قلبه من الابتهاج بمعرفة الله ، لم يمنع ذلك من أن يمتلىء غيره به . فلو ملك انسان جميع ما في الارض ، لم يبق بعده مال يملكه غيره لضيقه وانحصاره . وأما العلم فلا نهاية له ، ومع ذلك لو ملك انسان بعض العلوم، لم يمنع ذلك من تملك غيره له .

فظهر أن الحسد انما هو في التوارد على مقصود مضيق عن الوفاء

بالكل ، فلا حسد بين العارفين ولا بين أهل العليين ، لعدم ضيق ومزاحمة في المعرفة ونعيم الجنة ، ولذا قال الله سبحانه فيهم :

« ونزعنا مافي صدورهم من غل اخوانا على سرر متقابلين » (١٣) .

بل الحسد من صفات المسجونين في سجن السجين .

فيا حبيبي ، ان كنت مشفقا على نفسك ، طالبا لعمارة رمسك ،فأطلب نعمة لامزاحمة فيها ، ولذة لا مكدر لها . وما هي الا لذة معرفة الله وحبه وانسه ، والانقطاع الى جناب قدسه ، وان كنت لاتلتذ بذلك ، ولاتشتاق اليه ، وتنحصر لذاتك بالامور الحسية والوهمية ، فاعلم أن جوهر ذاتك معيوب ، وعن عالم الانوار محجوب ، وعنقريب تحشر مع البهائموالشياطين وتكون مغلولا معهم فيأسفل السافلين .ومثلك فيعدمدرك هذهاللذة يختص بادراكها رجال أصحاء ، فكذلك لذة المعرفة يختص بادراكها :

« رجال لاتلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله » (١٤) .

ولا يشتاق غيرهم اليها ، اذ الشوق بعد الذوق ، فمن لم يذق لم يعرف ، ومن لميعرف لم يشتق ،ومن لميشتق لميطلب، ومنلم يطلب لميدرك ومن لم يدرك كان مطرودا عن العليين ، ممنوعا عن مجاورة المقربين ، محبوسا مع المحرومين في أضيق دركات السجين :

« ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين » (١٥) .

فصل

علاج الحسد

لما علم أن الحسد من الامراض المهلكة للنفوس ، فأعلم أن أمراض النفوس لاتداوي الا بالعلم والعمل . والعلم النافع لمرض الحسد ان تعرف أنه يضرك في الدين والدنيا ، ولا يضر محسودك فيهما ، بل ينتفع به فيهما، ومهما عرفتذلك عن بصيرة وتحقيق ، ولم تكن عدو نفسك لاصديق

(١٣) الحجر ، الآية : ٤٧ .
(١٤) النور ، الآية : ٣٧ .
(١٥) الزخرف ، الآية : ٣٦ .

عدوك ، فارقت الحسد .

وأما أنه يضر بدينك ويؤدى بك الى عذاب الابد وعقاب السرمد ، فلما علمت من الآيات والاخبار الواردة في ذمه وعقوبة صاحبه ، ولما عرفت من كون الحاسد ساخطا لقضاء الله تعالى ، وكارها لنعمه التى قسمها لعباده ومنكرا لعدله الذى اجراه في ملكله . ومثل هذا السخط والانكار ،لايجابه الضدية والعناد لخالق العباد ، كاد ان يزيل اصل التوحيد والايمان ، فضلا عن الاضرار بهما . على ان الحسد يوجب الغش والعداوة بالمؤمن ، وترك نصيحته وموالاته وتعظيمه ومراعاته ومفارقة انبياء الله وأوليائه فيحبهم الخير والنعمة له ، ومشاركة الشيطان واحزابه في فرحهم بوقوع المصائبوالبلايا عليه ، وزوال النعم عنه وهذه خبائث في النفس ، تأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب .

واماانه يضرك فيالدنيا ؛ لانك تتألم وتتعذب به، ولا تزال في تعب وغم وكد وهم ، اذ نعم الله لاتنقطع عن عباده ولاعن اعدائك ، فانت تتعـذب بكل نعمة تراها لهم ، وتتالم بكل بلية تنصرف عنهم ، فتبقى دائما مغموما محزونا ، ضيق النفس منشعب القلب ، فانت باختيارك تجر الى نفسك ما تريد لاعدائكويريد اعداؤك لك . وما اعجب من العاقل ان يتعرض لسخط الله ومقته في الآجل ، ودوام الضرر والالم في العاجل ، فيهلك دينه ودنياه من غير جدوى وفائدة .

واما انه لا يضر المحسود في دينه ودنياه فظاهر ؛ لان النعمة لا تزول عنه بحسدك . اذ ما قدره الله من النعم على عباده لا بد ان يستمر الى وقته ، ولا ينفع التدبير والحيلة في دفعه ، لا مانعلما أعطاهولا راد لما قضاه:

« لكل اجل كتاب » . « وكل شيء عنده بمقدار » (١٦) .

ولو كانت النعم تزول بالحسد ، لم تبق عليك وعلى كافة الخلق نعمة، لعدم خلوك وخلوهم عن الحسد ، بل لم تبق نعمة الايمان على المؤمنين ، اذ الكفار يحسدونهم ، كما قال الله سبحانه :

« ودت طائفة من اهل الكتاب لو يضلونكم وما يضلون الا انفسهم وما يشعرون » (١٧) .

(١٦) الرعد ، الآية : ٤٠ ، ٩ .
(١٧) آل عمران ، الآية : ٦٩ .

ولو تصورت زوال النعمة عن محسودك بحسدك ، وعدم زوالها عنك بحسد حاسدك ، لكنت أجهل الناس واشدهم غباوة . نعم، ربما صار حسدك منشأ لانتشار فضل المحسود ، كما قيل :

واذا أراد الله نشر فضيلة   طويت ، أتاح لها لسان حسود

فاذا لم تزل نعمته بحسدك ، لم يضره في الدنيا ، ولا يكون عليه اثم في الآخرة .

وأما انه ينفعه في الدين ؛ فذلك ظاهر من حيث كونه مظلوما من جهتك (لا) سيما اذا اخرجك الحسد الى ما لا ينبغي من القول والفعل ، كالغيبة، والبهتان ، وهتك ستره ، وافشاء سره ، والقدح فيه ، وذكر مساويه . فتحتمل بهذه الهدايا التي تهديها اليه بعضا من أوزاره وعصيانه ، وتنقل شطرا من حسناتك الى ديوانه ، فيلقاك يوم القيامة مفلسا محروما عن الرحمة كما كنت تلقاه في الدنيا محروما عن النعمة . فاضفت له نعمة الى نعمة ، ولنفسك نقمة الى نقمة .

وأما انه ينفعه في الدنيا ، فهو ان اهم أغراض الناس مساءة الاعداء، وسوء حالهم ، وكونهم متألمين معذبين . ولا عذاب أشد مما أنت فيه من ألم الحسد . فقد فعلت بنفسك ما هو غاية مراد حسادك في الدنيا . واذا تأملت هذا ، عرفت أن كل حاسد عدو نفسه ، وصديق عدوه . فمن تأمل في ذلك ، وتذكر ما يأتي من فوائد النصيحة وحب الخير والنعمة للمسلمين، ولم يكن عدو نفسه ، فارق الحسد ألبتة .

وأما العمل النافع فيه ، فهو أن يواظب على آثار النصيحة التي هي ضده ، بأن يصمم على ان يكلف نفسه بنقيض ما يقتضيه الحسد من قول وفعل ، فان بعثه الحسد على التكبر عليه، ألزم نفسه التواضع له ، وان بعثه على غيبته والقدح فيه ، كلف لسانه المدح والثناء عليه ، وان بعثه على الغش والخرق بالنسبة اليه ، كلف نفسه بحسن البشر واللين معه ، وان بعثه على كف الانعام عنه ، ألزم نفسه زيادته. ومهما فعل ذلك عن تكلف وكره وداوم عليه ، انقطعت عنه مادة الحسد على التدريج . على ان المحسود اذا عرف منه ذلك طاب قلبه وأحبه ، واذا ظهر حبه للحاسد زال حسده واحبه

أيضا ، فتتولد بينهما الموافقة ، وترتفع عنهما مادة المحاسدة ، وهذا هو المعالجة الكلية لمطلق مرض الحسد . والعلاج النافع لكل نوع منه ، ان يقمع سببه ، من خبث النفس وحب الرئاسة والكبر وعزة النفس وشدة الحرص وغير ذلك مما ذكر، وعلاج كل واحد من هذه الاسباب يأتي في محله.

تنبيه

القدر الواجب في نفي الحسد

اعلم ان مساواة حسن حال العدو وسوء حاله ، وعدم وجدان التفرقة بينهما في النفس ، ليست مما تدخل تحت الاختيار . فالتكليف به تكليف بالمحال . فالواجب في نفي الحسد وازالته هو القدر الذي يمكن دفعه ، وبيان ذلك ــ كما اشير اليه ــ أن الحسد :

(١) اما يبعث صاحبه على اظهاره بقول او فعل ، بحيث يعرف حسده من آثاره الاختيارية . ولا ريب في كونه مذموما محرما ، وكون صاحبه عاصيا آثما ، لا لمجرد آثاره الظاهرة التي هي الغيبة والبهتان مثلا ، اذ هي أفعال صادرة عن الحسد ، محلها الجوارح ، وليست عين الحسد ، اذ هو صفة للقلب لا صفة للفعل ، ومحله القلب دون الجوارح ، قال سبحانه :

« ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا » (١٨) . وقال : « ودوا لو تكفرون كما كفروا فتكونون سواء » (١٩) . وقال : « ان تمسسكم حسنة تسؤهم » (٢٠) .

فلو كان الاثم على مجرد افعال الجوارح، لم يكن اصل الحسد الذي هو صفة القلب معصية ، والامر ليس كذلك ، فيكون عاصيا لنفس الحسد الذي في قلبه أيضا ، اعني ارتياحه بزوال النعمة مع عدم كراهة ذلك من نفسه . والاثم حقيقة على عدم كراهته وعدم مقته وقهره على نفسه لهذا الارتياح الذي يجده منها ، لكونه اختياريا ممكن الزوال ، لا على نفس الارتياح والاهتزاز ، لما اشير اليه من انه طبيعي غير ممكن الدفع لكل احد.

---

(١٨) الحشر ، الآية : ٩ .
(١٩) النساء ، الآية : ٨٨ .
(٢٠) آل عمران ، الآية : ١٢٠ .

فهذا القسم من الحسد أشد انواعه ، لترتب معصيته على أصله ، وأخرى على ما يصدر عنه من آثاره المذمومة .

(٢) اولا يبعثه على اظهاره بالآثار القولية والفعلية ، بل يكف ظاهره عنها، الا انه بباطنه يحب زوال النعمة من دون كراهة في نفسه لهذه الحالة. ولا ريب في كونه مذموما محرما ايضا ، لانه كسابقه بعينه ، ولا فرق الا في انه لا تصدر منه الآثار الفعلية والقولية الظاهرة ، فهو ليس بمظلمة بحسب الاستحلال منها ، بل معصية بينه وبين الله ، لان الاستحلال انما هو من الافعال الظاهرة الصادرة من الجوارح .

(٣) اولا يبعثه على الآثار الذميمة الظاهرة ، ومع ذلك يلزم قلبه كراهة ما يترشح منه طبعا من حب زوال النعمة ، حتى انه يمقت نفسه ويقهرها على هذه الحالة التي رسخت فيها . والظاهر عدم ترتب الاثم عليه ، اذ تكون كراهته التي من جهة العقل في مقابلة الميل من جهة الطبع ، فقد أدى الواجب عليه . وأصل الميل الطبيعي لا يدخل تحت الاختيار غالبا ، اذ تغير الطبع بحيث يستوي عنده المحسن والمسيء ، وعدم التفرقة بين ما يصل منهما اليه من النعمة والبلية ، ليس شريعة لكل وارد . نعم من تنور قلبه بمعرفة ربه ، واشرقت نفسه باضواء حبه وانسه ، وصار مستغرقا بحب الله تعالى مثل السكران الواله ، واستشعر بالارتباط الخاص الذي بين العلة والمعلول ، والاتحاد الذي بين الخالق والمخلوق ، وعلم انه اقوى النسب والروابط ، ثم تيقن بأن الموجودات بأسرها من رشحات وجوده ، والكائنات برمتها صادرة عن فيضه وجوده ، وان الاعيان الممكنة متساوية في ارتضاع لبان الوجود من ثدي واحدة ، والحقائق الكونية غير متفاوتة في شرب ماء الرحمة والجود من مشرع الوحدة الحقيقية — فقد ينتهي امره الى الا تلتفت نفسه الى تفاصيل أحوال العباد ، بل ينظر الى الكل بعين واحدة ، وهي عين الرحمة ، ويرى الكل عبادا لله وافعاله ، ويراهم مسخرين له ، فلا ينظر الى شيء بعين السخط والمساءة ، وان ورد منه ما ورد من السوء والبلية ، لانه لا ينظر اليه من حيث هو حتى يظهر التفاوت بل من حيث انتسابه اليه سبحانه ، والكل في الانتساب اليه سواء .

ثم من الناس من ذهب الى انه لا اثم على الحسد ما لم تظهر آثاره على الجوارح ، وعلى هذا ينحصر الحسد المحرم في القسم الاول • واحتج على ما ذهب اليه بما ذكرناه من قوله(ص) : « ثلاث لا ينفك المؤمن عنهن: الحسد ••• » • ، وبقوله (ص) : « ثلاث في المؤمن له منهن مخـرج ، ومخرجه من الحسد ألا يبغي » والصحيح أن تحمل أمثال هذهالاخبار على القسم الثالث • وهو ما يكون فيه ارتياح النفس بزوال النعمة طبعا ، مع كراهة له من جهة العقل والدين ، حتى تكون هذه الكراهة في مقابلة حب الطبع •اذ اخبار ذمالحسد تدل بظاهرها على أن كل حاسد آثم ، والحسد عبارةعنصفة القلب لا عن الافعال الظاهرة • وعلى هذا المذهب ، لا يكون اثمعلىصفةالقلب ، بل انما يكون على مجرد الافعال الظاهرة على الجوارح•

فقد اتضحبما ذكر ، ان الاحوال المتصورةلكل أحد بالنسبة الى اعدائه ثلاثة: الاولى : أن يحب مساءتهم ، ويظهر الفرح بمساءتهم بلسانهوجوارحه أو يظهر ما يؤذيهم قولا أو فعلا ، وهذا محظور محرم قطعا ، وصاحبه عاص آثم جزما • الثانية : ان يحب مساءتهم طبعا ، ولكن يكره حبه لذلك بعقله ، ويمقت نفسه عليه ، ولو كانت له حيلة في ازالة ذلك الميل لازاله• وهذا معفو عنه وفاقا ، وفاعله غير آثماجماعا • الثالثة:وهي ما بينالاولين: أن يحسد بالقلب من غير مقته لنفسه على حسده ، ومن غير انكار منه على قلبه ، ولكن يحفظ جوارحه عن صدور آثار الحسد عنها ، وهذا محـل الخلاف • وقد عرفت ما هو الحق فيه •

وصـل

النصيحـة

قد عرفت ان ضد الحقد والحسد (النصيحة) ، وهي ارادة بقاء نعمة الله للمسلمين ، وكراهة وصول الشر اليهم• وقد تطلقفي الاخبار على ارشادهم الى ما فيه مصلحتهم وغبطتهم ، وهو لازم للمعنى الاول • فينبغي ان نشير الى فوائدها وما ورد فيمدحها ، تحريكا للطالبين على المواظبة عليها ليرتفع بها ضدها •

أعلم ان من أحب الخير والنعمةللمسلمين كان شريكا في الخير ، بمعنى

انه في الثواب كالمنعم وفاعل الخير . وقد ثبت من الاخبار ، ان من لم يدرك درجة الاخيار بصالحات الاعمال، ولكنه أحبهم ، يكون يوم القيامة محشورا معهم ، كما ورد : « ان المرء يحشر مع من أحب » . وقال اعرابي لرسول الله : « الرجل يحب القوم ولما يلحق بهم . فقال (ص) : المرء مع من أحب» . وقال رجل بحضرة النبي — بعدما ذكرت الساعة — : « ما أعددت لها من كثير صلاة ولا صيام ، الا اني أحب الله ورسوله . فقال (ص) : انت مع من أحببت » ،قال الراوي : فما فرح المسلمون بعد اسلامهم كفرحهم يومئذ، اذ أكثر ثقتهم كانت بحب الله وبحب رسوله . وروى : « انه قيل له (ص): الرجل يحب المصلين ولا يصلي ،ويحب الصوام ولا يصوم — حتى عد أشياء — فقال : هو مع من أحب » . وبهذا المضمون وردت أخبار كثيرة .

والاخبار الواردة في مدح خصوص النصيحة وذم تركها ، وفي ثواب ترك الحسد وعظم فوائده، أكثر من ان تحصى . عن ابي عبدالله عليه السلام قال : « قال رسول الله (ص) : ان اعظم الناس منزلة عند الله يوم القيامة أمشاهم في ارضه بالنصيحة لخلقه » . وعن ابي جعفر عليه السلام قال : « قال رسول الله (ص) : لينصح الرجل منكم أخاه كنصيحته لنفسه » . وقال الباقر عليه السلام : « يجب للمؤمن على المؤمن النصيحة » . وقال الصادق عليه السلام : « يجب للمؤمن على المؤمن النصيحة له في المشهد والمغيب » . وقال عليه السلام : « عليك بالنصح لله في خلقه ، فلن تلقاه بعمل افضل منه » . وبمضمونها أخبار اخر ، وعن ابى عبد الله عليه السلام قال: « قال رسول الله (ص) : من سعى في حاجة لاخيه فلم ينصحه ، فقد خان الله ورسوله » . وقال الصادق عليه السلام : « من مشى في حاجة أخيه ، ثم لم يناصحه فيها ،كان كمن خان الله ورسوله ، وكان الله خصمه »[٢١]. والاخبار الاخر بهذا المضمون ايضا كثيرة .

وروي : « ان رسول الله (ص) شهد لرجل من الانصار بأنه من أهل الجنة » ، وكان باعثه — بعد التفتيش — خلوه عن الغش والحسد على خير

(٢١) صححنا الاحاديث فى النصيحة كلها على (الكافى) : باب نصيحة المؤمن وباب من لم يناصح اخاه المؤمن .

أعطى أحدا من المسلمين . وروي : « ان موسى عليه السلام لما تعجل الى ربه ، رأى في ظل العرش رجلا ، فغبطه بمكانه ، وقال : ان هذا لكريم على ربه . فسأل ربه ان يخبر بأسمه ، فلم يخبره بأسمه ، وقال : احدثك عن عمله : كان لايحسد الناس على ما آتاهم الله من فضله ، وكان لايعق والديه ولا يمشي بالنميمة » .

وغاية النصحية ، أن يحب لاخيه ما يحب لنفسه ؛ قال رسول الله(ص): « المؤمن يحب للمؤمن ما يحب لنفسه » . وقال (ص) : « لايؤمن أحدكم حتى يحب لاخيه ما يحب لنفسه » . وقال (ص) : « ان أحدكم مرآة أخيه ، فاذا رأى به شيئا فليمط عنه هذا » .

ومنهـا :

الايذاء والاهانة والاحتقار

ولا ريب في كون ذلك في الغالب مترتبا على العداوة والحسد ، وان ترتب بعض أفرادها في بعض الاحيان على مجرد الطمع او الحرص ليكون من رداءة القوة الشهوية ، او على مجرد الغضب وسوء الخلق والكبر ، وان لم يكن حقد وحسد . وعلى أي تقدير ، لاشبهة في أن الايذاء للمؤمن وأحتقاره محرم في الشريعة ، موجب للهلاك الابدي . قال الله سبحانه :

« والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتانا واثما مبينا » (٢٢) .

وقال رسول الله (ص) : « من آذى مؤمنا فقد آذاني ، ومن آذاني فقد آذى الله ، ومن آذى الله فهو ملعون في التوراة والانجيـل والزبور والفرقان » . وفي خبر آخر : «فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين»[٢٣] . وقال (ص) : « المسلم من سلم المسلمون من يده ولسانه » . وقال (ص) : « لايحل للسلم أن يشير الى أخيه بنظرة تؤذيه » . وقال (ص) : « ألا انبئكم بالمؤمن ! من أئتمنه المؤمنون على أنفسهم وأموالهم . ألا انبئكم بالمسلم ! من سلم المسلمون من لسانه ويده . والمؤمن حرام على المؤمن ان يظلمـه او يخذله او يغتابه او يدفعـه دفعـة » . وقال الصادق (ع)

---

(٢٢) الاحزاب ، الآية : ٥٨ .

(٢٣) صححنا الحديثين على « جامع الاخبار » : الباب ٧ ، الفصل ٤ .

« قال الله عز وجل : ليأذن بحرب مني من آذى عبدي المؤمن » . وقال (ع): « اذا كان يوم القيامة ، نادى مناد : اين المؤذون لاوليائي ؟ فيقوم قوم ليس على وجوههم لحم ، فيقال : هؤلاء الذين آذوا المؤمنين، ونصبوا لهم وعاندوهم وعنفوهم في دينهم . ثم يؤمر بهم الى جهنم » . وقال (ع) : « قال رسول الله (ص) : قال الله تبارك وتعالى : من اهان لي وليا فقد ارصد لمحاربتي » . وقال عليه السلام : « ان الله تبارك وتعالى يقول: من أهان لي وليا فقد ارصد لمحاربتي ، وانا اسرع شيء الى نصرة اوليائي » . وقال عليه السلام : « قال رسول الله (ص) : قال الله عز وجل : قد نابذني من أذل عبدي المؤمن » . وقال عليه السلام : « من حقر مؤمنا مسكينا او غير مسكين ، لم يزل الله عز وجل حاقرا له ماقتا ، حتى يرجع عن محقرته اياه »[٢٤] . وفي معناها أخبار كثيرة اخر .

ومن عرف النسبة التي بين العلة والمعلول ، والربط الخاص الذي بين الخالق والمخلوق ، يعلم ان ايذاء العباد واهانتهم يرجع في الحقيقة الى ايذاء الله واهانته ، وكفاه بذلك ذما . فيجب على كل عاقل ان يكون دائما متذكرا لذم ايذاء المسلمين واحتقارهم، ولمدح ضدهما ، من رفع الاذية عنهم واكرامهم — كما يأتي — ، ويحافظ نفسه عن ارتكابهما ، لئلا يفتضح في الدنيا ويعذب في الآخرة .

وصل

كف الاذى عن المسلمين

لا ريب في فضيلة أضداد ما ذكر وفوائدها ، من كف الاذى عن المؤمنين والمسلمين واكرامهم وتعظيمهم . والظواهر الواردة في مدح دفع الضرر وكف الاذى عن الناس كثيرة ، كقول النبي (ص) : « من رد عن قوم من المسلمين عادية ماء أو نار وجبت له الجنة »[٢٥] . وقوله (ص) : « أفضل المسلمين

---

(٢٤) صححنا الاحاديث هنا على (أصول الكافي) : باب من آذى المسلمين واحتقرهم . وعلى (احياء العلوم) : ٢ / ١٧١ ، ١٧٢ .

(٢٥) صححناه على(فروع الكافي) : كتاب الجهاد ، في ملحق باب فضل الشهادة . وعلى (أصوله) : في باب الاهتمام بأمور المسلمين .

من سلم المسلمون من لسانه ويده » . وقوله (ص) في حديث طويل أمر فيه بالفضائل : « ... فان لم تقدر فدع الناس من الشر ، فانها صدقة تصدقت بها على نفسك » . وقوله (ص) : « رأيت رجلا يتقلب في الجنة في شجرة قطعها عن ظهر الطريق كانت تؤذي المسلمين » . وقال (ص) : « من زحزح من طريق المسلمين شيئا يؤذيهم، كتب الله له به حسنة اوجب له بها الجنة »[٢٦].

وكذا الاخبار التي وردت في مدح اكرام المؤمن وتعظيمه كثيرة . قال الصادق عليه السلام : « قال الله سبحانه : ليأمن غضبي من اكرم عبدي المؤمن » . وقال رسول الله (ص) : « من اكرم اخاه المسلم بكلمة يلطفه بها، وفرج عنه كربته، لم يزل في ظل الله الممدود ، عليه الرحمة ما كان في ذلك». وقال(ص) : « ما في امتي عبد ألطف أخاه في الله بشيء من لطف ، الا اخدمه الله من خدم الجنة » . وقال (ص) : « ايما مسلم خدم قوما من المسلمين الا اعطاه الله مثل عددهم خداما في الجنة » . وقال الصادق عليه السلام : « من أخذ من وجه أخيه المؤمن قذاة ، كتب الله عز وجل له عشرة حسنات ومن تبسم في وجه اخيه كانت له حسنة » . وقال عليه السلام : « من قال لاخيه : مرحبا ، كتب الله له مرحبا الى يوم القيامة » . وقال عليه السلام : « من أتاه أخوه المؤمن فأكرمه ، فانما اكرم الله عز وجل » . وقال عليه السلام لاسحاق بن عمار : « احسن يا اسحاق الى اوليائي ما استطعت ، فما احسن مؤمن الى مؤمن ولا اعانه الا خمش وجه ابليس وقرح قلبه[٢٧].

ثم ينبغي تخصيص بعض طبقات الناس بزيادة التعظيم والاكرام ، كأهل العلم والورع ، لما ورد من الحث الاكيد في الاخبار على اكرامهم والاحسان اليهم ، وكذا ينبغي تخصيص ذي الشيبة المسلم بزيادة التوقير والتكريم ، وقد ورد ذلك في الاخبار الكثيرة ؛ قال رسول الله (ص) : « من عرف فضل كبير لسنه فوقره ، آمنه الله من فزع يوم القيامة ». وقال الصادق عليه السلام « ان من اجلال الله عز وجل اجلال الشيخ الكبير » . وقال عليه السلام : « ليس منا من لم يوقر كبيرنا ويرحم صغيرنا » . والاخبار في هذا

---

(٢٦) صححنا هذه الاحاديث الاربعة الاخيرة على (احياء العلوم) : ٢ / ١٧١ ، ١٧٢ .

(٢٧) صححنا الاحاديث هنا على (أصول الكافي) : باب الطاف المؤمن واكرامه وباب من آذى المسلمين واحتقرهم .

المضمون كثيرة •

وكذا ينبغي تخصيص كريم القوم بزيادة الاكرام ، لقول النبي (ص) : « اذا أتاكم كريم قوم فأكرموه » [٣٨] •

وكذا تخصيص الذرية العلوية بزيادة الاكرام والتعظيم • قال رسول الله (ص) : « حقت شفاعتي لمن أعان ذريتي بيده ولسانه وماله » • وقال (ص) : « أربعة أنا لهم شفيع يوم القيامة : المكرم لذريتي ، والقاضي لهم حوائجهم ، والساعي لهم في أمورهم عندما اضطروا اليه ، والمحب لهم بقلبه ولسانه » [٣٩] وقال (ص) : «أكرموا اولادي ، وحسنوا آدابي » • وقال (ص) : « أكرموا اولادي الصالحون لله والطالحون لي » • والاخبار في فضل السادات وثواب من يكرمهم ويعينهم أكثر من أن تحصى •

وأضرار المسلم قريب من معنى ايذائه ، وربما كان الاضرار أخص منه فما يدل على ذمه يدل على ذمه ، كقول النبي (ص) : « خصلتان ليس فوقهما شيء من الشر : الشرك بالله تعالى ، والضر بعباد الله » • وكذا ضده ، اعني ايصال النفع اليه ، قريب من معنى ضده وأخص منه • فما يدل على مدحه ولا ريب في ان ايصال النفع الى المؤمنين من شرائف الصفات والافعال • والاخبار الواردة في فضيلته كثيرة ، قال رسول الله (ص) : « الخلق عيال الله ، فأحب الخلق الى الله من نفع عيال الله وادخل على أهل بيته سرورا » • وسئل (ص) : « من أحب الناس الى الله ؟ قال : أنفع الناس للناس» [٣٠] • وقال رسول الله (ص) : « خصلتان من الخير ليس فوقهما شيء من البر : الايمان بالله ، والنفع لعباد الله » •

تنبيــه

ذم الظلم بالمعنى الاخص

أعلم ان الظلم قد يراد به ما هو ضد العدالة ، وهو التعدي عن الوسط في أي شيء كان ، وهو جامع للرذائل بأسرها — كما اشير اليه — • وهذا

(٢٨) صححنا هذه الاحاديث على (أصول الكافي) : باب اجلال الكبير ، وباب وجوب اجلال ذي الشيبة ، وباب اكرام الكريم . وعلى (الوسائل) : كتاب الحج ، أبواب أحكام العشرة ، الباب ٦٧ .

(٢٩) تقدم هذان الحديثان في ص ١٣٩ من هذا الجزء .

هو الظلم بالمعنى الاعم ، وقد يطلق عليه الجور ايضا ، وقد يراد به ما يرادف الاضرار والايذاء بالغير ،وهو يتناول قتله وضربه وشتمه وقذفه وغيبته وأخذ ماله قهرا ونهبا وغصباً وسرقة وغير ذلك من الاقوال والافعال المؤذية . وهذا هو الظلم بالمعنى الاخص ، وهو المراد اذا أطلق في الآيات والاخبار وفي عرف الناس . وباعثه ان كانت العداوة والحسد ، يكون من رذائل قوة الغضب ، وان كان الحرص والطمع في المال ، يكون من رذائل قوة الشهوة . وهو أعظم المعاصي وأشدها عذابا بأتفاق جميع الطوائف . ويدل على ذمه — بعد ما ورد في ذم كل واحد من الامور المندرجة تحته كما يأتي بعضها — ماتكرر في القرآن من اللعن على الظالمين ، وكفاه ذما انه تعالى قال في مقام ذم الشرك :

« ان الشرك لظلم عظيم » (٣١) . وقال : « انما السبيل على الذين يظلمون الناس ويبغون فى الارض بغير الحق أولئك لهم عذاب اليم » (٣٢) . وقال: « ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون » (٣٣) . وقال « وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون » (٣٤) .

وقال رسول الله (ص) : « ان أهون الخلق على الله ، من ولي أمر المسلمين فلم يعدل لهم» . وقال (ص) : « جور ساعة في حكم ، أشدواعظم عند الله من معاصي تسعين سنة » . وقال (ص) : « أتقوا الظلم ، فانه ظلمات يوم القيامة » . وقال (ص) : « من خاف القصاص ، كف عن ظلم الناس » . وروي : « انه تعالى أوحى الى داود : قل للظالمين لاتذكروني ، فان حقا علي ان اذكر من ذكرني ، وان ذكري اياهم ان العنهم » . وقال علي بن الحسين عليهما السلام لابنه ابيجعفر عليه السلام حين حضرته الوفاة: « يابني ، اياك وظلم من لايجد عليك ناصرا الا الله » . وقال ابو جعفر

---

(٣٠) هذان الحديثان صححناهما على « اصول الكافي » : باب الاهتمام بامور المسلمين .

(٣١) لقمان ، الآية : ١٣ .

(٣٢) الشورى ، الآية : ٤٢ .

(٣٣) ابراهيم ، الآية : ٤٢ .

(٣٤) الشعراء ، الآية : ٢٢٧ .

عليه السلام : « ما من أحد يظلم بمظلمة الا أخذه الله تعالى بها في نفسه أو ماله » . وقال رجل له عليه السلام : « اني كنت من الولاة ، فهل لي من توبه ؟ فقال : لا ! حتى تؤدي الى كلذي حق حقه » . وقال عليه السلام: « الظلم ثلاثة : ظلم يغفره الله تعالى ، وظلم لا يغفره الله تعالى ، وظلم لا يدعه الله . فأما الظلم الذي لا يغفره الله عز وجل فالشرك ، واما الظلم الذييغفره الله عز وجل فظلم الرجل نفسه فيما بينه وبين الله عز وجل ، واما الظلمالذي لا يدعه فالمداينة بين العباد » . وقالالصادق (ع) في قولهتعالى:

« ان ربك لبالمرصاد » (٣٥) :

« قنطرة على الصراط ، لا يجوزها عبد بمظلمة » . وقال عليه السلام: « ما من مظلمة أشد من مظلمة لا يجد صاحبها عليها عونا الا الله تعالى ». وقال : « من أكل مال أخيه ظلما ، ولم يرده اليه ، أكل جذوة من النار يوم القيامة » . وقال عليه السلام : « ان الله عز وجل اوحى الى نبي من انبيائه في مملكة جبار من الجبارين : أن ائت هذا الجبار ، فقل له : اني لم استعملك على سفك الدماء واتخاذ الاموال ، وانما استعملته لتكف عني أصوات المظلومين ، فاني لن ادع ظلامتهم وان كانوا كفارا » . وقال عليه السلام : « أما ان المظلوم يأخذ من دين الظالم اكثر مما يأخذ الظالم من مال المظلوم .. ثم قال : من يفعل الشر بالناس فلا ينكر الشر اذا فعل به . أما انه يحصد ابن آدم ما يزرع . وليس يحصد أحد من المر حلوا ، ولا منالحلو مرا » . وقال عليه السلام: « من ظلم ، سلط الله عليه من يظلمه، أو على عقبه او على عقب عقبه » . قال الراوي : « قلت : هــو يظلم ، فيسلط الله على عقبه او على عقب عقبه ؟! قال : فان الله تعالى يقول :

« وليخش الذين لو تركوا منخلفهم ذرية ضعافا خافــوا عليهم فليتقوا الله وليقولوا قولا سديدا » (٣٦) .

والظاهر ان مؤاخذة الاولاد بظلم آبائهم انما هو في الاولاد الذين

---

(٣٥) الفجر ، الآية : ١٤ .

(٣٦) صححنا احاديث الباب على (اصول الكافي) : باب الظلم . والآية من الحديث الاخير : سورة النساء ، الآية : ٨ .

كانوا راضين بفعل آبائهم أو وصل اليهم أثر ظلمهم ، أي انتقل اليهم منهم بعض أموال المظلومين . وقال بعض العلماء : الوجه في ذلك : ان الدنيا دار مكافاة وانتقام ، وان كان بعض ذلك مما يؤخر الى الآخرة . وفائدة ذلك امابالنسبة الى الظالم فانه يردعه عن الظلم اذا سمع ، واما بالنسبة الىالمظلوم فانه يستبشر بنيل الانتقام فيالدنيا مع نيله ثواب الظلم الواقع عليه في الآخرة فانه ما ظفر أحد بخير مما ظفر به المظلوم ، لانه يأخذ من دين الظالم اكثر مما أخذ الظالم من ماله ، كما تقدم . وهذا مما يصحح الانتقام من عقب الظالم او عقب عقبه ، فانه وان كان في صورة الظلم ، لانه انتقام من غير أهله ، مع انه لا تزر وازرة وزر أخرى ، الا انه نعمة من الله عليه في المعنى منجهة ثوابه في الدارين ، فان ثواب المظلوم في الآخرة اكثر مما جرى عليه من الظلم في الدنيا .

ثم ان معين الظالم ، والراضي بفعله ، والساعي له في قضاء حوائجه وحصول مقاصده ، كالظلم بعينه في الاثم والعقوبة .قال الصادقعليه السلام: « العامل بالظلم ، والمعين له ، والراضي به ، شركاء ثلاثتهم » . وقال (ع): « من عذر ظالما بظلمه ، سلط الله عليه من يظلمه ، فان دعا لم يستجب له ، ولم يأجره اللهعلى ظلامته » . وقال رسول الله (ص) : « شر الناس المثلث؟» قيل : وما المثلث ؟ قال : « الذي يسعىبأخيه الى السلطان ، فيهلك نفسه ، ويهلك اخاه ، ويهلك السلطان » . وقال (ص) « من مشى مع ظالم فقد أجرم » . وقال (ص) : « اذا كان يوم القيامة ، نادى مناد : اين الظلمة وأعوان الظلمة ومن لاق لهم دواة او ربط لهم كيسا او مدهم بمدة قلم ؟ فاحشروهم معهم » .

وصل

العدل بالمعنى الاخص

ضد الظلم بالمعنى الاخص هو العدل بالمعنى الاخص ، وهو الكف عنه ، ورفعه ، والاستقامة ، واقامة كل احد على حقه . والعدل بهذا المعنى هو المراد عند اطلاقه في الآيات والاخبار ، وفضيلته اكثر من أن تحصى . قال الله سبحانه :

« ان الله يأمر بالعدل والاحسان ... » (٣٧) . وقال : « ان الله يأمركم ان تؤدوا الامانات الى أهلها واذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل » (٣٨) .

وقال رسول الله (ص) : « عدل ساعة خير من عبادة سبعين سنة قيام ليلها وصيام نهارها » . وقال الصادق عليه السلام : « من أصبح ولا يهم بظلم أحد ، غفر له ما أجترم » . وقال عليه السلام : « من أصبح لاينوي ظلم أحد ، غفر الله تعالى له ذنب ذلك اليوم ، مالم يسفك دما او يأكل مال يتيم حراما » . وقال عليه السلام : « العدل أحلى من الماء يصيبه الظمآن . ما أوسع العدل اذا عدل فيه ، وان قل » . وقال عليه السلام : «العدل احلى من الشهد ، وألين من الزبد ، وأطيب ريحا من المسك » . وقال (ع) : « أتقوا الله وأعدلوا ، فانكم تعيبون على قوم لايعدلون » (٣٩) .

ومما يدل على فضيلة العدل بهذا المعنى ما ورد في ثواب رد المظالم. قال رسول الله (ص) : « درهم يرده العبد الى الخصماء ، خير له من عبادة الف سنة ، وخير له من عتق الف رقبة ، وخير له من الف حجة وعمرة » . وقال (ص) : « من رد درهما الى الخصماء ، اعتق الله رقبته من النار ، واعطاه بكل دانق ثواب نبي ، وبكل درهم ثواب مدينة في الجنة من درة حمراء » . وقال (ص) : « من رد ادنى شيء الى الخصماء ، جعل الله بينه وبين النار ستراً كما بين السماء والارض ، ويكون في عداد الشهداء » . وقال (ص) : : « من أرضى الخصماء من نفسه ، وجبت له الجنة بغيرحساب ويكون في الجنة رفيق اسماعيل بن ابراهيم » . وقال (ص) : « ان في الجنة مدائن من نور ، وعلى المدائن أبواب من ذهب مكللة بالدر والياقوت ، وفي جوف المدائن قباب من مسك وزعفران ، من نظر الى تلك المدائن يتمنى ان تكون له مدينة منها » . قالوا : يا نبي الله ، لمن هذه المدائن ؟ قال : « للتائبين النادمين ، المرضين الخصماء من أنفسهم . فان العبد اذا رد درهما الى الخصماء ، أكرمه الله كرامة سبعين شهيدا . فان درهما يرده العبد الى

---

(٣٧) النحل ، الآية : ٩٠ .

(٣٨) النساء ، الآية : ٥٧ .

(٣٩) صححنا الاحاديث هنا على « أصول الكافي » : باب الظلم وباب الانصاف والعدل .

الخصماء خير له من صيام النهار وقيام الليل . ومن رد درهما ناداه ملك من تحت العرش : استأنف العمل ، فقد غفر لك ما تقدم من ذنبك » . وقال (ص) : « من مات غير تائب ، زفرت جهنم في وجهه ثلاث زفرات ، فأولاها لا تبقى دمعة الا جرت من عينيه ؛ والزفرة الثانية لا يبقى دم الا خرج من منخريه ، والزفرة الثالثة لا يبقى قيح الا خرج من فمه . فرحم الله من تاب ، ثم أرضى الخصماء ؛ فمن فعل فأنا كفيله بالجنة » . وقال (ص) : « لرد دانق من حرام يعدل عند الله سبعين الف حجة مبرورة»[٤٠] .

ومنها :

اخافة المؤمن

وادخال الكرب في قلبه . وهما شعبتان من الايذاء والاضرار ، فيترتبان غالبا على العداوة والحسد ، وقد يترتبان على مجرد الغضب أو سوء الخلق او الطمع ، وهما من رذائل الافعال ، والاخبار الواردة في ذمهما كثيرة ؛ كقول النبي (ص) : « من نظر الى مؤمن نظرة ليخيفه بها ، أخافه الله تعالى يوم لا ظل الا ظله » . وقول الصادق عليه السلام : « من روع مؤمنا بسلطان ليصيبه منه مكروه فلم يصبه فهو في النار ،ومن روع مؤمنا بسلطان ليصيبه منه مكروه فاصابه فهو مع فرعون وآل فرعون في النار » . وقوله عليه السلام : « من أدخل السرور على مؤمن فقد ادخله على رسول الله (ص) ومن أدخله على رسول الله (ص) فقد وصل ذلك الى الله ، وكذلك من ادخل عليه كربا »[٤١] . والاخبار الواردة في هذا المعنى كثيرة .

وصل

ادخال السرور فى قلب المؤمن

وضد ذلك ازالة الخوف عنه ،وتفريج كربه ، وادخال السرور في قلبه. وهي من أعظم شعب النصيحة ، ولا حد للثواب المترتب عليها ، كما نطقت

---

(٤٠) صححنا الاحاديث النبوية هذه كلها على (جامع الاخبار) : الباب ٧ الفصل ٧ . ولم نعثر لها على أثر فى الكتب المعتبرة .

(٤١) صححنا الاحاديث هنا على (أصول الكافى) : باب ادخال السرور على المؤمن ، وباب من اخاف مؤمنا .

به الاخبار . قال رسول الله (ص) : « من حمى مؤمنا من ظالم ، بعث الله له ملكا يوم القيامة يحمي لحمه من نار جهنم » . وقال (ص) : « من فرج عن مغموم او اعان مظلوما ، غفر الله له ثلاثا وسبعين مغفرة » . وقال (ص): « انصر أخاك ظالما أو مظلوما » ، فقيل : كيف ينصره ظالما ؟ قال : « تمنعه من الظلم » . وقال الامام ابو عبدالله الصادق عليه السلام : « من أغاث اخاه المؤمن اللهفان اللهثان عند جهده ، فنفس كربته واعانه على نجاح حاجته ، كتب الله تعالى له بذلك اثنتين وسبعين رحمة من الله ، يعجل له منها واحدة يصلح بها أمر معيشته ، ويدخر له احدى وسبعين رحمة لافزاع يوم القيامة وأهواله » . وقال عليه السلام : « من نفس عن مؤمن كربة ، نفس الله عنه كرب الآخرة ، وخرج من قبره وهو ثلج الفؤاد » . وقال الرضا عليه السلام: « من فرج عن مؤمن فرج الله قلبه يوم القيامة » . وقال رسول الله (ص) : « من سر مؤمنا فقد سرني ، ومن سرني فقد سر الله » . وعن ابي عبدالله عليه السلام قال : « قال رسول الله (ص) : ان احب الاعمال الى الله عز وجل ادخال السرور على المؤمنين » . وقال الباقر عليه السلام : « تبسم الرجل في وجه أخيه حسنة ، وصرفه القذى عنه حسنة ، وما عبد الله بشيء أحب الى الله من ادخال السرور على المؤمن » . وقال عليه السلام « ان فيما ناجى الله عز وجل به عبده موسى عليه السلام : قال : ان لي عبادا ابيحهم جنتي واحكمهم فيها ، قال : يا رب ، ومن هؤلاء الذين تبيحهم جنتك وتحكمهم فيها ؟ قال : من ادخل على مؤمن سرورا ... ثم قال : ان مؤمنا كان في مملكة جبار ، فولع به ، فهرب منه الى دار الشرك ، فنزل برجل من أهل الشرك فأظله وارفقه واضافه ، فلما حضره الموت ، اوحى الله اليه : وعزتي وجلالي! لو كان لك في جنتي مسكن لاسكنتك فيها ، ولكنها محرمة على من مات بي مشركا ، ولكن يا نار هيديه ولا تؤذيه ، ويؤتى برزقه طرفي النهار » ، قات[٤٢] : من الجنة ؟ قال : « من حيثما شاء الله » . وقال عليه السلام : « لا يرى أحدكم اذا أدخل على مؤمن سرورا انه عليه أدخله فقط ، بل والله علينا ، بل والله على رسول الله (ص) ! » . عن ابان ابن تغلب ، قال: «سألت ابا عبدالله عليه السلام عن حق المؤمن على المؤمن

(٤٢) القائل الراوي ، والمجيب أبو جعفر — عليه السلام — .

فقال : حق المؤمن على المؤمن أعظم من ذلك ، لو حدثتكم لكفرتم . ان المؤمن اذا خرج من قبره خرج معه مثال من قبره يقول له : ابشر بالكرامة من الله والسرور ، فيقول له : بشرك الله بخير . قال : ثم يمضي معه يبشره بمثل ما قال ، واذا مر بهول قال : ليس هذا لك ، واذا مر بخير قال : هذا لك . فلا يزال معه ، يؤمنه مما يخاف ويبشره بما يحب ، حتى يقف معه بين يدي الله عز وجل . فاذا امر به الى الجنة ، قال له المثال : ابشر فان الله عز وجل قد امر بك الى الجنة . قال : فيقول : من أنت رحمك الله؟ تبشرني من حين خرجت من قبري ، وآنستني في طريقي ، وخبرتني عن ربي! قال : فيقول : انا السرور الذي كنت تدخله على اخوانك في الدنيا ، خلقت منه لابشرك واونس وحشتك » . وروي ابن سنان ، قال : « كان رجل عند ابي عبدالله عليه السلام ، فقرأه هذه الآية :

« والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتانا واثما مبينا »[٤٣]

فقال ابو عبدالله عليه السلام : فما ثواب من أدخل عليه السرور ؟ فقلت : جعلت فداك! عشر حسنات . قال : أي والله وألف ألف حسنة!»[٤٤] . ومنها :

ترك أعانة المسلمين

وعدم الاهتمام باموره . فان من يعادي غيره او يحاسده يترك اعانته ولا يهتم باموره ، وربما كان ذلك من نتائج الكسالة بها ، أو ضعف النفس او البخل . وبالجملة : لا ريب في كونه من رذائل الصفات ، ودليلا على ضعف الايمان . وما ورد في ذمه من الاخبار كثير ، قال الباقر عليه السلام: « من بخل بمعونة اخيه المسلم والقيام له في حاجة ، الا ابتلى بالقيام بمعونة من يأثم عليه ولا يؤجر » . وقال الصادق عليه السلام : « ايما رجل من شيعتنا أتاه رجل من اخوانه ، فاستعان به في حاجة فلم يعنه ، وهو يقدر ؛

---

(٤٣) الاحزاب ، الآية : ٥٨ .

(٤٤) صححنا الاحاديث كلها هنا على (اصول الكافي) : باب ادخال السرور على المؤمن ، باب تفريج كرب المؤمن .

الا ابتلاه الله تعالى بأن يقضي حوائج عدة من اعدائنا ، يعذبه الله عليها يوم القيامة » . وقال عليه السلام : « ايما مؤمن منع مؤمنا شيئا مما يحتاج اليه وهو يقدر عليه من عنده او من عند غيره ، اقامه الله عز وجل يوم القيامة مسودا وجهه ، مزرقة عيناه ، مغلولة يداه الى عنقه ، فيقال : هذا الخائن الذي خان الله ورسوله ، ثم يؤمر به الى النار » . وقال عليه السلام : « من كانت له دار ، فاحتاج مؤمن الى سكناها ، فمنعه اياها ، قال الله تعالى: " ملائكتي ، أبخل عبدي على عبدي بسكنى الدنيا ؟ وعزتي وجلالي ! لا يسكن جناتي ابدا » . وقال عليه السلام لنفر عنده : « ما لكم تستخفون بنا ؟» ، فقام اليه رجل من أهل خراسان ، فقال : معاذ لوجه الله ان نستخف بك أو بشيء من أمرك ! فقال : « انك احد من استخف بي » ، فقال : معاذ لوجه الله ان استخف بك ! فقال له : « ويحك ! الم تسمع فلانا ، ونحن بقرب الجحفة ، وهو يقول لك : احملني قدر ميل ، فقد والله اعييت ، والله ما رفعت به رأسا ، لقد استخففت به . ومن استخف بمؤمن فبنا استخف ، وضيع حرمة الله عز وجل »[٤٥] . وقال عليه السلام : « من أتاه أخوه في حاجة يقدر على قضائها فلم يقضها له ، سلط الله عليه شجاعا ينهش ابهامه في قبره الى يوم القيامة مغفورا له او معذبا » . وقال ابو الحسن عليه السلام: « من قصد اليه رجل من اخوانه مستجيرا به في بعض احواله ، فلم يجره بعد ان يقدر عليه ، فقد قطع ولاية الله عز وجل » . وقال رسول الله (ص): « من أصبح لا يهتم بامور المسلمين فليس بمسلم» . وقال (ص) : « من اصبح لا يهتم بامور المسلمين فليس منهم ، ومن سمع رجلا ينادي يا للمسلمين فلم يجبه فليس بمسلم »[٤٦] .

---

(٤٥) صححنا هذا الحديث بالخصوص على « الوسائل) : كتاب الحج ، باب تحريم الاستخفاف . وهو يرويه عن (الكافي) .

(٤٦) صححنا الاحاديث هنا على (اصول الكافي) : باب من استعان اخوه به فلم يعنه ، وباب قضاء حاجة المؤمن ، وباب من منع مؤمنا شيئا من عنده ، وباب الاهتمام بأمور المسلمين

وصل

قضاء حوائج المسلمين

ضد هذه الرذيلة: قضاء حوائج المسلمين والسعي في انجاح مقاصدهم. وهو من أعظم أفراد النصيحة، ولا حد لمثوبته عند الله: قال رسول الله (ص): «من قضى لأخيه المؤمن حاجة، فكأنما عبد الله دهره»[٤٧] وقال (ص): «من مشى في حاجة أخيه ساعة من ليل أو نهار، قضاها أو لم يقضها، كان خيراً له من اعتكاف شهرين». وقال أبو جعفر عليه السلام: «أوحى الله عز وجل الى موسى عليه السلام: ان من عبادي من يتقرب الي بالحسنة فأحكمه في الجنة، فقال موسى: يارب، وما تلك الحسنة؟ قال يمشي مع أخيه المؤمن في قضاء حاجته، قضيت أم لم تقض». وقال (ع): «من مشى في حاجة أخيه المسلم، أظله الله بخمسة وسبعين ألف ملك، ولم يرفع قدما الا كتب الله له حسنة، وحط عنه بها سيئة، ويرفع له بها درجة، فاذا فرغ من حاجته كتب الله عز وجل له بها أجر حاج ومعتمر». وقال (ع): «ان المؤمن لترد عليه الحاجة لأخيه فلا تكون عنده فيهتم بها قلبه، فيدخله الله تبارك وتعالى بهمه الجنة». وقال الصادق (ع): «من قضى لأخيه المؤمن حاجة، قضى الله تعالى له يوم القيامة مائة الف حاجة، من ذلك أولها الجنة، ومن ذلك أن يدخل قرابته ومعارفه وأخوانه الجنة، بعد ان لايكونوا نصابا». وقال (ع): «ان الله تعالى خلق خلقا من خلقه، انتجبهم لقضاء حوائج فقراء شيعتنا، ليثيبهم على ذلك الجنة. فان استطعت ان تكون منهم فكن». وقال (ع): «قضاء حاجة المؤمن خير من عتق الف رقبة، وخير من حملان الف فرس في سبيل الله». وقال (ع): «لقضاء حاجة امرىء مؤمن احب الى الله تعالى من عشرين حجة، كل حجة ينفق فيها صاحبها مائة الف». وقال (ع): «من طاف بالبيت طوافا واحدا كتب الله له ستة آلاف حسنة، ومحى عنه ستة آلاف سيئة، ورفع له ستة آلاف درجة ــ وفي رواية: وقضى له ستة

---

(٤٧) صححناه على (الوسائل). كتاب الامر بالمعروف، باب استحباب قضاء حاجة المؤمن، رواه عن (مجالس الطوسي). ولم نعثر على مصدر للنبوي الثاني.

آلاف حاجة ــ حتى اذا كان عند الملتزم ، فتح له سبعة أبواب من الجنة»، قلت له : جعلت فداك ! هذا الفضل كلــه في الطواف ؟ قال : « نعم ! وأخبرك بأفضل من ذلك : قضاء حاجــة المؤمن المسلم أفضل من طواف وطواف وطواف ...حتى بلغ عشرا ». وقال (ع) : « تنافسوا في المعروف لاخوانكم ، وكونوا من أهله ، فان للجنة باباً يقال له المعروف ، لايدخله الا من أصطنع المعروف في الحياة الدنيا ، فان العبد ليمشي في حاجة أخيه المؤمن ، فيوكل الله عز وجل به ملكين ، واحدا عن يمينه وآخر عن شماله، يستغفر ان له ربه ، ويدعوان بقضاءحاجته » ... ثم قال : « واللهلرسول الله (ص) أسر بقضاء حاجة المؤمن اذا وصلت اليه من صاحب الحاجة ».
وقال (ع) : « ما قضى مسلم لمسلم حاجة الا ناداه الله تعالى : علي ثوابك ، ولا ارضى لك بدون الجنة » . وقال (ع) : « ايما مؤمن أتى أخاه في حاجة فانما ذلك رحمة من الله ساقها اليه وسببها له ، فان قضى حاجته كان قد قبل الرحمة بقبولها ، وان رده عن حاجته وهو يقدر على قضائها فانما رد عن نفسه رحمة من الله عز وجل ، ساقها اليه وسببها له ، وذخر الله تلك الرحمة الى يوم القيامة ، حتى يكون المردود عن حاجته هو الحاكم فيها ، ان شاء صرفها الى نفسه ، وان شاء صرفها الى غيره » ... ثم قال (ع) للراوي : « فاذا كان يوم القيامة ، وهو الحاكم في رحمة من الله تعالى قد شرعت له ، فالى من ترى يصرفها ؟ » ؛ قال : لا أظن يصرفها عن نفسه ، قال : « لاتظن ! ولكن استيقن ، فانه لن يردها عن نفسه » . وقال (ع) : « من مشى في حاجة أخيه المؤمن يطلب بذلــك ما عند الله حتى تقضى له ، كتب الله عز وجــل له بذلــك مثل أجر حجة وعمرة مبرورتين ، وصوم شهرين من أشهر الحرم واعتكافهما في المسجد الحرام ، ومن مشى فيها بنية ولم تقض ، كتب الله له بذلك مثــل حجة مبرورة . فأرغبوا في الخير » . وقال (ع) : لئن أمشي في حاجة أخ لي مسلم ، أحب الي من أن أعتق الف نسمة ، وأحمل في سبيل الله على الف فرس مسرجة ملجمة » . وقال (ع) : « من سعى في حاجة أخيه المسلم، وطلب وجه الله ، كتب الله عز وجل له الف الف حسنة ، يغفر فيها لأقاربه

وجيرانه وأخوانه ومعارفه ؛ ومن صنع اليه معروفا في الدنيا ، فاذا كان يوم القيامة ، قيل له : ادخل النار ، فمن وجدته فيها صنع اليـك معروفا في الدنيا فأخرجه بأذن الله عز وجـل ؛ الا أن يكون ناصبيا » . وقال ابو الحسن (ع) : « ان لله عبادا في الارض يسعون في حوائج الناس ، هم الآمنون يوم القيامة . ومن أدخل على مؤمن سرورا ، فرح الله قلبه يوم القيامة » (٤٨) . والاخبار الواردة بهذه المضامين كثيرة ، وما ذكرناه كاف لتحريك الطالبين على قضاء حوائج المؤمنين . ومما يدل على مدحه وشرافته، ما ورد في ثواب اطعام المؤمن وسقيه وكسوته ، كما يأتي .

ومنها :

التهاون والمداهنة

في الامر بالمعروف والنهي عن المنكر . وهو ناش اما من ضعف النفس وصغرها ، أو من الطمـع المالي ممن يسامحه ، فيكون من رذائل القوة الغضبية من جانب التفريط ، او من رذائل القوة الشهوية من جانب الافراط . وهو من المهلكات التي يعم فسادها وضرها ، ويسرى الى معظم الناس أثرها وشرها . كيف ولو طوى بساط الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، أضمحلت الديانة ، وتعطلت النبوة ، وعمت الفترة ، وفشت الضلالة ؛ وشاعت الجهالة ؛ وضاعت أحكام الدين ؛ واندرست آثار شريعة رب العالمين ، وهلك العباد ، وخربت البلاد . ولذا ترى وتسمع أن في كل عصر نهض باقامة هذه السنة بعض المؤيدين ، من غير ان تأخذهم في الله لومة لائمين ، من أقوياء العلماء المتكفلين لعلمها والقائها ، ومن سعداء الامراء الساعين في أجرائها وامضائها ؛ رغب الناس الى ضروب الطاعات والخيرات ، وفتحت عليهم بركات الارض والسماوات . وفي كل قرن لم يقم باحيائها عالم عامل ولا سلطان عادل ؛ أستشرى الفساد ، واتسع الخرق ، وخربت البلاد ، واسترسل الناس في أتباع الشهوات والهوى ؛ وانمحت أعلام الهداية والتقوى .

ولذا ترى في عصرنا — لما أندرس من هذا القطب الاعظم عمله وعلمه،

---

(٤٨) صححنا الاحاديث — ابتداء من الحديث عن ابي جعفر عليه السلام — على (أصول الكافي) : باب قضاء حاجة المؤمن ، وباب السعي في حاجة المؤمن .

وانمحت بالكليــة حقيقته واسمه ، وعز على بسيط الارض دين يحرس الشريعــة ، وأستولت على القلوب مداهنة الخليقة ـ أن الناس في بيداء الضلالة حيارى ، وفي أيدى جنود الابالسة أسارى ، ولم يبق من الاسلام الا اسمه ومن الشرع الا رسمه .

ولأجل ذلك ورد الذم الشديد في الآيات والاخبـار على ترك الامر بالمعروف والنهي عن المنكر والمداهنة فيهما ، قال الله سبحانه :

« لولا ينهاهم الربانيون والاحبار عن قولهم الاثم وأكلهم السحت لبئس ما كانوا يصنعون » (٤٩) .

وقال رسول الله (ص) : « ما من قوم عملوا بالمعاصي ، وفيهم من يقدر أن ينكر عليهم فلم يفعل ، الا يوشك أن يعمهم الله بعذاب من عنده » . وقال (ص) « ان الله تعالى ليبغض المؤمن الضعيف الذى لادين له » ، فقيل له وما المؤمن الذى لادين له ؟ قال : « الذى لاينهى عن المنكر » . وقيل له صلى الله عليه وآله : « أتهلك القرية وفيها الصالحون ؟ قال : نعم ! قيل: بم يارسول الله ؟ قال : بتهاونهم وسكوتهم عن معاصى الله » . وقال صلى الله عليه وآله : « لتأمرن بالمعروف ولتنهن عن المنكر ، او ليستعملن عليكم شراركم ، فيدعو خياركم فلا يستجاب لهم » (٥٠) . وقال (ص) : « ان الله تعال ليسأل العبد : ما منعك اذ رأيت المنكر ان تنكر ؟ » . وقال (ص): « ان الله لايعذب الخاصة بذنوب العامة ، حتى يظهر المنكر بين اظهرهم ، وهم قادرون على أن ينكروه فلا ينكرونه » .

وقال أمير المؤمنين (ع) في بعض خطبه : « انما هلك من كان قبلكم ، حيث عملوا بالمعاصي ولم ينههم الربانيون والاحبار عن ذلك ، وانهم لمـا تمادوا في المعاصى ولم ينههم الربانيون والاحبار عن ذلـك ، نزلت بهم العقوبات ، فأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ... » . وقال (ع) :

---

(٤٩) المائدة ، الآية : ٦٦ .

(٥٠) روى في (فروع الكافي) ـ باب الامر بالمعروف ـ هذا الحديث عن ابي الحسن الرضا ـ عليه السلام ـ . وصححنا الحديث الذي قبل الاخير على « فروع الكافي) في الموضع المذكور أيضا .

« من ترك انكار المنكر بقلبه ويده ولسانه ، فهو ميت بين الاحياء » . وقال عليه السلام : « أمرنا رسول الله (ص) ان نلقى أهـل المعاصى بوجوه مكفهرة » .. وقال (ع) : « ان اول ما تغلبون عليه من الجهاد الجهادبأيديكم ثم بالسنتكم ، ثم بقلوبكم ، فمن لم يعرف بقلبه معروفا ولم ينكر منكرا قلب ، فجعل أعلاه أسفله » . وقال الباقر (ع) : « أوحى الله عز وجل الى شعيب النبي (ع) : اني معذب من قومك مائة الف : أربعين الفا من شرارهم ، وستين الفا من خيارهم . فقـال (ع) : يارب ، هؤلاء الاشرار فما بال الاخيار ؟ فأوحى الله عز وجل اليه : داهنوا أهل المعاصى ، ولم يغضبوا لغضبي » . وقال الصادق (ع) : « ما قدست أمة لم يؤخذ لضعيفها من قويها بحقه غير متعتع » . وقال (ع) : « ويل لقوم لايدينون الله بالامر بالمعروف والنهي عن المنكر » . وقال (ع) : « ان الله تعالى بعث ملكين الى أهل مدينة ليقلبها على أهلها ، فلما انتهيا الى المدينة وجدا رجلا يدعو الله ويتضرع اليه ، فقال أحد الملكين لصاحبه : أما ترى هذا الداعي ؟ فقال : قد رأيته ، ولكن أمضى ما أمر به ربي . فقال : لا ، ولكن لا أحدث شيئا حتى أراجع ربى . فعاد الى الله تبـارك وتعالى ، فقال : يارب اني انتهيت الى المدينة ، فوجدت عبدك فلانا يدعوك ويتضرع اليك . فقال : امض ما أمرتك به ، فان ذا رجل لم يتمعر وجهه غيظا لي قط » . وقال (ع) لقوم من أصحابه : حق لي أن آخذ البرىء منكم بالسقيم ، وكيف لايحق لي ذلك وانتم يبلغكم عن الرجل منكم القبيح فلا تنكرون عليه ، ولا تهجرونه ولا تؤذونه حتى يتركه » . وقال (ع) : « لاحملن ذنوب سفهائكم على علمائكم ... الى أن قال : ما يمنعكم اذا بلغكم عن الرجل منكم ما تكرهون وما يدخل علينا به الاذى ، أن تأتوه فتؤنبوه وتعذلوه ، وتقولوا له قولا بليغا ! » ، قيل له : اذن لايقبلون منا ، قال : « أهجروهم واجتنبوا مجالستهم » .

وفي بعض الاخبار النبوية : « ان أمتى اذا تهاونوا في الامر بالمعروف والنهي عن المنكر فليأذنوا بحرب من الله » . وقد وردت أخبار بالمنع عن حضور مجالس المنكر اذا لم يمكنه دفعه والنهي عنه ، ولو حضر نزلت عليه

اللعنة . وعلى هذا لايجوز دخول بيت الظلمة والفسقة ، ولا حضور المشاهد التي يشاهد فيها المنكر ولا يقدر على تغييره ، اذ لايجوز مشاهدة المنكر من غير حاجة ، اعتذارا بأنه عاجز . ولهذا أختار جماعة من السلف العزلة ؛ حذرا من مشاهدة المنكر في الاسواق والمجامع والاعياد ، مع عجزهم عن التغيير .

ثم اذا كان الامر في المداهنة في الامر بالمعروف والنهي عن المنكر بهذه المثابة ، فيعلم ان الامر بالمنكر والنهي عن المعروف كيف حاله . قال رسول الله (ص) : « كيف بكم اذا فسدت نساؤكم وفسق شبابكم ولم تأمروا بالمعروف ولم تنهوا عن المنكر ؟ » ، فقيل له (ص) : ويكون ذلك يارسول الله ؟ ! قال : « نعم ! وشر من ذلك ! كيف بكم اذا أمرتم بالمنكر ونهيتم عن المعروف ؟ ! » ، فقيل له : يارسول الله ، ويكون ذلك ؟ ! قال : « نعم ! وشر من ذلك ! كيف بكم اذا رأيتم المعروف منكرا والمنكر معروفا ؟ ! » ، وفي رواية : « وعند ذلك يبتلى الناس بفتنة ، يصير الحليم فيها حيران » [٥١] .

ومن تأمل في الاخبار والآثار ، وأطلع على التواريخ والسير وقصص الامم السالفة والقرون الماضية ، وما حدثت لهم من العقوبات ، وضم ذلك الى التجربة والمشاهدة في عصره ، من ابتلاء الناس ببعض البلايا السماوية والارضية ، يعلم ان كل عقوبة سماوية وارضية ، من الطاعون والوباء ؛ والقحط والغلاء ، وحبس المياه والامطار ، وتسلط الظالمين والاشرار ، ووقوع القتل والغارات ، وحدوث الصواعق والزلازل ، وأمثال ذلك ، تكون مسبوقة بترك الامر بالمعروف والنهي عن المنكر بين الناس .

وصل

السعي في الامر بالمعروف

ضد المداهنة في الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، هو السعي فيهما والتشمير لهما . وهو أعظم مراسم الدين ، والمهم الذي بعث الله لأجله

(٥١) صححنا الاحاديث هنا على (فروع الكافي) : باب الامر بالمعروف. وعلى (الوسائل) : كتاب الامر بالمعروف . وعلى (المستدرك) : ٣٦٠/٢ — ٣٦١ كتاب الامر بالمعروف .

النبيين ؛ ونصب من بعدهم الخلفاء والاوصياء ، وجعل نوابهم أولي النفوس القدسية من العلماء . بل هو القطب الذي تدور عليه أرجية الملل والاديان، وتطرق الاختلال فيه يؤدي الى سقوطها عن الدوران . ولهذا ورد في مدحه والترغيب عليه مما لايمكن احصاؤه من الآيات والاخبار ، قال الله سبحانه :

« ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويامرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون » . وقال : « كنتم خير امة اخرجت للناس ، تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر » (١) . وقال : « فلما نسوا ما ذكروا به انجينا الذين ينهون عن السوء وأخذنا الذين ظلموا بعذاب بئيس بما كانوا يفسقون » (٢) . وقال : « لاخير في كثير من نجواهم ، الا من امر بصدقة او معروف او اصلاح بين الناس ، ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضات الله فسوف نؤتيه أجرا عظيما »، وقال : « يايها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط »(٣).

والقيام بالقسط هو : الامر بالمعروف والنهي عن المنكر .

وقال رسول الله (ص) : « ما أعمال البر عند الجهاد في سبيل الله الا كنفثة في بحر لجى ، وما جميع أعمال البر والجهاد في سبيل الله عند الامر بالمعروف والنهي عن المنكر الا كنفثة في بحر لجى » . وقال (ص): « اياكم والجلوس على الطرقات ! » ، قالوا : مالنا بد منها ، انما هي مجالسنا نتحدث فيها . قال : « فاذا أبيتم الا ذلك ، فأعطوا الطريق حقه»، قالوا : وما حق الطريق ؟ قال : « غض البصر ، وكف الاذى ، ورد السلام، والامر بالمعروف ، والنهي عن المنكر » . وقال (ص): « ما بعث الله نبيا الا وله حواري ، فيمكث النبي بين أظهرهم ما شاء الله ، يعمل فيهم بكتاب الله وبأمره ، حتى اذا قبض الله نبيه ، مكث الحواريون يعملون بكتاب الله وبأمره وسنة نبيهم ، فاذا أنقرضوا ؛ كان من بعدهم قوم يركبون رؤس المنابر ، يقولون ما يعرفون يعلمون ما ينكرون . فاذا رأيتم ذلك ، فحق على كل مؤمن جهادهم بيده ، فان لم يستطع فبلسانه ، فان لم يستطع

---

(١) آل عمران ، الآية : ١٠٤ ، ١١٠ .
(٢) الاعراف ، الآية : ١٦٤ .
(٣) النساء ، الآية : ١١٣ ، ١٣٥ .

فبقلبه . وليس وراء ذلك اسلام » [٤] . وقال أمير المؤمنين (ع) : «ان من رأى عدوانا يعمل به ومنكرا يدعى اليه فأنكره بقلبه ، فقد سلم وبرىء ومن أنكره بلسانه فقد أجر ، وهو أفضل من صاحبه ، ومن انكره بالسيف لتكون كلمة الله العليا وكلمة الظلمين السفلى ، فذلك الذي اصاب سبيل الهدى وقام على الطريق ، ونور في قلبه اليقين » [٥] . وقال عليه السلام: « فمنهم المنكر للمنكر بقلبه ولسانه ويده ، فذلك المستكمل لخصال الخير . ومنهم المنكر بلسانه وقلبه ، التارك بيده ، فذلك متمسك بخصلتين من خصال الخير ومضيع خصلة . ومنهم المنكر بقلبه ، والتارك بيده ولسانه ، فذلك الذي ضيع أشرف الخصلتين من الثلاث وتمسك بواحدة . ومنهم تارك لانكار المنكر بلسانه وقلبه ويده ، فذلك ميت الاحياء . وما أعمال البر كلها والجهاد في سبيل الله عند الامر بالمعروف والنهي عن المنكر الا كنفثة في بحر لجى ، وان الامر بالمعروف والنهي عن المنكر لايقربان من أجل ولا ينقصان من رزق ، وأفضل من ذلك كلمة عدل عند امام جائر » . وفي خبر جابر عن الباقر (ع) : « ان الامر بالمعروف والنهي عن المنكر سبيل الانبياء ومنهاج الصلحاء ، فريضة عظيمة ، بها تقام الفرائض ؛ وتأمن المذاهب ؛ وتحل المكاسب ؛ وترد المظالم ، وتعمر الارض ، وينتصف من الاعداء ، ويستقيم الامر . فأنكروا بقلوبكم ، والفظوا بألسنتكم ، وصكوا بها جباهم ؛ ولا تخافوا في الله لومة لائم . فان اتعظوا والى الحق رجعوا فلا سبيل عليهم :

« انما السبيل على الذين يظلمون الناس ويبغون فى الارض بغير الحق اولئك لهم عذاب أليم » (٦) .

هنالك فجاهدوهم بأبدانكم ، وابغضوهم بقلوبكم ، غير طالبين سلطانا ولا باغين مالا ، ولا مريدين لظلم ظفرا ، حتى يفيئوا الى أمر الله ويمضوا

---

(٤) صححنا هذه النبويات الثلاثة على « احياء العلوم » : ٢/٢٧١،٢٧٢ .
(٥) صححنا الحديث على (المستدرك) : كتاب الامر بالمعروف ، الباب ٣ . وعلى « الوسائل » : كتاب الامر بالمعروف ، الباب ٣ وكذا الحديث بعده ، صححناه على (الوسائل) فى الموضع المذكور .
(٦) الشورى ، الآية : ٤٢ .

على طاعته » [٧] .

فصـــل

وجوب الامر بالمعروف وشروطه

مقتضى الآيات والاخبار المذكورة ، وجوب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر . ولا خلاف فيه أيضا ، انما الخلاف في كون وجوبهما كفائيا او عينيا . والحق الاول ، كما يأتي .

ثم الواجب انما هو الامر بالواجب والنهي عن الحرام . وأما الامر بالمندوب والنهي عن المكروه فمندوب ، وانما يجب بشروط أربعة :

الاول ــ العلم بكونهما معروفا ومنكرا ، ليأمن من الغلط ، فلا يجبان في المتشابه ؛ فمن علم بالقطع الوجوب او الحرمة ، وعدم جواز الاختلاف فيه من ضرورة الدين أو المذهب او الاجماع القطعي النظري او الكتاب والسنة أو من قول العلماء ، فله أن يأمر وينهى ويحتسب به على كل أحد، ومن لم يعلمها بالقطع ، بل علمها بالظن الحاصل من الاجتهاد او التقليد ، وجوز الاختلاف فيه ، فليس له الامر والنهي والحسبة ، الا على من كان على هذا الاعتقاد من مجتهد او مقلد، او لزم عليه ان يكون هذا الاعتقاد وان لم يكن عليه بالفعل للجهل ، كالمقلد المطلق المجتهد اذا لم يعلم بعض العقائد الاجتهادية لمجتهده ، فيتأتى لغيره ان يحتسب به عليه . وحاصل ماذكر : ان القطعيات الوفاقية تتأتى لكل أحد ان يحتسب بها على كل أحد بعد علمها ، وغير القطعيات الجائز فيها الاختلاف والمرجح احد طرفيها الاجتهاد لا يتأتى لمجتهدها ومقلده فيها الاحتساب ، اى الامر والنهى ، الا على من كان موفقا في الاعتقاد او يلزم ان يكون موفقا .

الثاني ــ تجويز التأثير . فلو علم او غلب على ظنه انه لا يؤثر فيه ، لم يجب ؛ لعدم الفائدة .

الثالث ــ القدرة والتمكن منه ، وعدم تضمنه مفسدة . فلو ظن توجه الضرر اليه او الى احد من المسلمين بسببه سقط ، اذ لا ضرر ولا ضرار في الدين .

(٧) صححنا الحديث على (فروع الكافى) : كتاب الجهاد ، باب الامر بالمعروف .

الرابع — ان يكون المأمور او المنهي مصرا على الاستمرار . فلو ظهر منهما امارة الاقلاع سقط ، للزوم العبث .

ثم هذه الشروط يختلف اشتراطها بسبب اختلاف درجات الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، كما يأتي . ويدل على اشتراط الثلاثة الاول ما روي: « انه سئل مولانا الصادق عليه السلام : ان الامر بالمعروف والنهي عن المنكر اواجب على الامة جميعا ؟ فقال : لا . فقيل له : ولم ؟ قال : انما هو على القوي المطاع ، العالم بالمعروف من المنكر ، لا على الضعيف الذي لا يهتدي سبيلا الى أي من أي يقول من الحق الى الباطل . والدليل على ذلك كتاب الله عز وجل ، قوله :

« ولتكن منكم امة يدعون الى الخير ويامرون بالمعروف وينهون عن المنكر » (٨) .

فهذا خاص غير عام ، كما قال الله عز وجل :

« ومن قوم موسى امة يهدون بالحق وبه يعدلون » (٩) .

ولم يقل على امة موسى ، ولا على كل قوم ؛ وهم يومئذ امم مختلفة ، والامة واحد فصاعدا ، كما قال الله عز وجل : (ان ابراهيم كان امة قانتا لله) يقول مطيعا لله عز وجل . وليس على من يعلم ذلك في هذه الهدنة من حرج ، اذا كان لا قوة له ولا عذر ولا طاقة » . قال مسعدة : « سمعت ابا عبدالله عليه السلام — وسئل عن الحديث الذي جاء عن النبي (ص) : « ان افضل الجهاد كلمة عدل عند امام جائر » ما معناه — قال : هذا على ان يأمره بعد معرفته ، وهو مع ذلك يقبل منه ، والا فلا» . وفي خبر آخر : « انما يؤمر بالمعروف وينهى عن المنكر مؤمن فيتعظ او جاهل فيتعلم . فأما صاحب سوط او سيف فلا » . وفي خبر آخر : « من تعرض لسلطان جائر واصابته بلية ، لم يؤجر عليها ولم يرزق الصبر عليها »[١٠] . ومن

---

(٨) آل عمران ، الآية : ١٠٤ .
(٩) الاعراف ، الآية : ١٥٨ .
(١٠) صححنا الاحاديث على (فروع الكافي) : باب الامر بالمعروف ، وباب انكار المنكر بالقلب . اسقط المؤلف من الحديث الاول قسما فاكملناه .

الشرائط ان يظهر المنكر على المحتسب من غير تجسس ، فلا يجب ، بل لا يجوز التجسس؛ كفتح الباب المغلق ، ووضع الاذن والانف لاحتباس الصوت والريح ، وطلب اراءة ما تحت الثوب ، وامثال ذلك ؛ لنص الكتاب والسنة .

فصـــل

عدم اشتراط العدالة فيه

لا تشترط فيه العدالة وائتمار الآمر بما يأمر به وانتهاء الناهي عما ينهى عنه ، لاطلاق الادلة ، ولأن الواجب على فاعل الحرام المشاهد فعله من غيره امران : تركه وانكاره، ولا يسقط بترك أحدهما وجوب الآخر ، كيف ولو شرط ذلك لاقتضى عدم وجوب ذلك الا على المعصـــوم ؛ فينســـد باب الحسبة بالكلية .

وأما الانكار في قوله تعالى :

« اتأمرون الناس بالبر وتنسون انفسكم » (١١) وقوله تعالى : « لم تقولون مالا تفعلون ؟ كبر مقتا عندالله أن تقولوا مالا تفعلون » (١٢) .

وما في حديث الاسرى من قرض مقاريضهم بالنار ، فانما هو على عدم العمل بما يأمر به ويقوله ؛ لا على الامر والقول . وكذلك ما روي : «ان الله تعالى اوحى الى عيسى : عظ نفسك ؛ فان اتعظت فعظ الناس ؛ والا فاستحي مني »(١٣) . وقس على ذلك جميع ما ورد من هذا القبيل .

وما قيل ان هداية الغير فرع الاهتداء ؛ وتقويم الغير فرع الاستقامة ففيه أن الامر بالمعروف والنهي عن المنكر تارة يكون بالوعظ وتارة بالقهر؛ ومن لم يكن مهتديا مستقيما ؛ تسقط عنه الحسبة بالوعظ ؛ لعـــلم الناس بفسقه ؛ فلا يتضمن وعظه وكلامه فائدة ، ولا يؤثر في العالم بفسقه ، ولا يخرج ذلك وعظه وقوله عن الجواز ، كما لا تخرج حســـبته القهريـــة عن

---

(١١) البقرة ، الآية : ٤٤ .

(١٢) الصف ، الآية : ٢ — ٣ .

(١٣) صححنا الاحاديث كلها على (فروع الكافي) : باب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر . وعلى (الوسائل) : كتـــاب الامر بالمعروف . وعلى (المستدرك) : ٢ / ٣٦٠ ، كتاب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر .

التأثير والفائدة ايضا . اذ الفاسق اذا منع غيره قهرا عن الزنا واللواط وشرب الخمر ، واراق الخمور ، وكسر آلات الملاهي ؛ حصل التأثير والفائدة بلا شبهة . والحاصل : ان أحد نوعي الاحتساب — اعني الوعظي — يتوقف تأثيره على العدالة ، واما نوعه الآخر — اعني القهري — فلا يتوقف عليه مطلقا .

فان قيل : اذا اتى رجل امرأة اكراها ، وهي مستورة الوجه ؛ فكشفت وجهها باختيارها ، فما اشنع واقبح ان ينهاها الرجل في اثناء الزنا عن كشف وجهها ، ويقول لها : انت مكرهة في الزنا ومختارة في كشف الوجه لغير المحرم وما أنا بمحرم لك ، فاستري وجهك .

قلنا : القبح والاستنكار انما هو لاجل انه ترك الاهم واشتغل بما هو الاهون ، كما اذا ترك المشتبه وأكل الحرام ، أو ترك الغيبة وشهد بالزور ، لا لان هذا النهي هو حرام في نفسه ؛ او خرج عن الوجوب الى الاباحة او الكراهة . ولان نهيه هذا خرج بفسقه عن التأثير والفائدة ، فالاستنكار عليه وتقبيح نهيه عن هذا من حيث انه نزل نفسه مقام من يؤثر قوله ، مع انه لا يؤثر ، كما تقدم آنفا .

ثم ما ذكرناه من عدم اشتراط العدالة في العمل بما يأمر به وينهى عنه انما هو في آحاد الحسبة الصادرة من افراد الرعية المطلعين على المنكر . واما من نصب نفسه لاصلاح الناس ونصحهم ، وبيان الاحكام الالهية نيابة عن رسول الله (ص) والائمة المعصومين عليهم السلام ، فلا بد فيه من العدالة والتقوى والعلم بالكتاب والسنة ، وغير ذلك من شرائط الاجتهاد . وعلى هذا يحصل جواب آخر عن الآيات والاخبار الواردة في الانكار على الواعظ غير المتعظ بتخصيصها به دون افراد الرعية . وعليه يحمل قول الصادق (ع) في (مصباح الشريعة)[١٤] : «من لم ينسلخ عن هواجسه ، ولم يتخلص من آفات نفسه وشهواتها ، ولم يهزم الشيطان ؛ ولم يدخل في كنف الله وامان عصمته ، لا يصلح له الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ؛ لانه اذا لم يكن بهذه الصفة ، فكلما اظهر امرا كان حجة عليه ، ولا ينتفع الناس به . قال الله عز وجل :

---

(١٤) الباب ٦٤ . وقد صححنا الحديث عليه وعلى (بحار الانوار) : ١١٤/٢١ ، باب الامر بالمعروف . وعلى (مستدرك الوسائل) : ٢/٣٦٣—٣٦٥ .

« أتامرون الناس بالبر وتنسون انفسكم » (١٥) .

ويقال له : يا خائن ! اتطالب خلقي بماخنت به نفسك وارخيت عنه عنانك ! » . وكذا يحمل عليه قول الصادق عليه السلام[١٦] : « صاحب الامر بالمعروف يحتاج الى ان يكون عالما بالحلال والحرام ، فارغا من خاصة نفسه مما يأمرهم به وينهاهم عنه ، ناصحا للخلق ، رحيما لهم ، رفيقا بهم داعيا لهم باللطف وحسن البيان ، عارفا بتفاوت اخلاقهم ، لينزل كلا منزلته بصيرا بمكر النفس ومكائد الشيطان ، صابرا على ما يلحقه ، لا يكافيهم بها ولا يشكو منهم ولا يستعمل الحمية ولا يغتلظ لنفسه ، مجردا نيته لله ، مستعينا به ومبتغيا لوجهه ، فان خالفوه وجفوه صبر ، وان وافقوه وقبلوا منه شكر ، مفوضا أمره الى الله ، ناظرا الى عيبه » .

(تنبيه) اعلم ان المحتسب عليه — اعني من يؤمر به او ينهى عنه — وان اشترط كونه عاقلا بالغا، الا ان هذا الشرط انما هو في غالب الاوامر والنواهي ، وبعضها لا يشترط فيه ذلك . اذ من رأى صبيا او مجنونا يشرب الخمر ، وجب عليه ان يمنعه ويريق خمره . وكذا ان رأى مجنونا يزني بمجنونة أو بهيمة ، فعليه ان يمنعه منه ، ولا يلزم منه ان يكون منع بهيمة عن افساد زرع انسان حسبة ونهيا عن منكر ، اذ لا يصدق اسم المحتسب عليه والمنهي الا على من كان الفعل الممنوع عنه في حقه منكر ، وهو لا يكون الا الانسان دون سائر الحيوانات .

وصل

مراتب الامر بالمعروف

اعلم ان للامر بالمعروف والنهي عن المنكر مراتب :

الاولى — الانكار بالقلب: بأن يبغضه على ارتكاب المعصية . وهذا مشروط بعلم الناهي واصرار المنهي ، ولا يشترط بالشرطين الاخيرين .

الثانية — التعريف : بأن يعرف المرتكب للمنكر بأنه معصية ، فان بعض الناس قد يرتكب بعض المعاصي لجهلهم بأنه معصية ، ولو عرف كونه معصية تركه .

---

(١٥) البقرة ، الآية : ٤٤

(١٦) (مصباح الشريعة) : الباب المتقدم .

الثالثة ــ اظهار الكراهة والاعراض والمهاجرة .

الرابعة ــ الانكار باللسان : بالوعظ ، والنصح ، والتخويف ، والزجر مرتبا الايسر فالايسر ؛ الى ان يصل الى التعنيف بالقول والتغليظ في الكلام . كقوله: يا جاهل ! يا احمق ! لا تخاف ربك! وههنا شبكة عظيمة للشيطان ربما يصطاد بها أكثر الوعاظ . فينبغي لكل عالم ناصح ان يراها بنور البصيرة ، وهي ان يحضره عند الوعظ والارشاد ، ويلقى في قلبه تعززه وشرافته بالعلم ، وذلة من يعظه بالجهل والخسة . فربما يقصد بالتعريف والوعظ الاذلال والتجهيل ، واظهار شرف نفسه بالعلم ؛ وهذه آفة عظيمة تتضمن كبرا ورياء . وينبغي لكل واعظ دين ألا يغفل عن ذلك ؛ ويعرف بنور بصيرته عيوب نفسه وقبح سريرته . وعلامة براءة نفسه من هذه الآفة ان يكون اتعاظ ذلك العاصي بوعظ غيره او امتناعه من المعصية بنفسه أحب اليه من اتعاظه بوعظه .

الخامسة ــ المنع بالقهر مباشرة : ككسر آلات اللهو ، واراقة الخمر واستلاب الثوب المغصوب منه ورده الى صاحبه ، وامثال ذلك .

السادسة ــ التهديد والتخويف : كقوله : دع عنك هذا ، والا ضربتك أو كسرت رأسك! أو غير ذلك مما يجوز له ان يفعل لو لم ينته عن معصيته ولا يجوز ان يهدده بما لا يجوز فعله ، كقوله : دع هذا والا اضرب عنقك! او أضرب ولدك ، او استبين زوجتك ، وامثال ذلك .

السابعة ــ مباشرة الضرب باليد والرجل وغير ذلك ، من دون ان ينتهي الى شهر سلاح وجراح .

الثامنة ــ الجرح بشهر بعض الاسلحة . وجوزه سيدنا المرتضى ــ رضى الله عنه ــ من اصحابنا وجماعة ، والباقون اشترطوا اذن الامام في ذلك . اذ ربما لا يقدر عليه بنفسه ، ويحتاج فيه الى اعوان وانصار يشهرون السلاح ، وربما يستمد الفاسق ايضا بأعوانه ؛ فيؤدي الى المقاتلة والمحاربة وحدوث فتنة عظيمة .

وصـــل

معنى وجوبهما كفائيا

اذا اجتمعت الشرائط ، وكان المطلع منفردا ، تعين عليه . وان كان ثمة غيره ، وشرع احدهما في الامر والنهي ، فان ظن الآخر ان لمشاركته اثرا في تعجيل ترتب الاثر ورسوخ الانزجار وجب عليه ايضا ، والا فلا. لان الغرض وقوع المعروف وارتفاع المنكر ، فمتى حصلا بفعل واحـــد ، كان السعي من الآخر عبثا . وهذا معنى كون وجوبهما كفائيا .

فصـــل

ما ينبغي فى الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر

ينبغي لكل من الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر ان يكون حسن الخلق صابرا حليما قويا في نفسه ، لئلا ينزعج ولا يضطرب اذا قيل في حقه ما لا يليق به . فان اكثر الناس اتباع الهوى ، فاذا نهوا عما يميلون اليه شق ذلك عليهم ، فربما اطلقوا ألسنتهم في حق الناهي ، ويقولون فيه ما لا يليق بشأنه ، وربما تجاوزوا الى سوء الادب قولا وفعلا بالمشافهة .

وان يكون رفيقا بالناس ، فان الوعظ بالرفق والملاءمة اوقع واشـــد تأثيرا في قلوب أكثر الناس .

وان يكون قاطعا للطمع عن الناس ، فان الطامع من الناس في اموالهم او اطلاق السنتهم بالثناء عليه لا يقدر على الحسبة ، ولذا نقل : « ان بعض المشايخ كان له سنور ، وكان أخذ من قصاب في جواره كل يوم شيئا من القد لسنوره ، فرأى على القصاب منكرا ، فدخل الدار اولا ، واخرج السنور ثم جاء ووعظ القصاب وشدد عليه القول ، فقال القصاب : لا يأكل سنورك شيئا بعد ذلك ، فقال : ما احتسبت عليك الا بعد اخراج السنور وقطـــع الطمع عنك ! » .

تتميم

أنواع المنكرات

اعلم ان المنكرات اما محظورة او مكروهة ، والمألوفة منها في العادات اكثر من ان تحصى .

فمنها – ما يكون غالبا في المساجد : كإساءة الصلاة ، والاخلال ببعض

أفعالها ، والتأخير عن اوقاتها ؛ وادخال النجاسة فيها ، والتكلم فيها بأمور الدنيا والبيع والشراء ، ودخول الصبيان والمجانين فيها مع اشتغالهم باللهو واللعب ، وقراءة القرآن فيها باللحن أو الغناء ؛ ودخول النسوان فيها مع ظن تطرق الريبة ، ونظر الاجانب اليهن او نظرهن اليهم ، ودخول الجنب أو الحائض فيها ؛ وتغني المؤذنين بالاذان أو غيره مما يقرؤن ، وتقديمهم الاذان على الوقت ؛ ووعظ من لا ينبغي ان يتمكن من الموعظة لكن يكذب في حديثه او يفتي بالمسائل وليس أهلا لها ، او يظهر من وعظه كونه مرائيا طالبا للجاه ، وامثال ذلك . فان كل ذلك من المنكرات ، بعضها محظورة وبعضها مكروهة ؛ ينبغي لكل مطلع ان ينهي عنها .

ومنها — ما يكون غالبا في الاسواق : من الكذب في المحاولات والمعاملات واخفاء العيب ، والايمان الكاذبة ؛ والمنازعة بالضرب والشتم والطعن واللعن وامثال ذلك ؛ والتبخس في الكيل والميزان ؛ والمعاملات الفاسدة باقسامها على ما هو مقرر في الفقهيات .

ومنها —ما يكون في الشوارع: كوضع الاساطين ، وبناء الدكات متصلة بالابنية المملوكة ، وتضييق الطرق على المارة بوضع الاطعمة والاحطاب وربط الدواب فيها ، وسوق الدواب فيها وعليها الاشواك والنجاسات — اذا تأذى الناس منها وامكن العدول بها الى موضع واسع ، وان لم يمكن فلا منع اذ حاجة أهل البلد ربما تمس الى ذلك — وتحميل الدواب ما لايطيقها من الحمل ، وذبح القصاب على الطريق أو على باب دكانه بحيث تلوث الطريق بالدم ، وطرح الكناسة على جواد الطريق ؛ ورش الماء على الطرق بحيث يخشى منه الزلق والسقوط ، وارسال الماء من الميازيب المخرجة من الحائط الى الطرق الضيقة ، وغير ذلك . وقس على ذلك منكرات الحمامات ، والخانات؛ والاسواق ؛ ومجالس العامة ؛ ومجامع القضاة، ومدارس الفقهاء ورباطات الصوفية ، ودواوين السلاطين ، وغيرها . فان امثال ما ذكر من المنكرات يجب ان ينهي عنها ، فلو قام بالاحتساب والنهي عنها أحد سقط الحرج على البواقي ، والا عم الحرج أهل البلد جميعا . وامثال ما ذكر انما هو من المنكرات اليسيرة الجزئية .

وأما المنكرات العظيمة: من البدعة في الدين ، والقتل ،والظلم ؛ والزنا واللواط ؛ وشرب الخمر ، وانواع الغناء ؛ والنظر الى غير المحارم ، وأكل الحرام؛ والصلاة في الاماكن المغصوبة؛ والوضوء والغسل من المياه المحرمة والتصرف في أموال الاوقاف وغصبها ، والمعاملة مع الظالمين ، والجهل في الاصول الاعتقادية والفروع الواجبة ، وآفات اللسان ، فلا يمكن حصرها لكثرتها ؛ لا سيما في امثال زماننا . فلو امكن لمؤمن دين ان يغير هـذه المنكرات كلا أو بعضا بالاحتساب ، فليس له ان يقعد في بيته ، بل يجب عليه الخروج للنهي والتعليم . بل ينبغي لكل مسلم ان يبدأ بنفسه ، فيصلحها بالمواظبة على الطاعات وترك المحرمات ، ثم يعلم ذلك أهله وأقاربه ، ثـم يتعدى بعد الفراغ منهم الى جيرانه ، ثم الى أهل محلته ؛ ثم أهل بلده ؛ ثم أهل السواد المكتنف بلده ، ثم الى غيرهم ، وهكذا الاقرب فالاقرب الى اقصى العالم . فان قام به الادنى سقط عن الابعد ، والا لزم الحرج على كل قادر عليه ، قريبا كان أو بعيدا . ولا يسقط الحرج ما دام يبقى على وجه الارض جاهل يعرض عن فروض دينه وهو قادر على ان يسعى اليه بنفسه او بغيره فيعلمه فريضة . وهذا شغل شاغل لمن يهمه امر دينه يشغله عن سائر المشاغل. الا ان اعراض الناس عن امور دينهم في عصرنا لم يبلغ حدا يقبل الاصلاح ، الى ان تتعلق به مشيئة الله ، فينهض بعض عبـاده السعداء الاقوياء ،فيدفع هذه الوصمة، ويسد هذه الثلمة ؛ ويتلافى هذه الفترة. ومنهـا :

الهجرة والتباعد

ولا ريب في كونه من نتائج العداوة والحقد ، أو الحسد أو البخل. فيكون من رذائل قوة الغضب او الشهوة . وهو من ذمائم الافعال . قال رسول الله (ص) : « ايما مسلمين تهاجرا ، فمكثا ثلاثا لا يصطلحان ، الا كانا خارجين من الاسلام ؛ ولم يكن بينهما ولاية. فأيهما سبق الكلام لاخيه كان السابق الى الجنة يوم الحساب » . وقال (ص) : « لا يحل لمسلم ان يهجر أخاه فوق ثلاث .. » وقال الصادق عليه السلام: « لا يفترق رجلان على الهجران ، الا استوجب احدهما البراءة واللعنة ، وربما استحق ذلك

كلاهما» ، فقال له معتب : جعلني الله فداك ! هذا للظالم،فما بال المظلوم؟! قال : « لانه لا يدعو اخاه الى صلته ، ولا يتعامس له عن كلامه . سمعت ابي عليه السلام يقول : اذا تنازع اثنان ، فعاد احدهما الآخر ، فليرجع المظلوم الى صاحبه ، حتى يقول لصاحبه : أي اخي ، انا الظالم ، حتى يقطع الهجران بينه وبين صاحبه ، فان الله تبارك وتعالى حكم عدل ، يأخذ للمظلوم من الظالم» . وقال عليه السلام : « لا يزال ابليس فرحا ما اهتجر المسلمان ، فاذا التقيا اصطكت ركبتاه وتخلعت اوصاله ، ونادى : يا ويله! مالقى من الثبور » . وقال الباقر عليه السلام : « ان الشيطان يغرى بين المؤمنين ما لم يرجع احدهم عن دينه ، فاذا فعلوا ذلك استلقى على قفاه وتمدد ، ثم قال: فزت . فرحم الله امرأ الف بين ولبين لنا . يا معشر المؤمنين تآلفوا وتعاطفوا »[17] والاخبار الواردة في ذم الهجرة والتباعد كثيرة .

فيجب على كل طلب لنجاة الاخرة ان يتأمل في أمثال هذه الاخبار ، ثم يتذكر ثواب ضد ذلك وفوائده ، أعني التآلف والتزاور بين الاخوان بنفسه ، فيحافظ نفسه من حصول الانقطاع والتباعد مع اخوانه ، ولو حصل ذلك كلف نفسه المبادرة الى زيارته وتألفه ، حتى يغلب على الشيطان ونفسه الامارة ،ويفوز بما يرجوه المتقون من عظيم الاجر وجزيل الثواب.

فصل

التزاور والتآلف

قد اشير الى ان ضد التباعد والهجران هو التزاور والتآلف ، وهو من ثمرات النصيحة والمحبة ، وثوابه أكثر من ان يحصى . عن أبى جعفر ــ عليه السلام ــ قال : « قال رسول الله (ص) : حدثني جبرئيل (ع) : أن الله عز وجل أهبط الى الارض ملكا ، فأقبل ذلك الملك يمشي حتى وقع الى باب عليه رجل يستأذن على رب الدار ، فقال له الملك : ما حاجتك الى رب هذه الدار ؟ قال : أخ لي مسلم زرته في الله تبارك وتعالى . فقال له الملك : ما جاء بك الا ذاك ؟فقال : ما جاء بي الا ذاك . قال : فاني

---

(١٧) صححنا الاخبار كلها على (الكافى) : باب الهجران .

رسول الله اليك ، وهو يقرئك السلام ، ويقول : وجبت لك الجنـــة • وقال الملك : ان الله عز وجل يقول : ايما مسلم زار مسلما فليس اياه زار، بل آياي زار ، وثوابه عليَّ الجنة » • وقال أمير المؤمنين (ع) : « لقاء الاخوان مغنم جسيم ، وان قلوا » •

وقال أبو جعفر الباقر (ع) : « ان لله عز وجل جنة لا يدخلها الا ثلاثة : رجل حكم على نفسه بالحق ، ورجل زار أخاه المؤمن في الله، ورجل آثر أخاه المؤمن في الله » • وقال (ع) : « ان المؤمن ليخرج الى أخيـــه يزوره ، فيوكل الله عز وجل به ملكا فيضع جناحا في الارض وجناحا في السماء يظله ، فاذا دخل الى منزله ، ناداه الجبار تبارك وتعالى : أيها العبد المعظم لحقي ، المتبع لآثار نبيي ، حق عليَّ اعظامك ، سلني اعطك ، أدعني أجبك ، اسكت ابتدئك • فاذا انصرف شيعه الملك يظله بجناحه حتى يدخل الى منزله ، ثم يناديه تبارك وتعالى : أيها العبد المعظم لحقي ، حق عليَّ اكرامك ، قد أوجبت لك جنتي ، وشفعتك في عبادي » • وقال (ع) : « ايما مؤمن خرج الى أخيه يزوره عارفا بحقه ، كتب الله له بكل خطوة حسنة ، ومحيت عنه سيئة ، ورفعت له درجة ، فاذا طرق الباب فتحت له ابواب السماء ، فاذا التقيا وتصافحا وتعانقا ، أقبل الله عليهما بوجهه ، ثم باهى بهما الملائكة ، فيقول : انظروا الى عبدي تزاورا وتحابا في ، حق علي ألا أعذبهما بالنار بعد ذا الموقف • فاذا انصرف شيعة ملائكة عدد نفسه وخطاه وكلامه ، يحفظونه عن بلاء الدنيا وبوائق الآخرة الى مثل تلك الليلة من قابل ، فان مات فيما بينهما اعفى من الحساب ، وان كان المزور يعرف من حق الزائر ما عرفه الزائر من حق المزور كان له مثل أجره » •

وقال الصادق (ع) : « من زار أخاه لله لا لغيره ، التماس موعد الله وتنجز ما عند الله ، وكل الله به سبعين الف ملك ينادونه : الا طبت وطابت لك الجنة ! » • وقال (ع) : « من زار أخاه في الله ، قال الله عز وجل : اياي زرت ، وثوابك علي ، ولست أرضى لك ثوابا دون الجنة » • وقال — عليه السلام — : « من زار أخاه في الله في مرض أو صحة ، لا يأتيه خداعا ولا استبدالا ، وكل الله به سبعين الف ملك ، ينادون في قفاه : أن

طبت وطابت لك الجنة ! فانتم زوار الله ، وانتم وفد الرحمن ، حتى يأتي منزله » ، فقال له بشير : جعلت فداك ! فان كان المكان بعيدا ؟ قال : « نعم يا بشير ! وان كان المكان مسيرة سنة ، فان الله جواد ، والملائكة كثير ، يشيعونه حتى يرجع الى منزله » . وقال (ع) : « من زار أخاه في الله تعالى ولله ، جاء يوم القيامة يخطر بين قباطي من نور [١٨] ، لا يمر بشيء الا أضاء له ، حتى يقف بين يدي الله عز وجل ، فيقول الله له : مرحبا ! واذا قال مرحبا ، أجزل الله عز وجل له العطية » . وقال (ع): « لزيارة مؤمن في الله خير من عتق عشر رقاب مؤمنات ، ومن أعتق رقبة مؤمنة وقى بكل عضو عضوا من النار ،حتى أن الفرج يقي الفرج » . وقال (ع) لابي خديجة : « كم بينك وبين البصرة ؟ »قال : في الماء خمس اذا طابت الريح ، وعلى الظهر ثمان ونحو ذلك ، فقال : « ما أقرب هذا ، تزاوروا وتعاهدوا بعضكم بعضا ، فانه لا بد يوم القيامة يأتي كل انسان بشاهد شهد له على دينه » . وقال : « ان المسلم اذا رأى أخاه ، كان حياة لدينه اذا ذكر الله » . وقال رسول الله (ص) : « مثل الاخوين اذا التقيا مثل اليدين تغسل احداهما الاخرى ، ما لقى المؤمنان قط الأأفاد الله احدهما من صاحبه خيرا » .

والاخبار الواردة بهذه المضامين كثيرة .والسر في هذا الترغيب الشديد على تزاور المؤمنين وملاقاتهم ، كونه دافعا للحسد والعداوة ، جالبا للتأليف والمحبة . وهو أعظم ما يصلح به أمر دنياهم وعقباهم . ولذا ورد الثناء والمدح في الآيات والاخبار على نفس الألفة وانقطاع الوحشة ، لاسيما اذا كانت الرابطة هي التقوى والدين . وورد الذم في التفرقة والتوحش ، قال الله سبحانه في مقام الامتنان على المؤمنين بنعمة الألفة :

« لو أنفقت مافى الارض جميعا ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم » (١٩) . وقال : « فاصبحتم بنعمته اخوانا » : اي بنعمة الالفة .وقال

(١٨) القبط ـ بالكسر ـ : أهل مصر . واليهم تنسب الثياب البيض القبطية . والجمع (قباطي) .

(١٩) الانفال ، الآية : ٦٣ .

سبحانه : « واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا » (٢٠) .

وقال رسول الله (ص) : « المؤمن الف مألوف ، ولا خير في من لا يألف ولا يؤلف » . وهذا هو السر في الترغيب على التسليم والمصافحة والمعانقة. قال رسول الله (ص) : « أولى الناس بالله وبرسوله من بدأ بالسلام » . وقال أمير المؤمنين (ع) : « لاتغضبوا ولاتقبضوا ،افشوا السلام ،واطيبوا الكلام ، وصلوا بالليل والناس نيام ؛ تدخلوا الجنة بسلام » . وقال الباقر — عليه السلام — : « ان الله يحب افشاء السلام » . وقال (ع) : « من التواضع ان تسلم على من لقيت » . وقال الصادق (ع) « تصافحوا ، فانها تذهب بالسخيمة » . وقال : « مصافحة المؤمن أفضل من مصافحة الملائكة » . وقال الباقر (ع) : « ان المؤمنين اذا التقيا فتصافحا ، ادخل الله تعالى يده بين ايديهما ، وأقبل بوجهه على أشدهما حبا لصاحبه . فاذا أقبل الله تعالى بوجهه عليهما ، تحاتت عنهما الذنوب كماتتحات الورق من الشجر » . وقال رسول الله (ص) : «اذا لقى أحدكم أخاه فليسلم وليصافحه فان الله تعالى أكرم بذلك الملائكة ،فاصنعوا صنع الملائكة » . وقال الصادق — عليه السلام — : « ان المؤمنين اذا اعتنقا غمرتهما الرحمة ، فاذا التزما لا يريدان بذلك الا وجه الله ولا يريدان غرضا من اغراض الدنيا ، قيل لهما: مغفورا لكما فاستأنفا ، فاذا اقبلا على الماء ، قالت الملائكة بعضها لبعض : تنحوا عنهما ؛ فان لهما سرا وقد ستر الله عليهما » [٢١] .

ومنهـــا :

قطــع الرحم

وهو ايذاء ذوي اللحمة والقرابة ، أو عدم مواساتهم بمـــا ناله من الرفاهية والثروة والخيرات الدنيوية ، مع احتياجهم اليه . وباعثه اما العداوة أو البخل و الخسة ، فهو من رذائل القوة الغضبية او الشهوية ، ولا ريب في كونه من أعظم المهلكات المفسدة للدنيا والدين ، قال الله سبحانه .

---

(٢٠) آل عمران ، الآية : ١٠٣ .

(٢١) صححنا الاحاديث كلها على (الكافي) : باب زيارة الاخوان ، وباب المصافحة ، وباب المعانقة . وعلى (سفينة البحار) : ١ / ٥٦٨ .

« والذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما أمر الله به ان يوصل ويفسدون فى الارض أولئك لهم اللعنة ولهم سوء الدار » (٢٢) •

وقال رسول الله (ص) : « أبغض الاعمال الى الله : الشرك بالله ، ثم قطيعة الرحم ، ثم الامر بالمنكر والنهي عن المعروف » • وقال (ص): « لاتقطع رحمك وان قطعتك » • وقال تعالى : « أنا الرحمن ، وهــذه الرحم شققت لها اسما من اسمي ، فمن وصلها وصلته ،ومن قطعها قطعته» • وقال (ص) : « حافتا الصراط يوم القيامة الرحم والامانة ، فاذا مر الوصول للرحم المؤدي للامانة نفذ الى الجنة ، واذا مر الخائن للامانة القطوع للرحم لم ينفعهما معه عمل » (٢٣) وتكفا به الصراط في النار » • وقال أميرالمؤمنين ــ عليه السلام ــ في خطبة : « أعوذ بالله من الذنوب التي تعجل الفنــاء» فقام اليه عبد الله بن الكوى اليشكري ، فقال : ياأميرالمؤمنين ، اوتكون ذنوب تعجل الفناء ؟ فقال : « نعم ، ويلك ! قطيعة الرحم • ان أهل البيت ليجتمعون ويتواسون وهم فجرة فيرزقهم الله ، وان أهل البيت ليتفرقون ويقطع بعضهم بعضا فيحرمهم الله وهم اتقياء» • وقال (ع) : « اذا قطعوا الارحام، جعلت الاموال في أيدي الاشرار » •وقال الباقر (ع) : « في كتاب علي ــ صلوات الله عليه ــ : ثلاثة خصال لايموت صاحبهن ابدا حتى يرى وبالهن : البغي ، وقطيعة الرحم ، واليمين الكاذبة يبارز الله بها •وان أعجل الطاعات ثوابا لصلة الرحم • وان القوم ليكونون فجارا فيتواصلون فتنمي أموالهم ويثرون • وان اليمين الكاذبة وقطيعة الرحم لتذران الديار بلاقع من أهلها • وتنقل الرحم ، وان نقل الرحم انقطاع النسل » • وقال الصادق (ع) : « اتقوا الحالقة (٢٤) ، فانها تميت الرجال » ، قيل: ومــا الحالقة ؟ قال : « قطيعة الرحم » • وجاء رجل اليه ، فشكى أقاربه ، فقال له : « اكظم وافعل » : انهم يفعلــون ويفعلون ، فقال : « اتريــد ان

---

(٢٢) الرعد ، الآية : ٢٧ .

(٢٣) قال فى (الوافى) : لم ينفعهما معه عمل ، أي لم ينفع الخائن ولا القطوع مع الخيانة او القطع عمل . وفى نسخة من (الكافى) : لم ينفعه معهما.

(٢٤) قال فى (مجمع البحرين) ــ مادة حلق ــ : « وفى الحديث : اتقوا الحالقة . قال بعض الشارحين : الحالقة هي الخصلة التي من شأنها ان تحلق ، اي تهلك وتستأصل الدين كما يستأصل الموسى الشعر » .

تكون مثلهم فلا ينظر الله اليكم ؟» [٢٥] . وكتب أمير المؤمنين (ع) الى بعض عمالـه : « مروا الاقارب أن يتزاوروا ولا يتجاوروا » [٢٦] ، وذلك لان التجاور يورث التزاحم على الحقوق ،وذلك ربما يورث التحاسد والتباغض وقطيعة الرحم ، كما هو مشاهد في اكثر ابناء عصرنا ؛ وليس الخبر كالمعاينة واذا لم يتجاوروا وتزاحمت [٢٧] ديارهم ، كان اقرب الى التحابب ، كماقيل بالفارسية : « دوري ودوستي » [٢٨] .

وصــل

ضد قطيعة الرحم : صلة الرحم

وهو تشريك ذوي اللحمة والقرابات بما ناله من المال والجاه وسائر خيرات الدنيا ، وهو اعظم القربات وأفضل الطاعات ، قال الله سبحانه :

« واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وبالوالدين احسانا وبذي القربى واليتامى ... » (٢٩) . وقال : « واتقوا الله الذي تساءلون به والارحام ان الله كان عليكم رقيبا »(٣٠) . وقال : « الذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل ويخشون ربهم ويخافون سوء الحساب ــ الى قوله ــ أولئك لهم عقبى الدار » (٣١) .

وقال رسول الله (ص) : « اوصى الشاهد من امتي والغائب ، ومن في اصلاب الرجال وارحام النساء ، الى يوم القيامة : ان يصل الرحم وان كانت منه على مسيرة سنة ، فان ذلك من الدين » . وقال (ص) :« ان اعجل الخير ثوابا صلة الرحم » وقال : « من سره النساء في الاجـل ، والزيادة في الرزق ، فليصل رحمه » . وقال (ص) : « ان القوم ليكونون فجرة

(٢٥) صححنا الاحاديث كلها على (أصول الكافي) : باب قطيعة الرحم ، وباب صلة الرحم .
(٢٦) لم نعثر على مصدر لهذا الحديث .
(٢٧) كذا في النسخ ، والظاهر ان الصحيح « وتباعدت » .
(٢٨) يعني : التباعد معه التحابب
(٢٩) النساء ، الآية : ٣٦ .
(٣٠) النساء ، الآية : ١ .
(٣١) الرعد الآية ٢١ ، ٢٢ .

ولا يكونون بررة ، فيصلون أرحامهم ؛ فتنمى اعمالهم وتطول أعمارهم ، فكيف اذا كانوا ابرارا بررة » . وقال (ص) : « الصدقة بعشرة ، والقرض بثمانية عشر ، وصلة الاخوان بعشرين ،وصلة الرحم باربعة وعشرين » . وقيل له (ص) : « أي الناس افضل ؟ فقال : اتقاهم لله ، وأوصلهم للرحم، وآمرهم بالمعروف ، وأنهاهم عن المنكر » . وقال (ص) :« ان أهل البيت ليكونون فجارا ، تنمي أموالهم ويكثر عددهم اذا وصلوا ارحامهم » . وقال (ص) : « أفضل الفضائل : ان تصل من قطعك ، وتعطي من حرمك ، وتعفو عمن ظلمك » . وقال (ص) : « من سره ان يمد الله في عمره ، وان يبسط في رزقه ، فليصل رحمه . فان الرحم لها لسان يوم القيامة ذلق ، تقول: يارب ، صل من وصلني ، واقطع من قطعني . فالرجل ليرى بسبيل خير اذا أتته الرحم قطعها ، فتهوى به الى أسفل قعر في النار » .

وقال أمير المؤمنين (ع) : « صلوا أرحامكم ولو بالتسليم ، يقول الله تعالى : واتقوا الله الذي تساءلون به والارحام، ان الله كان عليكم رقيبا». وقال الباقر (ع) : « ان الرحم متعلقة يوم القيامة بالعرش ، تقول : اللهم صل من وصلني واقطع من قطعني » . هذا تمثيل للمعقول بالمحسوس ، واثبات لحق الرحم على أبلغ وجه ، وتعلقها بالعرش كناية عن مطالبة حقها بمشهد من الله . وقال (ع) : « صلة الارحام تحسن الخلق ، وتسمح الكف وتطيب النفس ، وتزيد في الرزق ، وتنسيء في الاجل » . وقال : « صلة الارحام تزكي الاعمال ، وتنمي الاموال ، وتدفع البلوى ، وتيسر الحساب وتنسيء في الاجل » .وقال الصادق (ع) : « صلة الرحم والبر ليهونان الحساب ويعصمان من الذنوب ، فصلوا ارحامكم وبروا باخوانكم ، ولو بحسن السلام ورد الجواب » . وقال (ع): « صلة الرحم تهون الحساب يوم القيامة ، وهي منسأة في العمر ، وتقي مصارع السوء » . وقال (ع): « صلة الرحم وحسن الجوار يعمران الديار ويزيدان في الاعمار » .وقال — عليه السلام — : « ما نعلم شيئا يزيد في العمر الا صلة الرحم ، حتى أن الرجل يكون أجله ثلاث سنين ، فيكون وصولا للرحم ، فيزيد الله في عمره ثلاثين سنة ، فيجعلها ثلاثا وثلاثين سنة . ويكون أجله ثلاثا وثلاثين

سنة ، فيكون قاطعا للرحم ، فينقصه الله تعالى ثلاثين سنة ، ويجعل أجله الى ثلاث سنين » [٣٢] . والاخبار الواردة في فضيلة صلة الرحم وعظم مثوباته أكثر من أن تحصى ، وما ذكرناه كاف لتنبيه الغافل .

المراد بالرحم الذي يحرم قطعه وتجب صلته ، ولو وهب له شيء لا

تنبيـــه

المراد بالرحم

المراد بالرحم الذى يحرم قطعه وتجب صلته ، ولو وهب له شيء لا يجوز الرجوع عنه ، هو مطلق القريب المعروف بالنسب ، وان بعدت النسبة وجاز النكاح . والمراد بقطعه أن يؤذيه بالقول او الفعل ، او كان له شدة احتياج الى ما يقدر عليه زيادة على قدر حاجته ، من سكنى وملبوس ومأكول فيمنعه ، أو أمكنه ان يدفع عنه ظلم ظالم ولم يفعله ، أو هاجره غيظا وحقدا من دون ان يعوده اذا مرض ، أو يزوره اذا قـدم من سفر ، وأمثال ذلك . فان جميع ذلك وامثالها قطع للرحم . وأضدادها ، من دفع الاذيـة ومواساته بماله ، وزيارته ، واعانته باللسان واليد والرجل والجاه وغـير ذلك ، صلة .

ثم الظاهر تحقق الواسطة بين القطع والصلة ، اذ كل احسان ، ولو كان مما لايحتاج اليه قريبه وهو محتاج اليه، يسمى صلة ، وعدمه لايسمى قطعا . ومنها :

عقوق الوالدين

وهو أشد أنواع قطيعة الرحم ، اذ أخص الارحام وأمسها ما كان بالولادة ، فيتضاعف تأكد الحق فيهما ، فهو كقطيعة الرحم ، اما يكون ناشئا من الحقد والغيظ ، أو من البخل وحب الدنيـا ، فيكون من رذائل احدى قوتي الغضب والشهوة . ثم جميع ما يدل على ذم قطيعة الرحم يدل على ذم العقوق ، ولكونه اشد انواع القطيعة وافظعها ، وردت في خصوص ذمه آيات وأخبار أخر كثيرة ، كقوله تعالى :

---

(٣٢) صححنا الاخبار هنا كلها على (اصول الكافى) : باب صلة الرحم . وعلى (سفينة البحار) : ٥١٤/١ .

وقضى ربك الا تعبدوا الا اياه وبالوالدين احسانا اما يبلغن عندك الكبر احدهما أو كلاهما فلا تقل لهما اف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما (٣٣).

وقول رسول الله (ص) : « كن بارا واقصر على الجنة وان كنت عاقا فاقصر على النار » . وعن ابي جعفر (ع) قال : « قال رسول الله (ص) في كلام له : اياكم وعقوق الوالدين ، فان ريح الجنة توجد من مسيرة الف عام ، ولا يجدها عاق ، ولا قاطع رحم ، ولا شيخ زان ، ولا جار ازاره خيلاء . انما الكبرياء لله رب العالمين » . وقوله (ص) : « من أصبح مسخطا لابويه ، أصبح له بابان مفتوحان الى النار » . وعن أبي جعفر (ع) قال : « ان ابى (ع) نظر الى رجل ومعه ابنه يمشى والابن متكيء على ذراع الاب ، قال : فما كلمه أبي مقتا له حتى فارق الدنيا » . وقال الصادق(ع) : « من نظر الى ابويه نظر ماقت ، وهما ظالمان له ، لم يقبل الله له صلاة » . وقال الصادق (ع) : « اذا كان يوم القيامة ، كشف غطاء من أغطية الجنة فوجد ريحها من كانت له روح من مسيرة خمسمائة عام ، الا صنفا واحدا » فقيل له : من هم ؟ قال : « العاق لوالديه » . وقال (ع) : « لو علم الله شيئا هو ادنى من اف لنهى عنه ، وهو من ادنى العقوق . ومن العقوق ان ينظر الرجل الى والديه فيحد النظر اليهما » (٣٤) . وسئل الكاظم (ع) عن الرجل يقول لبعض ولده : بأبي انت وأمي ! أو بأبوي أنت ! أترى بذلك بأسا ؟ فقال : « ان كان ابواه حيين فأرى ذلك عقوقا وان كانا قد ماتا فلا بأس » .

والاخبار في ذم العقوق أكثر من أن تحصى ، وورد في بعض الاخبار القدسية : « بعزتي وجلالي وارتفاع مكاني ! لو أن العاق لوالديه يعمل باعمال الانبياء جميعا لم أقبلها منه » . وروي أيضا : « أن أول ماكتب الله في اللوح المحفوظ : اني أنا الله لا إله الا أنا ، من رضى عنه والداه فانا منه راض ، ومن سخط عليه والداه فأنا عليه ساخط » . وقد ورد عن رسول

---

(٣٣) الاسراء ، الآية : ٢٣ .

(٣٤) صححنا الاحاديث كلها على (اصول الكافي) : باب العقوق . وعلى (مستدرك الوسائل) : ٢ / ٦٣١ كتاب النكاح . وعلى (الوسائل) : كتاب النكاح .

الله أنه قال : « كل المسلمين يروني يوم القيامة ، الا عاق الوالدين،وشارب الخمر ؛ ومن سمع اسمي ولم يصلي علي » . وقد ثبت من الاخبار والتجربة أن دعاء الوالد على ولده لا يرد ويستجاب ألبتة . ودلت الاخبار على أن من لاترضى عنه امه تشتد عليه سكرات الموت وعذاب القبر . وكفى للعقوق ذما انه ورد في الاسرائيليات : « أنه تعالى اوحى الى موسى : أن من بر والديه وعقني كتبته برا ، ومن برني وعق والديه كتبته عاقا ».

وصـــل

بر الوالدين

ضد العقوق (بر الوالدين) والاحسان اليهما ، وهو أفضل القربات، وأشرف السعادات . ولذلك ورد ما ورد من الحث عليه ، والترغيب اليه . قال الله سبحانه :

« واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كمـا ربياني صغيرا » (٣٥) . وقـال : « واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وبالوالدين احسانا » (٣٦) .

وقال رسول الله (ص) : « بر الوالدين أفضل من الصلاة والصوم والحج والعمرة والجهاد في سبيل الله » . وقال (ص) : « من أصبح مرضيا لابويه أصبح له بابان مفتوحان الى الجنة » . وعن أبي عبد الله (ع) قال : « ان رجلا اتى الى النبى (ص) فقال : يارسول الله اوصنى ، فقال : لاتشرك بالله شيئا وان حرقت بالنار وعذبت الا وقلبك مطمئن بالايمان ، ووالديك فأطعهما وبرهما حيين كانا وان امراك ، ان تخرج من أهلك ومالك فافعل ، فان ذلالك من الايمان » . وعن ابي عبد الله (ع) قال : « جاء رجل وسأل النبي (ص) عن بر الوالدين . فقال : ابرر امك ، ابرر امك ابر امك أبرر أباك أبرر أباك وبدا » بالام قبل الاب . وعن ابي عبد الله ـ عليه السلام ـ قال : « جاء رجل الى النبي (ص) ، فقال : يارسول الله، من أبر ؟ قال : امك . قال : ثم من ؟ قال : امك . قال : ثم من ؟ قال :

(٣٥) بني اسرائيل ، الآية : ٢٤ .
(٣٦) النساء ، الآية : ٣٦ .

امك . قال : ثم من ؟ قال : أباك » . وأتاه رجل آخر وقال : « اني رجل شاب نشيط ،وأحب الجهاد ، ولي والدة تكره ذلك . فقال له (ص): أرجع فكن مع والدتك ، فوالذي بعثني بالحق ! لانسها بك ليلة خير من جهاد في سبيل الله سنة » . وقال ابو عبدالله (ع) : « ان رسول الله(ص) أتته اخت له من الرضاعة ، فلما نظر اليها سربها ، وبسط ملحفته لها ؛ فأجلسها عليها ، ثم أقبل يحدثها ويضحك فيوجهها ، ثم قامت فذهبت وجاء أخوها ، فلم يصنع به ماصنع بها ، فقيل له : يارسول الله ؛ صنعت بأخته مالم تصنع به وهو رجل ، فقال : لانها كانت أبر بوالديها منه » .

وقيل للصادق (ع) : « أي الاعمال أفضل ؟ قال : الصلاة لوقتها، وبر الوالدين ، والجهاد في سبيل الله » . وقال له (ع) رجل : « ان أبي قد كبر جدا وضعف ، فنحن نحمله اذا أراد الحاجة . فقال : ان استطعت أن تلى ذلك منه فأفعل ، ولقمه بيدك ، فانه جنة لك غدا » . وقال له(ع) رجل : « ان لي أبوين مخالفين . فقال : برهما كما تبر المسلمين ممن يتولانا » . وقال رجل للرضا (ع) : « أدعو لوالدي اذا كانا لايعرفان الحق ؟ قال : ادع لهما وتصدق عنهما ، وان كانا حيين لايعرفان الحق فدارهما ، فان رسول الله (ص) قال : ان الله بعثني بالرحمة لا بالعقوق» . وقد وردت أخبار أخر في الامر بالبر والاحسان الى الوالدين ، وان كان على خلاف الحق . وقال (ع) : « ما يمنع الرجل منكم أن يبر والديه حيين وميتين ، ويصلى عنهما ، ويتصدق عنهما ، ويحج عنهما ؛ ويصوم عنهما ، فيكون الذي صنع لهما وله مثل ذلك ، فيزيده الله عز وجل ببره وصلاته خيرا كثيرا » [٣٧] .

والاخبار في ثواب بر الوالدين غير محصورة . فينبغي لكل مؤمن ان يكون شديد الاهتمام في تكريمهما وتعظيمهما واحترامهما ، ولا يقصر في خدمتهما ،ويحسن صحبتهما ، وألا يتركهما حتى يسألاه شيئا ممايحتاجان

(٣٧) صححنا الاحاديث كلها على (اصول الكافى) : باب بر الوالدين . وعلى (الوسائل) :كتاب النكاح أبواب احكام العشرة ، باب وجوب برالوالدين، وباب وجوب بر الوالدين برين كانا او فاجرين ، وباب جملة من حقوق الوالدين . وعلى (المستدرك) ٢ / ٦٢٨ . كتاب النكاح .

اليه ؛ بل يبادر الى الاعطاء قبل ان يفتقر الى السؤال ، كما ورد في الاخبار، وان أضجراه فلا يقل لهما أف ، وان ضرباه لايعبس وجهه ، وقال لهما : غفر الله لكما ؛ ولا يملأ عينيه من النظر اليهما الا برحمة ورقة ، ولا يرفع صوته فوق صوتهما ، ولا يده فوق أيديهما ، ولا يتقدم قدامهما ؛ بل مهما أمكن له لايجلس عندهما ، وكلما بالغ في التذلل والتخضع كان أجره أزيد وثوابه أعظم •

وبالجملة : أطاعتهما واجبة وطلب رضاهما حتم ، فليس للولد أن يرتكب شيئا من المباحات والمستحبات بدون اذنهما ، ولذا أفتى العلماء بأنه لاتجوز المسافرة في طلب العلم الا بأذنهما ، الا اذا كان في طلب علم الفرائض، من الصلاة والصوم وأصول العقائد ، ولم يكن في بلده من يعلمه ، ولو كان في بلده من يعلمه لم تجز المسافرة • وقد روى : « أن رجلا هاجر من اليمن الى رسول الله (ص) وأراد الجهاد ، فقال له : ارجع الى ابويك فاستأذنهما ، فان أذنا فجاهد ، والا فبرهما ما استطعت ؛ فان ذلك خير مما كلف به بعد التوحيد » • وجاء آخر اليه للجهاد ، فقال : « ألك والدة ؟ » قال : نعم ! قال : « فألزمها ، فان الجنة تحت قدمها » • وجاء آخر ، وطلب البيعة على الهجرة الى الجهاد ، وقال : ما جئتك حتى ابكيت والدي • قال : « ارجع اليهما ، فأضحكهما كما أبكيتهما » • ولو وقعت بين الوالدين مخالفة ، بحيث توقف رضى احدهما على سخط الآخر ، فينبغي ان يجتهد في الاصلاح بينهما بأي طريق امكن ، ولو بالعرض الى فقيه البلد حتى يطلبهما ويعظهما ويقيمهما على الوفاق ، لئلا ينكسر خاطر أحدهما منه •

وأعلم أن حق كبير الاخوة على صغيرهم عظيم ، فينبغي محافظته • قال رسول الله (ص) : « حق كبير الاخوة على صغيرهم كحق الوالد على ولده » •

تذنيب

حق الجوار

حق الجوار قريب من حق الرحم ، اذ الجوار يقتضي حقا وراء ما تقتضيه أخوة الاسلام ، فيستحق الجار المسلم ما يستحقه كل مسلم وزيادة ، فمن قصر في حقه عداوة أو بخلا فهو آثم • قال رسول الله (ص): « الجيران ثلاثة : فمنهم من له ثلاثة حقوق : حق الجوار ، وحق الاسلام، وحق القرابة • ومنهم من له حقان : حق الاسلام ، وحق الجوار • ومنهم من له حق واحد : الكافر له حق الجوار » • فأنظر كيف اثبت للكافر حق الجوار • وقال (ص) : « أحسن مجاورة من جاورك تكن مؤمنا » • وقال (ص) : « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر ، فلا يؤذ جاره » • وقال (ص) : « لا ايمان لمن لم يأمن جاره بوائقه » • وقيل له (ص) : فلانة تصوم النهار وتقوم الليل وتتصدق ، وتؤذي جارها بلسانها • فقال (ص): لا خير فيها ، هي من أهل النار » • وعن علي عليه السلام : « ان رسول الله (ص) كتب بين المهاجرين والانصار ومن لحق بهم من أهل يثرب : ان الجار كالنفس ، غير مضار ولا آثم ، وحرمة الجار على الجار كحرمة امه » وقال الصادق عليه السلام « حسن الجوار زيادة في الاعمار وعمارة في الديار وقال عليه السلام : « ليس منا من لم يحسن مجاورة من جاوره » • وقال عليه السلام : « قال رسول الله (ص) : ما آمن بي من بات شبعانا وجاره جائع » • وقال : « ان يعقوب عليه السلام لما ذهب عنه بنيامين ، نادى : يا رب اما ترحمني ، اذهبت عيني واذهبت ابني ؟ فأوحى الله تبارك وتعالى اليه : لو امتهما لاحييتهما لك ، اجمع بينك وبينهما ، ولكن تذكر الشاة التي ذبحتها وشويتها وأكلت ، وفلان الى جانبك صائم لم تنله منها شيئا » • وفي رواية أخرى : « فكان بعد ذلك يعقوب ينادي مناديه كل غداة ومساء من منزله على فرسخ : ألا من أراد الغداء او العشاء فليأت الى يعقوب ! »[٣٨] •

---

(٣٨) صححنا الاحاديث هنا على « اصول الكافي » : باب حسن الجوار . وعلى « المستدرك » : ٢ / ٧٨ و ٧٩ . وعلى « الوسائل » : كتاب الحج ، ابواب احكام العشرة ، الباب ٨٥ — ٨٨ .

وفي بعض الاخبار[٣٩] : « ان الجار الفقير يتعلق بجاره الغني يوم القيامة، ويقول : سل يا رب هذا لم منعني معروفه وسد بابه دوني ؟ » .

تتميم

حدود الجوار وحقه

معرفة الجوار موكولة الى العرف ، فأي دار يطلق عليها الجار عرفا يلزم مراعاة حقوق أهلها . والمستفاد من بعض الاخبار : ان كل اربعين دارا من كل واحد من الجوانب الاربعة جيران . ثم لا ينحصر حق الجار في مجرد كف الاذى ، اذ ذلك يستحقه كل احد ، بل لا بد من الرفق واهداء الخير والمعروف ، وتشريكه فيما يملكه ويحتاج اليه من المطاعم ، كما ظهر من بعض الاخبار المتقدمة . وينبغي ان يبدأه بالسلام ، ولا يطيل معه الكلام ولا يكثر عن حاله السؤال، ويعوده في المرض ، ويعزيه في المصيبة ، ويقوم معه في العزاء ، ويهنئه في الفرح ، ويصفح عن زلاته ، ويستر ما اطلع عليه من عوراته ، ولا يضايقه في وضع الجذع على جداره، ولا في صب الماء في ميزابه، ولا في مطرح التراب في فنائه ، ولا في المرور عن طريقه ، ولا يمنعه ما يحتاج اليه من الماعون ، ويغض بصره عن حرمه ، ولا يغفل عن ملاحظة داره عند غيبته ، ويتلطف لاولاده في كلمته ، ويرشده الى ما يصلحه من أمر دينه ودنياه ، وان استعان به في أمر اعانه ، وان استقرضه اقرضه ، ولا يستطيل عليه بالبناء فيحجب عنه الريح ، الا باذنه ، واذا اشترى شيئا من لذائذ المطاعم وطرفها فليهد له ،وان لم يفعل فليدخلها بيته سرا ، ولا يخرج بها أولاده حتى يطلع عليها بعض اولاد جاره ، فيشتهيه وينكسر لذلك خاطره.

ومنها :

طلب العثرات

وتجسس العيوب والعورات واظهارها . ولا ريب في كونه من نتائج العداوة والحسد ، وربما حدث في القوة الشهوية رداءة توجب الاهتزاز والانبساط ، من ظهور عيب بعض المسلمين ، وان لم يكن عداوة وحقدا ، كما قيل :

---

(٣٩) هذا كلام ذكره في « احياء العلوم » : ١٨٩/٢ بعد قوله : « اذ يقال » .

وعين الرضا عن كل عيب كليلة ولكن عين السخط تبدي المساويا

ومن تصفح الآيات والاخبار ؛ يعلم انمن يتبع عيوب المسلمين ويظهرها بين الناس اسوأ الناس واخبثهم ؛ قال الله تعالى :

« ولا تجسسوا » (٤٠) . وقال : « ان الذين يحبون ان تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب اليم » (٤١) .

وقال رسول الله (ص) : « من أذاع فاحشة كان كمبتدئها ؛ ومن عير مؤمنا بشيء ؛ لم يمت حتى يرتكبه » . وقال (ص) : « كل امتي معافى ؛ الا المجاهرين » والمجاهرة ان يعمل الرجل سوأ فيخبر به . وقال (ص) : « من استمع خبر قوم وهم له كارهون صبت في أذنيه الآنك يوم القيامة» عن ابي جعفر عليه السلام قال : « قال رسول الله (ص) : يا معشر من اسلم بلسانه ولم يسلم بقلبه ! لا تتبعوا عثرات المسلمين ؛ فانه من يتبع عثرات المسلمين يتتبع الله عثراته ؛ ومن تتبع الله عثراته يفضحه » . وقال الباقر عليه السلام : « من اقرب ما يكون العبد الى الكفر ان يؤاخي الرجل الرجل على الدين ؛ فيحصي عليه زلاته ليعيره بها يوما ما » . وقال الصادق (ع) « من أنب مؤمنا أنبه الله عز وجل في الدنيا والآخرة » . وقيل للصادق (ع) « شيء يقوله الناس ، عورة المؤمن على المؤمن حرام ؟ فقال : ليس حيث تذهب ، انما عورة المؤمن ان يراه يتكلم بكلام يعاب عليه فيحفظه عليه ليعيره به يوما اذا غضب » . وقال الباقر عليه السلام : « قال رسول الله (ص) : ان اسرع الخير ثوابا البر ، واسرع الشر عقوبة البغي . وكفى بالمرء عيبا ان يبصر من الناس ما يعمى عنه ، وان يعير الناس بما لا يستطيع تركه ، وان يؤذي جليسه بما لا يعنيه »[٤٢] . والاخبار الواردة بأمثال هذه المضامين كثيرة .

---

(٤٠) الحجرات ، الآية : ١٢ . (٤١) النور ، الآية : ١٩ .

(٤٢) صححنا الاحاديث كلها على (اصول الكافى) : باب من طلب عثرات المؤمنين وعوراتهم وعلى (الوسائل) : ابواب احكام العشرة ، الباب ١٥٠ . وعلى (المستدرك) : ٢ / ١٠٤ . وعلى (البحار) : ٤ مج ١٥ / ١٧٥ ، باب تتبع عيوب الناس وافشائها .

وصـــل

ستر العيوب

ضد كشف العيوب سترها واخفاؤها ، وهو من أعظم شعب النصيحة، ولا حد لثوابه ، كما يستفاد من الاخبار الكثيرة . قال رسول الله (ص) : « من ستر على مسلم ستره الله في الدنيا والآخرة » . وقال (ص) : « لا يستر عبد عيب عبد الا ستره الله يوم القيامة » . وقال (ص) : « لا يرى امرؤ من أخيه عورة فيسترها عليه ، الادخل الجنة » . وكفى بستر العيوب فضلا انه من اوصاف الله سبحانه ، ومن شدة اعتنائه بستر الفواحش اناط ثبوت الزنا — وهو افحشها — بما لا يمكن اتفاقه الا نادرا ، وهو مشاهدة اربعة عدول كالميل في المكحلة . فانظر الى انه تعالى كيف اسبل الستر على العصاة من خلقه في الدنيا ، بتضييق الطرق المؤدية الى كشفه . ولا تظنن انك تحرم هذا الستر يوم تبلى السرائر ، فقد ورد في الحديث :«ان الله تعالى اذا ستر على عبد عورته في الدنيا فهو اكرم من ان يكشفها في الآخرة ، وان كشفها في الدنيا فهو أكرم من ان يكشفها أخرى » . وورد ايضا : « انه يؤتى يوم القيامة بعبد يبكي ، فيقول الله سبحانه له : لم تبكي؟ فيقول : ابكي على ما سينكشف عني من عوراتي وعيوبي عند الناس والملائكة . فيقول الله : عبدي ما افتضحتك في الدنيا بكشف عيوبك وفواحشك ، وانت تعصيني وتضحك! فكيف أفضحك اليوم بكشفها وانت تعصيني وتبكي ! » . وفي خبر آخر : « ان رسول الله (ص) يطلب يوم القيامة من الله سبحانه ألا يحاسب أمته بحضرة من الملائكة والرسل وسائر الامم ، لئلا تظهر عيوبهم عندهم، بل يحاسبهم بحيث لا يطلع على معاصيهم غيره سبحانه ، وسواه (ص) فيقول الله سبحانه : يـا حبيبي ، أنا أرأف بعبادي منك ، فاذا كرهت كشف عيوبهم عند غيرك ، فأنا أكره كشفها عندك ايضا ، فاحاسبهم وحدي بحيث لا يطلع على عثراتهم غيري » .

فاذا كانت عناية الله سبحانه في ستر عيوب العباد بهذه المثابة ، فأنى لك ايها المسكين المبتلى بأنواع العيوب والمعاصي ، تسعى في كشف عيوب عباد الله ، مع انك مثلهم في الاتصاف بأنواع العيوب والعثرات ! وتأمل انه

لو أظهر أحد بعض فواحشك عند الناس كيف يكون حالك، فقس عليه حال غيرك ممن تكشف أنت بعض فواحشه . وقد ثبت ووضح من الاخبار والتجربه : ان من يفضح يفتضح ، فياحبيبي ، ترحم على نفسك وتأس بربك فاسبل الستر على عيوب غيرك .

ومنها :

افشاء السر

واذاعته ، وهو أعم من كشف العيب ، اذ السر قد يكون عيبا وقد لا يكون بعيب ، ولكن في افشائه ايذاء واهانة بحق الاصدقاء او غيرهم من المسلمين ، وهو من رذائل قوة الغضب ان كان منشأه العداوة ؛ ومن رذائل قوة الشهوة ان كان منشأه تصور نفع مالي ، أو مجرد اهتزاز النفس بذلك لخباثتها ، وهو مذموم منهى عنه قال رسول الله (ص) : « اذا حدث الرجل الحديث ثم التفت ، فهى أمانة »وقال (ص) : «الحديث بينكم أمانة» . وورد : « ان من الخيانة ان تحدث بسر أخيك » . وقال عبد الله بن سنان للصادق عليه السلام : « عورة المؤمن على المؤمن حرام؟ فقال : نعم ! قلت: يعنى سفلته ؟ قال : ليس حيث تذهب ، انما هو اذاعة سره » (٤٣)

فصل

كتمان السر

ضد افشاء السر كتمانه ، وهو من الافعال المحمودة ، وقد امر به في الاخبار . قال رسول الله (ص) : « طوبى لعبد نومة ، عرفه الله ولم يعرفه الناس ، اولئك مصابيح الهدى وينابيع العلم تنجلى عنهم كل فتنة مظلمة ليسوا بالمذاييع البذر ، ولا الجفاة المرائين » . وقال امير المؤمنين عليه السلام : « طوبى لعبد نومة ، لا يؤبه له ؛ يعرف الناس ولا يعرفه الناس يعرفه الله منه برضوان ، اولئك مصابيح الهدى ، تنجلى عنهم كل فتنة ؛ ويفتح لهم باب كل رحمة ؛ ليسوا بالبذر المذاييع ولا الجفاة المرائين » . وقال امير المؤمنين عليه السلام : « قولوا الخير تعرفوا به ، واعملوا الخير

---

(٤٣) صححنا الاحاديث على البحار : ٤ / ١٧٥ مج ١٥ ، باب تتبع عيوب الناس .

تكونوا من أهله، ولا تكونوا عجلا مذاييع . فان خياركم الذين اذا نظر اليهم ذكر الله ، وشراركم المشاؤن بالنميمة ؛ المفرقون بين الاحبة ؛ المبتغــون للبراء المعايب »[٤٤] .

تنبيــه

النميمـــة

النميمة تطلق في الاكثر على ان ينم قول الغير الى المقول فيه ، كأن يقال: فلان تكلم فيك بكذا وكذا ، او فعل فيك كذا وكذا .وعلى هذا تكون نوعا خاصا من افشاء السر وهتك الستر ، وهو الذي يتضمن فسادا او سعاية . وقد تطلق على ما لا يختص بالمقول فيه ، بل على كشف ما يكره كشفه ، سواء كره المنقول عنه أو المنقول اليه أو كرهه ثالث ، وسواء كان الكشف بالقول او الكتابة او بالرمز والايماء ، وسواء كان المنقول من الاعمال او من الاقوال ، وسواء كان ذلك عيبا ونقصانا على المنقول عنه او لم يكن وعلى هذا يكون مساومة لافشاء السر وهتك الستر . وحينئذ فكل ما يرى من احوال الناس ولم يرضوا بافشائه ، فاذاعته نميمة . فاللازم على كل مسلم أن يسكت عما يطلع عليه من احوال غيره ، الا اذا كان في حكايته نفع لمسلم او دفع لمعصية . كما اذا رأى احدا يتناول مال غيره ، فعليه ان يشهد به مراعاة لحق المشهود له ، واما اذا رآه يخفي مالا لنفسه ، فحكايته نميمة وافشاء للسر .

ثم الباعث على النميمة يكون غالبا ارادة السوء بالمحكي عنه ، فيكون داخلا تحت الايذاء، وربما كان باعثه اظهار المحبة للمحكى له ، او التفريح بالحديث ، او الخوض في الفضول . وعلى أي تقدير ، لاريب في ان النميمة أرذل الافعال القبيحة واشنعها . وما ورد في ذمها من الآيات والاخبار لا يحصى كثرة ، قال الله سبحانه :

« همّاز مشاء بنميم . مناع للخير معتد أثيم . عتل بعد ذلك زنيم »[٤٥].

---

(٤٤) صححنا الاحاديث كلها على (البحار) : ج ٤ مج ١٥ : باب فضل كتمان السر . وعلى (أصول الكافي) : باب كتمان السر ، وباب الرواية على المؤمن .

(٤٥) القلم ، الآية : ١١ — ١٣ .

والزنيم: هو ولد الزنا • فيستفاد من الآية : ان كل من يمشي بالنميمة فهو ولد الزنا • وقال سبحانه :

« ويل لكل همزة لمزة » (٤٦) : أي النمام المغتاب •

وقال رسول الله (ص) : « لا يدخل الجنة نمام » • وفي خبر آخر : « لايدخل الجنة قتات » : أي النمام • وقال (ص) : « احبكم الى الله أحسنكم اخلاقا ، الموطئون اكنافا ، الذين يألفون ويؤلفون ، وان ابغضكم الى الله المشاؤن بالنميمة المفرقون بين الاحبة، المتمسون للبراء العثرات»(٤٧) وقال (ص) : ألا انبئكم بشراركم ؟ قالوا : بلى يا رسول الله ، قال : المشاؤن بالنميمة ، المفرقون بين الاحبة ، الباغون للبراء المعايب »(٤٨) • وقال (ص) « من اشار على مسلم كلمة ليشينه بها في الدنيا بغير حق، شانه الله في النار يوم القيامة» • وقال (ص) : « ايما رجل أشاع على رجل كلمة وهو منها بريء ليشينه بها في الدنيا ، كان حقا على الله ان يدينه بها يوم القيامة في النار » • وقال (ص) : « ان الله لما خلق الجنة قال لها : تكلمي قالت: سعد من دخلني • قال الجبار جل جلاله : وعزتي وجلالي! لا يسكن فيك ثمانية نفر من الناس : لا يسكنك مدمن خمر ، ولا مصر على الزنا ، ولا قتات ـ وهو النمام ـ ، ولاديوث ولاشرطي ولامخنث ولاقاطع رحم ولا الذي يقول عليَّ عهد الله ان افعل كذا وكذا ثم لم يف به » • وقال الباقر عليه السلام : « الجنة محرمة على المغتابين المشائين بالنميمة » • وقال عليه السلام : « يحشر العبد يوم القيامة وما ندا دما(٤٩) ، فيدفع اليه شبه

(٤٦) الهمزة ، الآية : ١ .

(٤٧) صححنا الحديث على (المستدرك) : ١١١ كتاب الحج .

(٤٨) صححنا الحديث على (الوسائل) : كتاب الحج ، ابواب احكام العشرة ، الباب ١٦٤ . وعلى (المستدرك) : ١١٠ كتاب الحج . وعلى (اصول الكافي) : باب النميمة .

(٤٩) قال في مجمع البحرين ـ مادة (نداء) ـ : « فلان ما ندا دماً ولا قتل قتلا : اي ما سفك دما » . وقد كتبت كلمة (ندا) في جميع ماوجدناه من الكتب بالالف ، وعسى ان تكون بالياء هكذا (ندى) كرضى . واحتمل في الوافي ان تكون (ندى) بتشديد الدال ، وذكر احتمالات كثيرة ، فراجعه وقد روي في (الوسائل) ـ كتاب الحج ، أبواب احكام العشرة ، الباب

المحجمة أو فوق ذلك فيقال له : هذا سهمك من دم فلان ، فيقول : يا رب ؛ انك لتعلم انك قبضتني وما سفكت دما ، فيقول : بلى ، سمعت من فلان رواية كذا وكذا فرويتها عليه ، فنقلت حتى صار الى فلان الجبار فقتله عليها ، وهذا سهمك من دمه » . وقال الصادق عليه السلام : « من روي على مؤمن رواية يريد بها شينه وهدم مروته ليسقط من اعين الناس أخرجه‌الله تعالى من ولايته الى ولاية الشيطان ، ولا يقبله الشيطان »[٥٠] وروي : « انه أصاب بني اسرائيل قحط ، فاستسقى موسى مرات ، فما اجيب . فأوحى الله تعالى اليه : اني لا استجيب‌لك ولمن معك وفيكم نمام قد أصر على النميمة . فقال موسى: يا رب ، من هو حتى نخرجه من‌بيننا؟ فقال : يا موسى ، انهاكم عن النميمة واكون نماما ؟! فتابوا باجمعهم ، فسقوا » . وروي : « ان ثلث عذاب القبر من النميمة » .

ومن عرف حقيقة النميمة ، يعلم ان النمام شر الناس وأخبثهم ، كيف وهو لا ينفك من الكذب ، والغيبة والغدر والخيانة والغل والحسد والنفاق والافساد بين الناس والخديعة . وقد قال الله سبحانه :

« ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون فى الارض » (١) .

والنمام‌يسعى في قطع ما امر الله به أن يوصل ويفسد في‌الارض وقال الله

« انما السبيل على الذين يظلمون‌الناس ويبغون‌فى‌الارض بغير الحق»(٢). والنمام منهم .

وقال رسول الله (ص) : « لا يدخل الجنة قاطع » : أي قاطع بين الناس ، والنمام قاطع بينهم . وقال (ص) : « شر الناس من اتقاه الناس لشره » : والنمام منهم ، والنمام أعظم شرا من كل أحد .

---

١٦٣ ــ مثل هذا الحديث عن (الشيخ الطوسي) ، وقد جاء فيه : « وما أدمى دما » . اما الحديث المذكور هنا ، فقد صححناه على (اصول الكافى) باب الاذاعة .

(٥٠) صححنا الحديث على (الوسائل) : كتاب الحج ، ابواب احكام العشرة ، الباب ١٥٧ . وعلى (اصول الكافى): باب الرواية على المؤمن .

(١) البقرة ، الآية : ٢٧ .

(٢) الشورى ، الآية : ٤٠ .

نقل : أن رجلا باع عبدا ، فقال للمشتري : ما فيه عيب الا النميمة، قال رضيت . فاشتراه ، فمكث الغلام اياما ، ثم قال لزوجة مولاه : ان زوجك لا يحبك ، وهو يريد ان يتسرى عليك ، وانا اسحره لك في شعره فقالت : كيف اقدر على اخذ شعره ؟ فقال : اذا نام فخذي الموسى واحلقي من قفاه عند نومه شعرات . ثم قال للزوج : ان امرأتك اتخذت خليلا وتريد ان تقتلك ، فتناوم لها حتى تعرف . فتناوم فجاءته المرأة بالموسى ، فظن انها تقتله ، فقام وقتلها ، فجاء أهلها وقتلوا الزوج ، فوقع القتال بين القبيلتين ، وطال الامر بينهم .

ثم يلزم على ماتحمل اليه النميمة الايصدق النمام ، لانه فاسق والفاسق مردود الشهادة بقوله تعالى :

« **ان جاءكم فاسق بنبا فتبينوا** » (٣) .

وان ينهاه عن ذلك ، وينصحه ويقبح له فعله ، لقوله تعالى :

« **وأمر بالمعروف وانه عن المنكر** » (٤) .

وان يبغضه في الله ، لكونه مبغوضا عنده تعالى ، والايظن بأخيه سوأ بمجرد قوله ، لقوله تعالى :

« **اجتنبوا كثيرا من الظن** » (٥) .

وألا يحمل عمله على التجسس والبحث لتحقيق ما حكى له ، لقوله تعالى : « ولا تجسسوا » . وألا يرضى لنفسه ما نهى عنه النمام ، فلا يحكي نميمته ، فيقول : فلان قد حكى كذا وكذا ،فيكون به نماما ومغتابا. وروى محمد بن فضيل عن الكاظم عليه السلام : « انه قال له عليه السلام جعلت فداك ! الرجل من اخواني يبلغني عنه الشيء الذي أكرهه ، فأسأله عنه فينكر ذلك، وقد أخبرني عنه قوم ثقات . فقال لي : يا محمد ، كذب سمعك وبصرك عن أخيك ، فان شهد عندك خمسون قسامة ، فقال لك قولا

---

(٣) الحجرات ، الآية : ٦ .
(٤) لقمان ، الآية : ١٧ .
(٥) الحجرات ، الآية : ١٢ .

فصدقه وكذبهم ، ولا تذيعن عليه شيئا تشينه به وتهدم مروته ، فتكون من الذين قال الله :

« ان الذين يحبون ان تشيع الفاحشة فى الذين آمنوا لهم عذاب شديد » (٦) .

وقد روي عن امير المؤمنين عليه السلام : « ان رجلا أتاه يسعى اليه برجل ، فقال : يا هذا ، نحن نسأل عمن قلت ؛ فان كنت صادقا مقتناك ؛ وان كنت كاذبا عاقبناك ؛ وان شئت ان تقيلك أقلناك . قال : اقلني يا امير المؤمنين » . ونقل : « ان رجلا زار بعض الحكماء ، واخبره بخبر عن غيره فقال : قد ابطأت عني الزيارة ، وبغضت الي أخي ، وشغلت قلبي الفارغ واتهمت نفسك الامينة » .

تتمة

السعاية

السعاية هي النميمة ، بشرط كون المحكى له من يخاف جانبه ، كالسلاطين والامراء والحكماء والرؤساء وأمثالهم ؛ فهي أشد انواع النميمة اثما ومعصية ، وهي ايضا تكون من العداوة ومن حب المال وطمعه ، فتكون من رداءة القوتين وخباثتهما . قال رسول الله (ص) : « الساعي بالناس الى الناس لغير رشده » : يعني ليس ولد حلال . وذكرت السعاة عند بعض الاكابر ، فقال : ما ظنك بقوم يحمد الصدق من كل طبقة الا منهم ؟

ومنها :

الافساد بين الناس

وهو في الاكثر يحصل بالنميمة ، وان لم يوجب كل نميمة افسادا . ولا ريب في كونه من المهلكات المؤدية الى النار ، قال الله سبحانه :

« الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون فى الارض أولئك هم الخاسرون » (٧) .

---

(٦) صححنا الحديث على (الوسائل) : كتاب الحج ، ابواب احكام العشرة ، الباب ١٥٧ . والآية من سورة النور : ١٩ .

(٧) البقرة ، الآية : ٢٧ .

وقال رسول الله (ص) : « ان فساد ذات البين هي الحالقة » .

وصـــل

الاصــلاح

وضده الاصلاح بين الناس ، وهو اعظم افراد النصيحة ، ولا غاية لمثوبته عند الله . قال رسول الله(ص) : «افضل الصدقة اصلاح ذات البين» وقال (ص) : « اتقوا اللهواصلحوا ذات بينكم ، فان الله تعالى يصلح بين المؤمنين يوم القيامة » . وقال (ص) : « ليس بكذاب من اصلح بين اثنين فقال خيرا » . وقال (ص) : « كل الكذب مكتوب ، الا ان يكذب الرجل في الحرب ، فان الحرب خدعة ، أو يكذب بين اثنين ليصلح بينهما » .. وقال الصادق عليه السلام : « صدقة يحبها الله تعالى اصلاح بـين الناس اذا تفاسدوا ، وتقارب بينهم اذا تباعدوا » . وقال عليه السلام للمفضل: « اذا رأيت بين اثنين من شيعتنا منازعة ، فافتدها من مالي » . وقال (ع) لابن عمار : « ابلغ عني كذا وكذا في أشياء امر بها . فقال له ابن عمار : فابلغهم عنك ، وأقول عني ما قلت لي وغير الـذي قلت ؟ قال : نعم ! ان المصلح ليس بكذاب » . وقال عليه السلام : « المصلح ليس بكاذب »[٨]: يعني اذا تكلم بما لا يطابق الواقع فيما يتوقفعليه الاصلاح لم يعد كلامه كذبا . وهذا يدل على وجوب الاصلاحبين الناس، لان ترك الكذب واجب ولا يسقط الواجب الا بواجب آكد منه .

ومنهـا :

الشماتة

وهو اظهار ان ما حدث بغيره من البلية والمصيبة انما هو من سوء فعله واساءته ، والغالب صدوره عن العداوة او الحسد . وعلامته ان يكون مع فرح ومسرة ، وربما صدر عن رداءة القوة الشهوية ، بأن يهتز به ويميـل اليه ، مع جهله بمواقع القضاء والقدر ، وان لم يكن معه حقد وحسد .

(٨) صححنا الاحاديث عن الصادق ـ عليه السـلام ـ على (اصول الكافى) : باب الاصلاح بين الناس . وصححنا النبويات على (كنز العمال): ٢ / ١٤ ، ١٢٨ .

والتجربة والاخبار شاهدان على ان كل من شمت بسلم في مصيبة لم يخرج من الدنيا حتى يبتلى بمثلها ويشمت به غيره فيها . قال الصادق عليه السلام « لا تبدي الشماتة لاخيك ، فيرحمه الله ويحلها بك » . وقال عليه السلام: « من شمت بمصيبة نزلت بأخيه لم يخرج من الدنيا حتى يفتتن »[٩] . على ان كل بلية ومصيبة ترد على مسلم يمكن ان تكون كفارة لذنوبه او باعثا لرفع درجاته واعتلاء مرتبته في دار الآخرة .

والدليل على ذلك : ان اعظم البلايا والمصائب موكلة بالانبياء ، ثم بالاولياء ، ثم بالامثل فالامثل في درجات الاعتلاء . ولا ريب في ان ورود المصائب والمحن عليهم ليس من سوء فعلهم واساءتهم . فينبغي لكل عاقل ان يتأمل (اولا) ان الشماتة بسلم بمصيبة لا ينفك في الدنيا من ابتلائه بمثلها ، (وثانيا) انها ايذاء لاخيه المسلم ، فلا ينفك عن العذاب في الآخرة (وثالثا) ان نزول هذه المصيبة به لا يدل على سوء حاله عند الله ، بل الارجح دلالته على حسن حاله وتقربه عند الله سبحانه . فليحافظ على نفسه عن ابداء الشماتة لاحد من المسلمين ، ويخوف من يراه من الشامتين عن عقوبة العاجل وعذاب الآجل .

ومنها :

المراء والجدال والخصومة

اعلم ان المراء طعن في كلام الغير لاظهار خلل فيه ، من غير غرض سوى تحقيره واهانته ، واظهار تفوقه وكياسته . والجدال مراء يتعلق باظهار المسائل الاعتقادية وتقريرها . والخصومة لجاج في الكلام لاستيفاء مال او حق مقصود ، وهذه تكون تارة ابتداءا وتارة اعتراضا ، والمراء لا يكون الا اعتراضا على كلام سبق ، فالمراء داخل تحت الايذاء ، ويكون ناشئا من العداوة او الحسد . واما الجدال والخصومة ، فربما صدرا من احدهما ايضا ، وربما لم يصدرا منه .

وحينئذ ، فالجدال ان كان بالحق — أي تعلق باثبات احدى العقائد

(٩) صححنا الحديثين على (أصول الكافي) : باب الشماتة .

الحقة وكان الغرض منه الارشاد والهداية، ولم يكن الخصم لدودا عنودا، فهو الجدال بالاحسن ،وليس مذموما ، بل ممدوح معدود من الثبات في الايمان الذى هو من تنائج قوة المعرفة وكبر النفس ، قال الله سبحانه :

« ولا تجادلوا أهل الكتاب الا بالتي هي أحسن » (١٠) .

وان لم يكن بالحق ، فهو مذموم اقتضته العصبية او حب الغلبه اوالطمع المالى ، فيكون من رذائل القوة الغضبية او الشهوية ، وربما اورث شكوكا وشبهات تضعف العقيدة الحقة ، ولذا نهى اللهسبحانه عنه وذم عليه ، فقال:

« ومن الناس من يجادل فى الله بغير علم ولا هدىولا كتاب منير » (١١).
وقال : **« واذا رأيت الذين يخوضون فى آياتنا فاعرض عنهمحتى يخوضوا فى حديث غيره » (١٢) .**

والخصومة أيضا ان كانت بحق ، أي كانت مما يتوقف عليه استيفاء مال او حق ثابت ، فهي ممدوحة معدودة من فضائل القوة الشهوية ، وان كانت بباطل ؛ أي تعلقت بما يدعيه كذبا او بلا علم ويقين ، فهي مذمومة معدودة من رذائلها . فالخصومة المذمومة تتناول المخاصمة فيما يعلم قطعا عدم استحقاقه ، وفيما لاعلم له بالاستحقاق ؛ كخصومة وكيل القاضى ؛ فانه قبل أن يعرف أن الحق في أي جانب ؛ يتوكل في الخصومة من أي جانب كان ، ويخاصم منغير علم وايقان ، فمثله خباط العشرات وركاب الشبهات، يضر بالمسلمين بلا غرض ؛ ويتحمل أوزار الغيربلا عوض ، فهو أخسرالناس اعمالا وأعظمهم في الآخرة أوزارا ونكالا . وتتناول أيضا مخاصمة منيطلب حقه ولكنه لايقتصر على قدر الحاجة ، بل يظهر اللدد والعناد في الخصومة قصدا للتسلط والإيذاء ، ومن يمزج بخصومته كلمة مؤذية لايحتاج اليها في اظهار الحق وبيان الحجة ، ومن يحمله على الخصومة محض العناد بقهر الخصم وكسره معاستحقاره لذلك القدر من المال ، وربما صرح بأنقصدي العناد والغلبة عليه وكسر عرضه ، واذا أخذت منه هذا المال رميته ؛ ولا

(١٠) العنكبوت ، الآية : ٤٦ .
(١١) الحج ، الآية : ٨ .
(١٢) الانعام ، الآية : ٦٨ .

أبالي ، فمثله غرضه اللدد واللجاج .

فتنحصر الخصومة الجائزة بمخاصمة المظلوم الذي يطلب حقه وينصر حجته بطريق الشرع من غير قصد عناد وايذاء ، مع الاقتصار على قدر الحاجة في الخصومة من دون أن يتكلم بالزائد ولا بكلمات مؤذية ، ففعله ليس بحرام وان كان الاولى تركه ما وجد اليه سبيلا ، اذ ضبط اللسان في الخصومة على حد الاعتدال متعذر او متعسر ؛ لانها توغر الصدر ، وتهيج الغضب ، واذا هاج الغضب ذهب المتنازع فيه من البين ، وأشتد الحقد بين المتخاصمين حتى يحزن كل واحد بمسرة صاحبه ويفرح بمساءته . فالخصومة مبدأ كل شر ، فينبغي ألا يفتح بابها الا عند الضرورة على قدر الضرورة، ولا يتعدى عن الواجب ، اذ أقل درجاتها تشوش الخاطر ، حتى انه في الصلاة ليشتغل بمخاصمة الخصم ؛ ويتضمن الطعن والاعتراض ، أي التجهل والتكذيب ، اذ من يخاصم غيره اما يجهله او يكذبه ، فيكون آتيا بسوء الكلام ؛ ويفوت بضده ؛ اعني طيب الكلام ، مع ما ورد فيه من الثواب. وكذا الحال في المراء والجدال .

وبالجملة : المراء والجدال والخصومة ، سوى ما استثنى ، من ذمائم الافعال ومبادىء أكثر الشرور والفتن ؛ ولذا ورد بها الذم الشديد في الاخبار قال رسول الله (ص) : « من جادل في خصومة بغير علم ، لم يزل في سخط حتى ينزع » . وقال (ص) : « ان أبغض الرجال الى الله الالد الخصم » . وقال (ص) : « ما أتاني جبرئيل قط الا وعظني ، فآخر قوله لي : اياك ومشادة الناس ، فانها تكشف العورة وتذهب بالعز » . وقال أمير المؤمنين (ع) : « اياكم والمراء والخصومة ، فانهما يمرضان القلوب على الاخوان ، وينبت عليهما النفاق » . وقال علي بن الحسين عليهما السلام: « ويل امة فاسقا من لايزال مماريا ! ويل أمة فاجرا من لايزال مخاصما ! ويل امة آثما من كثر كلامه في غير ذات الله ! » . وقال الصادق (ع) : « لاتمارين حليما ولا سفيها ، فان الحليم يغلبك والسفيه يؤذيك » . وقال : « اياك والمشادة ، فانها تورث المعرة وتظهر العورة » . وقال (ع) : « اياكم والخصومة ، فانها تشغل القلب ، وتورث النفاق ؛ وتكسب

الضغائن » [١٣] • فمن تأمل في مايدل على ذمها وسوء عاقبتها عقلا ونقلا ـ فمع عدم ترتب فائدة عليها ، وتذكر ما ورد في مدح تركها وفوائدضدها، اعني طيب الكلام ـ يسهل عليه ان يتركها ولا يحوم حولها •

تذنيب

علاج المراء

طريق المعالجة في ازالة المراء والجدال والخصومة : أن يعلم انها توجب التباغض والمباينة ، وتزيل الالفة والمحبة ، وتقطع الالتيام والوحدة • ولا ريب في أن قوام النظام الاصلح بالالتيام والوحدة ؛ كما أقتضته العناية الإلهية والحكمة الازلية ، والمباينة الراجعة الى الكثرة ينافيهما ، ولا ينبغي للعاقل أن يرتكب ما يضاد فعل الله وحكمته • وهذا هو العلاج العلمي ، وأما العملي ، فليواظب على ضد هذه الثلاثة ؛ أعني طيب الكلام ؛ ويكلف نفسه عليه ؛ حتى يصير ملكة له وترتفع أضدادها عنه بالمرة •

وصل

طيب الكلام

قد أشير الى أن ضد الرذائل الثلاث طيب الكلام، وما ورد في مدحه وفي ثواب تركها أكثر من أن يحصى • قال رسول الله (ص) : « ثلاث من لقى الله تعالى بهن دخل الجنة من أي باب شاء : من حسن خلقه ، وخشى الله في المغيب والمحضر ، وترك المراء وان كان محقا » • وقال (ص): « يسكنكم من الجنة طيب الكلام واطعام الطعام » • وقال (ص) : «ان في الجنة لغرفا يرى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها ، أعدها الله لمن أطعم الطعام وأطاب الكلام » • وقال (ص) : « الكلمة الطيبة صدقة »• وروي : « ان عيسى ـ عليه السلام ـ مربه خنزير • فقال : مر بسلامة • فقيل له : ياروح الله ، تقول هذا للخنزير ! فقال : أكره ان أعود لساني الشر » • وقال بعض الحكماء : « الكلام اللين يغسل الضغائن المستكنة

---

(١٣) صححنا الاحاديث على (الكافي) : باب المراء والخصومة . وعلى (الوسائل) : كتاب الحج ، ابواب احكام العشرة ، الباب ١٣٥ و ١٣٦ . وعلى (احياء العلوم) : ٢ / ١٠٢ .

في الجوارح » .

ومنها :

السخرية والاستهزاء

وهو محاكاة أقوال الناس أو أفعالهم او صفاتهم وخلقهم ، قولا وفعلا، او ايماءاً واشارة ، على وجه يضحك منه . وهو لاينفك عن الايذاء والتحقير والتنبيه على العيوب والنقائص . وان لم يكن ذلك بحضرة المستهزأ به ، فيتضمن الغيبة أيضا . وباعثه اما العداوة او التكبر واستصغار المستهزأ به ، فيكون من رذائل القوة الغضبية ، او قصد ضحك الاغنياء وتنشيط قلوبهم ، طمعا في بعض أوساخهم الملوثة ؛ وأخذ النبذ من حطامهم المحرمة، ولا ريب في انه صفة من لاحظ له في الدين ، وشيمة اراذل أحزاب الشياطين؛ لانهم يظهرون أكاذيب الاقوال ويرتكبون أعاجيب الافعال ، يخلعون قلائد الحرية عن الرقاب ، ويهتكون أستار الحياء بمرأى من أولى الالباب ، يبتغون عيوب المؤمنين وعوراتهم ، ويظهرون نقائص المسلمين وعثراتهم ، يقلدون أفعال الاخيار على وجه يضحك الاشرار ؛ ويحاكون صفات الابرار على أفضح الوجوه في الانظار . ولا ريب في أن المرتكب لهذه الافعال بعيد عن الانسانية بمراحل ، ومستوجب لعقوبة العاجل وعذاب الآجل ، ولايخلو ساعة عن الصغار والهوان ، ولا وقع له في قلوب أهل الايمان ؛ وكفاه ذما انه جعل تلك المعاصي الخبيثة وسيلة لتحصيل المال او الواقع في قلوب ابناء الدنيا ، ويلزمه عدم اعتقاده بأن الله سبحانه هو المتكفل لأرزاق العباد.

والطريق في دفعه — بعد التأمل في سوء عاقبته ، ووخامة خاتمته ، وفيما يلزمه من الذلة والهوان في الدنيا — أن يبادر الى ازالة العداوة والتكبر ان كان باعثه ذلك ، وان كان باعثه تنشيط قلوب أهل الدنيا طمعا في مالهم ، فليعلم أن لكل نفس ما قدر لها من الاموال والارزاق ، يصل اليها من الله سبحانه ألبتة ، فان من يتق الله ويتوكل عليه يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لايحتسب ، ويكون في الآخرة سعيدا ، وان أغواه الشيطان وحثه على تحصيلها من المداخل الخبيثة ، لم يصل اليه أكثر مما قدر له ؛ وكان في الآخرة شقيا .

وليعلم أيضا أن المتوكل على الله والمتصف بالحرية ، لايبدل التوكل والحرية بهذه الافعال لأجل الوصول الى بعض خبائث الاموال ، فليعاتب نفسه ويزجرها بالمواعظ والنصائح ، ويتذكر ما ورد في الشريعة من ذم المستهزئين وتعذيبهم يوم القيامة بصورة الاستهزاء ، قال الله جل شأنه :

« لايسخر قوم من قوم عسى ان يكونوا خيرا منهم » (١٤) .

وقال (ص) : « ان المستهزئين بالناس يفتح لأحدهم باب من الجنة، فيقال : هلم هلم ! فيجيء بكربه وغمه ، فاذا أتى أغلق دونه ، ثم يفتح له باب آخر ، فيقال : هلم هلم ! فيجيء بكربه وغمه ، فاذا أتى أغلق دونه . فما يزال كذلك ، حتى يفتح له الباب ، فيقال له : هلم هلم ! فما يأتيه » . وقال ابن عباس في قوله تعالى :

« يا ويلتنا ما لهذا الكتاب لايغادر صغيرة ولاكبيرة الا احصاها » (١٥).

« الصغيرة : التبسم بالاستهزاء بالمؤمن ، والكبيرة : القهقهة بذلك» . وفيه اشارة الى أن الضحك على الناس من الجرائم العظيمة .

ثم جميع ما ذكر انما هو في حق من يؤذي الناس ويهينهم باستهزائه وسخريته ، وأما من جعل نفسه مسخرة ويسر بأن يهزل ويسخر به ، وان كان هو ظالما لنفسه خارجا عن شعار المؤمنين ، حيث أهان نفسه وأذلها ، الا أن سخرية الغير به من جملة المزاح ، ويأتي مايذم منه وما يحمد ، وانما المحرم منه ما يؤدى الى ايذائه وتحقيره : بأن يضحك على كلامه اذا يخبط ولم ينتظم ، أو على أفعاله اذا كانت مشوشة ، او على صورته وخلقته اذا كان قصيرا أو طويلا أو ناقصا بعيب من العيوب . فالضحك على جملة ذلك داخل في السخرية المنهى عنها .

وطريق علاجه — بعد تذكر ما تقدم — أن استهزاءه يوجب خزي نفسه يوم القيامة عند الله وعند الملائكة والنبيين وعند الناس أجمعين ، فلو تفكر في حسرته وحيائه وخجله وخزيه يوم يحمل سيئات من استهزأ به ويساق الى النار ، لادهشه ذلك عن اخزاء غيره ، ولو عرف حقيقة حاله يوم القيامة ،

---

(١٤) الحجرات ، الآية : ١١ .
(١٥) الكهف ، الآية : ٥٠ .

لكان الاولى له أن يضحك على نفسه تارة ويبكي عليها أخرى ، لانه باستهزائه به عند بعض أراذل الناس عرض نفسه لان يأخذ بيده ذلك الغير يوم القيامة على ملأ من الناس ويسوقه تحت السياط ، كما يساق الحمار ، الى النار ، مستهزئا به مسرورا بخزيه وتمكين الله تعالى اياه على الانتقام منه . فمن تأمل في ذلك ، ولم يكن عدوا لنفسه ، أجتنب عن السخرية والاستهزاء كل الاجتناب .

ومنها :

المزاح

وأصله مذموم منهى عنه ، وسببه اما خفة في النفس ، فيكون من رذائل القوة الغضبية ، او ميل النفس وشهوتها اليه ، او تطييب خاطربعض أهل الدنيا طمعا في مالهم ، فيكون من رذائل القوة الشهوية . وسبب الذم فيه : أنه يسقط المهابة والوقار ،وربما أدى الى التباغض والوحشة والضغينة؛ وربما انجر الى الهزل والاستهزاء ، وادخل صاحبه في جملة المستهزأ بهم ؛ وربما صار باعثا لظهور العداوة — كما قيل — وربما جر الى اللعب ، قال رسول الله (ص) : « لاتمار أخاك ، ولا تمازحه » ، وقال بعض الاكابر لابنه : « يابني ، لاتمازح الشريف فيحقد عليك ، ولا الدني فيجترىء عليك » ، وقال آخر : « أياكم والممازحة ، فانها تورث الضغينة وتجرالى القطيعة » . وقال اخر : « المزاح مسلبة للبهاء ، ومقطعة للاصدقاء » . وقيل : « لكل شيء بذر ، وبذر العداوة المزاح » . ومن مفاسد المزاح : أنه سبب للضحك ، وهو منهى عنه . قال الله تعالى :

« فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا » (١٦) .

وقال رسول الله (ص) : « ان الرجل ليتكلم بالكلمة فيضحك بها جلساءه ، يهوى بها أبعد من الثريا » ، وقال : « لو تعلمون ما أعلم لبكيتم كثيرا ولضحكتم قليلا » ، وهو يدل على أن الضحك علامة الغفلة عن الآخرة وقال بعض : « من كثر ضحكه قلت هيبته ، ومن مزح استخف به ، ومن

---

(١٦) التوبة ، الآية : ٨٣ .

أكثر من شيء عرف به ، ومن كثر كلامه كثر سقطه ، ومن كثر سقطه قل حياؤه ، ومن قل حياؤه قل ورعه ؛ ومن قل ورعه مات قلبه » . وخاطب عارف نفسه وقال : « أتضحك ولعل اكفانك قد خرجت من عند القصار؟!» وقال رجل لأخيه : « يا أخي ، هل أتاك انك وارد النار ؟ قال : نعم ! قال: وهل أتاك أنك خارج منها ؟ فقال : لا ، قال : ففيم الضحك ؟ فما رئي بعد ذلك ضاحكا حتى مات » . ونظر بعضهم الى قوم يضحكون في يوم الفطر ، فقال : « ان كان هؤلاء قد غفر لهم فما هذا فعل الشاكرين ؛ وان كان لم يغفر لهم فما هذا فعل الخائفين » .

ثم المذموم من الضحك هو القهقهة ، والتبسم الذي ينكشف فيه السن ولا يسمع الصوت ليس مذموما ، بل محمود لفعل النبي (ص) [١٧] .

تذنيب

المذموم من المزاح

الحق أن المذموم من المزاح هو الافراط فيه والمداومة عليه ، او ما يؤدى الى الكذب والغيبة وأمثالهما ، ويخرج صاحبه عن الحق . وأما القليل الذي يوجب انبساط خاطر وطيبة قلب ، ولا يتضمن ايذاءً ولا كذبا ولا باطلا ، فليس مذموما ؛ لقول رسول الله (ص) : « اني لأمزح ولا أقول الا حقا » . ولما روي : « أنهم قالوا له (ص) : يارسول الله ، انك تداعبنا ! فقال : اني وان داعبتكم ، فلا أقول الا حقا » . ولما روت العامة: « انه (ص) كان كثير التبسم ، وكان أفكه الناس » . وورد : « أن رسول الله (ص) كسا ذات يوم واحدة من نسائه ثوبا واسعا ، وقال لها: البسيه واحمدي ؛ وجرى منه ذيلا كذيل العروس » . وقال (ص) : « لاتدخل الجنة عجوز . فبكت العجوز . فقال : انك لست يومئذ بعجوز» وجاءت امرأة اليه ؛ وقالت : « ان زوجي يدعوك . فقال (ص) : زوجك هو الذي بعينه بياض ؟ قالت : والله ما بعينه بياض ! فقال : بلى ؛ ان

---

(١٧) راجع اخبار المزاح والضحك والتبسم : كتاب (الوسائل) :الباب ٨٠ — ٨٤ من أبواب احكام العشرة ، والظاهر ان المؤلف لم يرجع الى اخبارنا التي فيها غنى عن النقل عن اناس مجهولين .

بعينه بياضا . فقالت : لا والله ! فقال : مامن أحد الا بعينه بياض » . وأراد به البياض المحيط بالحدقة . وجاءته امرأة أخرى، وقالت : «احملني يارسول الله على بعير . فقال : بل نحملك على ابن البعير . فقالت : ما أصنع به ، انه لايحملني ، فقال (ص) : هل من بعير الا وهو ابن بعير؟» . وكان (ص) يدلع لسانه للحسين (ع) ، فيرى لسانه فيهش له . وقال لصهيب — وبه رمد وهو يأكل التمر — : « أتأكل التمر وأنت ارمد ؟ فقال : انما آكل بالشق الآخر . فتبسم رسول الله حتى بدت نواجذه » . وروي : « أن خوات ابن جبير كان جالسا الى نسوة من بني كعب بطريق مكة ، وكان ذلك قبل أسلامه ، فطلع عليه رسول الله (ص) فقال له : مالك مع النسوة ؟ قال : يفتلن ضفيرا لجمل لي شرود . فمضى رسول الله لحاجته ثم عاد ، فقال : يأبا عبد الله أماترك ذلك الجمل الشراد بعد؟ قال : فسكت واستحييت ، وكنت بعد ذلك استخفى منه حياء ، حتى اسلمت وقدمت المدينة ، فأطلع علي يوما وأنا أصلي في المسجد ، فجلس الي ؛ فطولت الصلاة ؛ فقال : لاتطول فاني انتظرك ، فلما فرغت قال : يا أبا عبدالله ، أما ترك ذلك الجمل الشراد بعد ؟ قلت : والذي بعثك بالحق نبيا! ما شرد منذ أسلمت ! فقال : الله اكبر الله اكبر ، أللهم أهد أبا عبدالله . فحسن أسلامه » . وكان نعيمان الانصاري ، رجلا مزاحا ، فاذا دخل المدينة شيء نفيس من اللباس او المطاعم اشترى منه ، وجاء به الى رسول الله (ص) ويقول : هذا أهديته لك . فاذا جاء صاحبه يطالبه بثمنه ، جاء به الى رسول الله (ص) ، وقال : يا رسول الله ، اعطه ثمن متاعه ، فيقول له النبي (ص) : « أو لم تهده لنا ؟ » فيقول : لم يكن عندي والله ثمنه، وأحببت ان تأكل منه ، فيتبسم رسول الله ويأمر لصاحبه بثمنه . وامثال هذه المطايبات مروية عن رسول الله (ص) وعن الائمة عليهم السلام واكثرها منقولة مع النسوان والصبيان ، وكان ذلك معالجة لضعف قلوبهم ، من غير ميل الى هزل ولا كذب ولا باطل ، وكان صدور ذلك عنهم احيانا وعلى الندرة ، ومثلهم كانوا يقدرون على المزاح مع عدم خروجهم عن الحق والاعتدال ، واما غيرهم فاذا فتح باب المزاح فربما وقع في الافراط والباطل.

فالاولى لامثالنا تركه مطلقا .

ومنهـا :

الغيبـة

وهي ان يذكر الغير بما يكرهه لو بلغه ، سواء كان ذلك بنقص في بدنه أو في أخلاقه أو في أقواله ، أو في أفعاله المتعلقة بدينه او دنياه ، بل وان كان بنقص في ثوبه او داره او دابته .

والدليل على هذا التعميم — بعد اجماع الامة على ان من ذكر غيره بما يكرهه اذا سمعه فهو مغتاب — ما روي عن رسول الله (ص) انه قال: « هل تدري ما الغيبة ؟ قالوا : الله ورسوله اعلم . قال : « ذكرك أخاك بما يكره » ، قيل له : أرأيت ان كان في أخي ماأقول ؟ قال : « ان كان فيه ما تقول فقد اغتبته ، وان لم يكن فيه فقد بهته » . وما روي : « انه ذكر رجل عنده ، فقالوا : ما اعجزه ! فقال (ص) : اغتبتم اخاكم ، قالوا : يا رسول الله ، قلنا ما فيه . قال : ان قلتم ما ليس فيه فقد بهتموه » .وما روي عن عائشة : « دخلت علينا امرأة ، فلما ولت ، اومأت بيدي انها قصيرة ، فقال (ص) : اغتبتها » . وما روي انها قالت : « اني قلت لامرأة مرة وانا عند النبي (ص) : ان هذه لطويلة الذيل . فقـال لي : الفظي الفظي ! فلفظت مضغة لحم » . وقد روي : « أن احد الشيخين قال للآخر ان فلانا لنؤم ، ثم طلبا أدما من رسول الله ليأكلا به الخبز . فقال (ص) : قد ائتدمتما . فقالا: ما نعلمه ،فقال : بلى ! انكما اكلتما من لحم صاحبكما» .

واما ما روي عن الصادق عليه السلام انه قال : « صفة الغيبة ان تذكر أحدا بما ليس هو عند الله بعيب ويذم ما يحمده أهل العلم فيه . واما الخوض في ذكر الغائب بما هو عند الله مذموم وصاحبه فيه ملوم ، فليس بغيبة ، وان كره صاحبه اذا سمع به وكنت انت معافى عنه وخاليا منـه ، وتكون في ذلك مبينا للحق من الباطل ببيان الله ورسوله ، ولكن على شرط ألا يكون للقائل بذلك مراد غير بيان الحق والباطل في دين الله عز وجل ، واما اذا أراد به نقص المذكور بغير ذلك المعنى ، فهو مأخوذ بفساد مراده

وان كان صوابا »[١٨] فهو مخصوص بما اذا لم يكن صاحبه عالما بقبحه، او كان ساترا على نفسه كارها لظهوره . ويدل على ذلك ما روي عنه عليه السلام ايضا ، انه سئل عن الغيبة ؛ فقال : « هو ان تقول لاخيك في دينه ما لم يفعل ؛ وتبث عليه امرا قد ستره الله عليه لم يقم عليه فيه حد » . وقال عليه السلام : « الغيبة ان تقول في اخيك ما ستره الله عليه ، واما الامر الظاهر فيه ، مثل الحدة والعجلة ، فلا » . وقال الكاظم عليه السلام : «من ذكر رجلا من خلفه بما هو فيه مما عرفه الناس ، لم يغتبه ، ومن ذكره من خلفه بما هو فيه مما لا يعرفه الناس ، اغتابه ؛ ومن ذكره بما ليس فيه فقد بهته »[١٩] . ويأتي ان المجاهر بمعصيته غير ساتر لها ، لا غيبة له فيها .

والحاصل : ان الاجماع والاخبار متطابقان على ان حقيقة الغيبة هو ان يذكر الغير بما يكرهه اذا سمعه ، سواء كان ذلك بنقص في نفسه او بدنه ، أو في دينه أو دنياه ، او فيما يتعلق به من الاشياء ؛ وربما قيل انه لا غيبة فيما يتعلق بالدين ؛ لانه ذم من ذمه الله ورسوله ، فذكره بالمعاصي وذمه جائز . وأيد ذلك بما روي : « انه ذكر عند رسول الله امرأة وكثرة صومها وصلاتها ولكنها تؤذي جيرانها . فقال : هي في النار » . وذكرت امرأة اخرى بأنها بخيلة ، فقال : « فما خيرها اذن ؟ » . ولا ريب في بطلان هذا القول ؛ لما عرفت من عموم الادلة . وما ورد من ذم الاشخاص المعينة في كلام الله وكلام حججه انما هو لتعريف الاحكام وتبيينها ، وسؤال الاصحاب عنهم وذكرهم بالمعاصي ، انما كان لحاجتهم الى معرفة الاحكام لا للذم واظهار العيب ، ولذا لم يكن ذلك الا في مجلس الرسول (ص) أو الائمة (ع) .

---

(١٨) صححنا الحديث على (مصباح الشريعة) : الباب ٤٩ . وقد تقدم الشك فى صحة (مصباح الشريعة) فى الجزء الاول .

(١٩) صححنا الاحاديث الثلاثة على (الوسائل) : كتاب الحج ، ابواب احكام العشرة ، الباب ١٥٤ ، وعلى (أصول الكافى) : باب الغيبة والبهت . وعلى (البحار) ٤ مج ١٥ / ١٨٤ باب الغيبة ، وقال فى الموضوع المذكورعن الحديث الاول : « الغيبة هو ان تقول » : الضمير للغيبة ، وتذكيره بتأويل الاغتياب أو باعتبار الخبر .

فصــل

لاتنحصر الغيبة باللسان

اعلم ان الغيبة لا تنحصر باللسان ، بل كل ما يفهم نقصان الغـير ، ويعرف ما يكرهه فهو غيبة ، سواء كان بالقول أو الفعل ، او التصريح أو التعريض ؛ أو بالاشارة والايماء او بالغمز والرمز ؛ او بالكتابة والحركة ولا ريب في ان الذكر باللسان غيبة محرمة، لتفهيمه الغير نقصان اخيك وتعريفه بما يكرهه ، لا لكون المفهم والمعرف لسانا، فكلما كان مفهما ومعرفا فهو مثله.

فالغيبة تتحقق باظهار النقص بالفعل والمحاكاة، كمشية الاعرج ، بل هو أشد من الغيبة باللسان ، لانه أعظم في التصوير والتفهيم منه ، وبالايماء والاشارة ؛ وقد روي : « انه دخلت امرأة على عائشة ، فلما ولت ، اومأت بيدها انها قصيرة . فقال رسول الله (ص) : قد اغتبتها » .

وبالكتابة اذ القلم أحد اللسانين ، وبالتعويض ، كأن يقول : الحمد لله الذي لم يبتلنا بالدخول على الظلمة ، والتبذل في طلب الجاه والمال ، أو يقول : نعوذ بالله من قلة الحياء ، ونسأله ان يعصمنا منه ، معرضا في كل ذلك بمن ارتكب ذلك ؛ فيذكره بصيغة الدعاء . وربما قدم مدح من يريد غيبته ، ثم اتبعه باظهار عيبه ، كأن يقول: لقد كان فلان حسن الحال ولكنه ابتلى بما ابتلى به كلنا من سوء الحال، وهو جمع بين الرياء والغيبة، ومدح نفسه بالتشبه بالصلحاء في ذم انفسهم .

ومن المغتابين المنافقين من يظهر في مقام غيبة مسلم الاغتمام والحزن من سوء حاله ، كأن يقول : لقد ساءني ما جرى على صديقنا فـلان من الاهانة والاستخفاف ،أو ارتكابه معصية كذا ، فنسأل الله ان يجعله مكرما او يصلح حاله ؛ او يقول : قد ابتلي ذلك المسكين بآفة عظيمة ، تاب الله علينا وعليه . وهو كاذب في ادعائه الحزن والكآبة ، وفي اظهار الدعاء ، اذ لو اغتم لاغتم باظهار ما يكرهه ايضا ؛ ولو قصد الدعاء لاخفاه في خلواته فاظهار الحزن والدعاء ناش عن خبث سريرته ، وهو يظن انه ناش عن صفاء طويته . هكذا يلعب الشيطان بمن ليس له قوة البصيرة بمكائد اللعـين وتلبيساته ، فيسخر بهم ويضحك عليهم ، ويحبط اعمالهم بمكائده ؛ وهم

يحسبون انهم يحسنون صنعا . وربما ذكر بعض المغتابين عيب مسلم ولم يتنبه له بعض الحاضرين ، فيقول اسماعا له واعلاما لما يقوله : « سبحان الله ! ما اعجب هذا ! » حتى يتوجه اليه ويعلم ما يريد ، فيستعمل اسم الله آلة لتحقيق خبثه .

ثم المستمع للغيبة أحد المغتابين ، كما ورد به الخبر[٢٠] . وقد دل على ذلك ايضا ما تقدم من حديث الشيخين ، وما روي : انه (ص) لما رجم ماعزا في الزنا ، قال رجل لآخر : هذا أقعص كما يقعص الكلب . فمر النبي (ص) معهما بجيفة ، فقال : انهشا من هذه الجيفة . فقالا : يا رسول الله ، ننهش جيفة ! فقال : ما اصبتما من أخيكما انتن من هذه » . فجمع بينهما ، مع ان أحدهما كان قائلا والآخر مستمعا .

وهو اما لا يسر باستماعها ، الا انه لا ينكرها باللسان ولا يكرهها بالقلب ، أو يسر ويفرح باستماعها ، الا ان النفاق والتزهد حملاه على عدم التصديق ، وربما منع منها رياء وتزهدا ، مع كونه مشتهيا لها بقلبه وربما توصل بالحيل المرغبة للمغتاب في زيادة الغيبة ، مع التباس الامر عليه بأنه يشتهيها ، مثل ان يظهر التعجب ويقول : عجبت منه ما علمت انه كذلك ، وما عرفته الى الآن الا بالخير ، وكنت أحسب فيه غير هذا عافانا الله من بلائه . فان ذلك تصديق للمغتاب ، وباعث لزيادة نشاطه في الغيبة ، فكأنه يستخرج منه الغيبة بهذا الطريق .

والحاصل : ان المستمع لا يخرج عن اثم الغيبة الا بأن ينكر بلسانه أو يقطع الكلام بكلام آخر ، او يقوم من المجلس ، وان لم يقدر على شيء من ذلك ، فلينكر بقلبه ، وان قال بلسانه : اسكت ، وهو يشتهيه بقلبه فذلك نفاق ، ولا يخرجه من الاثم مالم يكرهه بقلبه . ومع عدم الخوف لا يكفي ان يشير باليد أو حاجبه او جبينه ، أي اسكت ، اذ ذلك استحقار للمذكور ، مع انه ينبغي ان يعظمه فيذب عنه صريحا . قال النبي (ص) :

---

(٢٠) اشارة الى ما رواه الشيخ ابو الفتوح الرازي في تفسيره ، عن رسول الله (ص) أنه قال : « المستمع احد المغتابين » . والى قول أمير المؤمنين (ع) : « السامع للغيبة احد المغتابين » . (بحار الانوار) : ٤ مج ١٥ / ١٧٩ .

« من اذل عنده مؤمن وهو يقدر على ان ينتصر له فلم ينصره ، أذله الله يوم القيامةعلى رؤس الخلائق » • وقال : « من رد عن عرض أخيه بالغيب كان حقا على الله ان يرد عن عرضه يوم القيامة » • وقال (ص) : « من ذب عن عرض أخيه بالغيب ، كان حقا على الله ان يعتقه من النار » • وقال (ص) : « من رد عن عرض اخيه ، كان له حجابا من النار » • وقال (ص) مامن رجل ذكر عنده أخوه المسلم ، وهو يستطيع نصره ولوبكلمه ولم ينصره الا اذله الله — عزوجل — في الدنيا والآخرة • ومن ذكر عنده اخوه المسلم فنصره ، نصره الله في الدنيا والآخرة » وقال (ص) : « من حمى عرض اخيه المسلم في الدنيا بعث الله له ملكا يحميه يوم القيامة من النار وقال(ص) « من تطول على أخيه في غيبته ، سمعها عنه في مجلس فردها ، رد الله عنه الف الف باب من الشر في الدنيا والآخرة ، وان لم يردها وهو قادر على ردها ، كان عليه كوزر من اغتابه سبعين مرة » ، وقال الباقر عليه السلام « من اغتيب عنده اخوه المؤمن فنصره وأعانه ، نصره الله في الدنيا والاخرة ومن لم ينصره ولم يدفع عنه وهو يقدر على نصرته وعونه ، الا خفضه الله في الدنيا والآخرة » • وبهذه المضامين اخبار كثيرة اخر •

فصل

بواعث الغيبة

اعلم ان باعث الغيبة — غالبا — اما الغضب او الحقد أو الحسد ، فيكون من نتائجها ؛ ومن رذائل قوة الغضب ؛ وله بواعث أخر :

الاول — السخرية والاستهزاء : فان ذلك كما يجري في الحضور يجري في الغيبة ايضا ، وقد عرفت ان منشأهما ماذا •

الثاني — اللعب والهزل والمطايبة : فيذكر غيره بما يضحك الناس عليه على سبيل التعجب والمحاكاة • ويأتي ان باعث الهزل والمزاح ماذا ، وانه متعلق بالقوة الشهوية •

الثالث — ارادة الافتخار والمباهاة : بأن يرفع نفسه بتنقيص غيره ؛ فيقول : فلان لا يعلم شيئا • وغرضه ان يثبت في ضمن ذلك فضل نفسه وانه أفضل منه • وظاهر ان منشأ ذلك التكبر او الحسد ،فيكون ايضا من رذائل القوة الغضبية •

الرابع — ان ينسب الى شيء من القبائح ، فيريد أن يتبرأ منه بذكر الذي فعله ، وكان اللازم عليه ان يبريء نفسه منه ؛ ولا يتعرض للغير الذي فعله ، وقد يذكر غيره بانه كان شاركا له في الفعل ، ليتمهد بذلك عذر نفسه في فعله ، وربما كان منشأ ذلك صغر النفس وخبثها •

الخامس — مرافقة الاقران ومساعدتهم على الكلام ، حذرا عن تنفرهم واستثقالهم اياه لولاه ، فيساعدهم على اظهار عيوب المسلمين وذكر مساويهم ظنا منه انه مجاملة في الصحبة ، فيهلك معهم • وباعث ذلك ايضا صغر النفس وضعفها •

السادس — ان يستشعر من رجل انه سيذكر مساوية ، او يقبح حاله عند محتشم ، او يستشهد عليه بشهادة ، فيبادره قبل ذلك باظهار عداوته ، او تقبيح حاله ، ليسقط أثر كلامه وشهادته • وربما ذكره بما هو فيه قطعا ، بحيث ثبت ذلك عند السامعين ليكذب عليه بعده ، فيروج كذبه بالصدق الاول ويستشهد به ويقول : ليس الكذب من عادتى ، فانى اخبرتكم قبل ذلك من احواله كذا وكذا ، فكان كما قلت ، فهذا ايضا صدق كسابقه • وهذا ايضا منشأه الجبن وضعف النفس •

السابع — الرحمة ، وهو ان يحزن ويغتم بسبب ماابتلى به غيره فيقول المسكين فلان قد غمني ماارتكبه من القبح ، او ما حدث به من الاهانة والاستخفاف ! فيكون صادقا في اغتمامه ، الا انه لما ذكر اسمه واظهر عيبه صار مغتابا ، وقد كان له الاغتمام بدون ذكر اسمه وعيبه ممكنا ، فاوقعه الشيطان فيه ليبطل ثواب حزنه ورحمته •

الثامن — التعجب من صدور المنكر والغضب لله عليه ، بان يرى منكر من انسان او سمعه ، فيقول عند جماعة : ما اعجب من فلان ان يتعارف مثل هذا المنكر ! اويغضب منه ، فيظهر غضبه واسمه ومنكره ، فانه وان كان صادقا في تعجبه من المنكر وغضبه عليه ، لكن كان اللازم ان يتعجب منه ويغضب عليه ، ولكنه لايظهر اسمه عند من لم يطلع على ماصدر منه من المنكر بل يظهر غضبه عليه بالنهى عن المنكر والامر بالمعروف من غير ان يظهره لغيره ، فلما اوقعه الشيطان في ذكره بالسوء صار مغتابا ، وبطل ثواب تعجبه وغضبه ، وصار آثما من حيث لايدرى •

وهذه الثلاثة الاخيرة مما يغمض دركها ، لان اكثر الناس يظنون ان الرحمة والتعجب والغضب اذا كان لله كان عذرا في ذكر الاسم ، وهو خطأ محض ؛اذ المرخص في الغيبة حاجات مخصوصة لامندوحة فيها عن ذكرالاسم دون غيرها ، وقد روى : « ان رجلا مر على قوم في عصر النبى (ص)فلما جاوزهم ، قال رجل منهم : انى ابغض هذا الرجل لله فقال القوم : وللهلبئس ماقلت ! وانا نخبره بذلك ،فاخبروه به ،فأتى الرجل رسول الله (ص)وحكى له ماقال ، وسأله ان يدعوه فدعاه ، وسأله عما قال في حقه ، فقال : نعم قد قلت ذلك . فقال رسول الله : ولم تبغضه ؟ فقال : انا جاره وانا بهخبير والله ما رأيته يصلى صلاة قط الا هذه المكتوبة ! فقال :يارسول الله ، فاسأله هل رآنى أخرتها عن وقتها او أسأت الوضوء لها والركوع والسجود ؟ فسأله فقال : والله مارايته يصوم شهرا قط الا هذا الشهر الذى يصومه كل بروفاجر قال : فاسأله يارسول الله هل رآنى افطرت فيه او نقصت من حقه شيئا ؟ فسأله ، فقال : لا !فقال : واللهمارأيته يعطى سائلا قط ولامسيكنا ، ولارايته ينفق من ماله شيئا في سبيل الخير الا هذه الزكاة التى يؤديها البر والفاجر ! قال : فاسأله هل رآنى نقصت منها شيئا او ماكست فيها طالبها الذى يسألها فسأله فقال : لا : فقال رسول الله (ص) للرجل : قم ، فلعله خير منك » ولاريب في ان انكار القوم عليه بعد قوله ابغضه لله يفيد عدم جواز اظهار المنكر الصادر من شخص لغيره ، وان كان في مقام الغضب والبغض لله .

فصل

ذم الغيبة

لما علمت حقيقة الغيبة وبواعثها ، فاعلم انها اعظم المهلكات واشدالمعاصى وقد نص الله سبحانه على ذمها في كتابه ، وشبه صاحبها بأكل لحم الميتة ، فقال :

« ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا ، أيحب أحدكم ان ياكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه » (٢١) . وقال : « لايحب الله الجهر بالسوء من القول

---

(٢١) الحجرات ، الآية : ١٢ .

الا من ظلم وكان الله سميعا عليما » (٢٢) . وقال : « ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد » (٢٣) .

وقال رسول الله (ص) « المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه » . والغيبة تتناول العرض . وقال (ص) « اياكم والغيبة ، فان الغيبة اشد من الزنا ، فان الرجل قد يزنى ويتوب فيتوب الله عليه ، وان صاحب الغيبة لايغفر له حتى يغفر له صاحبه » وقال (ص) «مررت ليلة اسرى بى على قوم يخمشون وجوهم باظافيرهم ، فقلت : ياجبرئيل ، من هؤلاء ؟ قال : الذين يغتابون الناس ،ويقعون في اعراضهم » وخطب (ص) يوما حتى اسمع العوائق في بيوتها ، فقال : « يامعشر من آمن بلسانه ولم يؤمن بقلبه ! لاتغتابوا المسلمين ، ولاتتبعوا عوراتهم ، فان من تتبع عورة اخيه يتتبع الله عورته حتى يفضحه في جوف بيته » . وخطب (ص) يوما فذكر الربا وعظم شأنه ، فقال : « ان الدرهم يصيبه الرجل من الربا اعظم عند الله في الخطيئة من ست وثلاثين زنية يزنيها الرجل ،وان اربى الربا عرض الرجل المسلم » . ومر (ص) على قبرين يعذب صاحباهما ، فقال :«انهما ليعذبان في كبيرة ، اما احدهما فكان يغتاب الناس ،واما الآخر فكان لايستبري من بوله» . ودعا بجريدة رطبة او جريدتين فكسرهما ، ثم امر بكل كسرة فغرست على قبره ، وقال: « اما انه يهون من عذابهما ماكانتا رطبتين » . وروى : « انه (ص) امر الناس بصوم يوم ، وقال : لايفطرن احد حتى آذن له . فصام الناس ، حتى اذا امسوا ، جعل الرجل يجيء ،فيقول : يارسول الله ،ظللت صائما فاذن لى لافطر ، فياذن له ، والرجل ، حتى جاء رجل ؛ فقال : يارسول الله فاذن لى لافطر ، فياذن له والرجل والرجل ،حتى جاء رجل ،فقال :يارسول الله لتفطرا . فاعرض عنه . ثم عاوده فاعرض عنه . ثم عاوده ، فقال : انهما لم تصوما ، وكيف صام من ظل هذا اليوم ياكل لحوم الناس ، اذهب فمرهما ان كانتا صائمتين ان تستقيئا . فرجع اليهما ، فاخبرهما ، فاستقاءتا ، فقاءت كل واحدة منهما حلقة من دم . فرجع الى النبى (ص) فاخبره ، فقال

---

(٢٢) النساء ، الآية : ١٤٧ .

(٢٣) ق ، الآية : ١٨ .

والذى نفس محمد بيده ! لوبقيتا في بطنيهما لاكلتهما النار » • واوحى الله تعالى الى موسى (ع) : «من مات تائبا من الغيبة فهو آخر من يدخل الجنة ومن مات مصرا عليها فهو اول من يدخل النار • وقال (ص) : « من مشى في غيبة اخيه وكشف عورته كانت اول خطوة خطاها وضعها في جهنم ، فكشف الله عورته على رؤوس الخلائق • ومن اغتاب مسلما ، بطل صومه ونقض وضوءه ، فان مات وهو كذلك مات وهو مستحل لما حرم الله » وقال (ص) : « الغيبة اسرع في دين الرجل المسلم من الاكلة في جوفه »[٢٤] وقال (ص) « الجلوس في المسجد انتظار للصلاة عبادة ، مالم يحدث » ، فقيل : يارسول الله ، وما الحدث ؟ قال : الاغتياب » • وقال (ص) : « من اغتاب مسلما او مسلمة لم يقبل الله صلاته ولاصيامه اربعين يوما وليلة ، الا ان يغفر له صاحبه وقال — (ص) « من اغتاب مسلما في شهر رمضان لم يؤجر على صيامه » وقال (ص) « من اغتاب مؤمنا بما فيه ، لم يجمع الله بينهما في الجنة ابدا ، ومن اغتاب مؤمنا بماليس فيه ، انقطعت العصمة بينهما ، وكان المغتاب في النار خالدا فيها وبئس المصير » • وقال (ص) « كذب من زعم انه ولد من حلال وهو ياكل لحوم الناس بالغيبة فانها ادام كلاب النار » • وقال (ص) « ما عمر مجلس بالغيبة الا خرب بالدين ، فنزهوا اسماعكم من استماع الغيبة ، فان القائل والمستمع لها شريكان في الاثم » •وقال (ص): «ما النار في التبن باسرع من الغيبة في حسنة العبد »[٢٥] وقال الصادق (ع) « من قال في مؤمن مارأته عيناه وسمعته اذناه ، فهو من الذين قال الله عز وجل : (ان الذين يحبون ان تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب اليم) •

---

(٢٤) الرواية مذكورة فى (البحار) : ٤ مج ١٥ / ١٧٧ . قال فى الموضع المذكور : « بيان : الاكلة — كفرحة — داء فى العضو يأتكل منه ، وقد يقرأ بمد الهمزة على وزن فاعلة ، اي العلة التي تاكل اللحم . والاول اوفق باللغة . وقيل الاكلة — بالضم — اللقمة ، وكلاهما محتملات الى ان ذكر الجوف يؤيد الاول وارادة الاضافة والاذهاب يؤيد الثاني والاول اقرب واصوب ، وتشبيه الغيبة باكل اللقمة انسب ، لان الله سبحانه شبهها باكل اللحم » .

(٢٥) صححنا الاحاديث هنا على (الوسائل) : كتاب الحج ، ابواب احكام العشرة ، الباب ١٥٢ . وعلى (البحار) : ٤ مج ١٥ / ١٧٧ . وعلى (المستدرك) : ٢ / ١٠٦ وعلى (احياء العلوم) : ٣ / ١٢٣ .

وقال (ع) : « من روى على مؤمن رواية يريد بها شينه وهدم مروته ليسقط من اعين الناس ، اخرجه الله من ولايته الى ولاية الشيطان » . وقال (ع) : « من اغتاب اخاه المؤمن من غير ترة بينهما فهو شريك شيطان »[٢٦] وقال(ع) « الغيبة حرام على كل مسلم ، وانها لتأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب»

والاخبار الواردة في ذم الغيبة مما لايكاد يمكن حصرها ، وماذكرناه كاف لايقاظ الطالبين . والعقل ايضا حاكم بانها اخبث الرذائل ، وقد كان السلف لايرون العبادة في الصوم والصلاة ، بل في الكف عن اعراض الناس ، لانه كان عندهم افضل الاعمال ، ويرون خلافة صفة المنافقين ؛ ويعتقدون ان الوصول الى المراتب العالية في الجنة يتوقف على ترك الغيبة ، لما ورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله ـ انه قال : « من حسنت صلاته وكثرت عياله ، وقل ماله ولم يغتب المسلمين ، كان في الجنة كهاتين » وما اقبح بالرجل المسلم ان يغفل عن عيوب نفسه ، ويتجسس على عيوب اخوانه ، ويظهرها بين الناس ، فما باله يبصر القذى في عين اخيه ؛ ولايبصر الجذع في عين نفسه .

فيا حبيبي ، اذا اردت ان تذكر عيوب غيرك ، فاذكر عيوبك ، وتيقن بانك لن تصيب حقيقة الايمان ، حتى لاتعيب الناس بعيب هو فيك ، وحتى تبدأ باصلاح ذلك العيب . واذا كان شغلك اصلاح عيوب نفسك ، كان شغلك في خاصة نفسك ، ولم تكن فرصة للاشتغال بغيرك ، وحينئذ كنت من احب العباد الى الله لقول النبي (ص) « طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس » . واعلم ان عجز غيرك في الاجتناب عن ذلك العيب وصعوبة ازالته عليه كعجزك عن الاجتناب عنه ان كان ذلك العيب فعلا اختياريا ، وان كان أمرا خلقيا فالذم له ذم للخالق تعالى . فان من ذم صنعة فقد ذم صانعها . قيل لبعض الحكماء ياقبيح الوجه ! فقال : « ماكان خلق وجهي الي فأحسنه » ولو فرض براءتك عن جميع العيوب ، فلتشكر الله ؛ ولاتلوث نفسك باعظم العيوب . اذ اكل لحوم الميتات اشد العيوب واقبحها ؛ مع انك لوظننت خلوك عن جميع العيوب لكنت اجهل الناس ؛ ولاعيب اعظم من مثل هذا الجهل .

---

(٢٦) صححنا الاحاديث الثلاثة على (الوسائل) في الموضع المتقدم وعلى (اصول الكافي) باب الغيبة والبهت . وعلى (المستدرك) .

ثم ينبغي أن يعلم المغتاب ان الغيبة تحبط حسناته وتزيد في سيئاته ، لما ثبت من الاخبار الكثيرة : ان الغيبة تنقل حسنات المغتاب يوم القيامة الىمن اغتابه ، وان لم تكن له حسنة نقل اليهمن سيئاته . قال رسول الله (ص) : « يؤتي بأحدكم يوم القيامة ، فيوقف بين يدي الله تعالى ، ويدفع اليه كتابه ، فلا يرى حسناته ، فيقول : الهي ليس هذا كتابي ،فاني لا ارى فيه طاعتي، فيقول له : ان ربك لا يضل ولا ينسى ، ذهب عملك باغتياب الناس . ثم يؤتي بآخر ويدفع اليه كتابه ، فيرىفيه طاعات كثيرة، فيقول : الهي ما هذا كتابي ؛ فاني ما عملت هذه الطاعات ؛ فيقول له : ان فلانا اغتابك فدفعت حسناته اليك » . وفي معناه اخبار اخر . ولا ريبفي أن العبد يدخل النار بان ترجح كفة سيئاته، وربما تنقل اليه سيئة واحدة مما اغتاب به مسلما ، فيحصل به الرجحان ويدخل لأجله النار . وأقل مافي الباب ان ينقص من ثواب صالحات أعماله ، وذلك بعد المخاصمة والمطالبة والسؤال والجواب والمناقشة في الحساب . وروي عن بعضهم : « أن رجلا قيل له : ان فلانا قد اغتابك ، فبعث اليه طبقا من رطب ، وقال : بلغني أنكقد أهديت الي من حسناتك ، فأردت أن أكافيك عليها ، فلعذرني ، فاني لاأقدر ان اكافيك على التمام » .

والحاصل : أن العاقل ينبغي أن يتأمل فيأن من يغتابه ان كان صديقا ومحبا له ، فاظهار عيوبه وعثراته بعيد عن المروة والانصاف ، وان كان عدوا له، فتحمل خطاياه ومعاصيه ونقل حسناته الىديوانه غاية الحماقةوالجهل .

فصل

علاج الغيبة

الطريق في علاج الغيبة وتركها ، ان يتذكر أولا ما تقدم من مفاسدها الاخروية ، ثم يتذكر مفاسدها في الدنيا ، فانه قد تصل الغيبة الى من أغتيب ؛ فتصير منشأ لعداوته أو لزيادة عداوته ، فيتعرض لايذاء المغتاب واهانته ، وربما انجر الامر بينهما الى ما لا يمكن تداركه من الضربوالقتل وأمثال ذلك . ثم يتذكر فوائد أضدادها — كما نشير اليها — وبعد

ذلك فليراقب لسانه ؛ ويقدم التروي في كل كلام يريد أن يتكلم به ، فان تضمن غيبة سكت عنه ، وكلف نفسه ذلك على الاستمرار ، حتى يرتفع عن نفسه الميل الجلي والخفي الى الغيبة .

والعمدة في العلاج أن يقطع أسبابها المذكورة ، وقد تقدم علاج الغضب والحقد والحسد والاستهزاء والسخرية ، ويأتي طريق العلاج في الهزل والمطايبة والافتخار والمباهاة . واما تنزيه النفس بنسبة مانسب اليه من الجناية الى الغير ، فمعالجته أن يعلم ان التعرض لمقت الخالق أشد من التعرض لمقت المخلوق ؛ ومن اغتاب تعرض لمقت الله وسخطه قطعا ، ولا يدري أنه يتخلص من سخط الناس أم لا ، فيحصل بعمله ذم الله وسخطه تقديرا ، وينظر دفع ذم الناس نسيئة ؛ وهذا غاية الجهل والخذلان . واما تعرضه لمشاركة الغير في الفعل تمهيدا لعذر نفسه ، كان يقول اني اكلت الحرام ، لأن فلانا أيضا أكل ، وقبلت مال السلطان ؛ لان فلانا أيضا قبل ؛ مع انه اعلم مني ؛ فلا ريب في أنه جهل وسفه ، لأنه اعتذر بالاقتداء بمن لايجوز الاقتداء به . فان من خالف الله لا يقتدي به كائنا من كان ، فلو دخل غيره النار وهو يقدر على عدم الدخول فهل يقتدي به في الدخول ولو دخل عد سفيها أحمق ، ففعله معصية ، وعذره غيبة وغباوة ، فجمع بين المعصيتين والحماقة ،ومثله كمثل الشاة ،اذا نظرت الى العنز تردى نفسها من الجبل فهي أيضا تردى نفسها ، ولو كان لها لسان ناطق واعتذرت عن فعلها بأن العنز اكيس مني وقد اهلكت نفسها فكذلك فعلت انا ، لكان هــذا المغتاب المعتذر يضحك عليها ، مع أن حاله مثل حالها ولا يضحك على نفسه .

والعجب ان بعض الاشقياء من العوام ، لما صارت قلوبهم عش الشيطان وصرفوا اعمارهم في المعاصي ،واشتغلت ذممهم بمظالم الناس بحيث لا يرجى لهم الخلاص ، مالت نفوسهم الخبيثة الى الا يكون معاد وحساب وحشر وعقاب ، ولما وجد ذلك الميل منهم اللعين ، خرج من الكمين ، ووسوس في صدورهم بأنواع الشكوك والشبهات ، حتى ضعف بها عقائدهم أو افسدها . ودعاهم في مقام الاعتذار عن اعمالهم الخبيثة الا يصرحوا بما ارتكز في قلوبهم

ويشتهونه ، خوفا من القتل واجراء احكام الكفار عليهم ، ولم يدعهم أيضا تلبيسهم وتزويرهم وغلبة الشيطنة عليهم أن يعترفوا بالنقص وسوء الحال فحملهم الشيطان باغوائه على أن يعتذروا من سوء فعالهم بأن بعض العلماء يفعلون مانفعل ولا يجتنبون عن مثل اعمالنا ،من طلب الرئاسة وأخذ الاموال المحرمة ، ولم يدروا ان هذا القول ناش من جهلهم وخباثتهم .

اذ نقول لهم : ان فعل هذا البعض ان صار منشأ لزوال ايمانكم بالمعاد والحساب ، فأنتم كافرون ، وباعث اعمالكم الخبيثة هو الكفر وعدم الاذعان باحوال النشأة الآخرة . وان لم يصر منشأ له ؛ بل ايمانكم ثابت ، فاللازم عليكم العمل بمقتضاه ، من غير تزلزل بعمل الغير كائنا من كان . فما الحجة في عمل هذا البعض ، مع اعتقادكم بأنه على باطل ؟! .

وأيضا لو كان باعث أعمالكم الخبيثة فعل العلماء ، فلم اقتديتم بهذا البعض مع عدم كونه من علماء الآخرة وعدم اطلاعه على حقيقة العلم ؟ولو كنتم صادقين فيما تنسبون اليه ، فهو المتأكل بعلمه ، وانما حصل نبذ من علوم الدنيا ليتوسل بها الى حطامها ؛ ولا يعد مثله عند أولى الالباب عالما ، بل هو متشبه بالعلماء . ولم مااقتديتم بعلماء الآخرة المتخلفين بشراشرهم عن الدنيا وحطامها ؟ وانكار وجود مثلهم ، والقدح في الكل مع كثرتهم في أقطار الارض غاية اللجاج والعناد . ولو سلمنا منكم ذلك ، فلم مااقتديتم بطوائف الانبياء والاوصياء ، مع أنهم أعلم الناس باتفاق الكل ، وحقيقة العلم ليس الا عندهم ؟ فان انكروا أعلميتهم وعصمتهم من المعاصي ، واحتملوا كونهم أمثالا لهم ، ظهر ما في بواطنهم من الكفر الخفي .

واما موافقة الاقران ، فعلاجه ان يتذكر ان الله يسخط عليه ويبغضه اذا اختار رضا المخلوقين على رضاه ، وكيف يرضى المؤمن ان يترك رضا ربه لرضا بعض ارذال الناس ؟ وهل هذا الاكونه تعالى اهون عنده منهم ؟ وهو ينافي الايمان .

واما استشعاره من رجل انه يقبح عند محتشم حاله او يشهد عليه بشهادة فيبادره بالغيبة اسقاطا لاثر كلامه ، فعلاجه ان يعلم : (أولا) ان مجرد الاستشعار لا يستلزم الوقوع ، فلعله لا يقبح حاله ولا يشهد عليه ،

فالمؤخذة بمحض التوهم تنافي الديانة والايمان . و (ثانيا) ان اقتضاء قوله سقوط اثر كلام من اغتابه في حقه مجرد توهم ، والتعرض لمقت الله يقينا بمجرد توهم ترتب فائدة دنيوية عليه محض الجهل والحماقة . و (ثالثا) أن تؤدي فعل الغير — اعني تقبيح حاله عند محتشم مع فرض وقوعه — الى اضراره في حيز الشك ، اذ ربما لم تقبل شهادته شرعا ، فتقبيح حاله وتحمل معاصيه بدون الجزم بصيرورته سببا لايذائه محض الجهل والخذلان.

وأما الرحمة له على اثمه والتعجب منه والغضب لله عليه ، وان كان كل منها حسنا ، الا انه اذا لم تكن معه غيبة ، وأما اذا كانت معه غيبة ، أحبط أجره وبقي اثمها . فالعلاج ان يتأمل ان باعث الرحمة والتعجب والغضب هو الايمان وحماية الدين ، واذا كان معها غيبة أضرت بالدين والايمان ؛ وليس شيء من الامور الثلاث ملزوما للغيبة لامكان تحققه بدونها فمقتضى الايمان وحماية الدين أن يترحم ويتعجب ويغضب لله ؛ مع ترك الغيبة واظهار الاثم والعيب ؛ ليكون مأجورا غير آثم .

فصل

مسوغات الغيبة

لما عرفت ان الغيبة ذكر الغير بما يكرهه لو سمعه ، فاعلم ان ذلك انما يحرم اذا قصد به هتك عرضه ، والتفكه به ، أو اضحاك الناس منه . واما اذا كان ذلك لغرض صحيح لا يمكن التوصل اليه الا به ؛ فلا يحرم . والاغراض الصحيحة المرخصة له امور :

الاول — التظلم عند من له رتبة الحكم واحقاق الحقوق ، كالقضاة والمفتين والسلاطين ، فان نسبة الظلم والسوء الى الغير عندهم لاستيفاء الحق جائز ، لقول النبي (ص) : « لصاحب الحق مقال » ، وقوله (ص) : « لي الواجد يحل عرضه وعقوبته » . وعدم انكاره (ص) على قول هند بحضرته : ان أبا سفيان رجل شحيح لا يعطيني ما يكفيني اياي وولدي ، أفآخذ من غير علمه ؟ وقوله — صلى الله عليه وآله — لها : « خذي مايكفيك وولدك بالمعروف » .

الثاني — الاستعانة على رفع المنكر ورد المعاصي الى الصلاح ، وانما

يستباح بها ذكر مساءته بالقصد الصحيح لابدونه .

الثالث — نصح المستشير في التزويج ، وايداع الامانة ، وامثالهما. كذلك جرح الشاهد والمفتي والقاضي اذا سئل عنهم ، فله ان يذكر مايعرفه من عدم العدالة والاهلية للافتاء والقضاء ، بشرط صحة القصد وارادة الهداية وعدم باعث حسد او تلبيس من الشيطان ، وكذلك توقي المسلمين من الشر والضرر او سراية الفسق والبدعة ، فان من رأى عالما أو غيره من المؤمنين يتردد الى ذي شر أو فاسق او مبتدع ، وخاف ان يتضرر ويتعدى اليه الفسق والبدعة بمصاحبته ، يجوز له ان يكشف له مايعرفه من شره وفسقه وبدعته ، بشرط كون الباعث مجرد خوف وصول الشر والفساد أو سراية الفسق والبدعة اليه . قال رسول الله (ص) : « أترعوون عن ذكر الفاجر حتى لا يعرفه الناس ? اذكروه بما فيه يحذره الناس » . ومن جملة مايدخل في تحذير المسلمين وتوقيعهم من الشر والضرر ، واظهار عيب يعلمه في مبيع ، وان كرهه البايع ، حفظا للمشتري من الضرر . مثل أن يشتري عبدا ، وقد عرفه بالسرقة او الفسق أو عيب آخر ؛ أو فرسا ، وقد عرفه بكونه مال الغير ؛ فله ان يظهر ذلك ، لا ستلزام سكوته ضررا على المشتري .

الرابع — رد من ادعى نسبا ليس له .

الخامس — القدح في مقالة او دعوى باطلة في الدين .

السادس — الشهادة على فاعل المحرم حسبة .

السابع — ضرورة التعريف ، فانه إذا كان احد معروفا بلقب يعرب عن عيب ، وتوقف تعريفه عليه ؛ ولم يكن اثم في ذكره ؛ بشرط عدم امكان التعريف بعبارة اخرى ، لفعل الرواة والعلماء في الاعصار والامصار فانهم يقولون : روى الاعمش والاعرج وغير ذلك ، لان الغالب صيرورته بحيث لايكرهه صاحبه .

الثامن — كون المقول فيه مستحقا للاستخفاف ، لتظاهره وتجاهره بفسق ، كالظلم والزنا وشرب الخمر وغير ذلك ، بشرط عدم التعدي عما يتظاهر به ، اذ لو ذكره بغير ما يتظاهر به لكان اثما ؛ وأما اذا ذكر منه

مجرد ما يتجاهر به فلا اثم عليه ، اذ صاحبه لايستنكف من ذكره ، وربما يتفاخر به ويقصد اظهاره • ومع قطع النظر عن ذلك ، فالاخبار دالة عليه، كما تقدم جملة منها • وقال رسول الله (ص) : « من القى جلبـاب الحياء من وجهه فلا غيبة له » • وقال (ص) : « ليس لفاسق غيبة » •

والظاهر أن ذكر ما يتجاهر به من العيوب ليس غيبة ، لا شرعا ولا لغة ، لا أنه غيبة استثنى جوازها شرعا ، قال الجوهري : « الغيبة أن يتكلم خلف انسان مستور بما يغمه لو سمعه ، فان كان صدقا سمي غيبة، وان كان كذبا سمي بهتانا » •

هذا وقد صرح جماعة بجواز الغيبة في موضعين آخرين : أحدهما : أن يكون اثنان أو أكثر مطلعين على عيب رجل ، فيقع تحاكيه بينهم من غير أن يظهروه لغيرهم ممن لم يطلع عليه ، وفي بعض الاخبار المتقدمة دلالـة على جوازه ، كما لا يخفى • وثانيهما : أن يكون متعلقها ــ اعني المقول فيه ــ غير محصور ، كأن يقال : « قال قوم كذا ،أو أهل البلد الفلاني كذا»• ومثله اذا قال : « بعض الناس يقول أو يفعل كذا ، او من مر بنا اليوم شأنه كذا »، اذا لم يتعين البعض والمار عند المخاطب ، ولو انتقل الى شخص معين لقيام بعض القرائن ؛ كانت غيبة محرمة ، وكذا لو قال : « بعض من قدم من السفر ، أو بعض من يدعي العلم » ، ان كان معه قرينة يفهم عين الشخص فهو غيبة والا فلا • وكذا ذكر مصنف في كتابه فاضلا معينا، وتهجين كلامه بلا اقتران شيء من الاعذار المحوجة الى ذكره غيبة ، وأما لو ذكره بدون تعيينه ، كأن يقول : « ومن الفضلاء من صدر عنه في المقام هفوة أوعثرة»فليس غيبة، ثم السر في اشتراط الغيبة بكونه تعريضا لشخص معين وعدم كون التعرض بالمبهم وغير المحصور غيبة ، عدم حصول الكراهـة مع الابهام وعدم الانحصار ، كما لايخفى • وربما كان في بعض الاخبار أيضا اشعار به ، وقد كان رسول الله (ص) اذا كره من انسان شيئا يقول: « ما بال أقوام يفعلون كذا وكذا » من دون تعيين للفاعل •

تذنيــب

كفارة الغيبة

كفارة الغيبة ــ بعد التوبة والندم للخروج عن حق الله ــ أن يخرج من حق من اغتابه، وطريق الخروج من حقه ، ان كان ميتا أو غائبــا لم يمكن الوصول اليه ، أن يكثر له من الاستغفار والدعاء ؛ ليحسب ذلك يوم القيامة من حسناته ويقابل بها سيئة الغيبة ، وان كان حيا يمكن الوصول اليه ولم تبلغ اليه الغيبة ، وكان في بلوغها اليه مظنة العداوة والفتنة ،فليكثر له أيضا من الدعاء والاستغفار ، من دون ان يخبره بها ، وان بلغت اليه أو لم تبلغه ، ولم يكن في بلوغها ظن الفتنة والعداوة ؛ فليستحله معتذرا متأسفا مبالغا في الثناء عليه والتودد اليه ، وليواظب على ذلك حتى يطيب قلبه ويحله فان لم يطب قلبه من ذلك ولم يحله ، كان اعتذاره وتودده حسنة يقابل بها سيئة الغيبة في القيامة .

والدليل على هذا التفصيل قول الصادق (ع) : « وان اغتبت فبلغ المغتاب، فاستحل منه ، فان لم تبلغه لم تلحقه ؛ فاستغفر الله » [٢٧] ؛ وذلك لان في الاستحلال مع عدم البلوغ اليه اثارة للفتنة وجلب الضغائن ؛ وفي حكم من لم يبلغه من لم يقدر على الوصول اليه بموت او غيبة ؛ وعلى هذا فقول النبي (ص) : « كفارة من اغتبته أن تستغفر له »؛ محمول على صورة عدم امكان الوصول اليه ؛ او امكانه مع ايجاب الاعلام والاستحلال لاثارة الفتنة والعداوة . وقوله (ص) : « من كانت لاخيه عنده مظلمة في عرض أو مال ؛ فليتحللها منه من قبل أن يأتي يوم ليس هناك دينار ولا درهم ؛انما يؤخذ من حسناته ، فان لم تكن له حسنات أخذ من سيئات صاحبه فزيدت على سيئاته » ، محمول على صورة البلوغ أو عدم البلوغ ، مع عــدم ايجاب الاعلام والاستحلال فتنة وعداوة .

---

(٢٧) هذا جزء من الحديث المتقــدم عن «مصباح الشريــعة » : ٢٨٩ ، الباب ٤٩ فصححناه عليه .

تتميم

البهتـــان

قد ظهر مما تقدم أن البهتان أن تقول في مسلم ما يكرهه ولم يكن فيه، فان كان ذلك في غيبته كان كذبا وغيبة ، وان كان بحضوره كان أشد انواع الكـــذب • وعلى أي تقدير ، فهو أشد اثما من الغيبة والكذب ؛ قال الله سبحانه :

« ومن يكسب خطيئة أو اثما ثم يرم به بريئا فقد احتمل بهتانا واثما مبينا » (٢٨) •

وقال رسول الله (ص) : « من بهت مؤمنا أو مؤمنة ، او قال فيـــه ما ليس فيه ، أقامه الله على تل من نار ، حتى يخرج مما قاله فيه » • وقال الصادق (ع) : « من بهت مؤمنا او مؤمنة بما ليس فيه ، بعثه الله عز وجل في طينة خبال ، حتى يخرج مما قال » ، قلت : وما طينة خبال ؟ قال : « صديد يخرج من فروج الموسات»[٢٩] • ثم ما ورد في ذم اللسان وكونه شر الاعضاء ومنع أكثر المعاصي — كما يأتي في موضعه — يدل على ذم الغيبة والبهتان ، كما يـــدل على ذم جميع آفات اللسان مما تقدم : من الفحش ، واللعن ، والطعن ؛ والسخريـــة ؛ وغير ذلك ؛ وما يأتي : من الكذب ؛ والمزاح ، والخوض في الباطل • وفضول الكلام ، وغير ذلك.

وصـــل

المدح ومواضع حسنه وقبحه

الغيبة لما كانت راجعة الى الذم ، فضدها المدح ودفع الذم ، والبهتان لما كان كذبا ، فضده الصدق • وكما أن لكل واحدة من آفات اللسان مما مر ومما يأتي ضدا خاصا ، فكذلك لجميعها ضد واحد عام هـــو الصمت — كما اشير اليه فيما سبق أيضا • وضد البهتان — أعني الصدق — يأتي

---

(٢٨) النساء ، الآية : ١١١ .

(٢٩) صححنا الاحاديث كلها على « أصول الكافي » : باب الغيبة والبهتان. وعلى (الوسائل) : كتاب الحج ، باب تحريم البهتـــان فى المؤمن . وعلى « المستدرك) : ١٠٧ ، كتاب الحج ، باب تحريم البهتان للمؤمن .

في مقام بيان الكذب . وأما الضد العام للكل ، فقد يأتي في موضعه مع ما يدل بعمومه على ذم جميع آفات اللسان ، فهنا نشير الى بيان المدح وما يحمد منه ، حتى يكون ضدا لها وفضيلة للقوة الغضبية أو الشهوية ، وما يذم منه حتى يكون رذيلة لاحداهما ، فنقول :

لا ريب في أن مدح المؤمن في غيبته وحضوره ممدوح مندوب اليه ، لكونه ادخالا للسرور عليه ، وقد علم مدحه وثوابه ؛ ولما ورد من ان رسول الله (ص) أثنى على أصحابه ، وانه قال لجماعة — لما اثنوا على بعض الموتى — : « وجبت لكم الجنة ، وأنتم شهداء الله في الارض » . ولما ورد من « أن لبني آدم جلساء من الملائكة ، فاذا ذكر أحد أخاه المسلم بخير ، قالت الملائكة : ولك مثله ، واذا ذكره بسوء ؛ قالت الملائكة : ياابن آدم المستور عورته ، اربع على نفسك ! واحمد الله اذ ستر عورتك» ولكنه ليس راجحا مندوبا على الاطلاق ، بل اذاسلم من آفاتـه ، وهي أن يكون صدقا لا يفرط المادح فيه ، بحيث ينتهي الى الكذب ، والا يكون المادح فيه مرائيا منافقا ، بأن يكون غرضه اظهار الحب مع عدم كونه محبا في الواقع سواء كان صادقا فيما ينسبه اليه من المدح أم لا ، وألا يمدح الظالم والفاسق وان كان صادقا فيما يقول في حقه ، لانه يفرح بمدحـه ، وادخال الفرح على الظالم او الفاسق غير جائز ، قال رسول الله (ص) : « ان الله ليغضب اذا مدح الفاسق » . فالظالم الفاسق ينبغي ان يذم ليغتم ولا يمدح ليفرح ، وألا يقول مالا يتحققه ولا سبيل له الى الاطلاع عليه.

وهذه الآفة انما تتطرق في المدح بالاوصاف المطلقة والخفية ، كقولك: انه تقي ورع زاهد خير ، أو قولك : انه عدل رضي ، وأمثـال ذلك ؛ لتوقف الصدق في ذلك على قيام الادلة والخبرة الباطنة ، وتحققهما في غاية الندرة . فالغالب أن المدح بامثال ذلك يكون من غير تحقق وتثبت ، والا يحدث في الممدوح كبرا أو اعجابا يوجبان هلاكه ، ولا رضى عن نفسه وجب فتورة عن العمل ، اذ من اطلقت الالسنة بالثناء عليه يرضى عن نفسه ويظن انه قد أدرك ، وهذا يوجب فتوره عن العمل ؛ اذ المتشمر له انما هو من يرى نفسه مقصرا ، ولذلك قال رسول الله (ص) لرجل مدح بحضرته

رجل آخر : « ويحك ! قطعت عنق صاحبك ، لوسمعها ما أفلح » وقـال (ص) : « اذا مدحت أخاك في وجهه ، فكأنما أمررت على حلقه الموسى» . وقال ايضا لمن مدح رجلا :« عقرت الرجل عقرك الله ! »» . وقال (ص): « لو مشى رجل الى رجل بسكين مرهف ، كان خيرا له من ان يثني عليـه في وجهه » .

والسر في هذه الاخبار : أن المدح يوجب الفتور عن العمل ، او الكبر أو العجب ، وهــو مهلك ، كقطع العنق والعقر وامرار الموسي أو السكين على الحلق ، فان سلم المدح عن الآفات المذكورة المتعلقة بالمادح والممدوح كان ممدوحا ، والا كان مذموما . وبذلك يحصل الجمع بين ماورد في مدحه ـ كما تقدم ـ وما ورد في ذمه .

فاللازم على المادح أن يحترز عما تقدم من الآفات المتعلقة به ، وعلى الممدوح أن يحترز من آفة الكبر والعجب والفتور والرياء ، بأن يعرف نفسه ويتذكر خطر الخاتمة ، ولا يغفل عن دقائق الرياء ، ويظهر كراهـة المدح ، واليه الاشارة بقوله (ص) : « أحثوا التراب في وجوه المداحين» . وبالجملة : اللازم على الممدوح ألا يتفاوت حاله بالمدح ، وهذا فرع معرفة نفسه ، وتذكر مالا يعرفه المادح من عثراته . وينبغي ان يظهر أنه ليس كما عرفوه ، قال بعض الصالحين لما أثنى عليه : « اللهم ان هؤلاء لايعرفون وأنت تعرفني » . وقال أمير المؤمنين (ع) لما أثنى عليه : « اللهم اغفرلي مالا يعلمون ، ولا تؤاخذني بما يقولون ، واجعلني خيرا مما يظنون » .

ثم الظاهر عدم المؤاخذة والاثم بالانبساط والارتياح بالمدح ، لكون النفوس مجبولة على الفرح والسرور بنسبة الكمال اليها ، ولكن بشرط أن يكره من نفسه ذلك الارتياح ، ويقهر نفسه ويعاتبها على ذلك ، ويجتهد في ازالة ذلك عنها ، اذ مقتضى العقل الفرح بوجود الكمال فيه لا بنسبته اليه، فما ينسب اليه منه ان كان موجودا فيه ، فينبغي ان يكون فرحه به لا بنسبته اليه ، اذ الانبساط بتصريح رجل بأنك صاحب هذا الكمال حمق وسفه . وان لم يكن موجودا فيه ، فالـلازم ان يحزن ويغضب ، لكونه استهزاء لا مدحا . والحاصل : أن العاقل ينبغي ألا يسر بمدح الغير ولا يحزن بذمه،

اذ من ملك ياقوتة شريفة حمراء أي ضرر عليه اذا قال رجل انها خرزة ، واذا ملك خرزة أي فائدة له اذا قال انها ياقوتة •

ومنها :

الكـذب

وهو أما في القول ، أي الاخبار عن الاشياء على خلاف ما هي عليه، وصدوره اما عن العداوة او الحسد او الغضب ، فيكون من رذائل قوة الغضب ، او من حب المال والطمع ؛ او الاعتياد الحاصل من مخالطة أهل الكذب ، فيكون من رذائل قوة الشهوة •

أو في النية والارادة ، وهو عدم تمحيضها بالله ، بألا يكون الله سبحانه بانفراده باعث طاعاته وحركاته ؛ بل يمازجه شيء من حظوظ النفس • وهذا يرجع الى الرياء ، ويأتي كونه من رذائل أي قوة •

واما في العزم ، أي الجزم على الخير ، وذلك بأن يعزم على شيء من الخيرات والقربات ، ويكون في عزمه نوع ميل وضعف وتردد يضاد الصدق في العزيمة ، وهذا أيضا من رداءة قوة الشهوة •

واما في الوفاء بالعزم ، فان النفس قد تسخو بالعزم في الحال ، لعدم مشقة في الوعد ، فاذا حقت الحقائق ؛ وحصل التمكن ، وهاجت الشهوات، انحلت العزيمة ، ولم يتفق الوفاء بالعزم ، وهذا أيضا من رذائل قوةالشهوة ومن أنواع الشره •

واما في الاعمال ، وهو ان تدل اعماله الظاهرة على أمر في باطنه لايتصف هو به ، أي لايكون باطنه مثل ظاهره ولا خيرا منه • وهذا غير الرياء ، لأن المرائي هو الذي يقصد غير الله تعالى في أعماله ، ورب واقف على هيئة الخشوع في صلاته ليس يقصد به مشاهدة غيره سبحانه ، ولكن قلبه غافل عن الله وعن الصلاة ، فمن نظر الى ما يصدر عن ظاهره من الخشوع والاستكانة ، يظن انه بشراشره منقطع الى جناب ربه ، وحذف ما سواه عن صحيفة قلبه ، وهو بكليته عنه تعالى غافل ، والى أمر من أمور الدنيا متوجه • وكذلك قد يمشي الرجل على هيئة الطمأنينة والوقار ،بحيث من يراه يجزم بأنه صاحب السكينة والوقار ، من ان باطنه ليس موصوفا

بذلك . فمثل ذلك كاذب في عمله ، وان لم يكن مرائيا ملتفتا الى الخلق، ولانجاة من هذا الكذب الا باستواء السريرة والعلانية ، أو كـون الباطن أحسن من الظاهر.وهذا القسم من الكذب ربما كان من رذائل قوة الشهوة وربما كان من رذائل قوة الغضب ، وربما كان من رداءة القوة المدركة، بأن كان باعثه مجرد الوساس .

وأما في مقامات الدين، كالكذب في الخوف والرجاء ، والزهدوالتقوى والحب والتعظيم ، والتوكل والتسليم ، وغير ذلك من الفضائـل الخلقية، فان لها مبادىء يطلق الاسم بظهورها ، ثم لها حقائق ولوازم وغايات والصادق المحقق من نال حقائقها ولوازمها وغاياتها ، فمن لم يبلغها كان كاذباً فيها . مثلا الخوف من الله تعالى له مبدأ هو الايمان به سبحانه ، وحقيقة هو تألم الباطن واحتراقه ، ولوازم وآثار هي اصفرار اللون وارتعاد الفرائص وتكدر العيش وتقسم الفكر وغير ذلك ، وغايات هي الاجتناب عن المعاصي والسيئات والمواظبة على الطاعات والعبـادات ، فمن آمن بالله تعالى صدق عليه كونه خائفا يطلق عليه الاسم ، الا انه لم تكن معه حرقة القلب وتكـدر العيش والتشمر للعمل كان خوفا كاذبا ، وان كان معه ذلك كان خوفا صادقا ، اى بالغا درجة الحقيقة ،قال امير المؤمنين (ع) : « اياكم والكذب فان كل راج طالب ، وكل خائف هارب » [٣٠] : اى لاتكذبوا في ادعائكم الرجاء والخوف من الله ، وذلك لان كل راج طالب لما يرجو ساع في اسبابـه ، وانتم لستم كذلك ، وكل خائف هارب مما يخاف منه ، مجتنب مما يقربه منـه ، وانتم لستم كذلك ؛ وهذا مثل قوله (ع) في نهج البلاغة : « كذب والله العظيم ما باله لا يتبين رجاؤه في عمله ! وكل من رجا عرف رجاؤه الا رجاء الله،فانه مدخول ، وكل خوف محقق الاخوف الله ، فانه معلول . . . » [٣١]

ثم الكذب في كل مقام لماكان راجعا الى عدمه ، فيكون رذيلة متعلقـة

(٣٠) صححنا الرواية على (اصول الكافي) : باب الكذب ، وعلى«البحار» ٣مج ٣٩/١٥ ، باب الكذب .

(٣١) هذا الكلام مروى فى (الوافى) : ٤٠٩/٣باب الكذب وفى «البحار»٣مج ٣٥/١٥.وهو مروي عن (نهج البلاغة)كما صرح به العلامة المجلسي ـ قدس سره ـ فى الموضع المذكور .

بالقوة التى في هذا المقام فضيلة متعلقة بها • وبما ذكر يظهر : ان من لـه مبدا الايمان ، اعنى الاقرار بالشهادتين ، وكان فاقدا لحقيقتـه ، اعنى اليقين القطعى بالمبدا والمعاد ، او للوازمه وغاياته ، اعنى الخوف الصادق منه تعالى والتعظيم الحقيقى له سبحانه والاهتمام البالغ في امتثال اوامره ونواهيـه ، كان كاذبا في دعوى الايمان •

فصـــل

ذم الكذب

الكذب اقبح الذنوب وافحشها ، واخبـث العيوب واشنعها ، قال الله سبحانه :

« انما يفتري الكذب الذين لا يؤمنون » (٣٢) • « فاعقبهم نفاقا فى قلوبهم الى يوم يلقونه بما اخلفوا الله ما وعدوه وبما كانوا يكذبون » (٣٣) •

وقال رسول الله (ص) « اياكم والكذب ،فان الكذب يهدى الى الفجور والفجور يهدى الى النار » • وقال المؤمن اذا كذب من غير عذر لعنه سبعون الف ملك ، وخرج من قلبه تتن حتى يبلغ العرش فيلعنه حملة العرش ، وكتب الله عليه بتلك الكذبة سبعين زنية ،أهونها كمن زنى مع امه »[٣٣]•وسئل(ص) « يكون المؤمن جبانا ؟ قال : نعم ! قيل : ويكون بخيلا ؟ قال نعم ! قيل ويكون كذابا ؟ قال : لا ! وقال (ص) : « كبرت خيانة ان تحدث اخاك حديثا هو لك به مصدق وانت له به كاذب » • وقال (ص) : الكذب ينقص الرزق» وقال (ص) « ويل للذى يحدث فيكذب ليضحك به القوم ! ويل له ويل له وقال(ص) « رأيت كأن رجلا جاءني فقال لي : قم ، فقمت معه فاذا انا برجلين احدهما قائم والاخر جالس ، وبيد القائم كلوب من حـديد يلقمه في شـدق الجالس فيجذبه حتى يبلغ كاهله ، فيلقمه الجانب الاخر فيمده ، فاذا مده رجع الاخر كما كان ، فلذى اقامنى : ماهذا ؟ فقال : هذا رجل كذاب ، يعذب في قبره الى يوم القيامه »• وقال(ص) « الا اخبركم باكبر الكبائر: الاشراك

---

(٣٢) النحل ، الآية : ١٠٥ •

(٣٣) التوبة الآية : ٧٨ •

(٣٤)صححنا هذين الحديثين على (جامع الاخبار) : الباب١٢الفصل٧

بالله ، وعقوق الوالدين ، وقول الزور » : اى الكذب . وقال(ص) : « ان العبد ليكذب الكذبة فيتباعد الملك منه مسيرة ميل من نتن ماجاء به » . وقال صلى الله عليه واله : « ان للشيطان كحلا ولعوقا ونشوقا . فاما لعوقه فالكذب واما نشوقه فالغضب ، واما كحله فالنوم »[٣٥] وقال روح الله لاصحابه :«من كثر كذبه ذهب بهاؤه » . وقال اميرالمؤمنين(ع) «لايجد العبد طعم الايمان حتى يترك الكذب ، هزله وجده » . وقال (ع) : « اعظم الخطايا عند الله اللسان والكذب ، وشر الندامة ندامة يوم القيامة ».وقال علي بن الحسين(ع): « اتقوا الكذب الصغير منه والكبير في كل جد وهزل ، فان الرجل اذا كذب في الصغير اجترأ على الكبير » . وقال ابو جعفر (ع) : «ان الله عز وجل جعل للشر اقفالا ، وجعل مفاتيح تلك الاقفال الشراب ، والكذب شر من الشراب» وقال (ع) :« الكذب هو خراب الايمان » . وقال (ع) « ان اول من يكذب الكذاب الله عز وجل ، ثم الملكان اللذان معه ، هو يعلم انه كاذب » .وقال الامام الزكى العسكري (ع) : « جعلت الخبائث كلها في بيت وجعل مفتاحها الكذب » والاخبار الواردة في ذم الكذب اكثر من ان تحصى . واشد انواع الكذب اثما ومعصية الكذب على الله وعلى رسوله وعلى الائمة ، وكفاه ذما انه يبطل الصوم ، ويوجب القضاء والكفارة على الاقوى .قال الصادق (ع) : « ان الكذبة لتفطر الصائم » قال الراوى : واينا لايكون ذلك منه ، قال : « ليس حيث ذهبت ، انما الكذب على الله تعالى وعلى رسوله وعلى الائمة — عليهم السلام — » .وقال (ع) : « الكذب على الله وعلى رسوله وعلى الاوصياء — عليهم السلام — من الكبائر » . وذكر عنده (ع) الحائك ، وكونه ملعونا ، فقال :« انما ذلك الذى يحوك الكذب على الله وعلى رسوله» وقال الباقر (ع) : « لا تكذب علينا كذبة ، فتسلب الحنيفية »[٣٦].

(٣٥) مثل مضمون هذه الرواية ورد فى «الوسائل » فى الموضع الآتى الباب ١٣٨ . وفى (المستدرك) فى الموضع الآتي . وفى « سفينة البحار » : ٢ : ٤٧٢ ، وفيه اختلاف عما فى نسخ (جامع السعادات) فان الموجود بهذه الكتب بهذا النص : «ان لابليس كحلا ولحوقا وسعوطا ، فكحله النعاس ، ولعوقه الكذب ، وسعوطه الكبر » .

(٣٦) صححنا أكثر الا اديث هنا على (الوسائل) : الباب ١٣٨—١٤٠

فصــل

مسوغات الكذب

الكذب حرام ، لما فيه من الضرر على المخاطب او على غيره ، او لايجابه اعتقاد المخاطب خلاف الواقع ، فيصير سببا لجهله .وهذا القسم مع كونه اهون الدرجات واقلها اثما ، محرم ايضا، اذا القاء خلاف الواقع على الغير وسببية جهله غير جائز ، الاانه اذا كان مما يتوقف عليه تحصيل مصلحة مهمة ،ولم يمكن التصول اليها بالصدق ، زالت حرمته وارتفع اثمه فان كانت المصلحة مما يجب تحصيلها ، كانقاذ مسلم من القتل والاسر ، اوحفظ عرضه او ماله المحترم ؛ كن الكذب فيه واجبا . وان كانت راجحة غير بالغة حد الوجوب ، فالكذب لتحصيلها مباح او او راجح مثلها ،كالاصلاح بين الناس والغلبةعلى العدو في الحرب ، وتطييب خاطر امرانه واسترضائها وقـد وردت الاخبار المتكثرة بجواز الكذب اذا توقف عليه تحصيل هذه المقاصد الثلاثة، كماروى « ان رسول الله (ص) لم يرخص في شيء من الكذب الا في ثلاث : الرجل يقول القول يريد به الاصلاح، والرجل يقول القول في الحرب، والرجل يحدث امرأته والمرأة تحدث زوجها » وقال (ص) « ليس بكذاب من اصلح بين اثنين فقال خيرا » . وقال (ص) : « كل الكذب يكتب على ابن آدم ، الا رجل كذب بين رجلين يصلح بينهما » وقال (ص) : « كل الكذب مكتوب كذبا لامحالة الا ان يكذب الرجل في الحرب ،فان الحرب خدعة ، او يكون بين رجلين شحناء فيصلح بينهما او يحدث امرأته يرضيها » .وقال (ص) : « لاكـذب على المصلح » . وقال الصادق(ع) : كل كذب مسؤل عنه صاحبه يوما ، الاكذبا في ثلاثة : رجل كايد في حروبه ، فهو موضوع عنه . او رجل لصلح بين اثنين يلقى هذا بغير ما يلقى به هذا ، يريد بذلك الاصلاح مابينهما . اورجل وعد اهله شيئا وهو لايريد ان يتم لهم » . وقال (ع) : « الكلام ثلاثة : صدق وكذب ، واصلاح بين الناس » ، قيل له :ما الاصلاح بين النـاس ؟ قال : « تسمع في الرجل كلاما يبلغه فيخبث نفسه ، فتلقاه وتقول : قـد

من ابواب احكام العشرة ، وعلى « المستدرك » : ٢/ ١٠٠ — ١٠٢ وعلى (اصول الكافي) : باب الكذب ، وعلى (البحار) :٣مج١٥/ ٣٥ ،باب الكذب

سمعت من فلان فيك من الخير كذا وكذا ، خلاف ماسمعت منه[٣٧] . وقد تقدمت اخبار اخر في هذا المعنى .

وهذه الاخبار وان اختصت بالمقاصد الثلاثة ، الا ان غيرها من المقاصد الضرورية التي فوقها او مثلها في المصلحة يلحقها من باب الاولوية او اتحاد الطريق . والاخبار التى وردت في ذم هتك السر وكشف العيوب والفواحش تفيد وجوب القول بعدم الاطلاع ، وان كان مطلعا مع كونه كذبا ، فلا اثم على احد بصدور الكذب عنه اذا كان وسيلة الى شيء من المقاصد الصحيحة الضرورية له او لغيره من المسلمين ، فان أخذه ظالم وسأله عن ماله فله ان ينكر ، وا اخذه سلطان وسأله عن فاحشة ارتكبها بينه وبين الله فله ان ينكر وان سئل عما يعلمه عن عيب اخيه و سره فله ان ينكر ولو وقع بين اثنين فساد فله ان يكذب ، توسلا الى الاصلاح بينهما وكذا يجوز له للاصلاح بين الضرات من نسائه ان يظهر لكل واحدة انها احب اليه ، وان كانت امرأته لاتطيعه الا بوعد مالايقدر عليه ، يجوز أن يعدها في الحال تطييبالقلبها وان لم يكن صادقا في وعده . ويلحق بالنساء الصبيان ، فان الصبى اذا لم يرغب فيما يؤمر به من الكتابة وغيرها الا بوعد أو وعيد وتخويف ،كان ذلك جائزا ، وان لم يكن في نيته الوفاء به . وكذا لو تكدر منه انسان، وكان لايطيب قلبه الا بالاعتذار اليه ، بانكار ذنب واظهار زيادة تودد ، كان ذلك جائز وان لم يكن صدقا .

والحاصل : ان الكذب لدفع ضرر أو شر أو فساد جائز ، بشرط صحة القصد . وقد ورد : ان الكذب المباح يكتسب ويحاسب عليهلتصحيح قصده ، فان كان قصده صحيحا يعفى عنه ، والا يؤاخذ به . فينبغي ان يجتهد في تصحيح قصده ، وان يحترز عنه مالم يضطر اليه ، ويقتصر فيه على حد الواجب ، ولا يتعدى الى ما يستغني عنه .

ولا ريب في أن ما يجب ويضطر اليه هو الكذب لامور في فواتها

---

(٣٧) صححنا هذه الاخبار على (اصول الكافى) : باب الكذب . و«الوسائل» : كتاب الحج ، الباب ١٤١ من ابواب العشرة ، و(كنز العمال) ١٢٨/٢ . و«احياء العلو » : ١١٩/٣ .

محذور واضرار ، وليس كل الكذب لزيادة المال والجاه وغير ذلك مما يستغني عنه ، فانه محرم قطعا ، اذ فواته لا يوجب ضررا وفسادا واعداما للموجود بل انما يوجب فوات حظ من حظوظ النفس . وكذلك فتوى العالم بما لا يحققه وفتوى من ليس له اهلية الافتاء ، اظهارا للفضل أو طلبا للجاه والمال ، بل هو أشد أنواع الكذب اثما وحرمة ، لانه مع كونه كذبا لما يستغني عنه ؛ كذب على الله وعلى رسوله .

فالكذب اذا كان وسيلة الى ما يستغني عنه حرام مطلقا ، واذا كان وسيلة الى مالا يستغنى عنه ينبغي أن يوازن [٣٨] محذور الكذب مع محذور الصدق ، فيترك اشدهما وقعا في نظر الشرع . وبيان ذلك : أن الكذب في نفسه محذور ، والصدق في المواضع المذكورة يوجب محذورا ؛ فينبغي أن يقابل أحد المحذورين بالآخر ، ويوازنا بالميزان القسط ، فان كان محذور الكذب أهون من محذور الصدق فله الكذب ، وان كان محذور الصدق أهون وجب الصدق ، وقد يتقابل المحذوران بحيث يتردد فيهما ، وحينئذ فالميل الى الصدق أولى ، اذ الكذب اصله الحرمة ؛ وانما يباح بضرورة أو حاجة مهمة ، واذا شك في كون الحاجة مهمة، لزم الرجوع الى اصل التحريم .

تنبيه

التورية والمبالغة

كل موضع يجوز فيه الكذب ، ان امكن عدم التصريح به والعدول الى التعريض والتورية ، كان الاولى ذلك . وما قيل : ان في المعاريض لمندوحة عن الكذب ، وان فيها ما يغني الرجل عن الكذب ، ليس المراد به أنه يجوز التعريض بدون حاجة واضطرار ، اذ التعريض بالكذب يقوم مقام التصريح به ، لان المحذور من الكذب تفهيم الشيء على خلاف ما هو عليه في نفسه ، وهذا موجود في الكذب بالمعاريض . فالمراد أن التعريض

---

(٣٨) لم يثبت لهذه الموازنة على عمومها دليل من الشرع ، وكل ما ثبت منه تلك المواضع المذكورة آنفا ، التي جاز فيها الكذب ، وهي : الاصلاح والحرب والزوجة ، وفي الحصر بالمواضع الثلاثة في الروايات المتقدمه دليل على عدم جواز الكذب في غيرها ، لاسيما مثل قوله — عليه السلام — . « كل كذب مسؤل عنه صاحبه يوما ، الاكذبا في ثلاثة . . » ولكن ثبت استثناء بعض المواضع كدفع الظلم ، فلايتعداها .

يجوز اذا اضطر الانسان الى الكذب ، ومست الحاجة اليه ، واقتضته المصلحة في بعض الاحوال في تأديب النساء والصبيان ومن يجري مجراهم ، وفي الحذر عن الظلمة والاشرار في قتال الاعداء . فمن اضطر الى الكذب في شيء من ذلك فهو جائز له ، لان نطقه فيه انما هو على مقتضى الحق والدين ، فهو في الحقيقة صادق، وان كان كلامه مفهما غير ما هو عليه ، لصدق نيته وصحة قصده وارادته الخير والصلاح ، فمثل هذا النطق لا يكون خارجا عن حقيقة الصدق ، اذ الصدق ليس مقصودا لذاته ؛ بل للدلالة على الحق ، فلاينظر الى قالبه وصورته ، بل الى معناه وحقيقته . نعم ؛ ينبغي له في هذه المواضع أن يعدل الى المعاريض ما وجد اليه سبيلا يصدق اللفظ حينئذ أيضا وان كان متشاركا مع التصريح في تفهيم الشيء على خلاف ما هو عليه في الواقع . وقد كان رسول الله (ص) اذا توجه الى سفر وراه بغيره ، لئلا ينتهي الخبر الى الاعداء فيقصدونه .

ومما يدل على جواز التعريض مع صحة النية ، ما روي في الاحتجاج:
« أنه سئل الصادق (ع) عن قول الله تعالى في قصة ابراهيم (ع) :

« قال بل فعله كبيرهم هذا فاسالوهم ان كانوا ينطقون » (٣٩) .

قال : ما فعله كبيرهم وما كذب ابراهيم . قيل : كيف ذلك ؟ فقال: انما قال ابراهيم فاسألوهم ان كانوا ينطقون ، أي ان نطقوا فكبيرهم فعل، وان لم ينطقوا فلم يفعل كبيرهم شيئا ، فما نطقوا وما كذب ابراهيم (ع)»
« وسئل عن قوله تعالى :

« أيتها العير انكم لسارقون » (٤٠) .

قال : انهم سرقوا يوسف من أبيه ، الا ترى أنه قال لهم حين قالوا : ماذا تفقدون ؟ قالوا : نفقد صواع الملك ، ولم يقولوا : سرقتم صواع الملك . انما سرقوا يوسف من ابيه » . « وسئل عن قول ابراهيم :

« فنظر نظرة فى النجوم . فقال اني سقيم » (٤١) .

---

(٣٩) الانبياء ، الآية : ٦٣
(٤٠) يوسف ، الآية : ٧٠
(٤١) الصافات ، الآية : ٨٨، ٨٩

قال : ما كان ابراهيم سقيما ، وما كذب ، انما عنى سقيما في دينه ، أي مرتادا » .

وطريق التعريض والتورية : أن يخبر المتكلم المخاطب بلفظ ذي احتمالين أحدهما غير مطابق للواقع واظهر في المقام ، فيحمله المخاطب عليه ، وثانيهما مطابق له يريده المتكلم ، كما ظهر من خبر الاحتجاج . ومن أمثلته : انه اذا طلبك ظالم وانت في دارك ولا تريد الخروج اليه ، ان تقول لاحد أن يضع اصبعه في موضع ويقول : ليس ههنا . واذا بلغ عنك شيء الى رجل، وأردت تطييب قلبه من غير أن تكذب ، تقول له : ان الله ليعلم ما قلت من ذلك من شيء ، على أن يكون لفظة (ما) عندك للابهام ، وعند المستمع للنفي. وقد ظهر مما ذكر : ان كل تعريض لغرض باطل كالتصريح في عدم الجواز ، لان فيه تقريرا للغير على ظن كاذب . نعم ، قد تباح المعاريض لغرض خفيف ، كتطييب قلب الغير بالمزاح ، كقول النبي (ص) : « لا تدخل الجنة عجوز » و « في عين زوجك بياض » و « نحملك على ولد بعير » ... وقس عليه أمثال ذلك .

ومن الكذب الذي يجوز ولا يوجب الفسق ، ما جرت به العادة في المبالغة ، كقولك : قلت لك كذا مائة مرة ، وطلبتك مائة مرة ؛ وأمثال ذلك لانه لايراد بذلك تفهيم المرات بعددها ؛ بل تفهيم المبالغة . فان لم يكن طلبه الا مرة واحدة كان كاذبا ، وان طلبه مرات لايعتاد مثلها في الكثرة فلا يأثم ؛ وان لم تبلغ مائة .

ومن الكذب الذي لا أثم عليه ما يكون في أنواع المجاز والاستعارات والتشبيهات ؛ اذ الغرض تفهيم نوع من المناسبة والمبالغة ؛ لا دعوى الحقيقة والمساواة من جميع الجهات .

ومن الكذب الذى جرت العادة به ، ويتساهل فيه ، قول الرجل اذا قيل له : كل الطعام : (لااشتهيه) ، مع كونه مشتهيا له . وهذا منهى عنه كما تدل عليه بعض الاخبار ، الا اذا كان فيه غرض صحيح ، وماجرت العادة بهقول الرجل : (الله يعلم) فيما لا يعلمه ، وهو اشد أنواع الكذب، قال عيسى (ع) : « ان من أعظم الذنوب عند الله ان يقول العبد :

ان الله يعلم لما لا يعلم » . ومن الكذب الذي عظم ذنبه ويتساهل فيه ، الكذب في حكاية المنام ، قال رسول الله (ص) : « ان من اعظم الفرية ان يدعي الرجل الى غير أبيه ، أو يرى عينيهفي المنام ما لم ير ، أو يقول على ما لم أقل ».وقال (ص) : « من كذب في حلم ، كلف يوم القيامة أن يعقد بين شعرتين » .

تذنيب

شهادة الزور ، اليمين الكاذب ، خلف الوعد

من انواع الكذب وافحشها : شـهادة الزور ، واليمين الـكاذب ، وخلف الوعـد .

ويدل على ذم الاول قوله تعالى في صفة المؤمنين :

« والذين لايشهدون الزور واذا مروا باللغو مروا كراما » (٤٢) .

وقول النبي (ص) : « شاهد الزور كعابد الوثن » .

وعلى ذم الثاني قول النبي (ص) : « والتجار هم الفجـار ! » فقيل : يا رسول الله ، أليس الله قد أحل البيع ؟ فقال : « نعم ! ولكنهم يحلفون فيأثمون ، ويحدثون فيكذبون » . وقوله (ص) : « ثلاث نفر لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر اليهم ولا يزكيهم : المنان بعطيته،والمنفق سلعته بالحلف الفاجر ، والمسبل ازاره » . وقوله (ص) :« ما حلف حالف بالله فادخل فيها مثل جناح بعوضة ، الا كانت نكتة في قلبه الى يومالقيامة». وقوله (ص): « ثلاث يشنأهم الله :التاجر او البايع الحلاف ، والفقيرالمختال والبخيل المنان » .

وعلى ذم الثالث قول النبي (ص) :« من كان يؤمن بالله وباليومالآخر فليف اذا وعد » . وقول الصادق (ع) : « عدة المؤمن أخاه نذر لاكفارة له ، فمن اخلف فبخلف الله تعالى بدأ ولمقته تعرض ، وذلك قوله تعالى:

« يايها الذين آمنوا لم تقولون مالا تفعلون . كبر مقتا عند الله ان تقولوا مالا تفعلون » (٤٣) .

---

(٤٢) الفرقان ، الآية : ٧٢

(٤٣) الصف الآية : ٢-٣

وقال رسول الله (ص) : « أربع من كن فيه كان منافقا ومن كانت فيه خلة منهن كانت فيه خلة من النفاق ، حتى يدعها : اذا حدث كذب ، واذا وعد أخلف ، واذا عاهد غدر ، واذا خاصم فجر » . فمن وعد وكان عند الوعد عازما على ألا يفي ، أو كان عازما على الوفاء وتركه بدون عذر فهو منافق . وأما ان عن له عذر من الوفاء ، لم يكن منافقا وآثما . وان جرى عليه ما هو صورة النفاق ، فالاولى أن يحترز عن صورة النفاق ايضا كما يحترز عن حقيقته ، وذلك بألا يجزم في الوعد ، بل يعلقه على المشية ومثلها .

ايقاظ

علاج الكذب

طريق معالجة الكذب : أولا : أن يتأمل في ما ورد في ذمه من الآيات والاخبار ، ليعلم أنه لو لم يتركه لادركه الهلاك الابدي. ثم يتذكر أن كل كاذب ساقط عن القلوب في الدنيا ولا يعتني أحد بقوله ، وكثيرا ما يفتضح عند الناس بظهور كذبه . ومن اسباب افتضاحه أن الله سبحانه يسلط عليه النسيان ، حتى أنه لو قال شيئا ينسى أنه قاله ، فيقول خلاف ما قاله ، فيفتضح .والى ذلك اشار الصادق (ع) بقوله : « ان مما أعان الله به على الكذابين النسيان » . ثم يتأمل في الآيات والاخبار الواردة في مدح ضده، أعني الصدق كما يأتي ، وبعد ذلك ان لم يكن عدوا لنفسه ، فليقدم التروي في كل كلام يريد أن يتكلم به ، فان كان كذبا يتركه وليجتنب مجالسة الفساق وأهل الكذب ، ويجالس الصلحاء وأهل الصدق .

وصل

الصدق ومدحه

ضد الكذب الصدق . وهو أشرف الصفات المرضية، ورئيس الفضائل النفسية ، وما ورد في مدحه وعظم فائدته من الآيات والاخبار مما لا يمكن احصاؤه ، قال الله سبحانه :

« رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه » (٤٤) . وقال : « اتقوا الله وكونوا

---

(٤٤) الاحزاب ، الآية ٢٣

مع الصادقين » (٤٥) . وقال : « الصابرين والصادقين والقانتين والمنفقين والمستغفرين بالاسحار » (٤٦) . وقال سبحانه : « انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا — إلى قوله — أولئك هم الصادقون » (٤٧) . وقال عز وجل : « ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر .ثم قال : والصابرين في الباساء والضراء وحين الباس اولئك الذين صدقوا » (٤٨) .

وقال رسول الله (ص) « تقبلوا الى بست اتقبل لكم بالجنة : اذا حدث احدكم فـلا يكذب ، واذا وعد فلا يخلف ، واذا ائتمن فلا يخن وغضوا أبصاركم ، وكفوا أيديكم واحفظوا فروجـكم » . وعن الصادقين — عليهما السلام — : « ان الرجل ليصدق حتى يكتبه الله صديقا » . وعن الصادق (ع) قال : « كونوا دعاة الناس بالخير بغير ألسنتكم ، ليروا منكم الاجتهاد والصدق والورع » . وعنه (ع) : « من صدق لسانه زكي عمله، ومن حسنت نيته زيد في رزقه ، ومن حسن بره بأهل بيته مد له في عمره» . وعنه (ع) قال : « لا تنظروا الى طول ركوع الرجل وسجوده ، فان ذلك شيء اعتاده ، ولو تركه لاستوحش لذلك ، ولكن انظروا الى صدق حديثه واداء أمانته » . وقال (ص) لبعض اصحابه : « انظر الى مابلغ به علي(ع) عند رسول الله (ص) فالزمه ، فان عليا (ع) انما بلغمابلغ به عنـد رسول الله بصدق الحديث وأداء الامانة » . وعنه (ع) قال : « ان الله لم يبعث نبيا الا بصدق الحديث واداء الامانة الى البر والفاجر » [٤٩] . وقال (ع): « اربع من كن فيه كمل ايمانه ولو كان ما بين قرنه الى قدمه ذنوب لم ينقصه ذلك — قال — : هي الصدق ، واداء الامانة ، والحياء ، وحسن الخلق » . وقد وردت بهذه المضامين اخبار كثيرة اخر . ومن انواع الصدق الصدق في

(٤٥) التوبة ، الآية ١٢٠.
(٤٦) آل عمران الآية ١٧
(٤٧) الحجرات ، الآية ١٥
(٤٨) البقرة الآية ١٧٧
(٤٩) صححنا اغلب الاحاديث على « اصول الكافي » : باب الصدق واداء الامانة . وعلى (الوسائل) : كتاب الحج ، باب وجوب الصدق وعلى «المستدرك» ٨٤/٢–٨٩

الشهادة ، وهو ضد شهادة الزور والصدق في اليمين ، وهو ضد الكذب فيه ، والوفاء بالعهد ؛ وهو ضد خلف الوعد ؛ وهذا القسم من الصدق، أعني الوفاء بالعهد ، أفضل أنواع الصدق القولي واحبها ، ولذا اثنى الله تعالى على نبيه اسماعيل به ، وقال :

« انه كان صادق الوعد وكان رسولا نبيا » (٥٠) .

قيل : انه واعد انسانا في موضع فلم يرجع اليه ، فبقى اثنين وعشرين يوما في انتظاره . وروي : « أنه بايع رجل رسول الله (ص) ووعده أن يأتيه من مكانه ذلك ، فنسى وعده في يومه وغده ، واتاه في اليوم الثالث وهو في مكانه » . وقال رسول الله : « العدة دين » . وقال (ص): «الوأي — أي الوعد — مثل الدين أو أفضل » .

تكميل

اقسام الصدق

الصدق كالكذب له أنواع ستة :

الاول — الصدق في القول ، وهو الاخبار عن الاشياء على ما هي عليه ، وكمال هذا النوع بترك المعاريض من دون ضرورة ، حذرا من تفهيم الخلاف وكسب القلب صورة كاذبة ، ورعاية معناه في الفاظه التي يناجي بها الله سبحانه ، فمن قال : « وجهت وجهي للذي فطر السماوات والارض» وفي قلبه سواه ، أو قال : « اياك نعبد » وهو يعبد الدنيا بتقيد قلبه بها اذ كل من تقيد قلبه بشيء فهو عبد له ، كما دلت عليه الاخبار ، فهو كاذب

الثاني — الصدق في النية والارادة ، ويرجع ذلك الى الاخلاص ، وهو تمحيض النية وتخليصها لله ، بألا يكون له باعث في طاعاته ، بل في جميع حركاته وسكناته ، الا الله . فالشوب يبطله ويكذب صاحبه .

الثالث — الصدق في العزم ، أي الجزم على الخير : فان الانسان قد يقدم العزم على العمل ، ويقول في نفسه : ان رزقني الله كذا تصدقت منه كذا ، وان خلصني الله من تلك البلية فعلت كذا . فان كان في باطنه جازما على هذا العزم ، مصمما على العمل بمقتضاه ؛ فعزمه صادق ، وان كان في

---

(٥٠) مريم ، الآية ٥٤

عزمه نوع ميل وضعف وتردد ، كان عزمه كاذبا ؛ اذ التردد في العزيمة يضاد الصدق فيها ؛ وكان الصدق هنا بمعنى القوة والتمامية ، كما يقال : لفلان شهوة صادقة ، أي قوة تامة ، أو شهوة كاذبة ، أي ناقصة ضعيفة .

الرابع ــ الصدق في الوفاء بالعزم : فان النفس قد تسخو بالعزم في الحال ، اذ لامشقة في الوعد ، فاذا حان حين العمل بمقتضاه ، هاجت الشهوات وتعارضت مع باعث الدين ، وربما غلبته بحيث انحلت العزيمةولم يتفق الوفاء بمتعلق الوعد ، وهذا يضاد الصدق فيه ، ولذلك قال اللهسبحانه: « رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه »(١) .

الخامس ــالصدق في الاعمال : وهو تطابق الباطن والظاهر ،واستواء السريرة والعلانية ، أو كون الباطن خيرا من الظاهر ، بألا تدل اعماله الظاهرة على أمر في باطنه لا يتصف هو به ، لا بأن يترك الاعمال ، بل بأن يستجر الباطن الى تصديق الظاهر . وهذا اعلى مراتب الاخلاص، لامكان تحقق نوع من الاخلاص بما دون ذلك ، وهو ان يخالف الباطن الظاهر من دون قصد ، فان ذلك ليس رياء . فلا يمتنع صدق اسم الاخلاص عليه.

توضيح ذلك : ان الرياء هو ان تقصد غير الله سبحانه في الاعمال ، وقد تصدر عن انسان اعمال ظاهرة تدل على أنه صاحب فضيلة باطنة ، من التوجه الى الله والانس به ،أو السكينة والوقار، أو التسليم والرضا وغير ذلك ، مع أنه فاقد لها ، لحصول الغلبة المانعة عن تحققها ، أو اتفاق صدور الاعمال الظاهرة بهذه الهيئة من دون أن يقصد بها مشاهدة غيره سبحانه ، فهذا غير صادق في عمله ، كاذب في دلالة الظاهر على الباطن . وان لم يكن مرائيا ولا ملتفتا الى الخلق ، فاذن مخالفة الظاهر للباطن ان كانت منقصد سميت رياء ، ويفوت بها الاخلاص ؛ وان كانت من غير قصد سميت كذبا ويفوت بها الصدق ، وربما لم يفت بها بعض مراتب الاخلاص . وهذا النوع من الصدق ــ أعنى مساواة السر والعلانية أو كونه خيرا منها ــ أعز من الانواع السابقة عليه، ولذلك كرر طلبه من الله سيد الرسل (ص) في دعواته بقوله :« اللهم اجعل سريرتي خيرا من علانيتي ، واجعل علانيتي

---

(١) الاحزاب ، الآية ٢٣

صالحة » . وورد : « أنه اذا ساوت سريرة المؤمن علانيته ، باهى الله به الملائكة ، يقول : هذا عبدي حقا ! » . وكان بعض الاكابر يقول : « من يدلني على بكاء بالليل بسام بالنار ؟ » . ولنعم ما قيل :

اذا السر والاعلان في المؤمن استوى ... فقد عز في الدارين واستوجب الثنا
وان خالف الاعلان سرا فما له ... على سعيه فضل سوى الكد والعنا
كما خالص الدينار في السوق نافق ... ومغشوشه المردود لا يقتضي المنى

ومن جملة هذا الصدق : موافقة القول والفعل ، فلا يقول مالا يفعل ولا يأمر بما لا يعمل . فمن وعظ ولم يتعظ في نفسه كان كاذبا. ومن هنا قال أمير المؤمنين (ع) : « اني والله ما احثكم على طاعة الا واسبقكم اليها، ولا انهاكم عن معصية الا وأتناهى قبلكم عنها » .

السادس ــ الصدق في مقامات الدين : من الصبر ، والشكر ، والتوكل ؛ والحب ؛ والرجاء ؛ والخوف ، والزهد ، والتعظيم ، والرضا والتسليم ، وغير ذلك . وهو اعلى درجات الصدق وأعزها ، فمن اتصف بحقائق هذه المقامات ولوازمها وآثارها وغاياتها فهو الصديق الحق، ومن كان له فيها ما يطلق عليه الاسم دون اتصافه بحقائقها وآثارها وغاياتها فهو كاذب فيها. أما ترى أن من خاف سلطانا أو غيره كيف يصفر لونه ويتعذر عليه أكله ونومه ويتنغص عليه عيشه ويتفرق عليه فكره وترتعد فرائصه وتتزلزل اركانه وجوانبه ؟ وقد ينزح عن وطنه ويفترق عن أهله وولده ، فيستبدل بالانس الوحشة ، وبالراحة التعب والمشقة ، فيعترض للاخطار ويختار مشقة الاسفار ، كل ذلك من درك المحذور . فمثل هذا الخوف هو الخوف الصادق المحقق . ثم ان من يدعي الخوف من الله أو من النار ، ولا يظهر عليه شيء من ذلك عند ارادة المعصية وصدورها عنه ، فخوفه خوف كاذب . قال النبي (ص) : « لم أر مثل النار نام هاربها ، ولم أر مثل الجنة نام طالبها » .

ثم لا غاية لهذه المقدمات حتى يمكن لاحد أن ينال غايتها ، بل لكل عبد منها حظ بحسب حاله ومرتبته ، فمعرفة الله وتعظيمه والخوف منه غير متناهية ، فلذلك لما رأى (ص) جبرئيل على صورته الاصلية ، خر مغشيا

عليه ، وقال ـ بعد عودته الى صورته الاولى وافاقته ـ : « ما ظننت احدا من خلق الله هكذا ! قال له : فكيف لو رأيت اسرافيل ؟ ان العرش على كاهله ، وان رجليه قد مرقتا تخوم الارضين السفلى ؛ وانه ليتصاغر من عظمة الله حتى يصير كالوصع ! » : أي كالعصفور الصغير • وقال (ص) : « مررت ليلة اسري بي ـ أنا وجبرئيل ـ بالملأ الاعلى كالحلس البالي من خشية الله » : أي كالكساء الذي يلقى على ظهر البعير •

فأنظر الى اعاظم الملائكة والنبيين ، كيف تصير حالهم من شدة الخشية والتعظيم ، وهذا انما هو لقوة معرفتهم بعظمة الله وجلاله ، وفرق ما لم يدركوه من عظمته وقدرته مراتب غير متناهية • فأختلاف الناس في مراتب الخوف والتعظيم والحب والانس انما هو بحسب اختلافهم في معرفة الله ، وليس يمكن ان يوجد من بلغ غايتها ، فاختلاف الناس انما هو في القدر الذي يمكن أن يبلغ اليه ، والبلوغ اليه في الجميع أيضا نادر ، فالصادق في جميع المقامات عزيزا جدا •

ومن علامات هذا الصدق : كتمان المصائب والطاعات جميعا ، وكراهة أطلاع الخلق عليها • وقد روى : « ان الله تعالى اوحى الى موسى (ع): اني اذا أحببت عبدا ابتليته ببلايا لاتقوى لها الجبال ، لانظر كيف صدقه ، فان وجدته صابرا اتخذته وليا وحبيبا ، وان وجدته جزوعا يشكوني الى خلقي خذلته ولم أبال » • وقال الصادق (ع) : « اذا أردت ان تعلم أصادق أنت أم كاذب ، فانظر في صدق معناك وعقد دعواك ، وغيرهما بقسطاط من الله عز وجل كأنك في القيامة ، قال الله عز وجل :

« **والوزن يومئذ الحق** » (٢) •

فاذا أعتدل معناك بغور دعواك ثبت لك الصدق • وادني حد الصدق ألا يخالف اللسان القلب ولا القلب اللسان ، ومثل الصادق الموصوف بما ذكرنا كمثل النازع لروحه ، ان لم ينزع فماذا يصنع » [٣] •

---

(٢) الاعراف ، الآية : ٧

(٣) هـذا الحديث في « مصباح الشريعة » : الباب ٧٥ فصححناه عليه

تنبيه

اللسان أضر الجوارح

أعلم ان اكثر ما تقدم من الرذائل المذكورة في هذا المقام : من الكذب والغيبة ، والبهتان ، والشماتة ، والسخرية ؛ والمزاح وغيرها ؛ وفي المقام الثالث — اعني التكلم بما لايعنى والفضول والخوض في الباطل — من آفات اللسان وهو أضر الجوارح بالانسان ، وأعظمها اهلاكا له ، وآفاته اكثر من آفات سائر الاعضاء ، وهي وان كانت من المعاصي الظاهرة ، الا أنها تؤدي الى مساوىء الاخلاق والملكات • اذ الاخلاق انما ترسخ في النفس بتكرير الاعمال ، والاعمال انما تصدر من القلب بتوسط الجوارح ، وكل جارحة تصلح لأن تصدر منها الاعمال الحسنة الجالبة للاخلاق الجميلة ، وأن تصدر منها الاعمال القبيحة المورثة للاخلاق السيئة ، فلابد من مراعاة القلب والجوارح معا بصرفهما الى الخيرات ومنعهما من الشرور • وعمدة ما تصدر منه الذمائم الظاهرة المؤدية الى الرذائل الباطنية هو اللسان ، وهو أعظم آفة للشيطان في استغواء نوع الانسان ، فمراقبته أهم ، ومحافظته أوجب وألزم • والسر فيه — كما قيل — : انه من نعم الله العظيمة ، ولطائف صنعه الغريبة ، فانه وان كان صغيرا جرمه ، عظيم طاعته وجرمه ، اذ لايتبين الايمان والكفر الا بشهادته ، ولا يهتدى الى شيء من أمور النشأتين الا بدلالته ؛ وما من موجود او معدوم الا وهو يتناوله ويتعرض له بأثبات او نفي ، اذ كل ما يتناوله العلم يعبر عنه اللسان اما بحق أوباطل، ولا شيء الا والعلم يتناوله •

وهذه خاصية لاتوجد في سائر الاعضاء ، اذ العين لاتصل الى غير الالوان والصور ، والاذن لاتصل الى غير الاصوات ، واليد لاتصل الى غير الاجسام ، وكذا سائر الاعضاء ؛ واللسان رحب الميدان وسيع الجولان، ليس له مرد ، ولا لمجاله منتهى ولا حد ، فله في الخير مجال رحب ، وفي الشر ذيل سحب ؛ فمن اطلق عذبة اللسان واهماله مرخى العنان سلك به الشيطان في كل ميدان ، وأوقعه في اودية الضلالة والخذلان ، وساقه الله شفا جرف هار ؛ الى أن يضطره الى الهلاك والبوار ، ولذلك قال سيد

الرسل (ص) : « هل يكب الناس على مناخرهم في النار الا حصائد ألسنتهم ؟ » [٤] . فلا ينجى من شر اللسان الا أن يقيد بلجام الشرع ، ولا يطلق الا فيما ينفع في الدنيا والآخرة ، ويكف عن كل ما يخشى غائلته في العاجلة والآجلة ، وعلم ما يحمد اطلاق اللسان فيه او يذم غامض عزيز ، والعمل بمقتضاه على من عرفه ثقيل عسير ؛ وهو أعصى الاعضاء على الانسان ، اذ لا تعب في تحريكه ولا مؤنه في اطلاقه ، فلا يجوز التساهل في الاحتراز عن آفاته وغوائله ، وفي الحذر عن مصائده وحبائله .

والآيات والاخبار الواردة في ذمه وفي كثرة آفاته وفي الامر بمحافظته والتحذير عنه كثيرة ، وهي بعمومها تدل على ذم جميع آفاته مما مر ومما يأتي . قال الله سبحانه :

« ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد » (٥) . وقال : « لا خير فى كثير من نجواهم ، الا من أمر بصدقة او معروف أو اصلاح بين الناس » (٦) .

وقال رسول الله (ص) : « من يتكفل لي بما بين لحييه ورجليه ، أتكفل له بالجنة » . وقال (ص) : « من وقى شر قبقبه وذبذبه ولقلقه ، فقد وقى » [٧] : والقبقب : البطن ، والذبذب : الفرج ، واللقلق : اللسان . وقيل له (ص) : « ما النجاة ؟ قال : املك عليك لسانك » . وقال (ص) : « اكبر ما يدخل الناس النار الا جوفان : الفم ، والفرج » ، والمراد بالفم : اللسان . وقال (ص) : « وهل يكب الناس على مناخرهم في النار الا حصائد ألسنتهم ؟ » . وقال له رجل : « ما أخوف ما يخاف على ؟ فأخذ بلسانه ، وقال : هذا » . وقال (ص) : « لا يستقيم ايمان عبد حتى يستقيم قلبه ، ولا يستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه » . وقال (ص) : « اذا أصبح ابن آدم أصبحت الاعضاء كلها تكفر اللسان ، فتقول : اتق الله فينا ، فانما نحن بك ، فان استقمت أستقمنا ، وان أعوججت اعوججنا » [٨] .

---

(٤) رواه فى « اصول الكافى » : باب الصمت وحفظ اللسان ، نصححناه عليه

(٥) ق ، الآية : ١٨ .

(٦) النساء ، الآية : ١١٣

(٧) تقدم هذا الحديث فى ٢/٤

(٨) صححنا الحديث على « كنز العمال » : ١١١/٢

« وقال له رجل : أوصني ! فقال (ص) : أعبد الله كأنك تراه وعد نفسك في الموتى ، وان شئت أنبأتك بما هو أملك لك من هذا كله — وأشاربيده الى لسانه » • وقال (ص) : « ان الله عند لسان كل قائل ، فليتق الله امرؤ على ما يقول » • وقال (ص) : « من لم يحسب كلامه من عمله ، كثرت خطاياه وحضر عذابه » • وقال (ص) : « يعذب الله اللسان بعذاب لايعذبه به شيئا من الجوارح ، فيقول : أي رب ! عذبتني بعذاب لم تعذب به شيئا من الجوارح • فيقال له : خرجت منك كلمة بلغت مشارق الارض ومغاربها ، فسفك بها الدم الحرام ، وانتهب بها المال الحرام ، وانتهك بها الفرج الحرام • وعزتي وجلالي ! لأعذبنك بعذاب لا اعذب به شيئا من جوارحك ! » • وقال (ص) : « ان كان في شيء شوم ففي اللسان » • وقال أمير المؤمنين (ع) لرجل يتكلم بفضول الكلام : « ياهذا ! انك تملي على حافظيك كتابا الى ربك ، فتكلم بمايعنيك ، ودع مالايعنيك »[٩] • وقال امير المؤمنين (ع) : « المرء مخبوء تحت لسانه ، فزن كلامك ، وأعرضه على العقل والمعرفة ، فان كان لله وفي الله فتكلم ؛ وان كان غير ذلك فالسكوت خير منه ، وليس على الجوارح عبادة أخف مؤنة وأفضل منزلة وأعظم قدرا عند الله كلام فيه رضى الله عز وجل ولو جهه ونشرآلائه ونعمائه في عباده ، ألا ان الله لم يجعل فيما بينه وبين رسله معنى يكشف ما أسر اليهم من مكنونات علمه ومخزونات وحيه غير الكلام ، وكذلك بين الرسل والامم ، فثبت بهذا أنه أفضل الوسائل (والكلف والعبادة) [١٠] • وكذلك لامعصية أثقل على العبد وأسرع عقوبة عندالله وأشدها ملامة وأعجلها سآمة عند الخلق منه ، واللسان ترجمان الضمير وصاحب خبر القلب ، وبه ينكشف ما في سر الباطن ؛ وعليه يحاسب الخلق يوم القيامة ، والكلام خمر يسكر العقول ما كان منه لغير الله ، وليس شيء احق بطول السجن من اللسان » [١١] • وقال السجاد (ع) : « ان لسان ابن آدم يشرف في

---

(٩) صححنا الاحاديث الاربعة على « اصول الكافي » : باب الصمت وحفظ اللسان وعلى (الوافي) : ٢/٣٤٠ وعلى (البحار) ٢مج١٥/١٨٨،١٨٩ باب السكوت والصمت

(١٠)وفي نسخ « جامع السعادات » : « والطف العبادات »

(١١) صححنا الحديث على « مصباح الشريعة » : الباب ٤٦

كل يوم على جوارحه كل صباح ، فيقول : كيف اصبحتم ؟ فيقولون بخير ان تركتنا ! ويقولون : الله الله فينا ! ويناشدونه ويقولون : انما نثاب ونعاقب بك » . وقال الصادق (ع) : « ما من يوم الا وكل عضو من أعضاء الجسد يكفر اللسان ، يقول : نشدتك الله ان نعذب فيك ! »[١٢] .

تتميم

الصمت

لما علمت كون اللسان شر الاعضاء وكثرة آفاته وذمه ، فاعلم أنه لا نجاة من خطره الا بالصمت ، وقد أشير فيما سبق : أن الصمت ضد لجميع آفات اللسان ، وبالمواظبة عليه تزول كلها ، وهو من فضائل قوة الغضب او الشهوة ، وفضيلته عظيمة وفوائده جسيمه ، فان فيه جمع الهم ، ودوام الوقار ، والفراغ للعبادة والفكر والذكر ، والسلامة من تبعات القول في الدنيا ومن حسناته في الآخرة . ولذا مدحه الشرع وحث عليه ، قال رسول الله (ص) : « من صمت نجا » . وقال : « الصمت حكم ، وقليل فاعله » . وقال (ص) : «من كف لسانه ستر الله عورته » . وقال(ص): « ألا أخبركم بأيسر العبادة وأهونها على البدن : الصمت وحسن الخلق» . وقال (ص) : « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا او وليسكت» . وقال (ص) : « رحم الله عبدا تكلم خيرا فغنم ، او سكت عن سوء فسلم » . وجاء اليه (ص) أعرابي وقال : « دلني على عمل يدخلني الجنة . قال : أطعم الجائع واسق الظمآن ، وأمر بالمعروف ، وانه عن المنكر ، فان لم تطق ، فكف لسانك الا من خير » . وقال (ص) : « أخزن لسانك الا من خير ، فانك بذلك تغلب الشيطان » وقال (ص) : « اذا رأيتم المؤمن صموتا وقورا فأدنوا منه ، فانه يلقن الحكمة » . وقال صلى الله عليه وآله : « الناس ثلاثة : غانم ، وسالم ، وشاجب ، فالغانم : الذي يذكر الله ، والسالم : الساكت ، والشاجب : الذي يخوض في الباطل » . وقال (ص) : « ان لسان المؤمن وراء قلبه ، فاذا أراد ان يتكلم بشيء تدبره بقلبه ، ثم أمضاه بلسانه . وان لسان المنافق امام قلبه ،

---

(١٢) الحديثان الاخيران مرويان في « الكافي » : ج٢ باب الصمت . قال في (الوافي) ٢/٣٤٠ : « يكفر اللسان : اي يذل ويخضع ، والتفكير : هو ان ينحني الانسان ويطاطئ راسه قريبا من الركوع »

فاذا هم بشيء امضاه بلسانه ولم يتدبره بقلبه » . وقال (ص) : « أمسك لسانك ، فانها صدقة تصدق بها على نفسك » .. ثم قال : « ولا يعرف عبد حقيقة الايمان حتى يخزن من لسانه » . وقال (ص) لرجل اتاه : « ألا أدلك على أمر يدخلك الله به الجنة ؟ قال : بلى يارسول الله ! قال : أنل مما أنالك الله ! قال : فان كنت أحوج ممن انيله ؟ قال : فأنصر المظلوم. قال : فان كنت أضعف ممن أنصره ، قال : فأصنع للأخرق — يعني أشر عليه — . قال : فان كنت أخرق ممن أصنع له . قال : فاصمت لسانك الا من خير ، أما يسرك ان تكون فيك خصلة من هذه الخصال تجرك الى الجنة ؟ » . وقال (ص) : « نجاة المؤمن حفظ لسانه » . وجاء رجل اليه (ص) : « يارسول الله أوصني ! قال : احفظ لسانك . قال : يارسول الله اوصني ! قال : احفظ لسانك . قال : يارسول الله اوصني ! قال : احفظ لسانك . ويحك ! وهل يكب الناس على مناخرهم في النار الا حصائد ألسنتهم ؟ » .

وقيل لعيسى بن مريم (ع) : « دلنا على عمل ندخل به الجنة . قال : لاتنطقوا أبدا . قالوا : لانستطيع ذلك . قال : فلاتنطقوا الابخير». وقال (ع) أيضا : « العبادة عشرة أجزاء ، تسعة منها في الصمت ، وجزء في الفرار عن الناس » . وقال : « لاتكثروا الكلام في غير ذكر الله ، فان الذين يكثرون الكلام في غير ذكر الله قاسية قلوبهم ولكن لايعلمون » . وقال لقمان لابنه : « يابني ، ان كنت زعمت ان الكلام من فضة ، فان السكوت من ذهب » .

وقال أبو جعفر الباقر (ع) : « كان أبو ذر يقول : يامبتغي العلم، ان هذا اللسان مفتاح خير ومفتاح شر ، فأختم على لسانك كما تختم على ذهبك وورقك » . وقال (ع) : « انما شيعتنا الخرس » . وقال الصادق عليه السلام لمولى له يقال له (سالم) — بعد أنوضع يده على شفتيه —: « يا سالم ، احفظ لسانك تسلم ، ولا تحمل الناس على رقابنا » . وقال عليه السلام : « في حكمة آل داود : على العاقل أن يكون عارفا بزمانه ، مقبلا على شأنه ، حافظا للسانه » . وقال (ع) : « لايزال العبد المؤمن

يكتب محسنا ما دام ساكتا ، فاذا تكلم كتب محسنا أو مسيئا » . وقال عليه السلام : « النوم راحة للجسد ، والنطق راحة للروح ، والسكوت راحة للعقل » . وقال (ع) : « الصمت كنز وافر ، وزين الحليم ، وستر الجاهل » . وقال ابو الحسن الرضا (ع) : « احفظ لسانك تعز ، ولا تمكن الناس من قيادك فتذل رقبتك » . وقال (ع) : « من علامات الفقه: الحلم ، والعلم ، والصمت ، ان الصمت باب من أبواب الحكمة ؛ ان الصمت يكسب المحبة ؛ انه دليل على كل خير » . وقال (ع) : « كان الرجل من بني أسرائيل اذا أراد العبادة صمت قبل ذلك بعشر سنين » (١٣) .

وفي (مصباح الشريعة) عن مولانا الصادق (ع) قال : « الصمت شعار المحققين بحقائق ما سبق وجف القلم به ، وهو مفتاح كل راحة من الدنيا والآخرة ، وفيه رضا الرب ، وتخفيف الحساب والصون من الخطايا والزلل وقد جعله الله سترا على الجاهل وزينا للعالم ، ومعه عزل الهوى ، ورياضة النفس ، وحلاوة العبادة ، وزوال قسوة القلب ، والعفاف والمروة والظرف . فأغلق باب لسانك عما لك منه بد ، لاسيما اذا لم تجد أهلا للكلام والمساعد في المذاكرة لله وفي الله . وكان ربيع بن خيثم يضع قرطاسا بين يديه ؛ فيكتب كل ما يتكلم به ثم يحاسب نفسه عشية ، ماله وما عليه ، ويقول : آه آه ! نجا الصامتون وبقينا . وكان بعض أصحاب رسول الله (ص) يضع الحصاة في فمه ، فاذا أراد ان يتكلم بما علم انه لله وفي الله ولوجه الله أخرجها . وان كثيرا من الصحابة — رضوان الله عليهم — كانوا يتنفسون تنفس الغرقى ، ويتكلمون شبه المرضى . وانما سبب هلاك الخلق ونجاتهم الكلام والصمت . فطوبى لمن رزق معرفة عيب الكلام وهوائه ، وعلم الصمت وفوائده ! فان ذلك من أخلاق الانبياء وشعار الاصفياء . ومن علم قدر الكلام أحسن صحبة الصمت ومن أشرف على مافي لطائف الصمت واؤتمن على خزائنه كان كلامه وصمته كله عبادة ، ولا يطلع على عبادته

---

(١٣) صححنا الاحاديث هنا على « اصول الكافي » : باب الصمت ، وعلى « الوسائل » كتاب الحج ، الباب ١١٧ من احكام العشرة ، وعلى «المستدرك» ٨٩،٨٨/٢ ، وعلى « سفينة البحار »٥٠/٢، ٥١ وعلى «البحار» ٢ مج١٥/١٨٩ باب السكوت والصمت ، وعلى « احياء العلوم » ٩٣/٣—٩٥ ، وعلى« كنز العمال »٧٢/٢و١١١

هذه الا الملك الجبار » (١٤) .

وقد ظهر من هذه الاخبار : أن الصمت مع سهولته أنفع للانسان من كل عمل ؛ وكيف لايكون كذلك ، وخطر اللسان الذي هو أعظم الاخطار وآفاته التي هي أشد المهلكات لاينسد الا به ؟ والكلام وان كان في بعضه فوائد وعوائد ، الا أن الامتياز بين الممدوح والمذموم منه مشكل ؛ ومع الامتياز فالاقتصار على مجرد الممدوح عند أطلاق اللسان أشكل ، وحينئذ فالصمت عما لاجزم بتضمنه للخير والثواب من الكلام اولى وأنفع .

وقد نقل : « ان أربعة من أذكياء الملوك ـ ملك الهند ، وملك الصين وكسرى ، وقيصر ـ تلاقوا في وقت ، فأجتمعوا على ذم الكلام ومدح الصمت فقال أحدهم : أنا أندم على ما قلت ولا أندم على مالم أقل . وقال الآخر : اني اذا تكلمت بالكلمة ملكتني ولم أملكها ، واذا لم أتكلم بها ملكتها ولم تملكني . وقال الثالث : عجبت للمتكلم ، ان رجعت عليه كلمته ضرته ، وان لم ترجع لم تنفعه . وقال الرابع : أنا على رد مالم أقل أقدر مني على رد ما قلت » .

ومنها :

حب الجاه والشهرة

والمراد بالشهرة : انتشار الصيت ، ومعنى الجاه : ملك القلوب وتسخيرها بالتعظيم والاطاعة والانقياد له . وبعبارة أخرى : قيام المنزلة في قلوب الناس ، وانما تصير القلوب مملوكة مسخرة للشخص ، باشتمالها على اعتقاد اتصافه بكمال حقيقي ؛ او بما يظنه كمالا ، من علم وعبادة ، او ورع وزهادة ، او قوة وشجاعة ، او بذل وسخاوة ، او سلطنة وولاية ، أو منصب ورياسة ، او غنى ومال ، او حسن وجمال ، او غير ذلك مما يعتقده الناس كمالا . وتسخير القلوب وانقيادها على قدر اعتقادها ، وبحسب درجة ذلك الكمال عندها ، فبقدر ما يعتقد أرباب القلوب تذعن له قلوبهم ، وبقدر اذعانها تكون قدرته عليهم ، وبقدر قدرته يكون فرحه وحبه للجاه . ثم تلك القلوب تبعث أربابها على المدح والثناء ؛ فان المعتقد للكمال لايسكت

---

(١٤) مصباح الشريعة : الباب ٢٧

عن ذكر ما يعتقده فيثني عليه ، وعلى الخدمة والاعانة ، فانه لايبخل ببذل نفسه في طاعته بقدر اعتقاده ، وعلى الايثار وترك المنازعة والتعظيم والتوقير والابتداء بالسلام وتسليم الصدر في المحافل والتقديم في جميع المقاصد .

(تنبيــه) : حب الجاه والشهرة ان كان من حيث ايجابهما الغلبة والاستيلاء حتى ترجع حقيقة الى حبهما ، وكان طالبهما طالباً لهما ، فهو من رذائل قوة الغضب ، وان كان من حيث التوصل بهما الى قضاء الشهوات وحظوظ النفس البهيمية ، فهو من رذائل قوة الشهوة ، وان كان من الحيثيتين فهو من رذائلهما بالاشتراك ، بمعنى مدخلية كل منهما في حدوث خصوص هذه الصفة . والاصل اشتراك القوتين في حدوث حب الجاه والشهرة ــ كما ذكرناه في جملة مايتعلق بهما معا ــ بخلاف حب المال ، فان الغالب ان حبه من حيث التوصــل به الى قضاء حظوظ القوة الشهوية ، وكونه لمجرد الاستيلاء عليه بالمالكية والتمكن على التصرف فيه نادر ، ولذا ذكرناه فيما يتعلق بقوة الشهوة .

فصــل

ذم حب الجاه والشهرة

أعلم ان حب الجاه والشهرة من المهلكات العظيمة ، وطالبهما طالب الآفات الدنيوية والاخروية ، ومن أشتهر اسمه وانتشر صيته لايكاد ان تسلم دنياه وعقباه ، الا من شهره الله لنشر دينه من غير تكلف طلب للشهرة منه . ولذا ورد في ذمهما ما لايمكن احصاؤه من الآيات والاخبار : قال الله سبحانه :

« تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لايريدون علوا فى الارض ولا فسادا »(١٥).

وقال : « من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف اليهم اعمالهم فيها وهم فيها لايبخسون . أولئك الذين ليس لهم فى الآخرة الا النار وحبط ماصنعوا فيها وباطل ما كانوا يعملون » (١٦) .

وهذا بعمومه متناول لحب الجاه ، لانه أعظم لذة من لذات الحياة

---

(١٥) القصص ، الآية : ٨٣ .
(١٦) هود ، الآية : ١٥ ــ ١٦

الدنيا واكبر زينة من زينتها .

وقال رسول الله (ص) : « حب الجاه والمال ينبتان النفاق في القلب كما ينبت الماء البقل » . وقال (ص) : « ماذئبان ضاريان أرسلا في زريبة غنم بأكثر فسادا من حب الجاه والمال في دين الرجل المسلم » . وقال (ص): « حسب امريء من الشر الا من عصمه الله أن يشير الناس اليه بالاصابع » . وقال أمير المؤمنين (ع) : « تبذل ولا تشتهر ، ولا ترفع شخصك لتذكر، وتعلم واكتم ، واصمت تسلم ، تسر الابرار وتغيظ الفجار » . وقال الباقر عليه السلام . « لاتطلبن الرياسة ولا تكن ذنبا ، ولا تأكل الناس بنا فيفقرك الله » وقال الصادق (ع) : « اياكم وهؤلاء الرؤساء الذين يترأسون ، فوالله ما خفقت النعال خلف رجل الا هلك وأهلك ! » وقال (ع) : « ملعون من هم بها ، ملعون من حدث بها نفسه ! » . وقال (ع) : « من أراد الرياسة هلك » . وقال (ع) : « أترى لا أعرف خياركم من شراركم ؟ بلى والله ! ان شراركم من أحب ان يوطأ عقبه ، انه لابد من كذاب او عاجز الرأي » [١٧] .

والاخبار بهذه المضامين كثيرة ، ولكثرة آفاتها لايزال اكابر العلماء وأعاظم الاتقياء يفرون منهما فرار الرجل من الحية السوداء ، حتى أن بعضهم اذا جلس اليه أكثر من ثلاثة قام من مجلسه ، وبعضهم يبكي لأجل أن أسسه بلغ المسجد الجامع ، وبعضهم اذا تبعه اناس من عقبه التفت اليهم وقال : « على م تتبعوني ، فوالله لو تعلمون ما أغلق عليه بأبي ما تبعني منكم رجلان » . وبعضهم يقول : « لا أعرف رجلا أحب ان يعرف الا ذهب دينه وافتضح » . وآخر يقول : « لايجد حلاوة الاخر رجل يحب ان يعرفه الناس » . وآخر يقول : « والله ما صدق الله عبد الا سره ألا يشعر بمكانه » .

ومن فساد حب الجاه : أن من غلب على قلبه حب الجاه ، صار مقصور الهم على مراعاة الخلق ، مشغوفا بالتودد اليهم والمراءاة لأجلهم ، ولا يزال في أقواله وأفعاله متلفتا الى ما يعظم منزلته عندهم ، وذلك بذر

(١٧) الاحاديث الخمسة الاخيرة صححناها على « أصول الكافي » : باب طلب الرياسة و«الوسائل» : كتاب الجهاد ، الباب ٤٩ من ابواب جهاد النفس

النفاق وأصل الفساد ، ويجر لامحالة الى التساهل في العبادات والمرآة بها، والى اقتحام المحظورات للتوصل بها الى اقتناص القلوب ، ولذلك شبه رسول الله حب الشرف والمال وأفسادهما للدين بذئبين ضاريين ، وقال : « انه ينبت النفاق كما ينبت الماء البقل » ، اذ النفاق هو مخالفة الظاهر للباطن بالقول والفعل ، وكل من طلب المنزلة في قلوب الناس يضطر الى النفاق معهم ، والى التظاهر بخصال حميدة هو خال عنها ، وذلك عين النفاق .

فصل

الجاه أحب من المال

ان لملك القلوب ترجيح على ملك المال بوجوه :

الاول — أن المال معرض التلف والزوال ، لانه يغصب ويسرق وتطمع فيه الملوك والظلمة ، ويحتاج فيه الى الحفظ والحراسة [٤] وتتطرق اليه أخطار كثيرة . وأما القلوب اذا ملكت ، فهي من هذه الآفات محفوظة نعم انما يزول ملك القلوب بتغيير اعتقادها فيما صدقت به من الكمال الحقيقي أو الوهمي .

الثاني — ان التوصل بالجاه الى المال أيسر من التوصل بالمال الى الجاه ، فالعالم أو الزاهد الذي تقرر له جاه في القلوب ، لو قصد اكتساب المال تيسر له بسهولة ؛ لان أموال أرباب القلوب مسخرة للقلوب ، ومبذولة لمن اذعنت له بالانقياد واعتقدت فيه أوصاف الكمال ، وأما الخسيس العاري عن الكمال اذا ظفر بكثرة من المال ولم يكن له جاه يحفظ به ماله وأراد ان يتوصل به الى الجاه ، لم يتيسر له .

الثالث — أن ملك القلوب يسرى وينمو ويتزايد من غير حاجة الى تعب ومشقة ، اذ القلوب اذا أذعنت بشخص واعتقدت اتصافه بعلم او عمل أو غيره ، أفصحت الالسنة بما فيها لامحالة ، فيصف ما يعتقده لغيره وهو أيضا يذعن به ويصفه لآخر ؛ فلا يزال يستطار في الاقطار ، ويسرى من واحد الى واحد ، الى أن يجتمع معظم القلوب على التعظيم والقبول . وأما المال ، فمن ملك شيئاً منه فلا يقدر على استنمائه الا بتعب ومقاساة . ولهذه الوجوه تستحقر الاموال في مقابلة عظم الجاه وانتشار الصيت والانطلاق

الالسنة بالمدح والثناء .

فصـــل

لابد للانسان من جاه

كما أنه لابد من أدنى مال لضرورة المطعم والملبس والمسكن ومثله ليس بمذموم ، فكذلك لابد من أدنى جاه لضرورة المعيشة مع الخلق ، اذ الانسان كما لايستغنى عن طعام يتناوله فيجوز أن يحب الطعام والمال الذي يباع به الطعام فكذلك لايستغنى عن خادم يخدمه ورفيق يعينه وسلطان يحرسه ويدفع عنه ظلم الاشرار ، فحبه لان يكون له في قلب خادمه من المنزلة ما يدعوه الى الخدمة وفي قلب رفيقه من المحل ما يحسن به مرافقته، وفي قلب السلطان من المحل ما يدفع به الشر عنه ، ليس بمذموم . اذ الجاه كالمال وسيلة الى الاغراض ، فلا فرق بينهما ، الا أن هذا يقضى الى الا يكون المال والجاه محبوبين بأعيانهما بل من حيث التوصل بهما الى غيرهما. ولا ريب في أن كل ما يراد به التوصل الى محبوب فالمحبوب هو المقصود المتوسل اليه دون الوسيلة .

ومثل هذا الحب مثل حب الانسان ان يكون في داره بيت الخلاء لقضاء حاجته ولو استغنى عن قضاء الحاجة ،ولم يضطر اليه كره اشتمال داره على بيت الخلاء ومثل ان يحب زوجته ليدفع بها فضلة الشهوة، ولو كفى مؤنة الشهرة لاحب مهاجرتها ، واذا كان حبهما لضرورة البدن والمعيشة لا لذاتهما لم يكن مذموما ، والمذموم أن يحبهما لذاتهما . وفيما يجاوز ضرورة البدن كحب زوجته لذاتها حب العشاق حتى لو كفى مؤنة الشهوة لبقى مستصحبا لحبها.

ثم حبهما باعيانهما وان كان مذموما مرجوحا ، لكنه لايوصف صاحبه بالفسق والعصيان مالم يحمله الحب على مباشرة معصية ، وما لم يتوصل الى اكتسابهما بكذب وخداع وتلبيس ، كأن يظهر للناس قولا أو فعلا اعتقدوا لأجله اتصافه بوصف ليس فيه ، مثل العلم والورع او علو النسب وبذلك يطلب قيام المنزلة في قلوبهم ، وما لم يتوصل الى اكتسابهما بعبادة ، اذ التوصل الى المال والجاه بالعبادة جناية على الدين وهو حرام ، واليـه يرجع معنى الرياء المحظور ، كما يأتي .

وأما طلبهما بصفة هو متصف بها ، فهو مباح غير مذموم ، وذلك

كقول يوسف (ع) :

« اجعلني على خزائن الارض اني حفيظ عليم » (١٨) .

حيث طلب المنزلة في قلب الملك بكونه حفيظا عليما ، وكان صادقا في قوله . وكذا طلبهما بأخفاء عيب من عيوبه ومعصية من معاصيه ، حتى لا يعلمه فلا تزول به منزلته في قلبه ، مباح غير مذموم ، اذ حفظ الستر على القبائح جائز ، بل لايجوز هتك الستر واظهار القبيح ، وهذا ليس فيه كذب وتلبيس بل هو سد لطريق العلم بما لافائدة للعلم به ، كالذي يخفى عن السلطان أنه يشرب الخمر ولا يلقى اليه أنه ورع ، فان قوله انه ورع تلبيس ، وعدم اقراره بالشرب لا يوجب اعتقاد الورع ، بل يمنع العلم بالشرب ، وهو جائز شرعا وعقلا .

فصـــل

دفع اشكال في حب المال والجاه

ان قيل : الوجه في حبهما بالعرض وفي حب قدر ما يضطر اليهما في المعيشة وضرورة البدن ظاهر ، فما الوجه في حبهما باعيانهما وفي حب الزائد عن قدر الضرورة منهما ؟ كحب جمع المال ، وكنز الكنوز ، وادخار الذخائر ، واستكثار الخزائن وراء جميع الحاجات ، وحب اتساع الجاه وانتشار الصيت الى أقاصي البلاد التي يعلم قطعا انه قط لايطؤها ولا يشاهد أهلها ليعظموه ويعينوه على غرض من أغراضه ، فانه مع ذلك يلتذ به غاية الالتذاذ ويسر به غاية السرور ، حتى لايجد في نفسه لذة أقوى منه ، ويراه فوق جميع لذاته وابتهاجاته .

قلنا : الوجه في ذلك أمران :

الاول ـ دفع ألم الخوف الناشيء من سوء الظن وطول الامل . فان الانسان وان كان له من المال ما يكفيه في الحال ، الا أنه لطول أمله قد يخطر بباله ان المال الذي فيه كفايته ربما يتلف فيحتاج الى غيره ، فاذا خطر ذلك بباله ، هاج الخوف في قلبه ، ولا يزول ألم الخوف الا بالامن الحاصل من وجود مال آخر يفزع اليه ان أصابت هذا المال آفة ، فهو أبدا لحبه

---

(١٨) يوسف الآية : ٥٥

للحياة وشفقته على نفسه يقدر طول الحياة وهجوم الحاجات ، ويقدر امكان تطرق الآفات الى الاموال ويستشعر الخوف من ذلك ، فيطلب ما يدفع خوفه ، وهو كثرة المال ، حتى انأصيب بطائفة من ماله يفزع الى الاخرى . وهذا خوف لاموقف له عند مقدار مخصوص من المال ، ولذلك لم يكن لميله موقف الى أن يملك جميع مافي الدنيا ، ولذلك قال(ص) : « منهومان لايشبعان : منهوم العلم ، ومنهوم المال » . ومثل هذه العلة تطرد في حب قيام المنزلة والجاه في قلوب الاباعد عن وطنه وبلده ، فانه لايخلو عن تقدير سبب يزعجه عن الوطن ، او يزعج اولئك عن أوطانهم الى وطنه ، ويحتاج الى الاستعانة بهم ومهما كان ذلك ممكنا ؛ كان للنفس لذة وسرور بقيام المنزلة في قلوبهم ، لما فيه من الامن من هذا الخوف .

الثاني ـ أن الانسان مركب من أصول مختلفة : هي القوة الشهوية ، والقوة السبعية ، والقوة الشيطانية ، والروح الذي هو أمر رباني ؛ ولذلك له ميل الى صفات بهيمية ؛ كالاكل والوقاع ، والى صفات سبعية ، كالقتل والايذاء ، والى صفات شيطانية ، كالمكر والخديعة والاغواء ؛ والى صفات ربوبية ؛ كالعلم والقدرة والكبر والعز والفخر والاستعلاء . فهو لما فيه من الامر الرباني يحب الربوبية بالطبع ، ومعنى الربوبية التوحد بالكمال ، والتفرد بالوجود على سبيل الاستقلال ، والاستيلاء على جميع الاشياء بالغلبة ، واستناد الكل اليه بالصدور منه والمعلولية .

وبالجملة : مقتضى الربوبية التفرد بالوجود والكمال ورجوع كل وجود وكمال اليه ، اذ هو التام فوق التمام ، ولا يتحقق ذلك الا بالتفرد بالوجود والكمال والقدرة والاستيلاء على جميع ما عداه . اذ المشاركة في الوجود نقص لامحالة ، فكمال الشمس في أنها موجودة وحدها ، فلو كانت معها شمس أخرى كان ذلك نقصانا في حقها ، اذ لم تكن متفردة بكمال معنى الشمسية فاذا كان معنى الربوبية هو التفرد بالوجود والكمال ، وكل انسان كان فيه أمر رباني ، فالتفرد بالوجود والكمال محبوب له بالطبع ، وضده ـ اعني العبودية ـ قهر على نفسه ، لانه علم ان المتفرد بالوجود والكمال هو الله تعالى ، اذ ليس معه موجود سواه ، فان ما سواه أثر من آثار قدرته

لاقوام له بذاته ، بل هو قائم به ، وليس له معية بالوجود بالنسبة اليه تعالى ؛ اذ المعية توجب المساواة في الرتبة ، وهي نقصان في الكمال ، اذ الكامل الحقيقي من لانظير له في الوجود ، والكمال بوجه من الوجوه وان كان لغيره وجودوكمال بعد كونه صادرا منهمعلولا له ، اذ تحقق الموجودات وذوات الممكنات لايوجب نقصانا في ذاته سبحانه بعد أستنادها جميعها اليه، وكونها أضعف منه بمراتب غير متناهية في الوجود والكمال شدة وقوة ، فكما ان أشراق نور الشمس في أقطار الآفاق ليس نقصانا في الشمس ، بل هو من جملة كمالها ، وانما نقصانها بوجود شمس أخرى مساوية لها في الرتبة مستغنية عنها ، فكذلك وجود كل ما في العالم اذا كان من أشراق نور القدرة الالهية تابعا لها ، لم يكن ذلك نقصانا في الواجب سبحانه ، بل كان كمالا له .

ولما علم ذلك ، وتيقن بأن التفرد بالوجود والكمال والاستيلاء التام على جميع الاشياء لايليق به ، لانه عبد مملوك مقهور تحت القدرة الالهية، عرف أنه عاجز عن درك منتهى الكمال الذي هو التفرد بالوجود والاستيلاء أي كون وجود غيره منه . الا أنه لم تسقط شهوته للكمال ، بل هو محب له ملتذ به لذاته لا لمعنى آخر وراء الكمال ، وطالب لتحصيل ما يتمكن منه . فمطلق الكمال محبوب عنده ، الا أن طلبه انما يتعلق بالكمال الممكن في حقه ومن الكمال الممكن في حقه أن يحصل له نوع استيلاء على كل الموجودات ، فكان ذلك محبوبا عنده ومطلوبا له . ولما كانت الموجودات منقسمة الى مالا يقبل التغير ، كذات الواجب وصفاته وعالم المجردات ؛ والى ما يقبل التغيير ولكن لاتستولى عليه قدرة الخلق بالتصرف ، كالافلاك والكواكب وملكوت السماوات ونفوس الملائكة والجن والشياطين والجبال والبحار وغيرذلك ،والى ما يقبل التغير وتستولى عليه قدرة العباد ، كالارض وأجزائها وما عليها من المعادن والنبات والحيوان ، ومن جملتها قلوب الآدميين ونفوسهم لكونها قابلة للتغيير والتأثير مثل أجسادهم وأجساد سائر الحيوانات — فلم يكن للانسان أن يتصور امكان استيلائه على الكل بالتصرف فيه ، فلم يتعرض لطلب ذلك ، بل أحب في كل منها نوع الاستيلاء

الذي يسكن في حقه والاستيلاء الذي يسكنه في حقه بالنظر الى القسمين الاولين هو الاحاطة عليه بالعلم والاطلاع على أسراره ، لأن ذلك نوع استيلاء . اذ المعلوم المحاط به تحت القدرة ، والعالم كالمستولى عليه . ولذلك أحب الانسان ان يعرف الواجب تعالى والملائكة والافلاك والكواكب وعجائب الملك والملكوت ، لان ذلك نوع استيلاء ، والاستيلاء نوع كمال.

وأما القسم الثالث ، فيمكنه ان يستولى عليه بالتصرف فيه كيف يريد فيقدر على الاراضي والاملاك بأن يتصرف فيها بالحيازة والضبط والزرع والغرس ، وعلى الاجساد الارضية الحيوانية والنباتية والجمادية بالركوب والضبط والحمل والرفع والوضع والتسليم والمنع ، وعلى نفوس الآدميين وقلوبهم بأن تكون مسخرة متصرفة تحت اشارته وارادته وصيرورتها محبةله بأعتقاد الكمال فيه . ولكون هذا النوع من الاستيلاء نوع كمال ، أحب الانسان هذا الاستيلاء على الاموال والقلوب ، وان كان لايحتاج اليهما في ملبسه ومطعمه وفي شهوات نفسه ، ولذلك طلب استرقاق العبيد واستعباد الاحرار ولو بالقهر والغلبة . وقد ظهر مما ذكر : ان محبوب النفس بذاتها هو الكمال بالعلم والقدرة ، والمال والجاه محبوب لكونه من أسباب القدرة . ولما كانت المعلومات والمقدورات غير متناهية ، فلا يكاد أن تقف النفس الى حد من العلم والقدرة ، ولهما درجات غير متناهية ، فسرور كل نفس ولذتها بقدر الدرجة التي تدركها .

فصل

الكمال الحقيقي فى العلم والقدرة والمال والجاه

لما عرفت أن المحبوب عند الانسان هو العلم والقدرة والمال والجاه لكونها كمالا ، فأعلم أنه اشتبه الامر عليه بأغواء الشيطان ، حيث التبس عليه الكمال الحقيقي بالوهمي ، وتيقن بكون جميع ذلك كمالا وأحبه . اذ التحقيق ان بعضها كمال حقيقي وبعضها كمال وهمي لا أصل له ، والسعي في طلبه جهل وخسران وتضييع وقت وخذلان .

بيان ذلك : انه لاريب في عدم كون المال والجاه كمالا ، لان القدرة والاستيلاء على أعيان الاموال بوجوه التصرف وعلى القلوب والابدان

بالتسخير والانقياد ينقطع بالموت ، فمن ظن ذلك كمالا فقد جهل • فالخلق كلهم في غمرة هـذا الجهل ، فأنهم يظنون ان القدرة على الاجساد بقهر الحشمة ، وعلى أعيان الاموال بسعة الغنى ، وعلى تعظيم القلوب بسعة الجاه كمال • ولما أعتقدوا كون ذلك كمالا أحبوه ، ولما أحبوه طلبوه ، ولما طلبوه شغلوا به وتهالكوا عليه ؛ فنسوا الكمال الحقيقي الذي يوجب القرب من الله ، اعني العلم والحرية كما يأتي • فهؤلاء هم الذين اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة ، فلا يخفف عنهم العذاب ولاهم ينصرون ، وهم الذين لم يفهموا قوله تعالى :

« المال والبنون زينة الحياة الدنيا ، والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا » (١٩) •

فالعلم والحرية وفضائل الاخلاق هي الباقيات الصالحات التي تبقى كمالا للنفس بعد خراب البدن ؛ والمال والجاه هو الذي ينقضي على القرب ، وهو كما مثله الله تعالى ، حيث قال :

« انما مثل الحياة الدنيا كماء انزلناه من السماء فاختلط به نبات الارض ... » (٢٠) •

وكل ما تذروه رياح الموت فهو زهرة الحياة الدنيا ، وكل مالا يقطعه الموت فهو من الباقيات الصالحات •

فقد ظهر أن كمال القدرة بالمال والجاه كمال وهمي لا أصل له ، وان من قصر الوقت على طلبه وظنه مقصودا فهو جاهل ، الا قدر البلغة منها الى الكمال الحقيقي •

وأما العلم ، فلا ريب في كون ما هو حقيقة العلم كمالا حقيقيا ، اذ الكمال الحقيقي هو الذي يقرب من يتصفه به من الله ويبقى كمالا للنفس بعد الموت • ولا شك في أن العلم بالله وبصفاته وأفعاله وحكمته في ملكوت السموات والارض وترتيب الدنيا والآخرة وما يتعلق به هو المقرب للعبد

---

(١٩) الكهف ، الآية : ٤٧

(٢٠) يونس ، الآية : ٢٤

الى الله ، اذ هو علم ثابت لايقبل التغيير والانقلاب ، اذ معلوماته أزلية أبدية وليس لها تغيير وانقلاب ؛ حتى يتغير العلم بتغيرها مثل التغيرات التي يتغير العلم بها بتغيرها وانقلابها ، كالعلم بكون زيد في الدار .

فهو علم ثابت أزلا وأبدا من دون تغير واختلاف ، كالعلم بجواز الجائزات ووجوب الواجبات واستحالة المستحيلات . فهذا العلم — اعني معرفة الله ومعرفة صفاته وأفعاله — هو الكمال الحقيقي الذي يبقى بعدالموت وينطوى فيهالعلم بالنظام الجبلي الاصلح وجميع المعارف المحيطة بالموجودات وحقائق الاشياء ، اذ الموجودات كلها من أفعاله ، فمن عرفها من حيث هي فعل الله ومن حيث أرتباطها بالقدرة والارادة والحكمة ، كانت هذه المعرفة من تكملة معرفة الله التي تبقى كمالا للنفس بعد الموت ، وتكون نورا للعارفين بعد الموت يسعى بين أيديهم وايمانهم : « يقولون ربنا أتمم لنا نورنا » ، وهي رأس مال يوصل الى كشف مالم ينكشف في الدنيا ، كما أن من معه سراج خفي ، فانه يجوز ان يصير ذلك سببا لزيادة النور بسراج آخر يقتبس منه ، فيكمل النور بذلك النور الخفي على سبيل الاستتمام ، ومن ليس معه أصل السراج لامطمع له في ذلك . فمن ليس له أصل معرفة الله لم يكن له مطمع في هذا النور ، بل هو في « ظلمات في بحر لجى ، يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ، ظلمات بعضها فوق بعض » .

وما عدا هـذه المعرفة من المعارف ، اما لافائدة فيه أصلا ، كمعرفة الشعر وأنساب العرب ومثلها ، أوله منفعة في معرفة الله ؛ كمعرفة لغة العرب والتفسير والفقه والاخبار ، ومعرفة طريق تزكية النفس التي تفيد أستعدادا لقبول الهداية الى معرفة الله ، كما قال تعالى :

« قد أفلح من زكاها » (٢١) . وقال : « والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا » (٢٢) .

فهو من حيث انه وسيلة الى معرفة الله والى تحصيل الحرية مما لابد منه بالعرض .

---

(٢١) الشمس ، الآية : ٩

(٢٢) العنكبوت ، الآية : ٦٩

ثم ان المعرفة التي هي كمال حقيقي للانسان ليس كمال العلم وغايته، اذ لايتصور كمال العلم ونهايته الا للواجب تعالى ، اذ كمال العلم انما يتحقق بأمور ثلاثة :

الاول ـ أن يحيط بكل المعلومات ، ولا يتحقق ذلك في علم البشر • اذ ما أوتي من العلم الا قليلا ، بل العلم الذي يحيط بجميع المعلومات هو علم الله تعالى ؛ وعلم العبد انما يتحقق ببعض المعلومات ،وكلما كانت معلوماته اكثر كان علمه أقرب الى علم الله تعالى •

الثاني ـ أن يتعلق بالمعلوم على ما هو به ، ويكون المعلوم منكشفا واضحا في غاية الانكشاف والوضوح ، بحيث لايقبل انكشافا أتم منه • وهذا أيضا غير ممكن التحقيق في حق الانسان ؛ اذ علمه لايخلو عن كدرة وابهام ؛ بل الكشف التام الذي هو غاية الظهور والانجلاء مختص بعلم الله تعالى : اذ معلوماته مكشوفة باتم انواع الكشف على ماهى عليها،وعلم العبدله ببعض مراتب الانكشاف ؛ فكلما كان اجلى واوضح واتقن واوفق للمعلوم في تفاصيل صفاته ، كان اقرب الى علم الله •

الثالث ـ ان يكون باقيا ابدا الاباد ، بحيث لايتغير ولايزول•وهذاايضا مختص بعلم الله تعالى ، اذ علمه تعالى باق لايتصور أن يختلف ويتغيرويزول وعلم الانسان يتغير ويزول فكلما كان علمه بمعلومات لاتقبل التغير والانقلاب كان أقرب الى علم الله تعالى •

هذا ، ومن الكما لات للانسان : التحلى بفضائل الاخلاق والصفات ، لايجابها صفاء النفس المؤدى الى البهجة الدائمة والحرية ، اعنى الخلاص من اسر الشهوات وغموم الدنيا والاستيلاء عليها بالقهر ، تشبها بالملائكة الذين لاتستغرقهم الشهوة ولايستهويهم الغضب ، اذ رفع آثار الشهوةوالغضب من النفس كمال حقيقى ، لانه من صفات الملائكة • ومن صفـات الكمال لله سبحانه عدم تطرق التغيير والتأثير على حريم كبريائـه ، فمن كان عن التغير والتأثر بالعوارض ابعد كان الى الله اقرب •

واما القدرة ، فقد قال بعض العلماء : « اما القدرةفليس فيهاكمال حقيقى للعبد ، اذ لقدرة الحقيقية لله ، ومايحدث من الاشياء عقيب ارادةالعبد وقدرته وحركته ، فهى حادثة باحداث الله تعالى • نعم له كمال من جهـة

القدرة بالاضافة الى الحال ، وهي وسيلة الى كمال العلم ، كسلامة اطرافه وقوة يده للبطش ، ورجله للمشي ، وحواسه للادراك ، فان هذه القوى آلة للوصول به الى حقيقة كمال العلم ، وقد يحتاج في استيفاء هذه القوى الى القدرة بالمال والجاه للتوصل به الى المطعم والملبس ، وذلك الى قدر معلوم : فان لم يستعمله للوصول به الى معرفة الله فلا خير فيه ألبته ، الا من حيث اللذة الحالية التي تنقضي على القرب ، ولاطريق للعبد الى اكتساب كمال القدرة الباقية بعد موته ، اذ قدرته على كل شيء من الارضيات ، كالمال والابدان والنفوس ، تنقطع بالموت » .

وانت خبير بان تحقق نوع قدرة للعباد مما لاريب فيه ، وان كانت اسبابها وأصلها من الله سبحانه ، الا ان القدرة على الامور الدنيوية الفانية كالمال والاشخاص وغير ذلك ، ليست كمال حقيقيا ، لزوالها بالموت . نعم ، الحق ثبوت القدرة النفسية للعبد — اعنى تاثير نفسه في الغير من الكائنات تأثيرا روحانيا كما هو ظاهر من تأثير بعض النفوس في الانسان والحيوان والنبات والجماد بانواع التأثيرات ، ومثل هذه القدرة تبقى للنفوس بعد الموت ولذا ترى ان من يستغيث ببعض النفوس الكامله من الاموات يرى منها عجائب التأثيرات والاستفاضات ، فما ذكره بعض العلماء من عدم بقاء قدرة للنفوس بعد الموت محل النظر .

وقد ظهر بما ذكر : ان الكمال الحقيقي للانسان هو العلم الحقيقي وفضائل الاخلاق والحرية والقدرة

فصل

علاج حب الجاه

أعلم ان علاج حب الجاه مركب من علم وعمل . وعلاجه العلمي : ان يعلم ان السبب الذى لاجله احب الجاه — وهو كمال القدرة على اشخاص الناس وعلى قلوبهم ان صفا وسلم — فآخره الموت ، فليس هو من الباقيات الصالحات بل لو سجد له كل من على وجه الارض الى خمسين سنة او اكثر لابد بالاخرة من موت الساجد والمسجود له ، ويكون حاله كحال من مات قبله من ذوى

الجاه مع المتواضعين له • ولاينبغى للعاقل ان يترك بمثل ذلك الدين الذى هو الحياة الابدية التى لاانقطاع لها • ومن فهم الكمال الحقيقى والكمال الوهمى — كما سبق — صغر الجاه في عينه ، الا ان ذلك انما يصغر في عين من ينظر الى الآخرة كأنه يشاهدها ويستحقر العاجلة ويكون الموت كالحاصل عنده ، وابصار اكثر الخلق ضعيفة مقصورة على العاجلة لا يمتد نورها الى مشاهدة العواقب ، كما قال الله تعالى :

« بل تؤثرون الحياة الدنيا والآخرة خير وابقى » (٢٣) • وقال : « كلا بل تحبون العاجلة وتذرون الآخرة » (٢٤) •

فمن هذه مرتبته ، فينبغى ان يعالج قلبه من حب الجاه بمعرفة الآفات العاجلة ، وهو ان يفكر في الاخطار التي يستهدف لها ارباب الجاه في الدنيا فان كل ذى محسود مقصود بالايذاء ، وخائف على الدوام على جاهـه ، ولايزال في الاضطراب والخوف من ان تتغير منزلته في القلوب • مـع ان قلوب الناس اشد تغيرا وانقلابا من القدر في غليانه ، وهى مرددة بين الاقبال والاعراض ، فكلما يبنى على قلوب الخلق يضاهى مايبنى على امواج البحر فانه لاثبات له • والاشغال بمراعاة القلوب وحفظ الجاه ودفع كيد الحساد ومنع اذى الاعداء اشتغال عن الله وتعرض لمقته في العاجل والآجل كل ذلك غموم عاجلة مكدرة للذة الجاه ، فلا يبقى في الدنيا أيضا مرجوها بمخوفها، فضلا عما يفوت في الآخرة • فبهذا ينبغى ان تعالج البصيرة الضعيفة وامامن نفذت بصيرته وقوى ايمانه فلا التفات له الى الدينا • فهذا هو العلاج العلمى

وأما العلاج العملي : فأسقاط الجاه عن قلوب الخلق بالانس بضد الجاه الذى هو الخمول ويقنع بالقبول من الخالق ، واقوى العلاج لقطع الجـاه الاعتزال عن الناس والهجرة الى مواضع الخمول ، لامجرد الاعتزال في بيته في البلدة التى هو فيها مشهور ، لان المعتزل في بيته في البلدة التى هـو فيها مشهور عند اهلها لا يخلو بسبب عزلته عن حب المنزلة التي ترسخ له في القلوب ، فربما يظن انه ليس محبا لذلك الجاه وهـو مغرور ، وانما سكنت

---

(٢٣) لاعلى ، الآية ١٦ — ١٧
(٢٤) القيامه : ٢٠ — ٢١

نفسه لانها ظفرت بمقصودها ، ولو تغير الناس عما اعتقدوا فيه وذمـوه او نسبوه الى امر غير لائق ، ربما جزعت نفسه وتالمت وتوصلت الى الاعتذار من ذلك واماطة ذلك الغبار عن قلوبهم ، وربما يحتاج في ازالة ذلك عن قلوبهم الى كذب وتلبيس ولايبالي به ، وبه يتبين انه بعد محب للجاه والمنزلـة ، ولا يمكنه الا يحب المنزلة في قلوب الناس مادام يطمع في الناس ، ولايقطع الطمع عن الناس الا بالقناعة . فمن قنع استغنى عن الناس ، واذا استغنى لم يشتغل قلبه بالناس ولم يكن لقيام منزلته في القلوب وزن عنده ، بل من لم يطمع في الناس وكان من اهل المعرفة ، كان الناس عنده كالبهائم ، فكيف يكون طالبا لقيام منزلته في قلوبهم ؟

والحاصل : ان الغالب والباعث على قيام المنزلة في قلوب الناس هـو الطمع منهم ، ولذا ترى انك لاتطلب قيام منزلتك في قلـوب من في اقصى المشرق أو المغرب ، لعدم طمع لك فيهم، ثم ينبغي أن يستعين على المعالجة بالاخبار الواردة في ذم الجاه ـ كما مر ـ وفي مدح الخمول ، كما يأتي.

فصـــل

حب الخمول

ضد حب الجاه والشهرة حب الخمول ، وهو شعبة من الزهد ،كما أن حب الجاه شعبة من حب الدنيا . فحب الدنيا والزهد ضدان .

ثم الخمول من صفات المؤمنين وخصال الموقنين ، وقد كانت طوائف العرفاء المتوحدين ومن يماثلهم من سلفنا الصالحين محبين له طالبين اياه ، وكل من عرف الله وأحبه وأنس به ، كان محبا للخمول متوحشا من الجاه وانتشار الصيت ، كما تنادي به كتب السير والتواريخ . وقد وردت بمدحه أخبار كثيرة ، كقول رسول الله (ص) : « ان اليسير من الرياء شرك ، وان الله يحب الاتقياء الاخفياء ، الذين اذا غابوا لم يفقدوا ، واذا حضروا لم يعرفوا قلوبهم مصابيح الهدى ،يتحول من كل غبراء مظلمة » . وقوله(ص): « رب ذي طمرين لايؤبه له لو اقسم على الله لابره ، لو قال: اللهم اسألك الجنة ! لاعطاه الجنة ولم يعطه من الدنيا شيئا » .وقوله (ص):« ألا أدلكم على أهل الجنة ؟ كل ضعيف مستضعف ، لو أقسم على الله لابره » .وقوله

ـ صلى الله عليه وآله : « ان أهل الجنة كل اشعث أغبر ذي طمرين لايؤبه له ، الذين اذا استأذنوا على الامراء لم يؤذن لهم ، واذا خطبوا النساء لم ينكحوا ، واذا قالوا لم ينصت لهم . حوائج أحدهم تتخلخل في صدره، لو قسم نوره يوم القيامة على الناس لوسعهم » . وقوله (ص) : « ان من امتي من لو اتى أحدكم يسأله دينارا لم يعطه اياه ، او يسأله درهما لم يعطه اياه ولو سأل الله تعالى الجنة لاعطاها اياه ، ولو سأله الدنيا لم يعطها اياه وما منعها اياه لهوانه عليه » . وقوله (ص) : « قال الله عز وجل : ان من أغبط أوليائي عندي رجلا خفيف الحال ، ذا حظ من صلاة ، أحسن عبادة ربه بالغيب ، وكان غامضا في الناس ، جعل رزقه كفافا فصبر عليه ، عجلت منيته فقل تراثه وقل بواكيه »[٢٥] . وورد : « ان الله تعالى يقول في مقام الامتنان على بعض عبيده : ألم أنعم عليك ؟ ألم استرك ؟ ألم أخمل ذكرك ؟» . وقال بعض خيار الصحابة : « كونوا ينابيع العلم ، مصابيح الهدى ، احلاس البيوت ، سرج الليل ، جدد القلوب ، خلقان الثياب : تعرفون في اهل السماء وتخفون في أهل الارض » . ومن اطلع على أحوال اكابر الدين والسلف الصالحين من إيثارهم الخمول والذل على الجاه والشهرة والغلبة ، ثم في ما ورد في مدحهما من الاخبار ، تيقن بأنهما من اوصاف المؤمنين ، ولابد للمؤمن من الاتصاف بهما ، ولذا ورد : « أن المؤمن لايخلو عن ذلة أو علة أو قلة » .

ومنها :

حب المدح

وكراهة الذم . وهما من نتائج حب الجاه ، ومن المهلكات العظيمة، اذ كل محب للمدح والثناء خائف من الذم ، يجعل افعاله وحركاته على مايوافق رضا الناس ، رجاءً للمدح وخوفا من الذم . فيختار رضا المخلوق على رضا الخالق ، فيرتكب المحظورات ويترك الواجبات ، ويتهاون في الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ويتعدى عن الانصاف والحق ، وكل ذلك من المهلكات ، وليس للمؤمن أن يحوم حولها ، بل المؤمن من لم يؤثر قط

(٢٥) تقدم الحديث فى ٢/٥٩ ،وذكرنا فى التعليقة تفسير معنى«خفيف»

رضا المخلوق على رضا الخالق ، ولا تأخذه في الله لومة لائم . ولعظم فساد حب المدح وبغض الذم ورد في ذمهما ما ورد في الاخبار . قال رسول الله — صلى الله عليه وآله —: « انما هلك الناس باتباع الهوى وحب الثناء ». وقال — صلى الله عليه وآله —: « رأس التواضع أن تكره أن تذكر بالبر والتقوى » . وقال (ص) لرجل اثنى على آخر بحضرته : « لو كان صاحبك حاضرا فرضي بالذي قلت فمات على ذلك ، دخل النار » . وقال (ص) لما مدح آخر : « ويحك ! قطعت ظهره ! ولو سمعك ما أفلح الى يوم القيامة ». وقال (ص) : « ألا لا تمادحوا ! واذا رأيتم المداحين فاحثوا في وجوههم التراب » . وقال (ص) : « ويل للصائم ! وويل للقائم ! وويل لصاحب التصوف ! الا من ... فقيل : يا رسول الله ، الا من ؟ فقال : الا من تنزهت نفسه عن الدنيا ، وابغض المدحة واستحب المذمة » .

فصل

مراتب حب المدح وكراهة الذم

اعلم أن لحب المدح وكراهة الذم مرتبتين : أولاهما : أن يفرح بالمدح ويشكر المادح ، ويغضب من الذم ويحقد على الذام ، ويكافيه او يحب مكافاته . وهذا حال اكثر الخلق ، ولا حد لاثمها . وأخراهما : أن يفرح باطنه ويرتاح للمادح ، ولكن يحفظ ظاهره من اظهار السرور ، ويتبغض في الباطن على الذام ، ولكن يمسك لسانه وجوارحه عن مكافاته . وهذه وان كانت نقصانا ، الا أنها بالنظر الى الاولى كمال .

وباعتبار آخر ، لحب المدح درجات :

الاولى — ان يتمنى المدح وانتشار الصيت بحيث يتوصل الى نيلهما بكل ممكن ، حتى يرائي بالعبادات ولا يبالي بمفارقة المحظورات ، لاستمالة قلوب الناس واستنطاق ألسنتهم بالمدح . وهذا من الهالكين .

الثانية — أن يريد ذلك ويطلبه بالمباحات لا بالعبادات وارتكاب المحضورات ، وهذا على شفا جرف الهلاك . اذ حدود الكلام والاعمال التي يستميل بها القلوب لا يمكنه أن يضبطها ، فيوشك أن يقع فيما لا يحل له ليتوصل به الى نيل المدح . فهو قريب من الهالكين .

الثالثة — الا يريد المدح ولا يسعى لطلبه ، ولكن اذا مدح سر وارتاح

من غير وجدان كراهة في نفسه لهذا السرور والارتياح . وهذا ايضا نقصان وان كان أقل اثما بالاضافة الى ما قبله .

الرابعة — أن يسر ويرتاح ، ولكن كره هذا السرور والارتياح ، وكلف قلبه كراهة المدح وبغضه ، وهو في مقام المجاهدة ، ولعل الله يسامحه اذا بذل جهده . ومع ذلك لم يقدر على ربط نفسه على كراهةالمدح دائما.

فصـل

أسباب حب المدح

حب المدح والثناء لهأسباب .

الاول — شعور النفس بكمالها ،فان الكمال لما كان محبوبا فمهما شعرت النفس بكمالها ارتاحت واهتزت وتلذذت ، والمـدح يشعر نفس الممدوح بكمالها،فان كانمابه المدح وصفا مشكوكا فيه صادر عنخبير بصير لا يجازف في القول ، كالوصف بكمال العلم والورع وبالحسن المطلق ، فاللذة فيه عظيمةلانالانسان ربماكانشاكافيكمالعلمه وكمالحسنهويكونشائقالزوالهذا الشك ، فاذا ذكره غيره ، (لا) سيما اذا كان من أهل البصيرة ؛ أورث ذلك طمأنينة وثقة بوجود ذلك الكمال ؛ فعظمت لذته ، ولو كان صادرا ممن لا بصيرة له ، كانت لذته أقل لقلة الاطمئنان بقوله . وان كان ما به المدح وصفا جليا ، كاعتدال القامة وبياض اللون ، كانت لذته في غاية القلة ، لان ثناءه لا يورث ماليس له من الطمأنينة والثقة ، الا أنـه لا يخلو عن لذة ما، اذ النفس قد تغفل عنه فتخلو عن لذته ، فتنبهها عليه بالمدح يورث لذة ما . ولضد هذهالعلة يبغض الذم أيضا ؛ لانه يشعر بنقصان في نفسه ، والنقصان ضد الكمال .

الثاني — ان المدح يدل على أن قلب المادح ملك الممدوح ، وانه مريد له معتقد فيه ومسخر تحت مشيته ، وملك القلوب محبوب، والشعوربحصوله لذيذ ، ولذلك تعظم اللذة مهما صدرت ممن تتسع قدرته وينتفع باقتناص كان المادح ممن يعتنى بقوله ، وهذا يختص بمدح يقع على الملأ .

الثالث — ان المدح سبب اصطياد قلب كل من يسمعه ، لا سيما اذا قلبه كالملوك والاكابر ، ولضد هذه العلة يكره الذم ويتألم القلب به .

الرابع — أن المدح يدل على حشمة الممدوح واضطرار المادح الى اطلاق اللسان بالثناء عليه طوعا أو قهرا ، والحشمة محبوبة لما فيها من الغلبة والقدرة ، فشعور النفس بها يورث لذة ، وهذه اللذة تحصل وان علم الممدوح ان المادح لا يعتقد بما يقوله ؛ اذ ما يطلبه يحصل منه ، ولهذه العلة يبغض الذم أيضا .

وهذه الاسباب قد تجتمع في مدح واحد فيعظم به الالتذاذ ، وقد تفترق فينتقص ويندفع استشعار الكمال ؛ بأن يعلم الممدوح أن المادح غير صادق في مدحه ؛ فان كان يعلم أن المادح ليس يعتقد ما يقوله بطلت اللذة الثانية أيضا ؛ وهو استيلاءه على قلبه ؛ وبقيت لذة الاستيلاء بالحشمة على اضطرار لسانه الى النطق بالمدح .

فصل

علاج المدح وكراهة الذم

اذا علم أن حب المدح وكراهة الذم من المهلكات ؛ فيجب أن يبادر الى العلاج .

وعلاج الاول : ان يلاحظ أسبابه ؛ ويعلم أن شيئا منها لا يصلح حقيقة لان يكون سببا له . أما استشعار الكمال بالمدح ؛ فلأن المادح ان صدق فليكن الفرح من فضل الله حيث أعطاه هذه الصفات ؛ وان كذب فينبغي أن يغمه ذلك ولا يفرح به لانه استهزاء به ؛ مع أن الفرح مطلقا في صورة الصدق من السفاهة ؛ اذ الوصف الذي مدح به ان كان مما لايستحق الفرح به ، كالثروة والجاه وغيرهما من المطالب الدنيوية ، فالفرح به من قلة العقل ، لانها كمالات وهمية لا أصل لها ، وان كان مما يستحق الفرح به كالعلم والورع ، فالفرح انما هو لكونه مقربا الى الله ، وهذا فرع حسن الخاتمة وهو غير معلوم . ففي الخوف من خطر الخاتمة شغل شاغل من الفرح بكل شيء . وأما دلالة المدح على تسخير قلب المادح وكونه سببا لتسخير قلب من يسمعه ، فحب ذلك يرجع الى حب الجاه والمنزلة في القلوب ، وقد سبق طريق معالجته . وأما دلالته على الحشمة ، فانها ليست الا قدرة عارضة ناقصة لاثبات لها ، والعاقل لا يفرح بمثلها .

وأما علاج الثاني: — اعني كراهة الذم — فيعلم بالمقايسة على علاج حب المدح . والقول الوجيز فيه : ان من يذمك ان كان صادقا وقصده النصح والارشاد ، فلا ينبغي أن تبغضه وتغضب عليه ، بل ينبغي أن تفرح وتجتهد في ازالة الصفة المذمومة عن نفسك ، وما أقبح بالمؤمن أن يغضب على من يحسن اليه ويريد هدايته وان كان قصده الايذاء والتعنت ، فلا ينبغي لك ايضا أن تبغضه وتكره ذلك ، لانه ارشدك الى عيبك ان كنت جاهلا بـه ، وذكرك اياه ان كنت غافلا عنه ، وقبحه في عينك ان كنت متذكرا له . وعلى التقادير قد استفدت منه ما تنتفع به ، وينبغي لك أن تغتنمه وتبادر الى ازالة عيبك . وان كان كاذبا مفتريا عليك بما أنت منه بريء ؛ فينبغي لك ايضا ألا تكره ذلك ولا تشتغل بذمه، لانك وان خلوت من ذلك العيب الا انك لا تخلو من عيب اخر مساوية له وافحش منها ؛ فاشكر الله تعالى على أنه سترها ولم يطلع أحدا عليها ، ودفعها بذكر ما انت منه بريء ، مع أنه كفارة لبقية مساويك . ومن ذمك أهدى اليك حسناته وجني على دينه حتى سقط من عين الله وأهلك نفسه بافترائه عليك ، فما بالك تحزن بحط ذنوبك واهداء الحسنات اليك ؟ ولم تغضب عليه ، مع ان الله سبحانه غضب عليه وابعده من رحمته ؟ فان ذلك كاف لا تتقامك منه .

وصـــل

ضد حب المدح

ضد حب المدح وكراهة الذم : اما كراهة المدح وحب الذم ،او مساواتهما عنده بحيث لا تسره المدحة ولا تغمه المذمة . وقد تقدم بعض الاخبار الدالة على ذم من لم يتصف بالحالة الاولى . وهي وان كانت نادرة الوجود ، اذ ما أقل على بسيط الارض — (لا) سيما في هذه الاعصار — من تستوي عنده المدحة والمذمة ، فضلا عمن يكره المدح ويسر بالذم ، الا أن تحصيلها ممكن اذ كل من عرف أن المدح مضر بدينه وقاصم لظهره ، فلا بد أن يكرهه ويبغض المادح ، لو كان عاقلا مشفقا على نفسه . وكذا من عرف أن الذام له يرشده الى عيوبه ويهدي اليه بعض حسناته ، لابد ان يحبه ويسر بذمه.

وأما الحالة الثانية ، فهي أولى درجات الكمال ، ومن لم يتصف بهـا

فهو ناقص . فالاتصاف بها لازم على كل مؤمن . وربما ظن بعض الناس اتصافه بها ، مع كونه فاقدا لها . فمن ظن ذلك من نفسه ، فلا بد أن يمتحن نفسه بعلاماتها ؛ حتى يظهر له صدق ظنه وكذبه ؛ وعلاماته : ألا يكون سعيه ونشاطه في قضاء حوائج المادح اكثر منهما في قضاء حوائج الذام ؛ وألا يتفاوت همه وحزنه لاجل موتهما وابتلائهما بمصيبة ، وألا تكون ذلة المادح أخف في قلبه وعينه من ذلة الذام ، وألا يكون جلوس الذام عنده اثقل ولا قيامه أهون من جلوس المادح وقيامه . وبالجملة : أن يستويا عنده من كل وجه . فمن وجد نفسه استواءهما في جميع الجهات ، فهو ممن يتساوى عنده المدح والذم .

ومنها :

الرياء

وهوطلب المنزلة في قلوب الناس بخصال الخير او مايدل عليها من الآثار . فهو من اصناف الجاه، اذ هو طلب المنزلة في القلوب بأي عمل اتفق ، والرياء طلب المنزلة باداته خصال الخير أو ما يدل على الخير . ثم خصال الخير يشمل أعمال البر بأسرها ، وهي أعم من العادات ان خصت العبادة بمثل الصلاة والصوم والحج والصدقة وأمثال ذلك ، ومساوقة لها ان أريد بالعبادة كل فعل يقصد به التقرب ويترتب عليه الثواب . اذ على هذا كل عمل من اعمال الخير ، سواء كان من الواجبات أو المندوبات او المباحات في الاصل اذا قصد به القربة كان طاعة وعبادة ، وان لم يقصد به ذلك لم يكن عبادة ولا عمل خير ، ولو كان مثل الصلاة . وربما خص الرياء عادة بطلب المنزلة في القلوب بالعبادة بالمعنى الاخص .

والمراد بالآثار الدالة على الخيرية هي كل فعل ليس في ذاته برا وخيرا، وانما يستدل به على الخيرية .

وهي اما متعلقة بالبدن ، كاظهار النحول والصفار ليستدل بهما على قلة الاكل او الصوم وسهر الليل ، ويوهم بذلك شدة الاجتهاد وعظم الحزن على أمر الدين وغلبة الخوف من الله ومن أهوال الآخرة ، وكخفض الصوت ليستدل به على ان وقار الشرع قد خفض صوته ... وقس عليها غيرها من

الامور المتعلقة بالبدن ، الدالة على الخيرية قصدا الى تحصيل المنزلة في قلوب الناس ، وكل ذلك يضر بالدين وينافي الورع واليقين ، ولذا قال عيسى (ع): « اذا صام أحدكم ، فليدهن راسه ، ويرجل شعره ، ويكحل عينيه »، خوفا من نزع الشيطان بالرياء . ثم هذه مراآة أهل الدين بالبدن ، وأما أهل الدنيافيراؤن في البدن باظهار السمن وصفاء اللون ونظافة البدنوحسن الوجه وأمثال ذلك .

أو متعلقة بالزي والهيئة كحلق الشارب واطراق الرأس في المشي ، والهدوء في الحركة ، وابقاء أثر السجود في الجبهة ، ولبس الصوف اوالثوب الخشن أو الابيض وتعظيم العمامة ولبس الطيلسان والدراعة ، وأمثال ذلك مما يدل على العلم والتقوى أو الانخلاع عن الدنيا .

والمراؤن من أهل الدين بالزي واللباس على طبقات : منهم من يرى طلب المنزلة بالثياب الخشنة ، ومنهم من يرى بالثياب الفاخرة ، ومنهم من يرى بالوسخة ، منهم من يراه بالنظيفة ،وللناس فيما يعشقون مذاهب.واما أهل الدنيا فلا ريب في أنهم يراؤن في اللباس بلبس الثياب النفيسة وركوب المراكب الرفيعة وأمثال ذلك .

أو متعلقة بالقول والحركات كاظهار الغضب والاسف على المنكرات ومقارفة الناس للمعاصي ، ليستدل بها على حمايته للدين وشدة اهتمامه على الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، مع ان قلبه لم يكن متأثرا عن ذلك ، وكأرخاء الجفون وتنكيس الرأس عند الكلام واظهار الهدوء والسكون في المشي ، ليستدل بذلك على وقاره ، وربما اسرع المرائي في المشي الى حاجة فاذا اطلع عليه واحد رجع الى الوقار خوفا من أن ينسب الى عدم الوقار ، فاذا غاب الرجل عاد الى عجلته .

أو متعلقة بغير ذلك كمن يتكلف ان يكثر الزائرون له والواردون عليه (لا) سيما من العلماء والعباد والامراء ليقال ان أهل الدين والعظماء يتبركون بزيارته .

فصل

ذم الرياء

الرياء من الكبائر الموبقة والمعاصي المهلكة وقد تعاضدت الآيات والاخبار

على ذمه ، قال سبحانه :

« فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون الذين هم يراؤن ويمنعون الماعون » (٢٦) . وقال سبحانه : « فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا » (٢٧) . وقال سبحانه « يراؤن الناس ولا يذكرون الله الا قليلا » (٢٨) وقال : « كالذي ينفق ماله رئاء الناس »(٢٩).

وقال رسول الله (ص) : « ان أخوف ما أخاف عليكم الشرك الاصغر » قالوا : وما الشرك الاصغر ؟ قال : « الرياء ، يقول الله عزوجل يوم القيامة للمرائين اذا جازى العباد باعمالهم : اذهبوا الى الذين كنتم تراؤن لهم في الدنيا فانظروا هل تجدون عندهم الجزاء » . وقال (ص) : « استعيذوا بالله من جب الحزن » قيل: وماهو يارسول الله؟ قال : « واد في جهنم أعد للقراء المرائين » . وقال (ص) : « يقول الله تعالى : من عمل لي عملا اشرك فيه غيري فهو له كله ، وأنا منه بريء ، وأنا أغنى الاغنياء عن الشرك ». وقال — صلى الله عليه وآله وسلم — : « لايقبل الله تعالى عملا فيه مثقال ذرة من رياء » . وقال (ص) : « ان أدنى الرياء الشرك » . وقال (ص) : «ان المرائي ينادي عليه يوم القيامة يافاجر ياغادر يامرائي ضل عملك وحبط اجرك اذهب فخذ اجرك ممن كنت تعمل له » . وكان (ص) يبكى ، فقيل له : ما يبكيك ؟ قال « اني تخوفت على أمتي الشرك أما انهم لا يعبدون صنما ولا شمسا ولا قمرا ولا حجرا ولكنهم يراؤن باعمالهم » . وقال (ص) : « سيأتي على الناس زمان تخبث فيه سرائرهم وتحسن فيه علانيتهم طمعا في الدنيا لايريدون به ما عند ربهم ، يكون دينهم رياء لا يخالطهم خوف، يعمهم الله بعقاب فيدعونه دعاء الغريق فلا يستجيب لهم » وقال : « ان الملك ليصعد بعمل العبد مبتهجا به فاذا صعد بحسناته يقول الله عز وجل :اجعلوها في سجين انه ليس اياي اراد به »[٣٠] وقال (ص) : « ان الحفظة تصعد بعمل

(٢٦) الماعون ، الآية : ٤—٧

(٢٧) الكهف ، الآية : ١١٠.

(٢٨) النساء ، الآية : ١٤٢

(٢٩) البقرة ، الآية : ٢٦٤

(٣٠) صححنا الحديث وكذا ماقبلة على « اصول الكافي » باب الرياء وباقي الاحاديث النبوية على « احياء العلوم » ج٣ ص٢٥٤

العبد الى السماء السابعة من صوم وصلاة ونفقة واجتهاد وورع ، لهادوي كدوي الرعد وضوء كضوء الشمس معه ثلاثة آلاف ملك ، فيجاوزون به الى السماء السابعة ، فيقول لهم الملك الموكل بها قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه اضربوا به جوارحه ، اقفلوا به على قلبه ، اني أحجب عن ربي كل عمل لم يرد به وجه ربي ، انه اراد بعمله غير الله ، انه أراد رفعة عند الفقهاء وذكرا عند العلماء وصيتا في المدائن ؛ أمرني ان لا أدع عمله يجاوزني الى غيري ، وكل عمل لم يكن لله خالصا فهو رياء ، ولا يقبل الله عمل المرائي ، قال (ص) : وتصعد الحفظة بعمل العبد من صلاة وزكاة وصيام وحج وعمرة وخلق حسن وصمت وذكر الله تعالى وتشيعه ملائكة السماوات حتى يقطع الحجب كلها الى الله فيقفون به بين يديه ويشهدون له بالعمل الصالح المخلص لله ، قال : فيقول الله تعالى لهم انتم الحفظة على عمل عبدي وأنا الرقيب على نفسه ، انه لم يردني بهذا العمل واراد به غيري فعليه لعنتي فتقول الملائكة كلهم عليه لعنتك ولعنتنا ، وتقول السماوات كلها عليه لعنة الله ولعنتنا ، وتلعنه السماوات السبع ومن فيهن » .

وقال امير المؤمنين (ع) : « أخشوا الله خشية ليست بتعذير [٣١] واعملوا بغير رياء ولا سمعة فانه من عمل لغير الله وكله الله الى عمله يوم القيامة » وقال الباقر (ع) : « الابقاء على العمل اشد من العمل » قيل : وما الابقاء على العمل ؟ قال : « يصل الرجل بصلة وينفق نفقة لله وحده لاشريك له فتكتب له سرا ثم يذكرها فتمحى فتكتب له علانية ثم يذكرها فتمحى فتكتب له رياء » . وقال الصادق (ع) : « قال الله تعالى انا خير شريك فمن عمل لي ولغيري فهو لمن عمل له غيري » . وقال (ع) : « قال الله تعالى : انا أغنى الاغنياء عن الشريك فمن اشرك معي غيري في عمل لم أقبله الا ماكان لي خالصا » . وقال (ع) : « كل رياء شرك ، انه من عمل للناس كان ثوابه على الناس ، ومن عمل لله كان ثوابه على الله » . وعن ابي عبد الله (ع) في قول الله عز وجل :

---

(٣١) قال في الوافي في باب الرياء ٣/ ٤٠٠ : بيان (بتعذير) — بحذف المضاف اي ذات تعذير ، وهو بالعين المهملة والذال المعجمة بمعنى التقصير .

« فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا » .

قال : « الرجل يعمل شيئا من الثواب لايطلب به وجه الله انما يطلب تزكية الناس ، يشتهي ان يسمع به الناس فهذا الذي أشرك بعبادة ربه » ثم قال : « ما من عبد أسر خيرا فذهبت الايام أبدا حتى يظهر الله له خيرا ، وما من عبد يسر شرا فذهبت الايام حتى يظهر الله له شرا » . وقال (ع) : « ما يصنع أحدكم ان يظهر حسنا ويسر سيئا أليس يرجع الى نفسه فيعلم أن ذلك ليس كذلك والله عز وجل يقول : « بل الانسان على نفسه بصيرة» . ان السريرة اذا صحت قويت العلانية » . وقال (ع) : « من أراد الله بالقليل من عمله اظهر الله له أكثر مما أراده به ومن أراد الناس بالكثير من عمله في تعب من بدنه وسهر من ليله أبى الله الا أن يقلله في عين من سمعه » . وقال (ع) : لعباد البصري : « ويلك ياعباد ! اياك والرياء فانه من عمل لغير الله وكله الله الى من عمل له » . وقال (ع) : « أجعلوا أمركم هذا لله ولا تجعلوه للناس فانه ما كان لله فهو لله وما كان للناس فهو لايصعد الى الله » . وقال الرضا (ع) لمحمد بن عرفة : « ويحك يابن عرفة أعملوا لغير رياء ولا سمعة فانه من عمل لغير الله وكله الله الى ما عمل ، ويحك ما عمل أحد عملا الا أراده الله به ان خيرا فخيرا وان شرا فشرا » [٣٢] .

وكفى للرياء ذماً انه يوجب الاستحقار لله وجعله أهون من عباده الضعفاء الذين لايقدرون نفعا ولا ضرا ، اذ من قصد بعبادة الله عبدا من عبيده فلا ريب في أن ذلك لأجل ظنه بأن هذا العبد أقدر على تحصيل أغراضه من الله وأنه أولى بالتقرب اليه منه تعالى وأي استحقار بمالك الملوك أشد من ذلك .

فصل

أقسام الرياء

الرياء اما في العبادات او غيرها (والاول) حرام مطلقا وصاحبه ممقوت

(٣٢) صححنا الاحاديث عن آل البيت عليهم السلام على « اصول الكافي » باب الرياء وعلى « البحار » مج ١٥ : ٤٣/٣ وعلى « الوسائل » ج١ الباب ١١ ، ١٢ ، ١٤ من ابواب مقدمة العبادات .

عند الله وهو يبطل أصل العبادة ولأن الاعمال بالنيات ، والمرائي بالعبادة لم يقصد امتثال أمر الله بل قصد أدراك مال او جاه او غرض آخر من الاغراض فلا يكون ممتثلا لامر الله خارجا عن عهدة التكليف ، ثم مع بطلان عبادته وعدم خروجه عن عهدة التكليف يكون له أثم على حدة لأجل الرياء ، كما دلت عليه الآيات والاخبار ، فيكون أسوأ حالا ممن ترك العبادة رأسا ، كيف لا والمرائي بالعبادة جمع بين الاستهزاء بالله والتلبيس والمكر لانه خيل الى الناس انه مطيع لله من أهل الدين وليس كذلك .

وأما الرياء بغير العبادات ، فقد يكون مذموما ، وقد يكون مباحا ؛ وقد يكون مستحبا ؛ وقد يكون واجبا ، اذ يجب على المؤمن صيانة عرضه وألا يفعل ما يعاب عليه ، فلا يليق بذوي المروات ان يرتكبوا الامور الخسيسة بأنفسهم عند مشاهدة الناس وان جاز لهم ذلك في الخلوة ، ومن زين نفسه باللباس أو غيره في أعين الناس حذرا من لومهم واستثقالهم أو استقذارهم اياه كان ذلك مباحا له ، اذ الحذر من ألم الذم غير مذموم ، الا أن ذلك يختلف بأختلاف الازمنة والبلاد والاشخاص من العباد ، فربما كان بعض أقسام الرياء بغير العبادات مذموما بالنظر الى وقت أو شخص أو بلد غير مذموم بالنظر الى آخر . روى : « ان رسول الله(ص) اراد يوما أن يخرج على أصحابه ، فكان ينظر في حب من الماء ويسوى عمامته وشعره ، فقيل له : او تفعل ذلك يارسول الله ؟ فقال : نعم ، ان الله تعالى يحب من العبد أن يتزين لأخوانه اذا خرج اليهم » . وقال أمير المؤمنين عليه السلام : « يتزين أحدكم لأخيه المسلم كما يتزين للغريب الذي يحب أن يراه في أحسن الهيئة » ، وقال الصادق (ع) : « الثوب النقي يكبت العدو » . وروى : « انه (ع) نظر الى رجل من أهل المدينة قد أشترى لعياله شيئا وهو يحمله ، فلما رآه الرجل استحى منه ، فقال (ع) : اشتريته لعيالك وحملته اليهم ، أما والله لولا أهل المدينة لاحببت ان أشترى لعيالي الشيء ثم احمله اليهم » [٣٣] أراد (ع) لولا مخافة ان يعيبوه على

(٣٣) تقدم هذا الحديث فى ٣٥٨/١ والاحاديث الثلاثة الاخيرة صححناها على « الوسائل » ــ كتاب الصلاة، ابواب احكام الملابس ، الباب ٤ــ٦

ذلك لفعل مثل فعله ، الا أنه لما كان في زمان يعاب عليه بمثله لم يجز له أن يرتكبه ، ولما لم يكن ذلك مما يعاب عليه في زمن أمير المؤمنين (ع) كان يرتكبه وكان ذلك منقبة له وتعليما • فظهر أن ارتكاب بعض الامور وعدم ارتكاب بعض الافعال قد يكون رياء محبوبا وقد يكون رياء مذموما•

فصل

تاثير الرياء على العبادة

الرياء اما أن يكون مجردا عن قصد القربة والثواب بحيث لولاه وانفرد صاحبه لترك العمل وهو أشد درجات الرياء وأعظمها اثما ، او يكون مع قصدهما فان كان قصدا ضعيفا مرجوحا بحيث لو كان خاليا عن قصد الرياء لم يبعثاه على العمل ، ولو كان قصد الرياء خاليا عنهما بعثه عليه ، كان قريبا من سابقه وان كان مساويا لقصد الرياء بحيث لو كان كل واحد خاليا عن الآخر لم يبعثه على العمل ، فالحق كونه مفسدا للعمل أيضا لظواهر الاخبار • وان كان راجحا على قصد الرياء غالبا عليه بأن يكون قصد الرياء واطلاع الناس مرجحا ومقويا لنشاطه بحيث لو لم يكن لم يترك العمل ، ولو كان قصد الرياء وحده لما أقدم على العمل ، (فبعض العلماء) على أنه لايحبط أصل العمل والثواب بل ينقص من الثواب أو يعاقب صاحبه على مقدار قصد الرياء ، ويثاب على مقدار قصد الثواب و (فيه نظر) اذ ظواهر الاخبار تفيد أبطاله أصل العمل والثواب لصدق الرياء عليه وصدق المرائي على صاحبه ، لقول أمير المؤمنين عليه السلام « ثلاث علامات للمرائي : ينشط اذا رأى الناس ، ويكسل اذا كان وحده ، ويحب ان يحمد في كل أموره » وما تقدم من الاخبار الدالة على أن كل عمل أشرك مع الله تعالى غيره كان الله منه بريئا ولم يقبله ، صريح في المطلوب • وحملها على ما اذا تساوى القصد او كان قصد الرياء ارجح خلاف الظاهر • ثم الظاهر ان البطلان في هذه الصورة انما هو اذا رجع قصده الى حبه أطلاع الناس عليه لتقع منزلة له في قلوبهم ، ليتوسل بها الى نيل غرض من الاغراض الدنيوية ، وأما اذا كان سروره وقصده من

أطلاع الناس لاحد المقاصد الصحيحة الآتية فلا بأس به ولا يبطل العمل .

تنبيه

السرور بالاطلاع على العبادة

من كان قصده أخفاء الطاعة والاخلاص لله ، فاذا أتفق أطلاع الناس على طاعته فلا بأس بالسرور به ، من حيث علمه بأن الله أطلعهم عليه وأظهر الجميل من حاله ، فيستدل به على حسن صنع الله به من حيث انه ستر الطاعة والمعصية ، والله تعالى ابقى معصيته على الستر وأظهر طاعته ، فيكون فرحه بجميل نظر الله وفضله له لابمدح الناس وقيام المنزلة في قلوبهم ، وقد قال الله تعالى :

« قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا » (٣٤) .

وكأنه ظهر له بظهور طاعته أنه عند الله مقبول ففرح به . او من حيث أستدلاله بأظهار الله الجميل وستره القبيح في الدنيا أنه كذلك يفعل به في الآخرة ، قال رسول الله (ص) : « ما ستر الله على عبد في الدنيا الا ستر الله عليه في الآخرة » . فالاول فرح بالقبول في الحال من غير ملاحظة المستقبل وهذا التفات الى المستقبل . او من حيث ظنه رغبة المطلعين في الاقتداء في الطاعة ، فيتضاعف بذلك أجره . اذ يكون له أجر السر بما قصده أولا ، وأجر العلانية بما أظهره آخرا ، ومن اقتدى الناس به في طاعة فله أجر أعمال المقتدين به من غير أن ينقص من أجورهم شيء . او من حيث فرحه بطاعة المطلعين لله في مدحهم وحبهم للمطيع ، وميل قلوبهم الى الطاعة ، اذ من الناس من يمقت أهل الطاعة ويحسدهم أو يستهزىء بهم وينسبهم الى الرياء ، فهذا فرح بحسن ايمان عباد الله ، وعلامة الاخلاص فيه : أن يكون سروره بمدحهم غيره مثل سروره بمدحهم اياه .

ويدل على عدم البأس بالسرور فيما ذكر ما روى : « أن رجلا قال لرسول الله (ص) : اني أسر العمل لا أحب ان يطلع عليه أحد فيطلع عليه فيسرني ! قال : لك أجران : أجر السر وأجر العلانية » . وما روى : « أنه سئل الباقر (ع) عن الرجل يعمل الشيء من الخير فيراه انسان فيسره

---

(٣٤) يونس الآية : ٥٨

ذلك ، قال : لابأس ، مامن أحد الا وهو يحب أن يظهر الله له في الناس الخير اذا لم يكن صنع ذلك لذلك » • وهذان الخبران باطلاقهما يدلان على نفي البأس بالسرور لأجل المقاصد المذكورة ، ويخصص منهما ما هو المذموم من الفرح الحاصل من أطلاع الناس ، وان كان قصده الاخفاء أولا ، وهو أن يكون فرحه لقيام منزلته في قلوب الناس حتى يمدحوه ويعظموه ويقوموا بحوائجه ، وانما يخصص ذلك منهما مع شمول أطلاقهما له أيضا لمعارض أقوى •

هذا وقد تقدم أن قصده أولا — أي في حال عقد الطاعة — أطلاع الناس عليه وارتياحه به لأحد المقاصد المذكورة لابأس به أيضا ، فعدم البأس لايختص بطرو القصد والارتياح بعد العقد او بعد تمام العمل •

ثم كما لابأس بالسرور من ظهور الطاعات للمقاصد المذكورة ، فكذلك لابأس بكتمان المعاصي واغتمامه باطلاع الناس عليها لاسباب نذكرها ، بل الحق رجحان الكتمان ومزيته بعد ارتكابها ، وان كان الاصل في الاخلاص استواء السريرة والعلانية • ولذا قال بعض الاكابر : « عليك بعمل العلانية وهو ما اذا ظهر لم تستح منه » • وقال بعضهم : « ماعملت عملا أبالي أن يطلع الناس عليه الا اتياني أهلي والبول والغائط » • الا أن ذلك درجة عظيمة ليست شرعة لكل وارد ، ولا يصل اليها الا واحد بعد واحد • اذكل انسان — الا من عصمه الله — لايخلو من ذنوب باطنة ، (لا) سيما مايختلج بباله من الاماني الباطلة والامور الشهوية ، والله مطلع عليها وهي مخفية عن الناس ، والسعي في اخفائها وكراهة ظهورها جائز بل راجح ، بشرط ألا يكون باعث أخفائها قصد أن يعتقدوا فيه الورع والصلاح ، بل كان الباعث:

١ — اما كون الستر مأمورا به •

٢ — أو كون الهتك واظهار المعاصي منهيا عنه • قال رسول الله(ص): « من أرتكب شيئا من هذه القاذورات فليستره بستر الله تعالى » • ويعرف صدق ذلك بكراهة ظهورها عن الغير ، او كون ستر الله عليه في الدنيا دليلا على ستره في الآخرة ، لما ورد في الخبر : « أن من ستر الله عليه في الدنيا ستر الله عليه في الآخرة » •

٣ ــ أو كون ظهور المعاصي موجبا لذم الناس ، والذم يؤلم القلب ويشغله عن طاعة الله ، ويصده عن الاشتغال بتحصيل ما خلق لأجـــله ، ولكون التألم بالذم جبليا غير ممكن الدفع بسهولة يكون أخفاء ما ظهوره يؤدي الى حدوثه جائزا • نعم ، كمال الصدق أستواء المدح والذم ؛ الا أن ذلك قليل جدا ، واكثر الطباع تتألم بالذم، لما فيه من الشعور بالنقصان• وربمـــا كان التألم بالذم ممـــدوحا اذا كان الـــذام من أهل البصيرة في الدين ، فان ذمه يدل على وجود نقصان فيه ، فينبغي أن يتألم منه ويتشمر لدفعه •

٤ ــ أو كون الناس شهداءه يوم القيامة ، كما ورد فيجوز الاخفاء لئلا يشهدوا عليه يوم القيامة •

٥ ــ أو خوف ان يقصد بشر او بسوء اذا عرف ذنبه •

٦ ــ او خوف صيروة الذام عاصيا بذمه ، وهذا من كمال الايمان ، ويعرف بتسوية ذمه وذم غيره •

٧ ــ او خوف سقوط وقع المعاصي من نفسه او اقتداء الغيربه فيهاوهذه العلة هي المبيحة لاظهار الطاعة، ويختص ذلك بمن يقتدى بهمن الائمةوامثالهم ولهذه العلة ينبغي ان يخفى العاصي معصيتـــه من اهلـــه وولده ايضا ، لئلا يقتدوا به فيها •

---

٨ ــ او حبة محبة الناس له للتوسل بها الى الاغراض الدنيويـــة ، بل ليستدل بها على محبـــة الله تعالى له ، لان من احبه الله تعالى جعله محبوبا في قلوب الناس •

٩ ــ او مجرد الحياء من ظهور قبائحه ، وهو غير خوف الذم والقصد بالشر ، اذ هو من فضائل الاخلاق ومن كريم الطبع ، قال رسول الله(ص): « الحياء خير كله » • وقال الصادق (ع) : « الحياء شعبة من الايمان » • وقال (ص) : الحياء لايأتى الا بالخير » • وقال (ص) : «ان الله تعالى يحب الحيى الحليم » • ومن صدر عنه فسق ولم يبال بظهوره للناس ، فقد جمع الى الفسق الهتك وعدم الحياء ــ اعنى الوقاحة ــ فهو اسوأ حالا ممن يفسق ويستحى فيستره •

ثم كثيرا مايشتبه الحياء بالرياء ، فيدعى من يرائى بانه يستحى ، وان تركه السيئات او اخفاءها او تحسينه للعبادات انما هو لاجل الحياء من الناس دون الرياء ، وذلك كذب . وبيان ذلك : ان الحياء خلق ينبعث من الطبع الكريم ، ويمكن ان يهيج عقيبه داعية الرياء فيرائى معه ، ويمكن ان يهيج داعية الاخلاص فيجمعه اليه . مثلا من طلب من صديقه قرضا ، فان رده صريحا من غير مبالاة ومن دون ان يتعلل ارتكب الوقاحة وعدم الحياء وان اعطاه بمجرد انقباض نفسه من استشعار قبح رده مشافهة من دون رغبة في الثواب ولاخوف من ذمه او حب الى مدحه حتى لوطلبه مراسلة او بتوسط غيره من الاجانب لرده ، فاعطاؤه هذا صادر عن مجرد الحيـاء من دون ترتب رياء او اخلاص عليه . وان تعسر عليه الرد للحياء وكان مافي نفسه من البخل مانعا من الاعطاء فحدث خاطر الرياء ، ويخاطب نفسه بانه ينبغى ان تعطيه حتى يمدحك بالسخاء ولايذمك بالبخل فاعطاه لذلك فهو مزج الرياء بالحياء ، والمحرك للرياء هو هيجان الحياء . وان تعسر عليه الرد للحياء والاعطاء للبخل ، فهيج باعث الاخلاص ، ويقول له الصدقة بواحدة والقرض بثمانية ، ففيـه اجر عظيم ؛ وادخال السرور على قلب مسلم صديق من اقرب القربات ، فسخت نفسـه بالاعطاء ، فهو جمع بين الحياء والاخلاص ثم الحياء لايكون الا في القبائح الشرعية او العقلية او العرفية ، كالبخل ومقارفة الذنوب والظلم وصـدور بعض الحركات القبيحة عرفا في المحافل ، والرياء يكون في المباحات ايضا ، حتى انه لوعاد الضحك الى الانقباض والمستعجل في المشى الى الهدوء بعـد اطلاع الناس كان مرائيا ، وربما ظن ان باعث ذلك هو الحياء وهو الجهل ، اذ باعثه مجرد الرياء وماقيل : ان بعض الحياء ضعف ، فالمراد ان الحياء مما ليس بقبيح ناش من ضعف النفس ، كالحياء من وعظ الناس واقامة الصلاة ومن الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، الا اذا وجد عذر يحسن الحياء معه ، كأن يشاهد معصية من شيخ فيستحى من شيبته أن ينكر عليه ، لان من اجلال الله اجلال ذي الشيبة المسلم ، ولو استحيى من الله ولا يضيع الامر بالمعروف لكان أحسن . وأقوياء النفوس من أهل الايمان يؤثرون الحياء من الله على الحياء من الخلق ، وأما ضعفاء النفوس منهم فقد لايقـدرون

على ذلك .

فصـــل

متعلقات الرياء

الرياء اما بأصل الايمان ، وهو اظهار الشهادتين مع التكذيب باطنا ، وهذا هو كفر النفاق ، وقد كان في صدر الاسلام كثيرا ، وقل مايوجد في أمثال زماننا ، وان كثر فيه انكار بعض ضروريات الدين ، كالجنة والنار والثواب والعقاب واعتقاد طي بساط أحكام الشرع باطنا ، ميلا الى قول الملاحدة وأهل الاباحة ، مع اظهار الخلاف ظاهرا ، وهذا أيضا معدود من كفر النفاق ، وصاحبه ينسل عن الدين مخلد بالنار . وصاحب كفر النفاق مطلقا أسوأ حالا من الكافر المحارب ، لانه جمع بين الكفر الباطن والنفاق الظاهر . أو بأصول العبادات مع التصديق بأصل الدين ، كأن يصلي في الملأ دون الخلوة ، ويصوم مع أطلاع الناس عليه ويفطر بدونه ، ومثله وان لم ينسل من أصل الدين ، الا أنه شر المسلمين ، لترجيحه الخلق على الخالق ، وكون التقرب اليهم أحب من التقرب لديه ، وكون خوفه من ذمهم أشد من خوفه من عقابه سبحانه . او بالنوافل والسنن ؛ وهذا أيضا مذموم مهلك ، ولكنه دون ما قبله ، لأن صاحبه وان قدم مدح الخلق على مدح الخالق ، الا أنه لم يقدم خوف ذمهم على خوف عقابه ؛ لعدم ترتب عقاب على ترك النافلة . او بأوصاف العبادة الواجبة او المستحبة ، كفعل ما في تركه نقصان أو كراهة او ترك ما في فعله أحدهما أو بزيادات خارجة عن نفس النوافل ؛ كحضوره الجماعة قبل القوم وقصده الصف الاول ؛ وأمثال ذلك . وكل ذلك مذموم ؛ الا أن بعضه اشد من بعض .

فصـــل

بواعث الرياء

باعث الرياء اما التمكن من المعصية ، كأظهار الورع والتقوى لتفوض اليه الحكومة والقضاء ، لينال الجاه والاستيلاء ، ويحكم بالجور ؛ ويأخذ الرشا ؛ أو تسلم اليه الودائع والصدقات وأموال اليتامى وأمثال ذلك ، فيأخذ

لنفسه منها ما يقدر عليها ،وكحضوره مجالس العلم والوعظ والتعزية لملاحظة النسوان والصبيان ، وهذا أشد درجات الرياء اثما ، ويقرب منه اظهار الديانة والتقوى ليدفع عن نفسه تهمة ما أقترفه من الجرائم ، او نيل حظ مباح من حظوظ الدنيا ، كالاشتغال بالوعظ والتذكير والامامة والتدريس واظهار الصلاح والورع ، لتستبذل له الاموال وترغب في تزويجه النسوان أو خوف ان ينظر اليه بعين النقص والحقارة ، او ينسب الى الكسالةوالبطالة كترك العجلة والضحك بعد أطلاع الناس عليه ، خوفا من أن يعرف باللهو والهزل فيستحقر ، وكالقيام للتهجد واداء النوافل اذا وقع بين المجتهدين والمتنفلين لئلا ينسب الى الكسالة ، ولو خلى بنفسه لم يتنفل مطلقا ، وكذا الامتناع من الاكل والشرب في اليوم الذي يصام فيهتطوعا ، وتصريحه بأني صائم ، خوفا من أن ينسب الى البطالة ، وربما لم يصرح بكونه صائما ، بل يقول : لي عذر ؛ وحينئذ قد جمع بين رياءين : الرياء بكونه صائما ، والرياء بكونه مخلصا غير مراء . ثم ان ألجأته الكسالة والشهوة الى عدم القيام الى النوافل وعدم الصبر عن الاكل والشرب ، ذكر لنفسه عذرا ، تصريحا أو تعريضا ، كأن يتعلل الترك بمرض أو ضعف او شدة العطش او تطييب خاطر فلان ؛ وقس عليها غيرها من الكلمات والاعذار ، فانها لاتسبق الى اللسان الا لرسوخ عرق الرياء في النفس ، والمخلص لايريد غير الله والتقرب اليه ، ولا يعتني بالخلق وحصول المنزلة في قلوبهم ؛ فان لم يصم لم يحب ان يعتقد غيره فيه ما يخالف علم الله ليكون ملبسا ؛ وان صام قنع بعلم الله ولم يشرك فيه غيره . ثم هذه البواعث لما كان بعضها صادرا من رداءة قوة الغضب وبعضها من رداءة قوة الشهوة ، فيكون بعض أنواع الرياء من رذائل الاولى وبعضها من رذائل الثانية .

تنبيه

الرياء الجلي والخفي

الرياء جلي وخفي ، والجلي : ما يبعث على العمل لولا قصد الثواب ، والخفي : مالا يبعثه بمجرده الا أنه يخفف العمل الذي أريد به التقرب في الخلوة ، ويعرف بالسرور اذا أطلع عليه الناس ، لا للمقاصد المتقدمة ، بل

لطلب نوع منزلة في قلوب الناس ؛ ويتوقع التعظيم والتوقير وقضاء الحوائج منهم ووجدان الاستبعاد من نفسه لو قصر في احترامه ، كأن نفسه تتقاضى الاكرام والاحترام على الطاعة التي أخفاها مع أنه لم يطلع عليه أحد . ولا شك أن هذا التقاضي لاينفك عن شوب خفي من الرياء أخفى من دبيب النمل ، ولو كان عنده وجود الطاعة كعدمها في كل ما يتعلق بالخلق وقنع بعلم الله فيها لم يكن لهذا التوقع وجه . فعلامة خلوص العمل من الرياء ألا يجد تفرقة بين أن يطلع على عبادته انسان او بهيمة ، ومهما وجد تفرقة في ذلك فلا يكون منفكا عن توقع ما (عن) [٣٥] الناس في طاعته ، وذلك مما يحبط العمل . قال أمير المؤمنين (ع) : « ان الله تعالى يقول للقراء يوم القيامة : ألم يكن يرخص عليكم السعر ؟ ألم تكونوا تبدأون بالسلام؟ ألم تكونوا تقضى لكم الحوائج ؟فلا أجر لكم ، قد استوفيتم أجوركم ! » .

فصل

كيف يفسد الرياء العمل

لو عقد العمل على الاخلاص واستمر الى الفراغ ، لم يحبطه السرور بظهوره بعده ، لا من قبله كما دل عليه بعض الظواهر السالفة . ولا يعصى به أيضا ان كان لأجل أحد المقاصد السالفة ، ويكتب له معصية ان كان لظنه حصول منزلة له في القلوب . ولو كان ظهوره بعده من نفسه بالتحدث مع الرغبة والسرور بذلك ، فربما قيل بأحباطه العمل ، اذ حب التحدث به يدل على أن قلبه عند العبادة لم يخل عن عقد خفي من الرياء . وقد أيد ذلك بما روى : « أن رجلا قال للنبي (ص) : اني صمت الدهر . فقال صلى الله عليه وآله : لاصمت ولا أفطرت ! » . وما روى : « ان ابن مسعود سمع رجلا يقول : قرأت البارحة سورة البقرة . فقال : ذلك حظه منها » .

والظاهر أنه لايحبط عمله ، بل يثاب عليه ، وان عوقب على ماصدر منه بعد الفراغ من الرياء . والتعليل لو تم لايفيد البطلان ، اذ العقد الذي لم يشعر به صاحبه لايؤاخذ به ، والا لزم التكليف بالمحال . والخبر لو صح

---

(٣٥) كذا في النسخ ، ولعل « عند » مكان « عن »

فانكاره (ص) لأجل كراهية صوم الدهر لا لاظهاره . وقول ابن مسعود لو ثبت لا حجية فيه .

ولو عقد العمل على الاخلاص ، وورد في اثنائه وارد السرور بأطلاع بعض الناس عليه ، فان لم يكن باعثا على العمل ومؤثرا فيه بحيث لو لم يحدث لأتم العمل على الاخلاص من غير فتور ، وكان أيضا لأحد المقاصد الصحيحة المتقدمة ، فلا بطلان ولا اثم ، لما تقدم من الاخبار . وان لم يكن باعثا ولكن لم يكن لشيء من المقاصد المذكورة ، بل كان لقصد نيل الجاه او المال بالظهور ، فالحق بطلان العمل وكونه آثما للعمومات السالفة . وان كان باعثا ومؤثرا فهو الرياء المحرم ، سواء كان غالبا على قصد التقرب او مساويا له او مغلوبا عنه ، فيحبط العمل وعليه الاعادة لو كان فريضة ، لما تقدم من العمومات ؛ ولقوله (ص) : « العمل كالوعاء ، اذا طاب آخره طاب أوله » . وقوله (ص) : « من راءى بعمله ساعة ، حبط عمله الذي كان قبله » . ثم هذا في العمل المركب الذي له اجزاء ، ويتوقف صحته على صحة كل واحد منها ، كالصوم والصلاة والحج . وأما العمل الذي كل جزء منه منفرد ، كالصدقة والقراءة ، فما يطرأ من الرياء في اثنائه انما يفسد الباقي دون الماضي فطرؤه فيه في الاثناء بالنسبة الى الماضي كطروئه بعد الفراغ في الاول . وهذا حكم الرياء الطاري بعد عقد الطاعة على الاخلاص أو قبله ، سواء لم يرجع عنه حتى يتمها ، او ندم بعده في الاثناء أيضا ورجع وأستغفر وأما المقارن حال العقد ، بأن يبتدى بالصلاة مثلا على قصد الرياء ، فان اتمها عليه فلا خلاف في كونه اثما وعدم الاعتداد بها . وان ندم عليه في الاثناء ورجع واستغفر ، فان مجرد القصد الى الغير الباعث الى أطلاع الناس لبعض المقاصد المتقدمة وارتياحه به فلا بأس به ولا يحبط العمل ، وان كان غير ذلك أفسده ، سواء في ذلك جميع شقوقه المتقدمة ؛ كما علم وجهه .

فائـــدة

شوائب الرياء مبطلة للعمل

لما كان المناط في الاعمال ؛ صحة وفسادا ، هو القصد والنية ، اذ

الاعمال بالنيات ، ولكل امرىء ما نوى ، فكل عمل تدخله شوائب الرياء فهو فاسد ؛ سواء وقع سرا او علانية ؛ وكل عمل كان خالصا لله وأمن صاحبه من دخول الرياء فيه فلا بأس بأسراره ولا بأظهاره . ثم لو تعلق قصد صحيح بأظهار نفس العمل او التحدث به بعد الفراغ عنه ، كترغيب الناس في الخير وتنبيههم على الاقتداء به فيه ، كان أظهاره أفضل من أسراره بشرط عدم اشتماله على رياء أو فساد آخر ، كأهانة الفقير في التصدق ، ولو أشتمل على شيء من ذلك ، كان أسراره أفضل من أعلانه ، وبذلك يجمع بين الاقوال والاخبار .

والحاصل : أنه متى انفك القلب عن شوائب الرياء ، بحيث يتم الاخلاص على وجه واحد في الحالتين ؛ فما فيه القدوة وهو العلانية أفضل ومهما حصلت فيه شوائب الرياء لم ينفعه اقتداء غيره ، لكونه مهلكا له ، فالسر أفضل منه . فعلى من يظهر العمل أن يعلم او يظن انه يقتدى به ، وان يراقب قلبه لئلا يكون فيه حب الرياء الخفي ، فربما أظهر العمل لعذر الاقتداء وكان في نفسه قصد التجمل بالعمل وكونه مقتدى به ، وهذا حال كل من يظهر العمل ، الا من أيده الله بقوة النفس وخلوص النية ، فلا ينبغي لضعيف النفس أن يخدع نفسه فيضل ويضل ويهلك ويهلك من حيث لايشعر . فان الضعيف مثاله مثال الغريق الذي يعلم سباحة ضعيفة ، فينظر الى جماعة من الغرقى فيرحمهم ، وأقبل عليهم لينجيهم ، فتشبثوا به ؛ وهلك وهلكوا . وهذه المواضع مزال أقدام العلماء والعباد ، فانهم يتشبهون بالاقوياء في الاظهار ولا تقوى قلوبهم على الاخلاص ، فتحبط أجورهم بالرياء . ودرك ذلك غامض جدا لايبلغه الا الخائضون في غمرات علم الاخلاق . ويعرف الخلوص في ذلك بألا يتفاوت حاله بأقتداء الناس به وبغيره من أقرانه وأمثاله ، فان كان قلبه أميل الى أن يكون هو المقتدى به ، فأظهاره العمل غير خال عن شوائب الرياء .

ايقاظ

لما عرفت أن المناط في صحة الاعمال وفسادها هو القصد والنية ، تعلم أن كل عمل لم يكن خالصا لوجه الله وأريد به غيره سبحانه ينبغي ان يترك

ويعرض عنه ، وان كان خالصا له تعالى مقصودا على قصد صحيح ، لاينبغي تركه لمجرد بعض الوساوس والخواطر الشيطانية . فان الشيطان يدعو أولا الى ترك العمل فان لم يجب يدعو الى الرياء ، فاذا أيس منه يقول : هذا العمل ليس خالصا ، بل هو رياء ، فأي فائدة منه ؟ ! .

ثم الاعمال اما من الطاعات اللازمة التي لاتعلق لها بالغير ، كالصلاة والصوم والحج وأمثالها ، او من الطاعات المتعدية التي لها تعلق بالخلق ، كالامامة والقضاء والحكومة والافتاء والوعظ والتذكير والتعليم والتدريس وانفاق المال وغير ذلك .

والقسم الاول : ان دخله الرياء قبل الفعل ، بأن يكون باعثه الرياء دون الخلوص والقربة ؛ فينبغي ان يترك ولا يشرع فيه ، وان دخله بعد العقد او معه ، فلا ينبغي أن يترك ، لانه وجد له باعث ديني ؛ وانما طرأه باعث الرياء ؛ فليجاهد في دفع الرياء وتحصيل الاخلاص ، ويرد نفسه اليه قهرا بالمعالجات التي تذكرها . ومهما كان في مقام المجاهدة مع نفسه معاتبا لها قاهرا عليها في ميلها الى الرياء ، ووجد من طبعه كراهية هذا الميل ، فالنجاة في حقه مرجوة ؛ ولعل الله يسامحه بعظيم رحمته . وأما اذا لم يكن في مقام المجاهدة ، ولم يكن كارها مما يجد في نفسه من الميل الى الرياء ، بل أعطى زمام الاختيار الى النفس الامارة ، وهي ترائي في الاعمال ، وهو يتبعها في ذلك من غير قهر عليها وكراهية لفعلها ، فلا ريب في فساد أعماله وأولوية تركها ، وان كان باعثها ابتداء محض القربة ودخلها الرياء مع العقد او بعـــده .

وأما القسم الثاني : المتعلق بالخلق ـ اعني أمامة الصلاة والقضاء والتدريس والافتاء والوعظ والارشاد وأمثال ذلك ـ فأخطارها عظيمة ، ومثوبتها جسيمة . فمن له أهليه ذلك من حيث العلم ـ ان كان ذا نفس قوية لايعتني بالناس ولا تزعجها وساوس الخناس وله معرفة تامة بعظمة ربه وقدرته وسائر صفاته الكمالية ، بحيث شغله ذلك عن الالتفات الى الخلق وما في أيديهم حتى يرائى لأجلهم أو يختار رضاهم على رضا ربه ـ فالاولى لمثله ألا يترك هـــذه المناصب ليفوز بمثوبتهـــا العظيمة . وان كان ذا نفس

ضعيفة ، كخيط مرسل في الهواء تفيئها [٣٦] الريح مرة هكذا ومرة هكذا ، فهو لا يأمن الرياء وسائر أخطارها . فاللازم لمثله تركها . ولذلك كان أهل اليقين من السلف يتدافعون هذه المناصب ما وجدوا اليه سبيلا . وورد ما ورد من الاخبار في عظم خطرها كثرة آفاتها ولزوم التثبت والاحتياط لمن يزاولها وما ورد من الوعيد الشديد في حق علماء السوء يكفى للزوم الحذر عن فتن العلم وغوائله . ومما يقصم ظهور أمثالنا من الذين يقولون مالا يعلمون ويأمرون بما لايفعلون ، قول عيسى بن مريم — عليهما السلام — : « ياعلماء السوء! تصومون وتصلون وتتصدقون ولا تفعلون ما تؤمرون ! وتدرسون مالا تعلمون فيا سوء ما تحكمون ! تتوبون بالقول والاماني ، وتعملون بالهوى ، وما يغنى عنكم أن تنقوا جلودكم وقلوبكم دنسة ! بحق أقول لكم : لاتكونوا كالمنخل يخرج منه الدقيق الطيب وتبقى فيه النخالة! كذلك انتم ! تخرجون الحكم من أفواهكم ويبقى الغل في صدوركم ! ياعبيد الدنيا ! كيف يدرك الآخرة من لاتنقضى من الدنيا شهوته ولا تنقطع منها رغبته ! بحق أقول لكم : ان قلوبكم تبكي من أعمالكم ، جعلتم الدنيا تحت ألسنتكم والعمل تحت أقدامكم بحق أقول لكم : أفسدتم آخرتكم بصلاح دنياكم ، فصلاح الدنيا أحب اليكم من صلاح الآخرة ! فأي ناس أخس منكم لو تعلمون ! ويلكم ! حتى متى تصفون الطريق للمدلجين وتقيمون في محلة المتحيرين كأنكم تدعون اهل الدنيا ليتركوها لكم ! مهلا مهلا ! ويلكم ! ماذا يغنى عن البيت المظلم ان يوضع السراج فوق ظهره وجوفه وحش مظلم ! كذلك لايغنى عنكم ان يكون نور العلم بأفواهكم وأجوافكم منه وحشة معطلة . ياعبيد الدنيا ! توشك الدنيا أن تقلعكم عن أصولكم فتلقيكم على وجوهكم ، ثم تكبكم على مناخركم ، ثم تأخذ خطاياكم بنواصيكم ! يدفعكم العلم من خلفكم ، ثم يسلمكم الى الملك الديان حفاة عراة فرادى ! فيوقفكم على سوآتكم ، ثم يخزيكم بسوء أعمالكم !!» [٣٧] هذا ويعرف الصادق المخلص من أهل هذه المناصب بأنه اذا ظهر من هو

---

(٣٦) وفى نسختنا الخطية (تعليها) .

(٣٧) روى هذا الحديث فى (احياء العلوم) : ٣ / ٢٨١ ، فصححناه عليه . وهو يرويه عن (الحارث المحاسبي) .

أعدل وأحسن وعظا وأكثر علما منه وأشد قبولا للناس فرح به ولم يحسده، واذا حضر الاكابر والاعاظم مجلسه او اقتدوا به لم يتغير كلامه ولم يتفاوت حاله ، بل يبقى على ما كان عليه ، وينظر الى عباد الله بعين واحدة .

(تنبيه) : لما عرفت حقيقة الرياء ، تعلم أنه اذا صار عمل بعض الصالحين أو قولهم محركا لغيرهم على الاشتغال بالطاعة لم تكن هذه الطاعة رياء اذا عقدت على الخلوص ، وان لم يكن هذا الغير ليفعل هذه الطاعة اذا لم يشاهدها من بعض الصالحين او لم يسمعها منه . فمن لم تكن عادته التهجد وبات مع قوم متهجدين في موضع ، فاذا قاموا للتهجد انبعث نشاطه للموافقة ووافقهم في التهجد ، ولم يكن ذلك رياء بعد أن يكون قصده منه الثواب والتقرب الى الله ، اذ كل مؤمن راغب في عبادة الله وفي قيام الليل، ولكن قد تعوقه العوائق وتمنعه الغفلة ؛ فاذا شاهد قوما يتهجدون ربما صارت مشاهدة طاعتهم سببا لزوال غفلته ، كما يصير قولهم ووعظهم سببا لذلك فيتحرك باعث الدين دون الرياء ويدعوه الى موافقتهم . وربما كان الموضع مما ليس فيه عائق ، فيغتنم الفرصة ويبعثه مافيه من الايمان الى الطاعة . وقس على التهجد غيره : من الصوم ، والتصدق ، والقراءة ، والذكر ، وغيرها من أعمال البر .

فصل

علاج الرياء

لما كانت الاسباب الباعثة على الرياء هي حب لذة المدح والفرار من ألم الذم والطمع بما في أيدي الناس ، فالطريق في علاجه أن يقطع هذه الاسباب وقد تقدم طريق العلاج في قطع الاولين ؛ ويأتي طريق ازالة الثالث . وما نذكره هنا من العلاج العلمي للرياء ؛ هو أن يعلم أن الشيء انما يرغب فيه لكونه نافعا ؛ واذا علم أنه ضار ليعرض عنه البتة . وحينئذ ؛ فينبغي لكل مؤمن ان يتذكر مضرة الرياء وما يفوته من صلاح قلبه وما يحرم عنه في الحال من التوفيق وفي الآخرة من المنزلة عند الله وما يتعرض له من المقت والعذاب ومتى تذكر ذلك وقابل ما يحصل له في الدنيا من الناس الذين راءى لأجلهم بما يفوته في الآخرة من ثواب الاعمال ؛ لترك الرياء لامحالة . مع أن العمل

الواحد ربما تترجح به كفة حسناته لو خلص ؛ فاذا فسد بالرياء حول الى كفة السيئات ، فتترجح به ويهوى الى النار . هذا مع أن المرائي في الدنيا متشتت الهم متفرق البال بسبب ملاحظة قلوب الناس ، فان رضاهم غاية لاتدرك ؛ وكلما يرضى به فريق يسخط به فريق ، ومن طلب رضاهم في سخط الله سخط الله عليه وأسخطهم ايضا . ثم أي غرض له في مدحهم وايثار ذم الله لأجل مدحهم ولا يزيده مدحهم رزقا ولا أجلالا ولا ينفعه يوم فقره وفاقته وهو يوم القيامة ؟ ! ومن كان رياؤه لأجل الطمع بما في أيدي الناس ، ينبغي أن يعلم ان الله هو المسخر للقلوب بالمنع والاعطاء ؛ وان الخلق مضطرون فيه ؛ ولا رازق الا الله ، ومن طمع في الخلق لم يخل عن الذل والخسة ، وان وصل الى المراد لم يخل عن المنة والمهانة ؛ واذا قرر ذلك في نفسه ولم يكن منكرا لامسه ، زالت غفلته وفترت عن الرياء رغبته وأقبل على الله بقلبه ، وانقطع بشراشره الى جناب ربه . ويكفيه أن يعلم أن الناس لو علموا ما في باطنه من قصد الرياء واظهار الاخلاص لمقتوه، وسيكشف الله عن سره حتى يبغضه اليهم ، ولو أخلص لله لكشف لهم أخلاصه وحببه اليهم وسخرهم له ؛ وأطلق ألسنتهم بمدحه وثنائه ، مع أنه لايحصل له كمال بمدحهم ولا نقصان بذمهم .

ثم من تنور قلبه بنور الايمان وانشرح صدره باليقين والعرفان ، وعرف معنى الواجب وحقيقة الممكن ؛ وتيقن بأن الواجب — أي الحقيقة التي تقتضى بنفس ذاته التحقق والبقاء ، وهو صرف الوجود — يجب ان يكون تاما فوق التمام ، ولا يتصور حقيقة أتم كمالا منه ، والحقيقة التي هذا شأنها يجب ان يكون ما سواها بأسره مستندا اليها وصادرا عنها على أشرف انحاء الصدور وأقواها . وهذا النحو الاشرف الاقوى الذي لايتصور نحوه أقوى منه في الاختراع وأدل منه على كمال عظمة الموجد وقدرته ، وهو كون ما سواه سبحانه من الموجودات ، اما اعتبارات وشؤنات لدرجات ذاته وأشراقات لتجليات صفاته ؛ كما ذهب اليه قوم ، او كونها ماهيات امكانية أختراعية علما وعينا ، صادرة عنه سبحانه بوجودات خاصة متعددة ارتباطية

بمحض أرادته ومشيته ، كما ذهب اليه آخرون [٣٨] . ولو لم يكن غيره من الموجودات مستندا اليه على أقوى أنحاء الاستناد ، لم يكن تاما فوق التمام اذ تكون الذات التي يستند الكل اليها بأحد النحوين أكمل منه وأشرف . واذا عرف أنه سبحانه كذلك ، يعرف أنه ليس في الوجودحقيقة أحد سواه وغيره حقيقته العدم وماله من الوجود والظهور منه سبحانه ، وبعد هذه المعرفة لايختار غيره تعالى عليه ، ويعلم أن العباد كلهم عجزة لايملكون لأنفسهم نفعا ولا ضررا ؛ ولا يملكون موتا ولا حياة ، فلا يتغير قلبه بمشاهدة الخلق ، ولا يلتفت اليهم الا بخطرات ضعيفة لايشق عليه أزالتها ؛ فيعمل عمل من لوكان على وجه الارض وحده لكان يعمله .

وأما العلاج العملي ، فهو أن يعود نفسه اخفاء العبـادات واغلاق الابواب دونها ، كما تغلق الابواب دون الفواحش ؛ حتى يقنع قلبه بعلم الله واطلاعه على عبادته ؛ ولا تنازعه النفس الى طلب علم غير الله به . وذلك وان شق في بداية المجاهدة ، لكن اذا صبر عليه مدة بالتكلف سقط عنه ثقله وهان عليه بتواصل ألطاف الله وما يمده به عباده من حسن التوفيق والتأييد:

« ان الله لايغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم » (٣٩) .

فمن العبد المجاهدة ومن الله الهداية :

« ان الله لايضيع أجر المحسنين » (٤٠) .

تتميم

القالع مغارس الرياء من قلبه بقطع الطمع وأستحقار مدح الناس وذمهم

---

(٣٨) القول الاول مبني على اصالة الوجود ، والثاني على أصالة الماهية. وهذا البحث الذي ذكره المؤلف من دقائق الفلسفة الآلهية وأعلاها ، ولقد احسن فيه البيان جدا . فانه مبني على فهم معنى واجب الوجود لذاته ، وهو الذي يكون ذاته بذاته ، مع قطع النظر عن كل ما عداه ، ومن حيث هو هو منشأ لانتزاع انه موجود ، فلذلك يجب ان يكون صرف الوجود انه لاشيء له الوجود والا لكان ممكنا ، ويجب ان يكون متصفا بجميع الكمالات بل اكمل الكمالات ومن جملتها ان تكون الموجودات مستندة اليه على اقوى انحاء الاستناد واذا لم يتصف بجميع الكمالات لايتصف باعدامها ، فيدخل فى حقيقته العدم ، فلم يكن صرف الوجود ، فلم يكن واجب الوجود لذاته ، وهذا خلاف الفرض ، او بهذه الطريقة يستدل على اتصافه بجميع صفات الجمال والجلال .

(٣٩) الرعد الآية : ١١ .

(٤٠) التوبة ، الآية ١٢٠

ربما يتركه الشيطان ، (لا) سيما في اثناء العبادة ، فعارضه بخطرات الرياء ونزعاته ؛ حتى أحدث في قلبه ميلا خفيا الى الرياء وحبا له . والحق أن ذلك ليس من الرياء المحرم ، ولا تفسد به العبادة ، مع كونه كارها لهذا الميل والحب وقاهرا على نفسه ماقتا لها في تأثرها وتغيرها عن نزعات الشيطان ومنازعا للشيطان ومجاهدا أياه لدفع خطراته ، لان الله لم يكلف عباده الا ما يطيقون ؛ وليس في وسعهم منع الشيطان عن نزعاته ولا قمع الطبع حتى لايميل الى شهواته ، وغاية ما يقدرون عليه أن يقابلوا نزعاته وميل الطبع بالكراهة والقهر على النفس في هذا الميل ، مع المجاهدة في دفع ذلك بتذكر المعالجات المقررة لدفع الرياء والوساوس ؛ واذا فعلوا ذلك أدوا ما يجب عليهم . ويدل على ذلك أيضا ما تقدم من الاخبار الدالة على عدم المؤاخذة بمجرد الوسوسة ، وقول النبي (ص) : « الحمد لله الذي رد كيد الشيطان الى الوسوسة » . فوسوسة الشيطان وميل النفس لايضران مع ردهما بالكراهية والاباء ، اذ الوساس والخواطر والتذكرات والتخيلات المهيجة للرياء من الشيطان ؛ والميل والرغبة بعد تلك الخواطر من النفس ، والاباء والكراهة من الايمان ومن آثار العقل فلا يضر مامن النفس والشيطان اذا قوبل بما من العقل والايمان . ولذا قال بعض الاكابر : « ماكان من نفسك فكرهته نفسك لنفسك ، فلا يضرك ماهو من عدوك ، وما كان من نفسك فرضيته نفسك لنفسك فعاتبها عليه »

ثم الطرق المتصورة في دفع خطرات الرياء في اثناء العبادات مع كراهتها اربع :

الاولى — ان يشتغل بمجادلة الشيطان في رد نزعاته ، ويطيل معه الجدال

الثانية — ان يقتصر على تكذيب الشيطان ودفعه من غير اشتغال بمجادلته

الثالثة — الا يشتغل بتكذيبه ايضا ، بل يكتفي بما قرر في عقد ضميره من كراهة الرياء وكذب الشيطان ؛ فيستمر على ما كان عليه مستصحبا له غير مشتغل بالمخاصمة والتكذيب .

الرابعة — ان يزيد فيما هو من الاخلاص والاشتغال بالله ؛ أو ما يؤدي اليهما ؛ كاخفاء العبادة والصدقة غيظا للشيطان ، لان ذلك يغيظ الشيطان

ويوجب يأسه ، ومهما عرف من العبد هذه العادة ، كف عنه خوفامن ان يزيد في حسناته .

ولا ريب في ان الاشتغال بالمجادلة والتكذيب واطالتهما يمنع الحضور ويصد عن التوجه الى الله ، وهو نقصان لاهل السلوك ، فالصواب لكل مؤمن ان يقرر دائما في عقد ضميره كراهية الرياءوتكذيب الشيطان ، ويعزم ابداعلى انه اذا تهجم عليه الشيطان وعارضه بنزعات الرياء زاد ما هو فيه مما يعيظ الشيطان ويوجب يأسه ، فاذا حدثت خطرات الشيطان في الاثناء ،اكتفى بما عقد عليه اولا مستصحبا له، وزاد في الاخلاص وما يؤدي اليه فان ذلك يوجب قنوط الشيطان . واذا عرف العبد بهذه الصفة لايتعرض له لئلا يزيد فيمايغيظه وينبغى لكل مؤمن ان يكون هذا ديدنه في جميع الصفات والملكات ، مثلا اذا حصل اليقين والعقيدة الجازمة بالمبدأ وصفاته الكمالية ، وقرر ذلك في نفسه واثبت في قلبه كراهية الشك وخطور الوساوس ، في اثناء عبادة او غيرها ، ينبغى الا يشتغل بطول المجاهدة مع الشيطان ، ويكفى بما تقرر في قلبه من اليقين وكراهية الشك والوسوسة، معتقدا بأن هذه الوساس لا أصل لها ولاعبرة بها . وكذا اذا قرر في نفسه النصيحة للمسلمين وكراهية الحسد ، فاذا اوقع الشيطان نزعات الحسد في قلبه ، ينبغي الا يلتفت اليها ، ويستصحب ما كان عليه من النصيحة والكراهة ، وقس عليها سائر الصفات والاخلاق .

ثم مثل من يشتغل بطول المجاهدة مع الشيطان مثل من قصد مجلسا من مجالس العلم والوعظ لينال فائدة وهداية فعارضه ضال فاسق ودعاه الى مجلس فسق فابى وانكر عليه ، فاذا عرفه الضال اباه ،اشتغل بالمجادلة معه ؛ وهو أيضا يساعده على ذلك ليرد ضلاله، ظانا ان ذلك مصاحبته ، مع انه غرض الضال اذ قصده من المجادلة ان يؤخره عن نيل مقصوده . ومثل من يشتغل بالتكذيب مثل من لايشتغل بالقتال مع الضال بعد دعوته الى مجلس الضلال بل وقف بقدر ان يدفع في منحره، وذهب مستعجلا ، ففرح الضال بقدر توقفه للدفع .ومثل من يكتفى بعقد الضمير مثل من لم يلتفت الى الضال بعد دعوته اصلا ،واستمر على ماكان عليه من المشى . ومثل من يزيد فيما كان له من الاخلاص او مايؤدى اليه مثل من يزيد في عجلته بعد دعوته ليغيظه .ولاريب في ان الضال

يمكن ان يعاود الجميع في الدعوة الى الضلالة اذا مروا عليه مرة اخرى الا الاخير ، مخافة ان يزداد فائدة باستعجاله .

وصـــل
الاخلاص وحقيقته

ضد الرياء الاخلاص ، وهو تجريد القصد عن الشوائب كلها . فمن عمل طاعة رياء فهو مراء مطلق ، ومن عملها وانضم الى قصد القربة قصد غرض دنيــوي انضماما غير مستقل فعمله مشــوب غير خــالص ، كقصــد الانتفاع بالحمية من الصوم ، وقصد التخلص من مؤنة العبد او سوء خلقه من عتقه ، وقصد صحــة المزاج أو التخلص من بعض الشرور والاحزان من الحج ؛ وقصد العزة بين الناس أو سهولة طلب المال من تعلم العلم ، وقصد النظافة والتبرد وطيب الرائحة من الوضوء والغسل ، والتخلص عن ابرام السائل من التصدق عليه ، وهكذا . فمتى كان باعث الطاعة هو التقرب ولكن انضافت اليه خطرة من هذه الخطرات ؛ خرج عمله من الاخلاص . فالاخلاص تخليص العمل عن هذه الشوائب كلها ، كثيرها وقليلها . والمخلص من يكون عمله لمحض التقرب الى الله سبحانه ، من دون قصد شيء آخر أصلا .

ثم أعلى مراتب الاخلاص . وهو الاخلاص المطلق واخــلاص الصديقين أرادة محض وجه الله سبحانه من العمل ، دون توقع غرض في الدارين . ولا يتحقق الا لمحب لله تعالى مستهترا به ، مستغرق الهم بعظمته وجلاله ، بحيث لم يكن ملتفتا الى الدنيا مطلقا . وأدناها ــ وهو الاخلاص الاضافي ــ قصد الثواب والاستخلاص من العذاب ، وقد اشار سيد الرسل (ص) الى حقيقة الاخلاص بقوله : « هو أن تقول ربي الله ثم تستقم كما امرت [41] تعمل لله ، لا تحب أن تحمد عليه ! أي لا تعبد هواك ونفسك ، ولا تعبد الا ربك ، وتستقيم في عبادتك كما امرت » . وهذا اشارة الى قطع ماسوى الله سبحانه عن مجرى النظر ، وهو الاخلاص حقا . ويتوقف تحصيله على كسر حظوظ النفس وقطع الطمع عن الدنيا والتجرد في الآخرة ، بحيث ما

---

(٤١) اشارة الى قوله تعالى مخاطبا لنبيه صلى الله عليه وآله: «فاستقم كما امرت » .

يغلب ذلك على القلب والتفكر في صفات الله تعالى وافعاله والاشتغال بمناجاته حتى يغلب على قلبه نور جلاله وعظمته ، ويستولي عليه حبه وأنسه ، وكم من اعمال يتعب الانسان فيها ويظن انها خالصة لوجه الله تعالى ، ويكون فيها مغرورا لعدم عثوره على وجه الآفة فيها ، كما حكى عن بعضهم أنه قال : « قضيت صلاة ثلاثين سنة كنت صليتها في المسجد جماعة في الصف الاول ، لاني تأخرت يوما لعذر وصليت في الصف الثاني ؛ فاعترتني خجلة من الناس حيث رأوني في الصف الثاني ؛ فعرفت أن نظر الناس الي في الصف الاول كان يسرني ، وكان سبب استراحة قلبي من ذلك من حيث لا اشعر » . وهذا دقيق غامض ، وقلما تسلم الاعمال من أمثاله ؛ وقل من يتنبه له ؛ والغافلون عنه يرون حسناتهم في الآخرة كلها سيئات ،وهم المرادون بقوله تعالى :

« وبدا لهم سيئات ما عملوا » (٤٢) . « وبدا لهم من الله مالم يكونوا يحتسبون » (٤٣) . وبقوله : « قل هل ننبئكم بالاخسرين اعمالا ؟ الذين ضل سعيهم فى الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا » (٤٤) .

فصل

مدح الاخلاص

الاخلاص منزل من منازل الدين ، ومقام من مقامات الموقنين . وهو الكبريت الاحمر ؛ وتوفيق الوصول اليه من الله الاكبر ، ولذا ورد في فضيلته ما ورد من الايات والاخبار ، قال الله تعالى .

« وما أمروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين » (٤٥) وقال : « ألا لله الدين الخالص » (٤٦) . وقال : « الا الذين تابوا وأصلحوا واعتصموا بالله وأخلصوا دينهم لله » (٤٧) . وقال : « فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا

---

(٤٢) الجاثية ، الآية : ٣٣

(٤٣) الزمر الآية : ٤٧ .

(٤٤) الكهف الآية : ١٠٣ ، ١٠٤

(٤٥) البينة الآية : ٥ .

(٤٦) الزمر الآية : ٣

(٤٧) النساء ، الآية : ١٤٦

صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا » (٤٨) .

نزل فيمن يعمل لله ويحب ان يحمد عليه .

وفي الخبر القدسي : « الاخلاص سر من اسراري ، استودعته قلب من أحببت من عبادي » وقال رسول الله (ص) « اخلص العمل يجزيك منه القليل » . وقال (ص) : ما من عبد يخلص العمل لله تعالى اربعين يوما الا ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه » . وقال (ص) : « ثلاث لا يغل عليهن » : وعد منها قلب رجل مسلم اخلص العمل لله عز وجل . وقال أمير المؤمنين (ع) : « لا تهتموا لقلة العمل واهتموا للقبول » . وقال امير المؤمنين (ع) : « طوبى لمن أخلص لله العبادة والدعاء ، ولم يشغل قلبه بما ترى عيناه ، ولم ينس ذكر الله بما تسمع اذناه ، ولم يحزن صدره بما اعطى غيره ! » . وقال الباقر (ع) : « ما أخلص عبد الايمان بالله أربعين يوما — أوقال : ما أجمل عبد ذكر الله أربعين يوما — الا زهده الله تعالى في الدنيا وبصره داءها ودواءها ، وأثبت الحكمة في قلبه وانطق بها لسانه». وقال الصادق (ع) في قول الله عز وجل :

« ليبلوكم أيكم أحسن عملا » (٤٩) :

« ليس يعني اكثركم عملا ، ولكن اصوبكم عملا . وانما الاصابة خشية الله والنية الصادقة » .. ثم قال : « الايفاء على العمل حتى يخلص أشد من العمل ، والعمل الخالص الذي لا تريد أن يحمدك عليه احد الا الله عز وجل ، والنية أفضل من العمل ؛ الا وان النية هي العمل » .. ثم تلا قوله عز وجل « قل كل يعمل على شاكلته » : يعني على نيته.

وقال الصادق (ع) : « الاخلاص يجمع فواضل الاعمال ؛ وهو معنى مفتاحه القبول وتوفيقه الرضا ؛ فمن تقبل الله منه ورضى عنه فهو المخلص وان قل عمله ؛ ومن لا يتقبل الله منه فليس بمخلص وان كثر عمله ؛ اعتبارا بآدم (ع) وابليس . وعلامة القبول وجود الاستقامة ببذل كل المحاب مع

(٤٨) الكهف ، الآية : ١١٠ .

(٤٩) صححنا الاخبار المروية عن اهل البيت — عليهم السلام — على (الكافى) : باب الاخلاص . وعلى (الوافى) : ٣/٣٢٨ ، ٣٢٩ باب الاخلاص

اصابة علم كل حركة وسكون ؛ والمخلص ذائب روحه باذل مهجته في تقويم مابه العلم والاعمال والعامل والمعمول بالعمل ، لانه اذا ادرك ذلك فقد أدرك ذلك الكل ؛ واذا فاته ذلك فاته الكل ؛ وهو تصفية معاني التنزيه في التوحيد كما قال الاول : هلك العاملون الا العابدون ، وهلك العابدون الا العالمون وهلك العالمون الا الصادقون ، وهلك الصادقون الا المخلصون ، وهلك المخلصون الا المتقون ، وهلك المتقون الا الموقنون ، وان الموقنين لعلى خطر عظيم ! قال الله لنبيه (ص) : واعبد ربك حتى يأتيك اليقين . وأدنى حد الاخلاص بذل العبد طاقته ، ثم لا يجعل لعمله عند الله قدرا فيوجب به على ربه مكافاة بعمله ، لعلمه أنه لو طالبه بوفاء حق العبودية لعجز ، وادنى مقام المخلص في الدنيا السلامة في جميع الآثام ، وفي الآخرة النجاة من النار والفوز بالجنة » [٥٠] .

ومن تأمل هذه الاخبار وفي غيرها مما لم يذكر ، يعلم أن الاخلاص رأس الفضائل ورئيسها ، وهو المناط في قبول الاعمال وصحتها ، ولاعبرة بعمل لا اخلاص معه ، ولا خلاص من الشيطان الا بالاخلاص ، لقوله :

« الا عبادك منهم المخلصين » (٥١) .

وما ورد في الاسرائيليات من حكاية العابد والشيطان والشجرة مشهور وفي الكتب مسطور [٥٢] .

فصل
آفات الاخلاص

الآفات التي تكدر الاخلاص وتشوشه لها درجات في الظهور والخفاء اجلاها الرياء الظاهر ، وهو ظاهر . ثم تحسين العبادة والسعي في الخشوع فيها في الملأ دون الخلوة ليتأسى به الناس ، ولو كان عمله هذا خالصا لله لم يتركه في الخلوة ، اذ من يرى الخشوع وحسن العبادة خيرا لا يرتضي لغيره

(٥٠) صححنا الرواية على « مصباح الشريعة » : الباب ٧٧ وعلى (البحار) : مج ١٥ : ٨٦/٢ باب الاخلاص عن « مصباح الشريعة » .

(٥١) الحجر الآية ٤٠ .

(٥٢) راجع « احياء العلوم » . ٣٢٢/٤

تركه ، فكيف يرتضي ذلك لنفسه في الخلوة ؟ ثم تحسينها في الخلوة ايضا بقصد التسوية بين الخلوة والملأ ، وهذا من الرياء الغامض ، لانه حسن عبادته في الخلوة ليحسنها في الملأ ، فلا يكون فرق بينهما في التفاته فيهما الى الخلق ، اذ الاخلاص الواقعي أن تكون مشاهدة الخلق لعبادته كمشاهدة البهائم لها ، من دون تفاوت اصلا ، فكأن نفسه لا تسمع باساءة العبادة بين اظهر الناس ، ثم يستحي من نفسه ان يكون في صورة المرائين ؛ ويظن أن ذلك يزول باستواء عبادته في الخلوة والملأ ؛ وليس كما ظنه ؛ اذ زوال ذلك موقوف على عدم التفاته الى الخلق في الملأ والخلوة كما لا يلتفت الى الجمادات فيهما مع انه مشغول الهم بالخلق فيهما جميعا . واخفاها ان يقول له الشيطان — وهو في العبادة في الملأ بعد يأسه عن المكائد السابقة — : « أنت واقف بين يدي الله سبحانه ؛ فتفكر في جلاله وعظمته ؛ واستحى من أن ينظر الى قلبك وهو غافل عنه !فيحضر بذلك قلبه وتخشع جوارحه» . وهذا أخفى مكائد الشيطان وخداعه ؛ ولو كانت هذه الخطرة ناشئة عن الاخلاص لما انفكت عنه في الخلوة ولم يخص خطورها بحالة حضور غيره ، وعلامة الامن من هذه الآفة : أن يكون هذا الخاطر مما يألفه في الخلوة كما يألفه في الملأ ، ولا يكون حضور الغير سببا لحضوره ، كما لا يكون حضور بهيمة سببا له ؛ فما دام العبد يفرق في أحواله وأعماله بين مشاهدة انسان ومشاهدة بهيمة ، فهو بعد خارج عن صفو الاخلاص مدنس الباطن بالشرك الخفي من الرياء ، وهذا الشرك أخفى في قلب ابن آدم من دبيب النملة السوداء في الليلة الظلماء على الصخرة الصماء ؛ كما ورد به الخبر ولا يسلم منه الا من عصمه الله بخفي لطفه ، اذ الشيطان مـلازم للمتشمرين لعبادة الله ، لا يغفل عنهم لحظة ليحملهم على الرياء في كل واحد من افعالهم وأعمالهم .

تتميـم

الحق — كما أشير اليه — أن الشوب الممزوج بالاخلاص ان كان من المقاصد الصحيحة الراجحة شرعا ، لم يبطل العمل والاخلاص ولم ينقص الاجر والثواب . اذ نية الخيرات المتعددة توجب تضاعف الثواب بحسبها

وان كان من الاغراض الدنيوية الراجعة الى حب جاه او طمع مال فهو مبطل للعمل والثواب ، سواء كان الباعث الديني اضعف من الباعث النفسي أو مساويا له أو أقوى منه ، لظواهر الاخبار المتقدمة • ومع ابطاله العمل ، يترتب عليه عقاب على حدة أيضا ، اذ الرياء في العبادة في نفسه منهى عنه محرم ، سواء كان هو الباعث وحده او انضم الى نية التقرب انضماما مستقلا أو غير مستقل ، فمن ارتكبه كان آثما لاجل الرياء في نفسه وتاركا للعبادة من حيث دخول الرياء فيها ، فان كانت واجبة ترتب اثم آخر على تركها الا أن يسقطه بقضائها ، وان كانت مستحبة لم يلزم قضاؤها ولم يترتب اثم على تركها ، بل كان اثمها منحصرا بما يترتب على الريـاء في نفسه • ثم الاثم المترتب على الرياء المحض أشد واغلظ من المترتب على الرياء الممزوج بالقربة ويتزايد اثم الممزوج بحسب ازدياد قوة باعث الرياء بالنظر الى باعث الاخلاص وينقص بحسب نقصان ذلك •

وعلى ما ذكرناه ، فما انعقد عليه اجماع الائمة من أن من خرج حاجاً ومعه تجارة صح حجه واثيب عليه ، مع أن سـفره ليس خالصا للحج ، فالوجه فيه أن التجارة تعرض للرزق ، وهو أيضا عبادة • وقد تقـدم أن نية الخيرات المتعددة موجبة لتضاعف الثواب بحسبها ، فلا حاجة الى ماقيل: « ان التاجر انما يثاب على أعمال الحج عند انتهائه الى مكة وتجارته غير موقوفة عليه فهو خالص ، وانما المشترك طول المسافة ، ولا ثواب فيه مهما قصد تجارة » ، ولا الى ما قيل : « مهما كان الحج هو المحرك الاصلي ، وكان غرض التجارة كالمعين والتابع ، فلا ينفك نفس السفر عن الثواب » • نعم ، اذا كانت التجارة للجمع والادخار من غير حاجة ، فلا يبعد أن يقال ذلك، وكذا اذا انضم الى قصد الحج قصد التفرج ودفع التوحش عن الاهل انضماما غير مستقل ، ومثله اذا انضم الى نية الوضوء التبرد ، والى نيـة الصوم قصد الحمية ، والى نية العتق الخلاص من المؤنة وسوء الخلق ، الى غير ذلك ، اذا لم تكن المنضمات مستقلة •

ومن العلماء من قال : « ان الباعثين ان تساويا تساقطا ، وصار العمل لا له ولا عليه ، وان كان باعث الرياء اقوى لم يكن العمل نافعا ، بل كان

مضرا وموجبا للعقاب ، وان كان عقابه أخف من عقاب الذي تجرد للرياء وان كان باعث التقرب اقوى فله ثواب بقدر ما فضل من قوته . لقوله تعالى:

« فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره . ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره »(٥٣).

وقوله تعالى : « ان الله لايظلم مثال ذرة » (٥٤) .

فلا ينبغي أن يضيع قصد الخير ، بل ان كان قصد التقرب غالبا على الرياء حبط منه القدر الذي يساويه وبقيت زيادة ، وان كان مغوبا سقط بسببه شيء من عقوبة القصد الفاسد والسر : أن الاعمال تأثيرها في القلوب بتأكيد صفاتها ، فداعية الرياء من المهلكات ، وقوة هذا المهلك بالعمل على وفقه ، وداعية الخير من المنجيات ، وقوته بالعمل على وفقه ، فاذا اجتمعت الصفات في القلب فهما متضادتان ، فاذا عمل على وفق مقتضى الرياء قويت تلك الصفة ، وان عمل على وفق داعية الخير قويت أيضا تلك الصفة ، واحدهما مهلك والآخر منج . فان كانت تقويته لهذا بقدر تقوينه للآخر فقد تقاوما ، وان كان احدهما غالبا زاد تأثيرة بقدر الفاضل من قوته ؛ كما في تأثير الادوية والاغذية المتضادة » انتهى [٥٥] .

وفيه : أن اطلاق الظواهر يفيد كون شوب الرياء محبطا للعمل والثواب وقد تقدم بعضها . ومنها ما روى : « أن رجلا سأل النبي (ص) : عمن يصطنع المعروف — أو قال يتصدق — فيجب أن يحمد ويؤجر ، فلم يدر ما يقول له ، حتى نزل قوله تعالى :

« فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا » (٥٦) .

---

(٥٣) الزلزال الآية : ٧ ، ٨

(٥٤) النساء الآية : ٤٠

(٥٥) ابو حامد الغزالى : « احياء العلوم » : ٣٢٨/٤ ونقلـه المؤلف باختصار وتصرف قليلين .

(٥٦) هذه مروية فى « البحار » : مج ١٥ ، ٥٩/٣ ، باب ذم السمعة والاعترار بمدح الناس ، عن عدة الداعى بمضمون يقارب ماهنا ونصه عن سعيد بن جبير قال : « جاء رجل الى النبى — صلى الله عليـه وآله — فقال : انى اتصدق واصل الرحم ولااصنع ذلك الالله فيذكر عنى واحمـد عليـه ، فأسر فى ذلك واعجب به . فسكت رسول الله (ص) ولم يقل شيئا ، فنزل قوله تعالى انما انا بشر . . الآية » .

ولا ريب في انه قصد الحمد والاجر جميعا ، ومع ذلك نزلت فيحقه هذه الآيـــة .

ومنها ما روى : « أن اعرابيا اتاه (ص) وقال : يارسول الله ، الرجل يقاتل حمية ، والرجل يقاتل شجاعة ، والرجل يقاتل ليرى مكانه في سبيل الله ! فقال (ص) : من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو فيسبيل الله » . وحملها على صورة تساوي القصدين أو غلبة قصد الرياء خلاف الظاهر . وما ذكره من أن لكل قصد وفعل تأثيرا خاصا على حدة ، ففيه ان ذلك اذا لم يبطله ضده . ونحن نقول : ان مقتضى الاخبار كصريح العقل يــدل علىأن قصد الرياء يبطل قصد القربة اذا تواردا على فعل واحد ، فلا يبقى لقصد التقرب تأثير حتى يتصف بالزيادة على تأثير قصد الرياء .

ومنهــا :

النفاق

وهو مخالفة السر والعلن ، سواء كان في الايمان أو في الطاعات أو في المعاشرات مع الناس ، وسواء قصد به طلب الجاه والمال أم لا . وعلى هذا فهو أعم من الرياء مطلقا ، وان خص بمخالفة القلب واللسان او بمخالفة الظاهر والباطن في معاملة الناس ومصاحبتهم ، فبينهما عموم وخصوص من وجه وعلى التقادير ، ان كان باعثه الجبن فهو من رذائل قوة الغضب من جانب التفريط ، وان كان باعثه طلب الجاه فهو من رذائلها من جانب الافراط وان كان منشأ تحصيل مال او منكح فهو من رداءة قوة الشهوة . ولا ريب في أنه من المهلكات العظيمة ، وقد تعاضدت الآيات والاخبار على ذمــه . وأشد انواع النفاق ــ بعد كفر النفاق ــ كون الرجل ذا وجهين ولسانين ، بأن يمدح أخاه المسلم في حضوره ويظهر له المحبة والنصيحة ، ويذمه فيغيبته ويؤذيه بالسب والسعاية الى الظالمين وهتك عرضه واتلاف ماله وغير ذلك ، وبأن يتردد بين متعادبين ويتكلم لكل واحد بكلام يوافقه ، ويحسن لكل واحد منهما ما هو عليه من المعاداة مع صاحبه ويمدحه [٥٧] على ذلك ، أو يعد كل واحد منهما أنه ينصره ، أو ينقل كلام كل واحد الى الآخر . وهذا

(٥٧) وفي النسخ « اثناه » بدل (يمدحه) ، ولم نرلها وجها .

شر من النميمة التي هي النقل من أحد الجانبين . وبالجملة : هو بجميع أقسامه مذموم محرم ، قال رسول الله (ص) : « من كان له وجهان في الدنيا كان له لسانان من نار يوم القيامة » . وقال (ص) : « تجدون من شر عباد الله يوم القيامة ذا الوجهين : الذي يأتي هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه » . وقال (ص) : « يجيء يوم القيامة ذو الوجهين دالعا لسانه في قفاه وآخر من قدامه يلتهبان نارا حتى يلتهبان خده ، ثم يقال : هـذا الذي كان في الدنيا ذا وجهين وذا لسانين ، يعرف بذلك يوم القيامة » . وورد في التوراة : « بطلت الامانة والرجل مع صاحبه بشفتين مختلفتين ، يهلك الله يوم القيامة كل شفتين مختلفتين » وعن علي بن سباط ، عن عبد الرحمن بن حماد ، رفعه قال : قال الله تبارك وتعالى لعيسى : « يا عيسى ، ليكن لسانك في السر والعلانية لسانا واحد ،وكـذلك قلبك ، اني احذرك نفسك ، وكفى بي خبيرا ! لا يصلح لسانان في فم واحد ، ولا سيفان غمد واحد ، ولا قلبان في صدر واحد ، وكذلك الاذهان ! » . وقال الباقر (ع) : « لبئس العبد عبد يكون ذا وجهين وذا لسانين ، يطري أخاه شاهدا ويأكله غائبا ، ان أعطى حسده وان ابتلى خذله » .

ثم لا يخفى ان الدخول على المتعاديين والمجاملة مع كل منهما قولا وفعلا لايوجب كونه منافقا ولا ذا لسانين اذا كان صادقا ، اذ الواحد قد يصادق متعاديين ، ولكن صداقة ضعيفة ، اذ الصداقة التامة تقتضي معاداة الاعداء وكذا من ابتلى بذي شر يخاف شره ، يجوز أن يجامله ويتقيه ويظهر له في حضوره من المدح والمحبة مالم يعتقد به قلبه ، وهو معنى المداراة ، وهو وان كان نفاقا الا انه جائز شرعا للعذر ؛ قال الله سبحانه :

« ادفع بالتي هي أحسن السيئة » (٥٨) .

وري : « انه استأذن رجل على رسول الله (ص) فقال : ائذنوا لـه فبئس رجل العشيرة . فلما دخل ، ألان له القول ، حتى ظن أن له عنده منزلة . فلما خرج ؛ قيل له : لما دخل قلت الذي قلت ، ثم ألنت له القول؟!

---

(٥٨) المؤمنون ، الآية : ٩٦ .

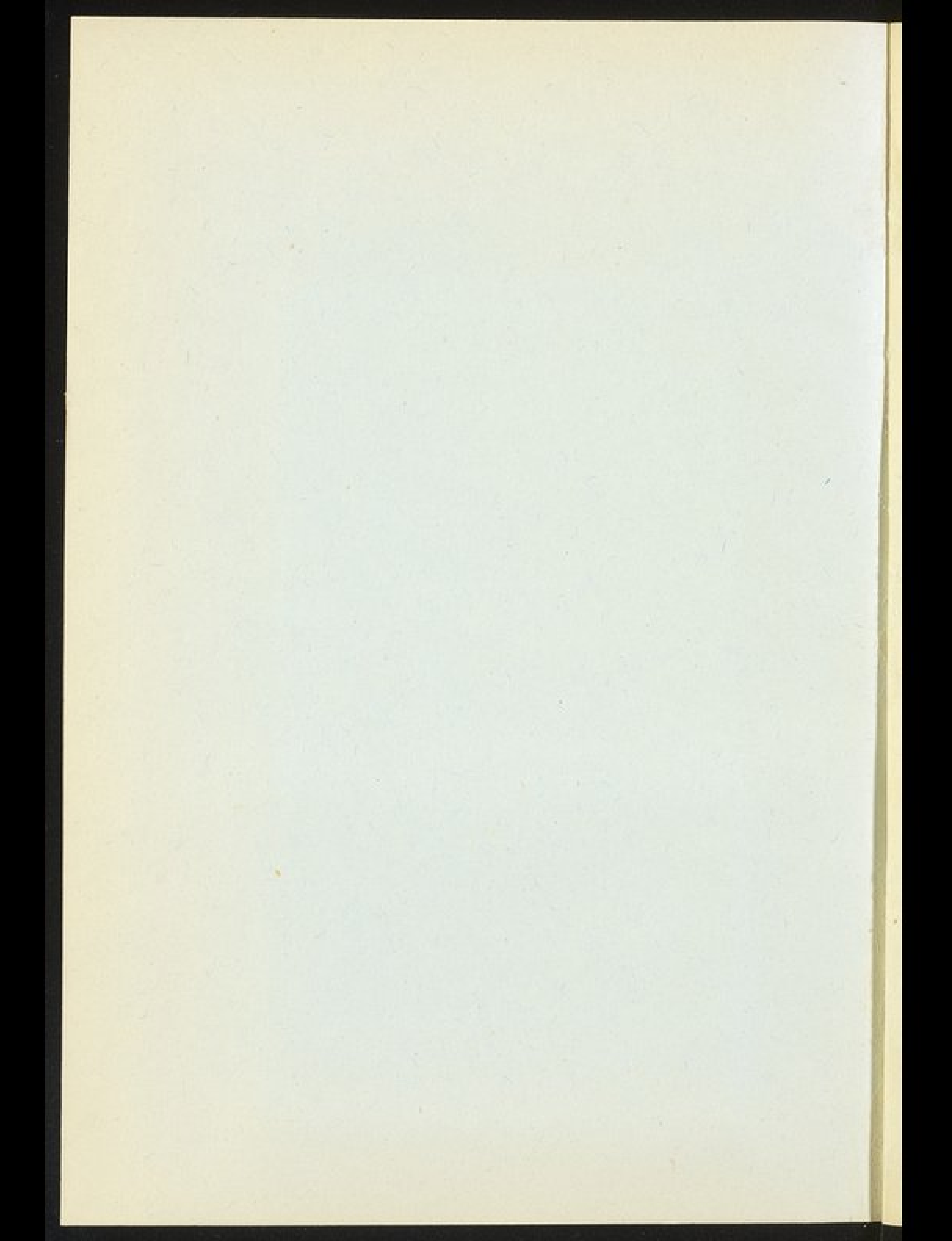
فقال : «ان شر الناس منزلة عند الله يوم القيامة من اكرمه الناس اتقاء لشره » . ويدل على جواز ذلك جميع اخبار التقية واخبار المداراة . وفي خبر : « ما وقي المرء به عرضه فهو له صدقة » . وقلل بعض الصحابة : « كنا نبشر في وجوه أقوام نلعنهم بقلوبنا » ثم جواز ذلك انما اذا اضطر الى الدخول على ذي الشر ومدحه مظنة الضرر ، أما لو كان مستغنيا عن الدخول والثناء أو عن احدهما ، ومع ذلك ابدى بلسانه ماليس في قلبه من المدح ، فهو تملق محرم .

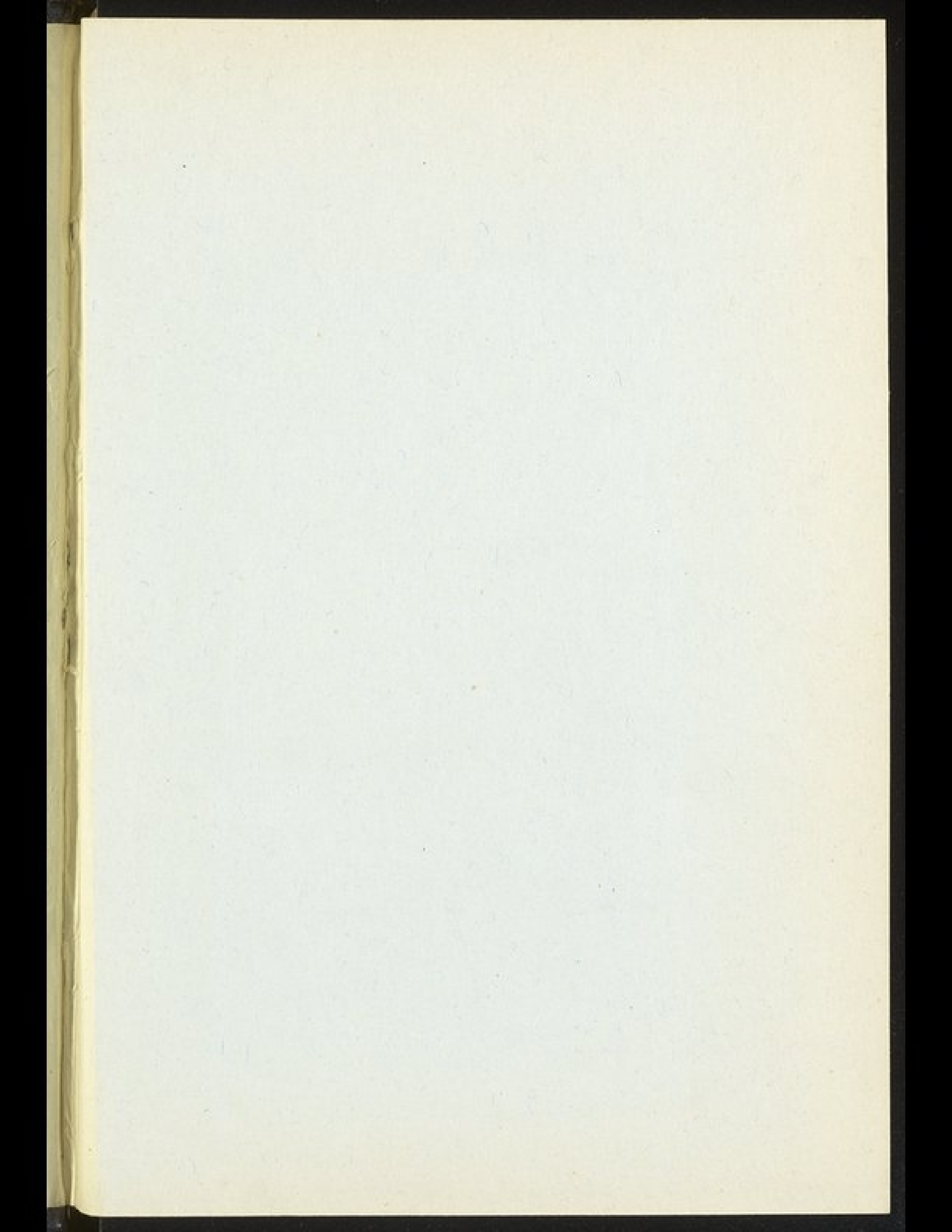
ثم ضد النفاق استواء السر والعلانية ، او كون الباطن خيرا من الظاهر ، وهو من شرائف الصفات ؛ وكان الاتصاف به والاجتناب من النفاق أهم مقاصد المؤمنين من الصدر الاول . ومن تأمل في ما ورد في ذم النفاق وفي مدح موافقة الباطن مع الظاهر ، وتقدم الروية في كل قول وفعل لم يصعب عليه ان يحافظ نفسه من رذيلة النفاق .

انتهى الجزء الثاني

ويليه الجزء الثالث وأوله (ومنها : الغرور)

فهرست الجزء الثاني من (جامع السعادات)






COLUMBIA UNIVERSITY LIBRARIES
0036758221

